

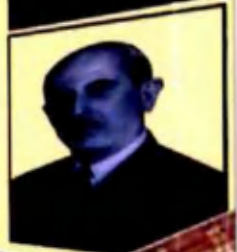
عبد الله فكري الخاني

سورية

بين الديمقراطية والحكم الفردي

(عشر سنوات في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية)

١٩٤٨ - ١٩٥٨



الخاني



سورية بين الديمقراطية والحكم الفردي

(عشر سنوات في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية)

١٩٥٨ - ١٩٤٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن ما تنشره للدار يعبر عن رأي كاتبه، ولا يعني تبنيها له،
أو مسؤوليتها عنه بأي شكل من الأشكال.

سورية بين الديمقراطية والحكم الفردي

(عشر سنوات في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية)

١٩٤٨ — ١٩٥٨

تأليف

عبدالله فكري الخاني

(مدير عام القصر الجمهوري وسفير ووزير سابق)

دار النفائس

سورية بين الديمقراطية والحكم الفردي (عشر سنوات في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية)

تأليف: عبدالله فكري الخاني

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

ISBN 9953 - 18 - 121 - 7

Publisher

نشر



DAR AN-NAFAES

Printing-Publishing-distribution

Verdun Str - Safiedine bldg.

P.o.Box 14-5152

Zip code 1105-2020

Fax: 009611 861367

Tel: 00961 1 803152 - 810194.

Beirut - Lebanon



دار النافيس

للطباعة والنشر والتوزيع

شارع فردان - بشاية الصباح

وصفي الدين - ص.ب 5152 - 14

الرمز البريدي: 1105 - 2020

فاكس: 009611861367

هاتف: 009611810194 - 803152

بيروت - لبنان

Email: alnafaes@alnafaes.com

Web Site: WWW.alnafaes.com

الإهداء

إلى من وهبني الحياة وأحاطني بعنايته ورعايته «وأثبتني
نباتاً حسناً» وزودني بكل ما أحتاج إليه في حياتي من
دعم ونصح وتوجيه، ومنحني، مع رضى الله عز وجل
ورضى والدتي، محبته ورضاه الذي نور لي الطريق
وسدد لي الخطى ويسر لي تحقيق ما حققته وسعيت إليه
من خير ونجاح،

إلى والدي الشيخ محمد سعيد الخاني

أهدي أول إنتاجي

عبد الله فكري

مقدمة

هذه صفحات قليلة من قصة حياتي، بدأت بحياتي العائلية والدراسية وما شابها من أحداث وتطورات، بعضها مرّ، وأكثرها حلّو والله الحمد.

ثم انتقلت بها إلى القسم الأول من حياتي الوظيفية في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية. وكان وجودي في هذا المنصب خلال عشر سنوات، من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٨، مجالاً للاطلاع على جميع الأحداث الداخلية والعربية والدولية في تلك الفترة الهامة من تاريخ بلدنا الحبيب، فترة امتزجت فيها الحياة الدستورية الديمقراطية بالنظام الفردي المتسلط، وسلطة القانون بسلطة المخابرات التي لعبت فيها الدول الأجنبية دوراً هاماً لتأمين مصالحها، فقضت على السمعة الممتازة التي كانت تتمتع بها سورية بين دول المنطقة والدول العربية، فأصبح يُنظر إليها على أنها البلد المريض غير المستقر، كثير الانقلابات، قليل الأهمية والاتزان، حتى انتهى بها المطاف إلى الوحدة المرتجلة غير المدروسة مع الشقيقة الكبرى مصر، والتي لم تعمّر طويلاً نتيجة هذا الارتجال.

أوردت أهم ما اطلعت عليه من أحداث خلال هذه الفترة، واحتفظت لنفسني بما يجب عدم البوح به ومما لا يهم القارئ، إلا أنني، في ما أوردته، كنت المصوّر الواقعي للأحداث، المسجّل لأهمها، والمجتهد في إبرازها، فإن أصبت فلي أجزان، وإن أخطأت فلي أجز واحد.

مررت بالحرب العربية - الإسرائيلية، وبالانقلابات التي عصفت بسورية مروراً سريعاً، ذلك أنه قد وُضعت عنها كتب كثيرة وأبحاث مطولة ممن هم أكثر مني اختصاصاً وأوفر مني اطلاعاً، وأوردت منها بعضاً مما اطلعت عليه شخصياً.

ولا بد لي، في مقدمة كتابي هذا، إلا أن أشيد بما منحني الله من نعمة العمل بمعية رئيسين أمضيا حياتهما بالنضال في سبيل استقلال سورية والحفاظ على هذا الاستقلال، والدفاع عن أرض الوطن وصيانة حدوده وحقوقه، والعمل من أجل

رفعته وسموه، مع احترام للدستور والحقوق والحريات العامة، وعدم التفريط بذرة من تراب الوطن، هما: فخامة الرئيس الجليل هاشم الأتاسي، وفخامة الرئيس الجليل شكري القوتلي.

لقد كان عملي بمعيتهما خير مدرسة في الأخلاق والسمو والالتزام واحترام حقوق الغير وعدم تجاوز القانون. فإليهما أرفع خالص احترامي وتقديري وإجلالي، سائلاً المولى القدير أن ينزلهما في جناته خير مقام، وأن يجعل سيرة حياتهما مثلاً يحتذى لمن يجهد في خدمة بلاده ووطنه وعرويته، ولي في تقديرهما لي أفضل مكافأة وخير جزاء.

والله ولي التوفيق

عبد الله فكري الخاني

الباب الأول

الفصل الأول : الطفولة والعائلة

الفصل الثاني : الدراسة

الفصل الثالث : نكرياتي عن دمشق في فترة الدراسة

الفصل الرابع : أنا والأحزاب السياسية

الفصل الخامس : المحاماة

الفصل الأول

الطفولة والعائلة

بدأت بكتابة قصة حياتي اليوم الأربعاء الثالث من شباط ١٩٩٩، وذلك بعد أسبوع من عيد ميلادي السابع والسبعين.

لا أكتب ما علق بذاكرتي منذ ولادتي، في الساعة الخامسة صباحاً (عربي) أي ١٠،١٢ زوالي من يوم الأربعاء في ٢٧ جمادى الأولى ١٣٤٠ هـ الموافق لـ ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٢م، فحسب، إنما أعود في ما أكتب إلى ما كنت سجلته على الورق منذ طفولتي، وهذا ما علّمت عليه ابنتي وأولادهما، بتسجيل - يوماً يوماً، وقبل أن يناموا - ما مر عليهم من أحداث رغم بساطتها، إلا أن هذا التسجيل اليومي يصبح ذا فائدة متى كبر الطفل واستعاد ما كتب مستعرضاً تاريخ حياته وما مر عليه من أحداث.

كانت ولادتي في بيتنا الجديد الذي اشتراه والدي في دمشق، منطقة الشهداء - حارة بندق رقم ٣٣، وكان بيتاً كبيراً تحيط به الحدائق التي يخترق إحداها نهر تورا.

كنا سبعة أولاد ذكور وابنة واحدة - تأني الثانية في الترتيب - وكنت آخر الأولاد وطبعاً أصغرهم سناً، وقد أعطاني والدي الشيخ محمد سعيد بن الشيخ عبد الله اسم أبيه وأضاف إليه اسم فكري، ذلك أنه بعد ولادتي بأيام قليلة زارنا عبد الله فكري باشا وزير مالية مصر في بيتنا، واقترح على والدي هذه الإضافة فأخذ بها وسماني عبد الله فكري، إلا أنه لم يسجل تاريخ ولادتي حتى عام ١٩٢٥، وكانت تلك عادة دارجة في بلادنا حتى يفيد المولود من بضع سنين إضافية في الوظيفة - أي في خدمة الدولة - التي كانت معتبرة، في ذلك الحين، من الأمور المرغوبة المرموقة. أما والدتي فهي ابنة التاجر المعروف الشيخ أحمد القبّاني المتوفى والمدفون في إستانبول.

كانت ولادتي إذن بعد سنتين من استقلال سورية الأول في ٨ آذار ١٩٢٠، وتتويج الملك فيصل الأول بن الشريف حسين في الحجاز ملكاً على سورية.

في مقدمة كتاب (ذكرى استقلال سورية)^(١)، عرض لهذه الفترة:

«... انتخبت سورية الداخلية، وهي بعيدة عن كل ضغط وإكراه، نواباً ينوبون عنها في المؤتمر الذي عقد في دمشق لتبليغ تلك اللجنة (اللجنة الأمريكية لاستفتاء الناس) قراره، وكذلك انتخبت سورية الساحلية نوابها، رغم كل اضطهاد وضغط القوى المحتلة، انتخاباً قانونياً مصادقاً عليه في مجلس البلديات والإدارات، ولم تقتصر سورية الجنوبية عن إرسال مندوبيها المنتخبين بالطريقة نفسها.

هذا المؤتمر السوري العام هو الذي اجتمع للمرة الثانية بدمشق في ٧ آذار ١٩٢٠، وكان أول ما قرره في تلك الجلسة التاريخية ما يأتي:

«إن الأمة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي، ولم ترق دم شهدائها الأحرار وتثر على حكومة الأتراك إلا طلباً للاستقلال التام والحياة الحرة، بصفتها أمة ذات وجود مستقل وقومية خاصة، لها الحق أن تحكم نفسها بنفسها أسوة بالشعوب الأخرى التي لا تزيد عنها مدنية ورياً».

قرر المؤتمر السوري العام، في تلك الجلسة التاريخية، إعلان الاستقلال التام وإنشاء مملكة سورية المتحدة وتنصيب سمو الأمير فيصل ملكاً عليها وتلقيه:

فيصل الأول ملك سورية

وبهذا الحدث التاريخي أعلنت الأمة عن رغباتها في إعلان استقلالها التام، ضالتها المنشودة منذ سنين وأعوام...».

وكانت سورية في ذلك الحين تشمل سورية بحدودها الطبيعية أي: سورية الحالية ولبنان وفلسطين والأردن، إلا أن الفرنسيين، بعد أن اتفقوا مع الإنكليز، بموجب اتفاقية سايكس - بيكو في ١٦ أيار عام ١٩١٦، على اقتسام الأراضي التابعة للسلطنة العثمانية بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، هاجموا، بقيادة الجنرال غورو، المملكة العربية السورية الوليدة، في ٢٤ تموز ١٩٢٠، فتصدت لهم سورية وقاومتهم، إلا أن الحرب كانت غير متكافئة ولا يمكن للجيش السوري الفتى الذي

(١) في ١٧ جمادى الثانية ١٣٣٨ هـ الموافق لـ ٨ آذار ١٩٢٠ م، مطبعة طه إبراهيم ويوسف يرلاوي بمصر، ملترزم وناسر الكتاب الدكتور سعيد طليع ويوسف السيوفي.

كان قد خُلِّ قبل العدوان الفرنسي، نتيجة للإنذار الفرنسي، والذي لا يملك من الأسلحة إلا القليل تجاه الأسلحة الفرنسية الحديثة والجيش النظامي، أن يصمد تجاه العدوان الفرنسي، فكانت معركة ميسلون المشرفة التي قُتل فيها وزير الدفاع الشهيد يوسف العظمة الذي، رغم قناعته بعدم الاستطاعة أن يقف في وجه الفرنسيين، رفض أن يدخل الفرنسيون دمشق إلا على جثته. كان أخي الأكبر - حسني - من بين الذين حاربوا إلى جانب يوسف العظمة وكان يقول لنا: لم يكن لدينا من سلاح إلا إيماننا وشرفنا وحبنا لحريتنا. وسمع يوسف العظمة، لدى إصابته بشظية قاتلة يقول: «مرحباً بقاء الله»...

بعد أن دخل الفرنسيون دمشق في ٢٥ تموز ١٩٢٠ ففعلوا بأهلها ما فعلوا من قتل وتشريد، اشتعلت الثورة في سورية من أقصاها إلى أقصاها، فأثر والذي أن ينتقل بوالدتي وشقيقتي وأخي صلاح الدين (٥ سنوات) وأنا (ستتان) إلى بيروت، تاركاً بقية إخوتي في دمشق برعاية أخي الأكبر حسني.

إلا أن إقامتنا في بيروت لم تدم طويلاً، فعدنا إلى دمشق عام ١٩٢٧ بعد أن هدأت الأحوال قليلاً، ودعا الفرنسيون إلى عقد أول جمعية تأسيسية لتضع دستوراً للبلاد عام ١٩٢٨.

قبل الحرب العالمية الأولى، كان والدي قد درس الشريعة في إستانبول على يد الشيخ أبو الهدى^(١)، وأخذ عنه الطريقة النقشبندية التي أصبح إماماً لها في دمشق فيما بعد وحصل على شهادة التخصص بالقضاء الشرعي، الذي كان مرغوباً في ذلك الحين، وعيّن قاضياً في جنين (فلسطين)، وفي حمص حيث تعرّف على الرئيس الجليل هاشم الأتاسي. وفي عام ١٩٢٨ عيّن قاضياً شرعياً في الزبداني حيث بقي حتى أحيل على التقاعد في آخر عام ١٩٣٣ فعاد بنا إلى دمشق.

(١) كان الشيخ أبو الهدى شيخ السلطان عبد الحميد، وكان ذا مكانة وسطة ومكان رفيع. ورئيساً للمعهد الإسلامي الذي يمنح شهادات القضاء.

الفصل الثاني

الدراسة

في الزبداني

في الكتاب (١٩٢٨ - ١٩٢٩): وضعنا والدي في البداية، أنا وأخي صلاح الدين الذي يكبرني بثلاث سنين، في الكتاب مع أولاد أهالي الزبداني وبعض الموظفين فيها، فتعلمنا قراءة القرآن الكريم، وحفظنا جزئي «عم وبارك».

في المدرسة الابتدائية (١٩٢٩ - ١٩٣٣): وعندما افتتحت وزارة المعارف المدرسة الابتدائية «أنموذج الزبداني» وضعنا فيها، فبقينا فيها أربع سنوات أنهينا خلالها الدراسة في الصفوف الأربعة، كنت أحصل دائماً على العلامات التامة ١٠/١٠ (عشرة على عشرة) وكنت دوماً الأول في التصنيف.

المحكمة: كنت، بعد عودتي من المدرسة، أذهب أحياناً إلى المحكمة الشرعية حيث والدي يقوم بعمله في القضاء، أنتظره حتى ينتهي ثم نعود سوياً إلى البيت. كانت أجمل ساعاتي عندما أكون برفقة والدي أقتبس منه كل شيء: حديثه، أحكامه، حفظه للشعر، معاملته لي ولإخوتي في البيت، معاملته لزملائه الموظفين. كان قدوة لنا جميعاً.

في دمشق

بعد أن أحيل والدي على التقاعد لبلوغه سن الستين عام ١٩٣٣، عدنا إلى دمشق لنقيم فيها بشكل نهائي. وبعد الزبداني، المصيف، أو القرية الصغيرة بما فيها من صعوبات الطقس في الشتاء، وضيق المجال الاجتماعي، ومستوى الدور غير المريحة، كنت مسروراً بوجودي في هذه العاصمة الجميلة الخضراء النظيفة حيث المحال التجارية الأنيقة، والشوارع المرصوفة، والمزفطة، ووسائل النقل المريحة: الترام، والعربات التي تجرها الخيول، وبعض السيارات القليلة التي لا يمتلكها إلا

الأغنياء من علية القوم، كما أن بيتنا الواسع في زقاق بندق تحيط به الحداثق المزهرة الجميلة وحيث إختوتى جميعاً، جعلني أكثر سعادة وراحة واطمئناً.

من أيلول ١٩٣٣ حتى حزيران ١٩٣٤ : كانت أقرب مدرسة يمكن أن ندخلها أنا وأخي صلاح الدين، أو ننتقل إليها من مدرسة الزبداني، هي مدرسة عرنوس التي تقع بين ساحة عرنوس وساحة الجسر والتي أخذت مقراً لها في دار الشهيد عبد الوهاب الإنكليزي في آخر الزقاق المسدود. دخلنا الصف الخامس وقد تغيرت علينا المناهج التي أصبحت أكثر صعوبة. كان أستاذنا الدكتور بسام كرد علي يعطينا جميع الدروس ما عدا اللغة الفرنسية وحسن الخط. أما اللغة الفرنسية فلم تكن لي بها علاقة طيبة سيما وأن مستواها في مدرسة عرنوس كان أعلى بكثير مما كان عليه في الزبداني. أما أستاذ «حسن الخط» فكان المرحوم الخطاط الشهير «ممدوح» الذي علمنا حسن الكتابة بقلم القصب بعد أن نبهه ونقلمه، وكان له فضل كبير علينا ليس فقط في إرشادنا إلى الخط الجميل وإنما في الخلق القويم وحسن التصرف، إذ كان على جانب كبير من الخلق الحسن، وأذكر أنه عندما توفي في نهاية ذلك العام خرج جميع طلاب المدارس في تشيع جنازته يكون.

في نهاية السنة الدراسية (حزيران ١٩٣٤)، تقدمت لامتحان الشهادة الابتدائية فنجحت فيها. التقى والدي محمود الجابي الذي كان مديراً للبرق والبريد في الزبداني، وأحيل هو أيضاً على التقاعد قبل والدي بعام واحد، فبحثا موضوع دراستنا، فأوصاه الجابي بوضعنا في مدرسة الفرير الفرنسية قائلاً له: «من تعلم لغة قوم أمن شرهم»، فيجب أن يتعلموا اللغة الفرنسية. إلا أن قسط هذه المدرسة كان عالياً فوق طاقة والدي الذي كان يريد أن أكمل دراستي في مدرسة التجهيز، فألح عليه الجابي أن يتدبر أمر القسط لسنة واحدة، فإن نجحنا أمكننا الاستمرار وإلا عدنا إلى المدارس الحكومية.

مدرسة الفرير (أيلول ١٩٣٤ - حزيران ١٩٤٢): في مدرسة الفرير كان هنالك أستاذ يسير على أسلوب تعليم اللغة الفرنسية على طريقة برليتز Berlitz هو الأستاذ «كمال الحاج» في الصف الثامن - أي الرابع الابتدائي - ذلك أنهم كانوا، في مدرسة الفرير، يتبعون الترتيب الفرنسي، فتبدأ الدراسة في الصف الحادي عشر وتنتهي في الصف الأول للبكالوريا الأولى ثم صف الاختصاص للبكالوريا الثانية فلسفة (آداب) أو رياضيات. وفي هذا الصف، أي الثامن، كانوا يضعون كل من يأتي من المدارس العربية، وهكذا خسرت سنتين نظراً لأن معلوماتي باللغة الفرنسية كانت ضعيفة.

ودخلت الصف الخامس العربي، ذلك أنهم كانوا، في مدرسة الفرير، يفصلون الدراسة باللغة العربية عنها باللغة الفرنسية.

بدلت جهداً كبيراً في تعلم الأفعال وتصريفها، وهي العمود الفقري للغة، وكذلك في القراءة، ونجحت في نهاية العام وكان ترتيبها الرابع بين الناجحين.

كان من زملائي في مدرسة الفرير رياض المالكي ومروان المحاسني وضادق الأيوبي وزهير الهبل وكمال حمزة وكمال صقر ووليد الجابري وظافر النعماني.

ذكريات مدرسة الفرير: ما أذكره من هذه المدرسة جدية الدراسة فيها، إذ كان مستواها العلمي أعلى مستوى في دمشق، ولا يقل عن مستوى أفضل المدارس في فرنسا، ولا أدل على ذلك من نتائج البكالوريا، إذ كانت الأسئلة هي ذات الأسئلة المطروحة في مدارس فرنسا، وكانت نسبة نجاح الطلاب عالية جداً. كنا نتلقى أربع حصص صباحاً أي قبل الظهر وحصتين بعد الظهر، إلا أننا كنا نحضر ساعة صباحية قبل الحصص لتهيئة الدروس بما يسمى *Étude*، ومثلها مساء بعد الحصص لتهيئة الوجائب أو الفرائض.

تقديراً للناجحين كانت المدرسة تمنح أوسمة، في نهاية الامتحانات، للأوائل في الجهد والاجتهاد وفي التفوق والامتياز، وكنت أحصل دوماً على أربعة أوسمة (للصف العربي والصف الفرنسي) أو على الأقل على ثلاثة منها.

كان أستاذنا في اللغة العربية والآداب والشعر العربي، في الصف الثاني والأول، الأستاذ محمد كامل التونسي، وإلى جانب ذلك، كان يغذي فينا روح الوطنية والحرية والتضامن، ونذكر له بكل عرفان هذه الخصال التي زرعها فينا. وأذكر أنه عندما جاء الجنرال ديغول لزيارة سورية في آب ١٩٤٢ أثناء الحرب العالمية الثانية وبعد دخول قوات فرنسا الحرة إلى دمشق، قررت الكتلة الوطنية بزعامة الرئيس شكري القوتلي الإضراب العام، فأضربت دمشق بكاملها، وباعتبار أن مدرسة الفرير هي مدرسة فرنسية فقد قرر زيارتها، إلا أن الطلاب العرب فيها أضربوا أيضاً ولم يحضر استقباله إلا الطلاب الفرنسيون.

وأذكر أيضاً أنه عندما أضربت سورية لمدة ستين يوماً عام ١٩٣٥، عقب اعتقال الوطنيين ونفيهم إلى الجزيرة، وكان بينهم فخري البارودي، أضرب الطلاب العرب في مدرسة الفرير ولم يذهبوا طيلة هذه المدة إلى المدرسة، إلا أن الدروس في المدرسة استمرت على الطلاب الفرنسيين والأجانب، وكيلا تتأخر عنهم، حوّل إحدى الصالات في بيتنا إلى صف للتدريس وجاء طلاب

الصفوف المتقدمة ليلقوا علينا الدروس تعويضاً عما فاتنا، وهكذا فإننا نجحنا في آخر العام ولم نخسر شيئاً.

بدأت الحرب العالمية الثانية في الثاني من أيلول ١٩٣٩، وكان يوم الجمعة، واستعملت ألمانيا ما يسمى «بالحرب الصاعقة»، ولم يحم «خط ماجينو» الفرنسي، الذي أقامته فرنسا على حدودها مع ألمانيا وكلفها مبالغ باهظة وارتاحت أن ألمانيا لن تستطيع أن تحرقه، لم يحومها فالتفت القوات الألمانية عليه عبر بلجيكا، ولم تصمد قلاع هذه الدولة أمام القوات الألمانية الضخمة المزودة بأحدث الأسلحة، فدخلت بسرعة الصاعقة إلى فرنسا واحتلت باريس التي استسلمت من دون قتال حرصاً على جمالها وأثارها ووصلت حتى ثلاثة أرباع فرنسا، عندها عقد «المارشال بيتان» معها معاهدة عدم اعتداء، وأقام عاصمة له في مدينة فيشي وذلك في ١٧ حزيران ١٩٤٠. وفي ١٨ حزيران، نادى الجنرال ديغول في لندن: «فرنسا خسرت معركة، لكنها لن تخسر الحرب».

في دمشق وفي العالم العربي، كان الحماس لألمانيا ولانتصاراتها الصاعقة في الشرق والغرب على أشده، ليس حباً بألمانيا وإيطاليا ولكن كرهاً بفرنسا وبريطانيا اللتين جزأتا البلاد العربية واستعمرتاها بعد الحرب العالمية الأولى، وفتحت بريطانيا أبواب فلسطين لهجرة اليهود إليها تنفيذاً «لوعد بلفور» المشؤوم بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩١٧.

الدراسة الجامعية

في جامعة بيروت الأمريكية (أيلول ١٩٤٢ - حزيران ١٩٤٤): بعد أن حصلت على البكالوريا الأولى السورية والفرنسية عام ١٩٤١، أردت أن أتخصص بدراسة هندسة العمارة لأنني كنت أجد فيها علماً وفناً، وتتناسب مع تطلعاتي ومع رغباتي، إلا أنه لما لم يكن في جامعة دمشق، في ذلك الوقت، فرع للهندسة رجوت والذي أن يبعثني لدراسة الهندسة في جامعة بيروت الأمريكية، ورغم القسط العالي للجامعة، وبُعدي عنه وعن دمشق، إلا أنه أثر مصلحتي ووافق على ذلك.

ذهبت إلى بيروت في شهر أيلول ١٩٤٢، وكانت الحرب العالمية الثانية قد اشتعلت في أوروبا إلا أن أوارها لم يصل بعد إلى منطقتنا.

كان جواب المسؤول في الجامعة الأمريكية أن التسجيل لفرع الهندسة، نظراً للإقبال الشديد على هذا الفرع ونظراً أيضاً لتحديد عدد الطلاب فيه، فإن التسجيل

يجب أن يتم قبل عام، فإن أردت، سَجِّلُونِي للعام القادم، ولَمَّا لم يكن بمقدوري الانتظار، فقد قررت أن أدخل صف الفلسفة، في القسم الفرنسي للجامعة الأمريكية، ولم تكن الدراسة في هذا الصف بالنسبة لي سهلة، لتغيير الجو وتغيير أسلوب التدريس، وعدم توفر الكتب اللازمة، سيما وأنتي تأخرت أكثر من شهر عن بداية التدريس، فكان واجباً عليَّ اللحاق بزملائي.

كان لا يوجد سوى نسخة واحدة من كتاب علم النفس يتداوله الطلاب العشرون في الصف، وكان عليَّ أن أستعيـره من زملائي بعد أن يناموا، وأن أقرأه وأستوعبه بين الساعة الثانية والرابعة من صباح كل يوم مما أفقدني النوم وأتعب صحتي، ولكنني خشيت أن أطلع والذي على ذلك خشية أن يعيدني إلى دمشق.

كان من زملائي في الدراسة في صف البكالوريا الثانية هذه غسان تويني (الذي أصبح فيما بعد سفيراً ومندوباً دائماً للبنان في الأمم المتحدة، ثم وزيراً وهو صاحب جريدة ودار نشر «النهار» في بيروت) والأب هزيم (الذي أصبح بطريرك الروم الأرثوذكس «إغناطيوس الرابع هزيم») وأنيس داعوق (محام مشهور في بيروت) وميشيل هرموش (مشهور في فن الديكور) وعبد الرحمن الصلح (ابن رئيس الوزراء سامي الصلح) وسليم وعاصم سلام (أصبح الأول نقيباً للمهندسين، والثاني رئيساً لشركة الطيران اللبنانية).

في مطلع كل عام، ولدى دخول الطلاب إلى الجامعة وقبل بدء الدروس، كان يجري تلقيح الطلاب ضد مرض التيفوئيد وضد مرض الجدري. كان التلقيح ضد الجدري بسيطاً غير مؤلم، أما لقاح التيفوئيد فكان يرفع درجة حرارة الملقح عالياً، وهذا ما حدث لي. كان التلقيح يجري مساء الجمعة كي يرتاح الطلاب يومي السبت والأحد. وقد ارتفعت حرارتي ولازمت الفراش.

لدى تقديم البكالوريا الفرنسية، القسم الثاني، كنت الوحيد بين زملائي العشرين، الذي نجح في هذه البكالوريا بدرجة جيد، ونجح ميشيل هرموش بمساعدة، ولم ينجح بقية الطلاب رغم أنهم كانوا أثناء السنة الدراسية متقدمين عليَّ.

ثم عدت إلى دمشق لتقديم البكالوريا السورية الثانية - فرع الفلسفة - ونجحت فيها أيضاً بدون صعوبة، وكان ذلك مدعاة سرور لوالدي ولإخوتي.

في العام التالي، لم يعد هنالك مجال لدراسة الهندسة في الجامعة الأمريكية، فقررت دراسة العلوم السياسية والفلسفة عملاً بنصيحة الأستاذ الدكتور حسني

الصواف^(١) الذي كان يرعى الطلاب السوريين في الجامعة ويوجههم. ذلك أن في هذين الفرعين كان هنالك أساتذة قديرون. ففي فرع العلوم السياسية كان «الأستاذ سولتو»؛ كان أستاذ هذه المادة في جامعة لندن وفي جامعة باريس وانتقل إلى بيروت بعد أن قامت الحرب العالمية الثانية، وكان ضليعاً في اللغتين الإنكليزية والفرنسية وقديراً في مادة العلاقات الدولية. وكان شارل عيسوي الأستاذ الآخر خريج جامعة أوكسفورد يعطينا القانون الدستوري، وكان الدكتور صبحي المحمصاني يعطينا مادة مجلة الأحكام العدلية. أما فرع الفلسفة فكان أستاذنا فيه هو الدكتور شارل مالك (الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية اللبنانية ورئيساً للجمعية العامة للأمم المتحدة في إحدى دوراتها) وقد أعطانا مادتين: تاريخ الفلسفة والفلسفة الحديثة، ولا شك أنه كان أقدر من يدرس هاتين المادتين، وقد جعلهما جذابتين رغم صعوبتهما، وانتقل معي من البكالوريا الثانية لدراسة الفلسفة وهاتين المادتين الأب هزيم وغسان تويني. كانت الدراسة جدية ومفيدة رغم ظروف الحرب الصعبة في بيروت وفي المنطقة إجمالاً.

الجامعة اليسوعية الفرنسية: كان نجاحي في البكالوريا الفرنسية بدرجة جيد، وفي البكالوريا السورية أيضاً بدرجة جيد، مدعاة لاعتقادي أنني أستطيع جمع دراستين في وقت واحد: العلوم السياسية والفلسفة في الجامعة الأمريكية، والحقوق في الجامعة اليسوعية، فكنيت أفضي وقتاً طويلاً في التنقل بين الجامعتين وكدت أن أضيع بين الدراستين، وكان ذلك خطأ كبيراً مني.

الثورة في لبنان

إلا أن أكثر ما شغلني ولهاني عن الدروس اندلاع الثورة في لبنان نتيجة اعتقال رئيس جمهوريته الشيخ بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح، ومعهما الوزراء كميل شمعون وعادل عسيران وسليم تقلا وزعيم طرابلس عبد الحميد كرامي. كان ذلك في ١١/١١/١٩٤٣، فقام طلاب الجامعة الأمريكية بمظاهرات عديدة، وتمكنت، مع زملاء سوريين في الجامعة اليسوعية، أن نخرج بمظاهرة صاخبة اشترك فيها عدد كبير من الطلاب من بينهم مراد القوتلي ووليد الجابري، وكانا يدرسان الهندسة فيها وذلك في ١٢ تشرين الثاني ١٩٤٣.

(١) الدكتور حسني الصواف، أصبح فيما بعد، بعد أن عاد إلى دمشق، حاكماً لمصرف سورية المركزي، ثم وزيراً للاقتصاد، وكان عالماً فاضلاً في شؤون الاقتصاد والمالية.

«ولم تنتظر التظاهرات الطلابية وتظاهرات الشباب كلمة سر لتنتقل، ومن كل صوب، وكانت وتيرتها ترتفع ويتصاعد عنفها... لكن أحداً لم يعتد على الممتلكات... ومع ذلك تصدّت «الفرقة السنغالية» التابعة للجيش الفرنسي للطلاب والشباب وأطلقت النيران عليهم، كما حاولت تفريق تظاهرة نسائية انطلقت في آن واحد من «الجميزة» ومن «البسطا» لتلتقي في ساحة «عصّور»، ساحة رياض الصلح فيما بعد، كل ذلك والإضراب العام مستمر إلى حين عودة المعتقلين من راشيا».

وبصورة شبه عفوية اتّحدت منظمتا «الكتائب اللبنانية» (المالية سابقاً للانتداب) برئاسة بيار جميل والنجّادة اللبنانية (المطالبة بعروبة لبنان) برئاسة عدنان الحكيم في ظل قيادة موحدة تولاهما بيار الجميل...»^(١).

والنحم طلاب الجامعتين، واتجهنا إلى البعثة البريطانية التي كان يرأسها الجنرال سبيرس Spears Mission وقدّمنا لها عريضة بطلب الإفراج عن الشيخ بشارة وعن رياض الصلح، إلا أن الفرنسيين، وكان لديهم طراد في المرفأ، أنزلوا منه الجنود السينيغاليين فلحقوا بنا وأطلقوا النار علينا، فأصابوا ستة من زملائنا من بينهم عصام الجزائري ونزار رسلان، فنقلناهم إلى مستشفى الجامعة الأمريكية للعناية بهم، وبعثت السفارة الأمريكية في بيروت بستة جنود من المارينز، وقف كل اثنين منهم أمام أحد الأبواب الثلاثة للجامعة لمنع الجنود الفرنسيين من ملاحقتنا داخل حرم الجامعة.

«إحدى أهم التظاهرات وأخطرها تلك التي انطلقت من الجامعة الأمريكية، بمشاركة الأساتذة، في الساعة التاسعة من صباح السبت ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٣، وقد انضم إليها قبل وصولها إلى «بعثة سبيرس» Spears Mission وفود طلابية مسالمة جاءت من كلية المقاصد الخيرية الإسلامية ومدرسة الحكمة ومدرسة الفريز وكلية الطب في الجامعة اليسوعية.

و«بعثة سبيرس» كانت أول «سفارة» أو شبه سفارة في لبنان (شباط ١٩٤٢)، إنما تجمع إلى صفتها الدبلوماسية (السير إدوارد سبيرس «موفد فوق العادة... ووزير مفوض ذو صلاحية مطلقة») صفة التمثيل العسكري لقيادة قوات

(١) «كتاب الاستقلال بالصور والوثائق» دار النهار للنشر ١٩٩٨: غسان تويني مع فؤاد ساسين ونواف

سلام، ص ٦٤.

الحلفاء (البريطانية) في الشرق الأوسط، واكتسبت البعثة أهمية خاصة لأن رئيسها الجنرال كان صديق تشرشل الشخصي، تحيط بشخصيته هالة خرافية بعضها أنه فرنكوفوني، ونقل الجنرال ديغول في طائرته الخاصة من فرنسا إلى لندن (حزيران ١٩٤٠)، وبعضها الآخر أنه إنما جاء لدفع وتيرة المنافسة البريطانية الفرنسية (المتوارثة منذ ما قبل اتفاق «سايكس - بيكو») وإحلال النفوذ البريطاني محل الوجود الفرنسي.

كان الهدف المعلن للتجمع شكر النائب البريطاني الذي أدلى في اليوم السابق بتصريح في مجلس العموم يؤيد الشرعية اللبنانية، وانتدب الطلاب ممثلين عنهم للكلام أمام دار البعثة (رغم غياب الجنرال سبيرس عن مكتبه) فما كان من الجنود الفرنسيين إلا أن هاجمواهم مطلقين عليهم النار من الرشاشات والبنادق.

سقط اثنا عشر جريحاً وزعوا على المستشفى العسكري البريطاني في الفيّاضية ومستشفى الجامعة الأمريكية مما أثار ذعراً عاماً عند الأهالي، الذين ظنّ كل منهم أن أولاده بين الجرحى، فراحوا يفتشون عنهم، ولم يردع الفرنسيين عن الاستمرار في الهجوم إلا تهديد ضابط بريطاني كبير خرج من البعثة وأنذر الفرنسيين، ومن يومها، لم تمر الدوريات الفرنسية أمام البعثة^(١).

وكنا بعد خروجنا في مظاهرة نلجأ إلى المفوضية العراقية في آخر شارع بلس القريبة من الجامعة، حيث الوزير المفوض تحسين قدري كان يعتني بنا ويشني على جهودنا ويشجعنا، وكنت دوماً خطيب المظاهرة.

كل هذه الأمور أدّت بي إلى إهمال دروسي بعض الشيء، فكان نجاحي في آخر السنة بعلامات هزيلة لا تسمح لي بالتخصص الذي بدّأته، لذا قررت العودة إلى دمشق ودخول كلية الحقوق في جامعتها وتغيير مجرى دراستي.

في الجامعة الأمريكية كان يتجاذب الطلاب تياران سياسيان قويان هما تيار الكتائب، وكان أكثر الداعين إليه من المسيحيين الموارنة، وتيار الحزب السوري القومي وكان يجمع المسيحيين الأرثوذكس والإسلام والدروز. لم يكن بإمكاننا قبول أي منهما، فقررنا تأسيس كتلة جديدة تؤمن بالقومية العربية خارج إطار الدين، تدعو إلى تحرير البلاد العربية من السيطرة الأجنبية وتعمل على استقلالها ووحدتها

(١) المصدر نفسه: «كتاب الاستقلال بالصور والوثائق»: دار النهار للنشر، بيروت ١٩٩٨، ص ٧٠.

واستقلال فلسطين في دولة عربية موحدة، وأطلقنا على هذه الكتلة الجديدة اسم «العروة الوثقى» وضمت من الشباب أديب نضور وتوفيق هنيدي ورفيق هنيدي وأحمد عدلي وعدداً من الطلاب الفلسطينيين والأردنيين والعراقيين، ذلك أنه لم يكن في فلسطين أو الأردن جامعات عالية فكان شبابهم يأتون إلى دمشق - جامعة دمشق - أو إلى بيروت - الجامعة الأمريكية - لإتمام دراستهم، وقد انبثق عن العروة الوثقى فيما بعد الحزب القومي العربي الذي تزعمه الدكتور جورج حبش.

وكان زملائي في فرع العلوم السياسية الذين أذكرهم: عبد الله صلاح (سفير الأردن في باريس والمندوب الدائم في نيويورك، ثم وزير خارجية الأردن) ونجم الدين الرفاعي (مساعد الأمين العام للأمم المتحدة) وياسين مغير (من موظفي الأمم المتحدة) وسهيل فريججي (سفير لبنان في عدد من الدول). أما في فرع الفلسفة، فكان زملائي: د. غسان تويني، وغبطة البطريرك أغناطيوس الرابع هزيم.

ذكرياتي من الجامعة الأمريكية في بيروت كثيرة كثيرة تستحق وضع مؤلف خاص عنها، بعضها مشرق وضاء وبعضها مؤلم.

لقد أفدت كثيراً من العلم في هذه الجامعة ولا سيما من الأسلوب الذي يجعل الطالب يسعى هو للاستزادة من العلم، سواء في التنقيب عن المواد في مكتبة الجامعة الغنيّة جداً بمراجعها، أو بأسلوب الأساتذة الذين يجعلون الطلاب يعملون ويتجاوزون معهم، كما أن هذه الجامعة تقوّي شخصية الطلاب، سواء بالمحاضرات التي يضطرون لتهيئتها وإلقائها أو باعتمادهم على أنفسهم في البحث والتحليل والتدقيق، إلى جانب العناية بالرياضة والفنون، إذ كان يتوجب على كل طالب وطالبة أن يختار نوعاً معيناً أو أكثر من الرياضة، وكانت جميع أنواعها متوفرة في الجامعة، كما أن حفلات الموسيقى العالمية (ما نسميه الموسيقى الكلاسيكية) كانت تقام على مسرح «الوست هول» مرة على الأقل كل أسبوع.

وقد تعلّمت هناك طرق تأليف وتحليل هذه الموسيقى العالمية مما جعلني أحبها وأتعلّق بها وأستمع إلى الكثير منها.

أما الذكريات المؤلمة، فهي أنني كنت أخشى دوماً من عدم النجاح على الشكل الذي أريد للأسباب التي ذكرت، وهي ارتياضي بجامعتين وبمواد كثيرة متنوعة فوق طاقتي، ثم الأحداث السياسية في لبنان والإضرابات ومساهماتي فيها، كنت أعلم مدى ما يضخّبه والذي بتحمل نفقات دراستي في هذه الجامعة المكلفة فأستزيد من

الدراسة والجهد، إلا أنني كنت أشعر بصعوبة الانتقال من الدراسة باللغة الفرنسية إلى الدراسة باللغة الإنكليزية رغم معرفتي الجيدة بها.

عامل آخر كان يقلقني؛ كان عدد الطلاب اليهود القادمين من فلسطين كبيراً وكانوا جادّين متقدّمين في دراستهم، كما أنهم كانوا متضامنين متكافلين رغم اختلاف مشاربهم ومستوياتهم وأصل البلاد التي جاؤوا منها. كانوا يسرون في الجامعة دوماً جماعات لا فرادي، بينما كان الفلسطينيون العرب مختلفين فيما بينهم، كثيراً ما يهتمون بغير دراستهم. كنت أنظر إلى المستقبل بالكثير من الخوف والقلق.

في آخر العام الدراسي أهملت الحقوق في الجامعة اليسوعية وركّزت على المواد في الجامعة الأمريكية، وقد نجحت في أربع منها ولم يحالفني الحظ في مادة الفلسفة الحديثة مما جعلني أتعثر وكان ذلك مدعاة ألمي.

كان البروفسور سولتو، أستاذ مادة العلاقات الدولية، يتّبع أسلوباً مفيداً في تدريس مادته، جعل من الطلاب العشرين نادياً أسماه نادي العلاقات الدولية. كنا نجتمع في بيته كل يوم سبت بعد الظهر على شاي مع قطعة من الحلوى، إلا أنه ورّع علينا في بداية العام كتاباً حديثة تتعلق بمادته وطلب إلينا أن يقرأ كل منا كتابه ويلخصه، ويلقي هذا التلخيص في أحد اجتماعات يوم السبت، فيناقش بقية الطلاب ما ورد في هذا الموجز، والأستاذ بيننا يصغي إلى مداخلتنا ومناقشتنا، وفي آخر الاجتماع كان يوجز هذه المداخلات ويُدلي برأيه فيها. وهكذا استفاد كل منا من دراسة عشرين كتاباً حديثاً، بالإضافة إلى ما بذله كل واحد منا في قراءة وتلخيص كتابه والرد على مداخلات زملائه، ثم الاستماع إلى رأي الأستاذ القدير، كما أن هذا النادي خلق بين الطلاب ألفة وزمالة وتسابقاً إلى العلم والمعرفة.

ولما عدت إلى دمشق أردت أن أدخل هذه الطريقة للبحث في كلية الحقوق، وقلت لأساتذتنا فيها إنني على استعداد لتأمين الكتب واستقبال الطلاب في بيتنا وتأمين الشاي وما يلزم، إلا أنني أحتاج إلى حضور الأساتذة ساعة واحدة في الشهر، إلا أن أحداً من الأساتذة لم يقبل أن يمنحنا هذه الساعة من وقته الثمين إلا الدكتور عدنان الأتاسي الذي وافق على ذلك، وقال: بل تجتمعون عندي وأنا حاضر في كل أسبوع. إلا أن ذلك لم يتم لأنه عين بعد شهر واحد وزيراً مفوضاً لسورية في باريس.

الإفراج عن الشيخ بشارة الخوري، رئيس الجمهورية، ورياض الصلح، رئيس الوزراء (١٩٤٣/١٢/٢٤)

كانت آخر صورة ما زلت أحتفظ بها في مخيلتي عندما أذعنت فرنسا للثورة في لبنان وللضغط الدولي، فأفرجت عن رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري ورئيس الوزراء رياض الصلح، تلك الصورة عندما وقف الجنرال كاترو أمام قطعة الجيش اللبناني في ساحة البرج أمام سراي الحكومة، وقد أخذ موقف التهيو العسكري ليصغي للنشيد القومي اللبناني ويحيي العلم اللبناني قبل أن يدخل إلى سراي الحكومة في البرج (وقد أزيل الآن)، ليهني رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بسلامة العودة، وكان المير مجيد يحتل إحدى الغرف المطلّة على ساحة البرج ويأتي بين الفينة والفينة إلى النافذة ليطلق الرصاصات الست من مسدسه الذي يكون مرافقه قد ملأه له. كنت وبعض الزملاء من الطلاب قد استأجرنا شرفة في أحد الفنادق القريبة من سراي الحكومة لنشاهد تلك المناسبة السعيدة النادرة، وما زلت أسمع إطلاق الرصاص بغزارة لم أعهد لها من قبل، وكنت أقول إنها تكفي لتحرير لبنان وبقية البلاد العربية، ولم يصب أحد بأذى في ساحة البرج، إلا شخصاً واحداً كان يستحم على البحر بعيداً عن ساحة البرج، فوقعت إحدى الرصاصات عليه فقتلته.

في دمشق - الجامعة السورية، كلية الحقوق

كانت كلية الحقوق، قبل انتقالها إلى المبنى الكبير الحالي للجامعة (الذي كان ثكنة عسكرية بناها الأتراك ثم احتلها الفرنسيون) تشغل البناء الذي أصبح الآن مبنى وزارة السياحة، وكانت سنوات التدريس للحصول على إجازة الحقوق ثلاث سنوات لا أربع كما هي عليه الآن، وكان عدد الطلاب محدوداً.

كان أساتذتنا في السنة الأولى: الدكتور سامي الميداني (القانون الدولي)، الدكتور عبد الجواد السرميني (أصول المحاكمات)، د. أحمد السمان (اقتصاد)، الشيخ أبو اليسر عابدين (فقه)، الدكتور مصطفى الزرقا (شريعة)، الدكتور معروف الدواليبي (أوقاف)، الدكتور عدنان الأتاسي (دستورية)، الدكتور نادر الكزبري (جزائية)، الدكتور فؤاد شبط (إدارية) والدكتور منير العجلاني (القانون الروماني).

وفي السنة الثالثة، جاءنا، إضافة لهؤلاء الأساتذة، منتدب من جامعة القاهرة الدكتور محسن شفيق لإعطائنا مادة الحقوق التجارية، وكان على مستوى عالٍ من الثقافة والكفاءة وحسن الإلقاء، بحيث كان طلاب الصفوف الثلاثة في الجامعة يأتون

للاستماع إليه حتى لو لم تكن لديهم مادة الحقوق التجارية، بينما كان عدد الطلاب الحضور لدى بقية الأساتذة يتراوح بين ٤ طلاب و ٢٠ طالباً فقط.

كان مسجّل كلية الحقوق علي الدفترى، وكان نمطاً خاصاً من الأشخاص، دقيقاً في معاملته، إلا أنه كان من الطراز العثماني القديم جداً وعمل في هذا المنصب منذ مدة طويلة.

أما الطلاب الذين كانوا معي، خلال دراستي في الصفوف الثلاثة، فأذكر منهم: سعد جمعة (أردني، أصبح رئيساً للوزراء)، ضياء الرفاعي (أردني، أصبح سفيراً)، سهيل فريجي (لبناني، أصبح سفيراً)، مظهر الشريجي (محام، شغل منصب وزير للعدل)، زهير الميداني (محام، كان نقيباً للمحامين)، رشيد الساطي (محام، كان نقيباً للمحامين)، عبد الرحمن الخزندار (معاون وزير الشؤون الاجتماعية والعمل)، راتب النحاس (أصبح مديراً إقليمياً لمنظمة التغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة في سورية)، عصام المحاييري (أصبح رئيساً للحزب القومي الاجتماعي في سورية)، ناظم الحافظ (مدير عام معرض دمشق لدولي).

في شهر شباط ١٩٤٥ قررت كلية الحقوق القيام برحلة إلى القطر الشقيق مصر، رغبتُ إلى والدي أن يأذن لي بالذهاب مع زملائي الطلاب، وكان رسم الاشتراك خمسين ليرة سورية، وهو نصف راتب والدي الشهري تقريباً، فأذن لي واشتركت في الرحلة.

كان السفر بالقطار عبر فلسطين، وكانت الرحلة تستغرق يومين وليلة واحدة، كنا خمسين طالباً من الصفوف الثلاثة، وأشرف على رحلتنا الأستاذان الدكتور فؤاد شباط والدكتور نادر الكزبري.

كانت زيارة ممتعة إلى القاهرة لم يسبقنا إليها إلا وفد الاتحاد النسائي السوري الذي ضمّ نخبة من سيدات وآنسات سورية الراقيات المثقفات والجميلات أيضاً، مما أعطى إخواننا المصريين انطباعاً ممتازاً عن سورية والسوريين، وكتبت الصحافة المصرية عنهن كثيراً مما أكسبنا، نحن طلاب الحقوق، استقبلاً حافلاً وعناية خاصة وبرنامجاً غنياً.

استقبلنا المشرفون على جامعة القاهرة وأنزلونا في مبنى «الشبان المسلمين» (وهم غير الإخوان المسلمين). كان المبنى واسعاً في شارع الملكة نازلي، ووضعوا تحت تصرفنا سيارتين كبيرتين (باص) فقمنا بجولة في القاهرة زرنا أثناءها معالمها

التاريخية والسياحية بما فيها متحفها الغني جداً، وحديقة الحيوان (وكانت ثالثة حديقة حيوان، من حيث عدد الحيوانات الغريبة والنظافة والتنظيم، بعد حديقة لندن وبرلين) وحديقة الشاي فيها، ثم القناطر الخيرية.

واستقبلنا وزير المعارف العلامة عبد الرزاق السنهوري باشا، والتقطنا معه بعض الصور، كما أقام لنا حفلة كبرى في دار الأوبرا الجميلة جداً والشهيرة بمستواها الفني، (وقد تألمت كثيراً لاحترافها بعد زمن)، غنّت فيها الآنسة أم كلثوم.

كانت القاهرة أكبر وأجمل مدينة عرفت في ذلك الحين، ولم أكن قد خرجت من دمشق إلا إلى بيروت. أعجبت بشوارعها الواسعة المنسقة وبنهر النيل العظيم وبنبائاتها الشامخة، ولا سيما مبنى القصر العدلي في شارع فؤاد الأول، والمحال التجارية الغنية الفخمة في ذات الشارع، ولا سيما محال: شملا وعمر أفندي وأوروزدي باك وغاتينيو، وصيدناوي، إذ لم يكن لدينا في دمشق ما يشبهها.

ما زلت أذكر بحنين تلك الزيارة، مع العلم أنني عدت إلى القاهرة، بعد ذلك التاريخ، مراراً عديدة، وسكنت فيها أيام الوحدة (الجمهورية العربية المتحدة) إلا أن الشعور الأولي كان دوماً طاعياً وممتعاً ولذيذاً، وما زلت أذكر كل ساعة من ساعاته.

في صيف ١٩٤٤، وبعد عودتي من الجامعة الأمريكية في بيروت، أحيت أن أعمل في الصحافة ولا سيما في قسم الأخبار الدولية، وكانت الصحف المعروفة في ذلك الحين: الأيام لصاحبها نضوح بابل، والإنشاء لصاحبها وجيه الحفار، والنضال لصاحبها الدكتور سامي كباره، وألف باء لصاحبها يوسف العيسى، والكفاح لصاحبها أمين سعيد، وفتى العرب لصاحبها معروف الأرنؤوط، كما كانت هنالك جريدة النقاد لصاحبها فوزي أمين متخصص بمثالب الناس ونقد الحكام. كانت مجلة المضحك المبكي أوسع المجالات انتشاراً، لأسلوبها الساخر الناقد المذهب الممتع، وكان صاحبها حبيب كحالة من المعروفين في المجالس الدمشقية، يعرف أسرارها ويغمر من قناتها. وكانت جريدة القبس لصاحبها نجيب الرئيس من أهم الصحف الدمشقية نظراً لأن صاحبها كان ممن عملوا وجاهدوا في الصفوف الوطنية.

اخترت العمل في جريدة النضال - وكانت من الصحف المعارضة للحكومة وللوطنيين - بدأت العمل في القسم الخاص بالأخبار الدولية ثم ما لبثت أن أصبحت مسؤولاً عن معظم الأخبار، وكان عدد صفحات الجرائد في ذلك الحين أربع صفحات، أي ورقة واحدة. وكان الدكتور سامي كباره يملئ علي افتتاحيات الجريدة

والمانشيتات الرئيسية، وكانت افتتاحياته شديدة اللهجة فيها هجوم شديد على شخص رئيس الجمهورية، الرئيس شكري القوتلي، في ذلك الحين، وهذا ما جعلني أترك العمل في هذه الجريدة، ولم أعمل بعدئذ في الصحافة.

وأذكر مرة أنني حضرت إحدى جلسات مجلس النواب في المبنى القديم، وكان لمراسلي الصحف في ذلك الوقت الصف الأمامي في الشرفة المطلّة على المجلس لتغطية أخبار المناقشات، كان رئيس المجلس فارس الخوري، ورئيس الوزراء سعد الله الجابري ووزير الداخلية لطفي الحفار. كان ذلك بعد أن أعلن الجنرال كاترو أن فرنسا ستمنح سورية استقلالها^(١)، فأبرق لطفي الحفار إلى محافظ حلب إحسان الشريف: «أقيموا الزينات فقد حصلت سورية على استقلالها»، وتبيّن فيما بعد أن ذلك الإعلان الفرنسي لم يكن «جدّياً»، ولم يكن في نية فرنسا الانسحاب الكامل من سورية ولبنان، بل كانت تريد الاحتفاظ فيهما بالكثير من الامتيازات، فثار نواب المعارضة على وزير الداخلية لتسرّعه «بالفرجة وإقامة الزينات»، ولا سيما نواب حلب، رشدي الكيخيا وناظم القدسي وأحمد قنبر، وطالبوا بالحاح باستقالة أو بإقالة لطفي الحفار. واشتد النقاش وحمي الوطيس، فعرض سعد الله الجابري وزارته بمجموعها للثقة، ففازت بالثقة بأكثرية النواب، ورفعت الجلسة.

بعد دراسة سنتين انتقلنا إلى مبنى الجامعة الكبير في الشكّة العسكرية التي ذكرت، ولم يكن قد تم تجهيزها ونهيتها بالشكل المناسب، إلا أنها كانت كبيرة وواسعة وأمامها فسحة كبيرة حولت فيما بعد إلى حديقة.

في ذلك الحين بدأت الطالبات يفتدن إلى الجامعة وبشكل خاص إلى كلية

(١) البيان الفرنسي - البريطاني:

في اليوم الثالث عشر من شهر كانون الأول ١٩٤٥، أعلن في لندن وباريس الاتفاق الشانّي الذي عقد بين الحكومتين الإفريقية والبريطانية وهذا نصه:

«إن الحكومتين البريطانية والإفريقية، رغبة منهما في أن تتجنباً بصورة دائمة كل تباين في السياسة من شأنه أن يهدد مصالح كل منهما، أو أن يعكّر حسن التفاهم الذي تنويان توثيقه بينهما، قد لاحظتا أن من مصلحتيهما المتبادلة أن تسهلا ازدهار شعوب الشرق الأوسط الاقتصادية، وأن تؤمنا سلامتها ضمن نطاق التعاون الدولي.

ومن جهة ثانية، رغبة منهما أيضاً في أن تمكنا سورية ولبنان من ممارسة استقلالهما التام، قررتا أن تدرسا معاً شروط تجميع قواتهما وجلاء تلك القوات عنهما، وسيجتمع البريطانيون والإفريقيون لهذه الغاية ببيروت في ٢١ كانون الأول ١٩٤٥.

الحقوق، كما ارتفع عدد الطلاب كثيراً عما كان عليه عندما دخلنا هذه الكلية منذ سنتين. كان عددها ١٧٠ طالباً فارتفع إلى خمسمائة، وبعد سنوات بلغ خمسة آلاف في الصف الأول. ولم يكن الحضور إلزامياً، فكان الحاصلون على البكالوريا الثانية يسجلون أسماءهم في كلية الحقوق ثم يذهبون إلى أعمالهم ووظائفهم في مختلف المحافظات، ويحضر بعضهم لتأدية الامتحان في نهاية العام.

في عام ١٩٤٥ نكثت فرنسا بوعودها بمنح سورية استقلالها كاملاً، فأضربت سورية، وقرر طلاب الجامعة الانخراط في سلك الدرك - الوحيد الذي كان بيد الحكومة الوطنية - وذلك لحمل السلاح والدفاع عن حرية ووطننا، وكنت من بين من انتسب إلى سلك الدرك. ولما كان بيتنا يقع في المنطقة التي توجد فيها مختلف المؤسسات العسكرية الفرنسية: رئاسة الأركان، قيادة الجيش، مخازن التموين، محاسبة الجيش، الإدارة العسكرية، وبيوت الضباط الفرنسيين، كان عليّ أن أمر كل يوم، أمام هؤلاء، بلباسي العسكري أو الدركي، ولكن طبعاً بدون سلاح، إلى مكان التدريب في مدرسة أسعد عبد الله في الحلبوني، وكان الضباط الفرنسيون ينظرون إليّ مهتدين متوعدين، ولم أكن أبه لتهديدهم، واستمر هذا الحال أكثر من عشرة أيام، من ٢٠ أيار إلى ٢٩ أيار.

كنا نجتمع في مدرسة أسعد عبد الله في الحلبوني بغرض التدريب على استعمال السلاح، إلا أنه لم يكن لدينا سلاح، وبعثت قيادة الدرك إلينا بأحد عناصرها ومعه بندقية واحدة أخذ يعلمنا على طريقة فكها وإعادة تركيبها، ويعلمنا أسماء قطعها، كما يدرّبنا على السير والوقوف والتهيز والاستراحة، فقلت له مرة: ما من أجل المشي جئنا هنا، إنما جئنا لتتعلم طريقة استعمال السلاح بعد الحصول عليه. قال: إن بريطانيا وعدتنا بتجهيزنا بخمسمائة بندقية، ومتى وصلتنا سنوزّعها عليكم. ولم أثق بقوله لأن ذلك استمر أكثر من عشرة أيام.

يوم ٢٨ أيار طلبني قائد المقاومة أن أذهب إليه بعد عصر ذلك اليوم في موقعه الذي يشرف منه على سير المقاومة، فذهبت أنا وزميل لي عراقي إلى قلعة دمشق حيث كان «الزعيم فخري البارودي» بلباسه العسكري، وقد جلس تحت مظلة كبيرة اتقاء للشمس وأمامه طاولة صغيرة عليها جهاز هاتف يتصل به ببعض الأشخاص.

دخلت وزميلي القلعة من الباب الشمالي الوحيد الذي يصل إليها، فوجدت أن الناس يدخلون ويخرجون مع حريمهم وأطفالهم كيفما يشاؤون، وكنت أعتقد أن أحداً لا يستطيع الدخول إليها باعتبارها مركز المقاومة وفيها قيادتها، إلا بعد التدقيق

بأوراقه وبعد السماح له من القيادة!... فلمست أول بادرة للفوضى، بل ثاني بادرة، بعد أن كان تدريبنا على السير فقط في مدرسة أسعد عبد الله هو كل ما حصلنا عليه.

أدبنا التحية للزعيم فخري البارودي، الذي أعلمنا أن مهمتنا غداً هي جمع الأسلحة من بعض السكان الذين يملكونها في حي الميدان.

كان يتصل بالهاتف مع من يعرفهم من هؤلاء السكان، مع العلم أن الهاتف كان يمر دوماً من خلال المقسم العام في شارع النصر، والذي كان تحت سيطرة الفرنسيين، بمعنى أن الفرنسيين كانوا على اطلاع على جميع اتصالاته الهاتفية. وكانت معظم أجوبة أهل الميدان أن لديهم «بارودة فرنسية قديمة، ولكن لا يوجد لديهم خرطوش لها» أو عندهم «طبنجاية» من على زمن تركيا، أو سيف، أو خنجر، وهكذا...

أصبحت بخيبة أمل وقلت في نفسي ليس بهذا التنظيم يمكن أن نتصر على الفرنسيين، وعدت إلى الدار مكبوتاً ممقوتاً.

وما أن خلعت ملابسني، وكانت الساعة قد قاربت الساعة مساءً، حتى سمعت دوي المدافع الفرنسية تقصف مجلس النواب الذي لا يبعد أكثر من مائة متر عن منزلنا، وسمعت هدير الرصاص من كل جانب، فعلمت أن المعركة بيننا وبين الفرنسيين قد بدأت، وصليت مع والدي ودعونا أن ينصرنا الله عليهم، ولم يكن لدينا من سلاح سوى الصلاة والابتهاال إلى الله عز وجل.

واستمر القصف طيلة الليل وتبعته الحرائق في كل مكان. ولما كان بيتنا ملاصقاً للتعاونية الفرنسية (كوبيراتيف Cooperative) وفيها مخزون التموين للفرنسيين (مأكولات وملابس وكل ما يلزمهم من حاجات لمعيشتهم)، وكانت تمتد على شارعين لسعتها، وتعود ملكيتها لسعيد شرف، فقد كانت محمية بقوات كبيرة.

وفي صبيحة ٢٩ أيار ١٩٤٥ هياً قائد القوة الفرنسية مدفعه ليضرب بيتنا نظراً لوجودي فيه، إلا أنه كان من الأرمن، وكان أحد جيراننا من الأرمن أيضاً فحال دون إطلاقه القذيفة علينا، فنجاناً، وكان له فضل في ذلك، إلا أننا عندما صعدنا، أنا وأخي صلاح الدين على سطح منزلنا لنرى ما حل بمجلس النواب وبدمشق، وكان الدخان قد ملأ السماء ولهب الحرائق قد وصل إلينا، أطلق الجنود الفرنسيون النار علينا فأخطونا، وعدنا أدراجنا نختبئ في الدار بعد أن هالنا ما رأينا.

وفي مذكرات السيد خالد العظم (الجزء الأول - ص ٢٩٣ -، والسفير وليد المعلم) شرح كافٍ وممتع لهذا العدوان الذي «سقط فيه ٦١٦ شهيداً و٢٠٧٢ جريحاً»^(١).

لن أسترسل في ذكر الأحداث السياسية والاتصالات الدبلوماسية التي عقت ذلك العدوان، إذ إن مجال ذلك هو في كتب التاريخ ومذكرات رجال السياسة، سيما وأنني أستعرض سجل حياتي في فترة الدراسة.

في السنة الثانية في كلية الحقوق، سارت الدروس بانتظام على الرغم من أن أكثر الأساتذة كانوا منخرطين في الأعمال السياسية أو النيابة أو الوظائف الرسمية الأخرى، وكنا نتابع التطورات السياسية عن كثب، لا سيما وأن المفاوضات بين الحكومة السورية والحكومتين الفرنسية والبريطانية كانت تجري بشكل حيث لانسحاب قوات الدولتين من سورية، وكانت الحكومة السورية بزعامه رئيس الجمهورية شكري القوتلي تصر على انسحاب هاتين القوتين دون قيد أو شرط، بينما كانت فرنسا، بموافقة بريطانيا، تريد أن تحتفظ لنفسها ببعض النفوذ في سورية ولبنان وبالعلاقات اقتصادية وثقافية، إن لم تكن عسكرية، على الأقل.

وفي بداية العام الجديد ١٩٤٦ قررت سورية ولبنان عرض موضوع الانسحاب على مجلس الأمن، الذي شرع ببحثه في ١٠ شباط ١٩٤٦. كان مجلس الأمن يعقد جلساته في لندن قبل أن ينتقل إلى باريس فنيويورك، وكانت الإذاعة البريطانية تنقل مناقشات المجلس مباشرة، وكنت أتابعها باهتمام بالغ. وبينما كان المندوب الفرنسي يسعى للمماطلة في انسحاب القوات الفرنسية نظراً للضرورات العملية الواجب توفرها لهذا الانسحاب، كان المندوب البريطاني يسعى لتغطية هذه المماطلة بضرورات استراتيجية ولوجستية، أما المندوب السوفياتي - وكان «فيشنسكي» - كان يطالب بانسحاب هذه القوات «فوراً».

وجرت مناقشة صياغة القرار مطولاً، فقبلت فرنسا بأن ينص على أن يتم الانسحاب «بأسرع وقت ممكن» «As soon as possible» فاعترض المندوب السوفياتي وأصر على أن يكون الانسحاب «فوراً» «Immediately». اقترح المندوب الأمريكي، «بأسرع وقت ممكن» وقيام الدول صاحبة العلاقة بمفاوضات لتحقيق

(١) بلاغ وزارة الداخلية السورية بتاريخ ٥ حزيران ١٩٤٥.

هذه الغاية، بينما كان المندوب البريطاني قد اقترح صيغة «بأسرع وقت عملي»
«As soon as practicable».

جرى التصويت على المشروع الأمريكي ففاز بأكثرية الأصوات، وأعلن معلق الإذاعة أنه تمت الموافقة على المشروع الأمريكي بأكثرية الأصوات، ولكن فيشنسكي تدخل وتكلم بالروسية طبعاً، ولم يفهم ما قال، ثم تُرجم ما قاله إلى الإنكليزية ففهمنا أن اعتراضه يعتبر نقضاً للقرار، أي أنه استعمل حق النقض VETO، وسقط المشروع الأمريكي^(١). وكانت تلك أول مرة يستعمل فيها حق النقض في مجلس الأمن.

إلا أن المعلق عاد وشرح أن الأطراف المعنية، أي مندوبي سورية ولبنان وفرنسا وبريطانية، اتفقوا على أن يجتمعوا لتحديد مدة لانسحاب القوات الفرنسية والبريطانية بشكل تام من سورية ولبنان. وتم هذا الانسحاب الكامل من سورية في ١٧ نيسان ١٩٤٦، واعتبر ذلك اليوم، عيد الجلاء، العيد القومي لسورية.

اجتمع طلاب الجامعة بجميع فروعها وخرجوا بمسيرات حاشدة، التقت معهم جموع المواطنين بشكل عفوي، وساروا في شوارع دمشق مهللين فرحين مكبرين وشاكرين.

شعرت، مع إخواننا الطلاب، أن ذلك اليوم كان أسعد يوم في حياتنا، وكان ذلك شعور جميع السوريين. على أن هذه الفرحة العارمة والاحتفالات الشعبية والعرض العسكري الذي جرى بمناسبة الجلاء ما كان ليرضي بعض السياسيين الذين وجدوا فيها مهازل ومساخر. هذا ما قاله أكرم الحوراني للصحفي عدنان الملوحي الذي جاء ليقابله إذ كان في حانة الطاحونة الحمراء، على ضفاف بردى تجاه دار الحكومة، مع زميله هاني السباعي ورفيق الملقى^(٢).

(١) المشروع الأمريكي، قدمه المندوب الأمريكي «ستاتينيوس Statinius» إلى مجلس الأمن في ١٦/٢/١٩٤٦: «إن مجلس الأمن قد أخذ علماً بالتصريحات التي أدلى بها الفرقاء الأربعة وسواهم من أعضاء مجلس الأمن، ويعرب عن ثقته بجلاء الجيوش الأجنبية عن سورية ولبنان بأسرع وقت ممكن، وقيام الدول صاحبة العلاقة بمفاوضات لتحقيق هذه الغاية دون تأخير، ويرجو هذه الدول إعلامه بنتائج المفاوضات».

(٢) أكرم الحوراني عراب الانقلابات في سورية: لعدنان الملوحي، دار دمشق للنشر والتوزيع، ص ٧٩.

الفصل الثالث

ذكرياتي عن دمشق في فترة الدراسة

دمشق

دمشق، يا عروس الشرق ويا درة العرب، ما جاءك زائر إلا افتتن بسحرِكَ، وما مر بك عابر إلا واستطاب الإقامة فيكَ. حملتِ النور إلى الشرق والغرب يوم سطع بريقه على يد الخلافة الأموية، وبعثتِ النهضة في الغرب يوم بزغت من قرطبة الحضارة على يد علمائك وأديانك ومثقفيك. حملتِ مشعل الحرية والأخوة والأمان يوم كان القهر والذل والاضطهاد يسيطر على العالم.

ما جاءك غاصب إلا وارتد مخذولاً ومدحوراً، ولم يأتك غازٍ ولا باغٍ إلا ودارت عليه الدوائر، ولا أرادك أحد بسوء إلا وضربه بسهم من سهامك المميتة (الشام كنانتي، من أرادها بسوء ضربته بسهم منها).

جاءك الغزاة من الشرق ومن الغرب، من الشمال ومن الجنوب، طمعاً بالسيطرة عليك فرددتهم خائبين، مهزومين مدحورين، وبقيتِ صامدة عالية خالدة على مر العصور.

من يسكن فيكَ يلق السعادة والخير، وينعم بما منحك الله من جمال وسحر ونعيم، فهوأك أنقى هواء، وماؤك أطيب ماء، وسماؤك أصفى سماء، وفاكهتك أزكى فاكهة، ما أقام في ربوعك إنسان إلا وقد أوتي خيراً كثيراً وحظاً وفيراً، فأنت، يا دمشق، جنة الله على أرضه، فبورك فيكَ يا دمشق العامرة، يا دمشق الزاهرة، يا دمشق الخالدة.

ومهما أوتيت من سحر الوصف وبلغ الكلام فلن أجاري ما قاله فيكَ أحمد شوقي حين أنشدك قائلاً:

جزاكم ذو الجلال بني دمشق وعِزُّ الشرق أوله دمشق
وعندما قال أيضاً في وصف جمالك:

أمنت بالله واستثنيت جنته دمشق روح وجنات وريحان

قال الرفاق وقد هبت خمائلها الأرض دار لها الفيحاء بستان
جرى وصفق يلقانا بها بردي كما تلقاك دون الخلد رضوان
دخلتها وحواشيبها زمردة والشمس فوق لجين الماء عقبان
دور دمشق: كانت الدور في دمشق القديمة - وأعني ضمن السور المحيط بها -
قصوراً إذا ما قيست بالأبنية الطابقية الحديثة؛ كانت هندستها مدروسة لتتماشى مع
طبيعة بلادنا ومناخها.

لم يكن لهذه الدور واجهات مزينة تطل على الشارع، وإنما جدار عالٍ يحميها،
وباب كبير متركب يؤدي إليها. كان البناء يحوي طابقين: الطابق الأرضي والطابق
العلوي.

الطابق الأرضي وهو الأهم والأوسع، ويحوي أكثر الغرف حول الباحة
المكشوفة، كما ويحوي الإيوان الكبير ذا السقف المرتفع، وبحرة الماء وشجر
الليمون والكباد والبرتقال والمشمس الهندي إلى جانب شجيرات الياسمين
والعراتلي وأحواض الفل والزنبق والشمشير والمرجان والورد الجوري (وردة
دمشق) وغيرها من نباتات الزينة التي تعطر الجو بشكل دائم صيفاً وشتاءً.

أما الطابق العلوي فكان بناؤه من اللبن والخشب يحمي من حرارة الصيف وبرد
الشتاء، وفيه أحياناً بعض النوافذ المسيجة بشباك خشبي يمكن للنساء أن ينظرن من
خلالها إلى الطريق دون أن يراهن أحد.

الطابق الأرضي، كان بناؤه من الحجر، وكانت كثافة جدرانه الخارجية تتراوح
بين متر ونصف متر لتحمي الدار من الزلازل ومن حرارة الصيف، أما من الداخل
فكانت جدرانه مرصوفة بالرخام الملون، المتداخل والمتناوب بأشكال هندسية
رائعة: الأبيض والأحمر والأسود. وأما الغرف فكانت جدرانها وأسقفها مكسوة
بالخشب المدهون والمزخرف والمرسوم والمزين بشكل هندسي غاية في الجمال،
وكانوا يسمونه «عرق عجمي» يتحمل الحرارة والبرودة ويحمي قاطني الغرف من
تقلبات الطقس صيفاً وشتاءً. ومن ضمن هذه الكسوة الخشبية المزخرفة «فيترينات
ورفوف» توضع عليها الأواني والصحون الصينية القديمة أو الكريستال القديم أو
التحف ذات القيمة، وفيها أيضاً خزائن واسعة للملابس والفرش والوسائد تحفظ
فيها نهاراً لتبقى الغرفة نظيفة أنيقة للجلوس واستقبال الضيوف، وتفرش ليلاً للنوم
والاستراحة.

في الغرف الصيفية، أي في الطابق الأرضي، كانت مياه أحد فروع بردي تسيل

رقاقة في مجاري ضيقة لتعدل حرارة الصيف، فكان العرب اكتشفوا المكيفات المائية Air Cooler قبل الغرب بزمان طويل.

أما الباحة التي تتوسط الدار وفيها بحرة الماء المتدفق، والإيوان أو (الليوان)، فقد كانت العائلة تجتمع فيها للسمر والحديث العائلي الاجتماعي، ولم يكن للسياسة ولا لأخبار العالم المزعجة من مكان، فلا التلفاز ولا الراديو كانا، ولحسن الحظ، معروفين.

كان في الدار قسم خاص بالرجال - سلامليك - يستقبل فيه صاحب البيت أصدقاءه وجيرانه وزملاءه، يجتمعون بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء، يتحدثون في مختلف المواضيع التي تهمهم من تجارية وزراعية وصناعية ولا يتعرضون لمتاعب السياسة ولا لأزمات العالم وكوارث الطبيعة.

أما القسم الخاص بالنساء - حرمليك - فهو الأوسع والأجمل والأكثر زخرفة وأناقة، يجتمع رب البيت فيه إلى عائلته وأولاده وأحفاده، فيتناول معهم طعام العشاء ويتحدثون ويتسامرون.

وفي الطابق الأرضي أيضاً المطبخ الواسع يهياً فيه مختلف أنواع المأكولات لجميع أفراد العائلة، وقريباً منه، أو تحته، تحت الأرض، (بيت المونة) الذي يحوي المدخرات من مؤونة الشتاء، ولكون هذه الغرفة تقع تحت الأرض، فهي مبردة تبريداً طبعياً، كالثلاجة في يومنا الحاضر.

لقد خسرنا الكثير الكثير في تركنا تلك الدور العريقة الجميلة التليدة لنلجأ إلى الأبنية الحديثة ذات الطوابق المتعددة المصنوعة من الإسمنت والزجاج، والتي لا نعرف فيها من هم جيراننا، والتي لا تقينا برودة الشتاء ولا حر الصيف، والتي لا تصمد للزمن، إلا أن تطور الزمان وتشتت العائلة فرض علينا هذا النوع من الهندسة السيئة.

الشوارع الرئيسية: كانت دمشق تسمى أجمل وأنظف مدينة في الشرق. أما جمالها فيعود إلى أنها حديقة غناء، شوارعها الواسعة مزدانة بالأشجار الباسقة فوق أرصفتها العريضة على طرفي الشارع، وأحياناً في منتصفه أيضاً. فشارع النصر (وكان اسمه شارع جمال باشا)، الممتد من ساحة الحجاز إلى مدخل سوق الحميدية، كانت تزينه الأشجار الباسقة على طرفيه، أما في منتصفه، وعلى طول الشارع، فكان الشمشير والمرجان وممر للمشاة، وفي كل دائرة وتقاطع منه بحرة يغذيها بالماء فرع



دور دمشق

نهر بردى المسمى قنوات. كانت متعة الناس الجلوس وسط هذا الشارع على المقاعد الخشبية المطلية باللون الأخضر أمام هذه البحرات في ذهابهم وفي إيابهم إلى الأسواق التجارية: سوق الحميدية، سوق الحرير، سوق مدحت باشا، المسكية، البزورية وغيرها... أو بانتظار عربة فارغة تجرها الخيول.

كذلك شارع بغداد (٢٩ أيار اليوم)، وشارع بغداد كان السير فيه من أجمل متع الحياة. فالأشجار تغطي الأرصفة العريضة الملأى بالمقاعد الخشبية المطلية أيضاً باللون الأخضر، وعلى ضفتيه أجمل المقاهي الصيفية والشتوية: مقهى فاروق، في أوله، قرب ساحة يوسف العظمة (أمام مبنى المحافظة، وقد أقيم مكانه الآن مبنى مؤسسة الضمان) وعلى الطرف الآخر مقهى ومطعم وسينما اللونا بارك (سينما صيفية مكشوفة، في الهواء الطلق) وفي منتصفه، أمام ساحة التجريدة المغربية، وكانت تسمى (السبع بحرات)، أمام المصرف المركزي، سينما أخرى مكشوفة في الهواء الطلق. أما شارع الصالحية، الذي كان يخترقه الترامواي، فكان شارعاً للنزهة يجوبه الشباب والشابات ينظرون إلى بعضهم البعض من بعيد دون الحديث مكتفين بالنظرات وأحياناً بالابتسامات، ثم شارع خالد بن الوليد الذي كان يصبُّ على شارع النصر، كانت فيه جزيرة خضراء في منتصفه تزينها الأشجار الباسقة، وعلى جانبيه أشجار باسقة مثلها.

أما شارع شكري القوتلي، الممتد من ساحة الشام (وكانت تسمى ساحة فيكتوريا) إلى الربوة، فقد كان على جانبه الأيمن أربعة خطوط من الأشجار الباسقة وثلاثة طرق: أحدها للمشاة، والثاني للفرسان والخيول، والثالث للدراجات الهوائية، ولم يكن يسمح بالبناء على جانبيه حفاظاً على الشريط الأخضر الذي يجمّل مدينة دمشق، وقد قضي على هذا الشريط الأخضر الآن.

كانت حديقة الأزيكية في منتصف شارع بغداد من الحداثق التي كنا نرتادها صباحاً للدراسة، وكان فيها مقهى متواضع إلا أنه نظيف، وكنا نستمتع صباحاً إلى صوت أم كلثوم على الراديو يغذي روحنا طيلة النهار.

وهكذا كانت دمشق غابة من الأشجار الخضراء دائمة الاخضرار صيفاً وشتاءً. في آخر الأربعينات، بدأ البناء يمتد إلى شارع الروضة ومنطقة أبي رمانة (شارع الجلاء).

النظافة: أما نظافتها، فكانت مضرب المثل. كان عمال التنظيفات ينزلون إلى الشوارع قبل الفجر من كل يوم فيغسلون الطرقات بماء القرب، إذ لم يكن هناك سيارات كبيرة لرش الماء، ويستعملون المقشاة المصنوعة من القش أو من الشوك الذي ينبت في الجبال فيصنعون منه المكانس، وكان الرقيب عليهم يتجول على

دراجته الهوائية كل صباح ليتأكد من نظافة الشوارع. وكان كل بيت ينظف الرصيف أمامه يومياً، ولا يرمي بالأوساخ إلا في مكان معيّن، يمرُّ صباحاً عمّال التنظيفات لجمعها ونقلها. وهكذا كانت دمشق أنظف مدينة في الشرق.

عدد سكان دمشق: كان عدد سكان دمشق ثلاثمائة ألف نسمة، وكانوا حريصين على جمال وعلى نظافة مدينتهم. أما الآن، فعدد سكان دمشق يربو على الأربعة ملايين ولا يهتمون لا بجمالها ولا بنظافتها، وأضحت متعة بلدية دمشق قطع الأشجار لا زراعتها وفرض ضريبة للنظافة تستعمل وتنفق في غير النظافة.

الترام: كانت وسيلة النقل العام الرئيسي «الترامواي»، وكان يخترق شوارع دمشق الرئيسية ويؤمّن نقل الركاب بصورة منتظمة. كانت هنالك أربعة خطوط رئيسية له: خط المهاجرين، وكانت تخدمه أفضل هذه الحافلات، ثم خط الشيخ محي الدين، وكان من الدرجة الثانية، وكذلك خط الميدان، الذي كانت حافلاته تتعرض لرشق الحجارة أو للحريق كلما قامت مظاهرة ضد فرنسا، ثم خط جوهر، وكان السفر عليه متعة من متع الدنيا لأنه كان يخترق غوطة دمشق، لا سيما في فصل الربيع عندما تكون أزهار أشجار المشمش والتفاح والدراق والكمثرى متفتحة، فكنا نتنقل فيه ذهاباً وإياباً.

كان الترام يسير بقوة الكهرباء، فلا دخان كدخان السيارات والباصات، ولا تلوث للجو ولا إزعاج بالآلات تنبيه (زمور السيارات) ولا رعونة الفتيان والفتيات في التسابق بالسيارات.

الغوطة وبردى: كانت الغوطة جنة من جنان الأرض لا مثيل لها في الشرق، يرويها نهر بردى بتفرعاته السبعة وبمياهه العذبة بعد أن يخترق مدينة دمشق فيزيدها بهاءً وجمالاً. وكانت إحدى خطيّات المحافظة (أي محافظة مدينة دمشق) أن غطّته بين ساحة الشام (فيكتوريا سابقاً) وساحة المرجة، وسعت إلى إتمام خطيّتها بتغطيته في ساحة المرجة، فجرى اختناق للمياه عندما هطلت الأمطار بغزارة وصبت في النهر مما هدد أساسات جميع الأبنية المجاورة، فاضطرت المحافظة (وهي تتضمن أيضاً بلدية دمشق) إلى إعادة فتحه في ساحة المرجة.

كان بردى، بمياهه العذبة الرقراقة، موحياً لشعر الشعراء بجماله وصفائه، إلا أنه بعد أن صبت عليه مجاري البيوت والمؤسسات التي تحيط به على ضفتيه، جفت مياهه واضطرت محافظة دمشق إلى أن تحفر الآبار حوله لترشه بمياهها، ولتحول دون انتشار الروائح الكريهة والذباب والناموس والجرذان، وأصبح في جميع فروعه

مستودعاً للمقاذورات والأوساخ. لقد تغنى به أحمد شوقي في قصيدة رائعة مطلعها:

سلام من صبا بردى أرقُ ودمع لا يكفكف يا دمشق

أما لو جاء الآن ورأى بردى، لانهمرت دموعه تروي بردى ودمشق.

حدائق دمشق: كانت الحدائق الكبرى في دمشق، حيث ينتزه المتنزهون: الحديقة خلف مجلس النواب، وحديقة المنشية في أول شارع شكري القوتلي، وحديقة التجهيز، وحديقة السبكي، وحديقة ساحة المدفع، وكانت هذه الحدائق تمتلئ بالمتنزهين والمتنزهات كل مساء.

الآبنة الحديثة: كان مشفى المواساة أضخم بناء في دمشق، وأكبر وأفضل مشفى بتجهيزاته وأطبائه وأساتذته، أما المشفى الوطني (مستشفى الغرباء) القريب من مبنى الجامعة السورية (المدرج) فكان مهماً وقديماً، وكان مشفى نخمن إلى جانب مدرسة اللايك من المشافي الخاصة النظيفة، كذلك كان المشفى الفرنسي والمشفى الإيطالي. كانت مدرسة التجهيز (جودت الهاشمي الآن) أكبر وأجمل بناء في دمشق، وقد أقيم فيه أول معرض صناعي عام ١٩٣٦، كما أن حديقته التي تقع أمامه كانت وما زالت أجمل حدائق دمشق.

كانت جميع دوائر الحكومة ووزاراتها بما فيها رئاسة الوزارة، محصورة في سراي الحكومة (وزارة الداخلية الآن). كان بينها وبين بناء البلدية شجرتا أرز كانتا أجمل شجرتين تمثلان أرز لبنان، وأمام سراي الحكومة عمود من الرخام عليه نقش بشكل «طرة» عثمانية الشكل يرمز إلى تاريخ بناء السراي، تحيط به حديقة صغيرة فيها بحرة ماء صغيرة. كل هذا قد أزيل الآن بما في ذلك شجرتا الأرز الجميلتان والعمود وما حوله، وحتى بناء البلدية الأثري الذي وُقِع فيه بيان استقلال سورية الأول عام ١٩١٩ والذي انعقد فيه أول مجلس لممثلي الشعب، وحيث نُصِب فيصل الأول ملكاً على سورية. وكان من المفروض أن يبقى هذا البناء الواقع في أحد جوانب ساحة المرجة، كمتحف من متاحف دمشق الأثرية إلا أنه أزيل ليقام مقامه بناء عالٍ يحوي بعض المكاتب التجارية وفندق الفراديس Faradis.

ومن الآبنة الجميلة كان بناء «مصرف سورية ولبنان» (المصرف التجاري، فرع ٥، الآن)، وذلك قبل تشويبه بالجسر الذي يمر أمامه. كان مصرف الإصدار أيضاً من أهم المصارف في الشرق لا يدخله إلا من أوتي حظاً كبيراً ومالاً وفيراً. أما أجمل بناء في دمشق، فكان بناء مجلس النواب (قبل ضربه وإحراقه من قبل الفرنسيين، وقبل إضافة جناح جديد له كبناؤه الأول) في طريق الصالحية.

الأسواق التجارية: كانت سوق الحميدية السوق التجارية الرئيسية في دمشق، وكانت تحوي أرقى المحال التجارية وأفضل المطاعم: محل الزين، وكان أرقى المحال التجارية، وأصفر وسركيس (للأشياء القديمة - الأنتيك -) ومحل وردة (للمفروشات)، والقوادي للأقمشة، وكسم وقباني للحراير، وقباني وحلواني وورع للحريز أيضاً، والقطب للقطنيات، ومزئّر ونعسان لحريز البروكار.

وفي أول السوق، مطعم الأمراء، وكانت فيه أنفس المأكولات، وأسدّة ونعيم (للحلويات)، وأبو حرب في آخره (للفضيحة والمعجنات)، وفي وسطه بكداش (للبوطة والمحلاة وكشك الفقرا).

إلى جانب سوق الحميدية، بل في آخره وقريباً من المسكية، سوق الحريز المختص ببيع الأقمشة الحريرية.

وفي آخره المسكية - بينه وبين الجامع الأموي - وكانت مختصة ببيع الكتب القديمة والحديثة، والقرطاسية أيضاً.

أما سوق مدحت باشا (وقد أخذ اسمه من الوالي التركي الذي أحب دمشق وخدمها خدمات كثيرة) فكان مختصاً وما زال بالقطنيات والعبى والألبسة العربية.

وأما سوق الخوجة، الذي كان ملتصقاً بجدار القلعة الغربي، فقد أزيل لكشف جدار القلعة، ونقلت محلاته التي كانت متخصصة بصناعة الحقائق والشنط إلى شارع الثورة.

كانت تلك أسواق متخصصة، وهنالك أسواق متخصصة أخرى كسوق علي باشا (بين ساحة المرجة وسوق الخيل) متخصصة ببيع الفاكهة، وكانت الفاكهة في فصل الصيف تسكر برائحها الزكية، على أنه في كل مرة كان يطوف فيها نهر بردى، كان يغمر تلك السوق ويقضي على فاكهتها.

وإلى جانب ذلك سوق الخيل وسوق الهال وسوق النحاسين وسوق الحدادين والقباقبية وسوق الصوف وسوق ميله (للألبسة المستعملة في أول سوق مدحت باشا).

الحركة الكشفية: كانت الحركة الكشفية ناشطة في ذلك الحين، تهئ الطلاب والشباب إلى الخدمة العسكرية، فتصقلهم وتعلمهم النظام والانضباط وشظف العيش ومساعدة المرضى والمتقدمين بالسن والمحتاجين للمساعدة. كان رئيسها علي عبد الكريم الدندشي وكان خير قائد لها، يساعده الأستاذ بكري قدورة

والأستاذ فائز الدالاتي والأستاذ أنور تللو والأستاذ إبراهيم زكريا والأستاذ نصوح الدقاق.

في مدرسة الفريو كانت فرقة الكشفية من أفضل فرق الكشفية في دمشق، كان رئيسنا في البداية راتب حليلة ثم جاء فيصل الدالاتي، وكان فيها نخبة ممتازة من طلاب مدرسة الفريو.

النهضة الصناعية: رغم صعوبات الحرب العالمية الثانية، تأسست في سورية صناعات متقدمة، بعضها بدأ قبل الحرب وبعضها أثناء الحرب وما بعده، وكان للنسيج الحظ الأوفى من هذه الصناعات التي كانت تصدر أكثر إنتاجها إلى العراق وإلى دول الخليج، وقد ازدهرت في دمشق الشركة الخماسية (أنور القطب، عبد الحميد دياب، عادل الخوجة، بدر الدين دياب وعبد الهادي الرباط) والمغازل والمناسج وقبلهما كسم وقباني (سعد الله الكسم وعبد الله القباني) والإسمنت، والكونسروة، والزجاج، ومعمل تكرير السكر في حمص.

أما في حلب فقد نشأت شركات كثيرة ومؤسسات لحلج القطن ولغزله وللنسيج، وشركات خاصة أسسها سامي صائم الدهر ومحمد سعيد الزعيم وشبارق ورفيع وسواهم، كما كانت صناعة الصابون (الغار) ناشطة في هذه المدينة، ولا تزال الرائدة في سورية.

عيد المولد النبوي الشريف: كانت أجمل الأعياد في دمشق، بالإضافة إلى عيدي الفطر والأضحى، عيد المولد النبوي الشريف، إذ كانت أرصفة الشوارع تُفرش بالسجاد، وتغطى بأغصان الشجر وتزين بصور الزعماء وأهل البيت من الرجال فقط، بالإضافة إلى صور الزير وعنتر في بعض الحارات القديمة. وكانت الموسيقى تصدح بمكبرات الصوت منقولة من إسطوانات الفونوغرافات، كما وكانت تجري ألعاب السيف والترس والمهرجانات المتنوعة الكثيرة، كما كانت حفلات الترام تزين برفع علمين سوريين على مقدمة الحافلة وعلى مؤخرتها.

وفي جميع الجوامع، كانت تقرأ قصة المولد النبوي الشريف، وفي الجامع الأموي، كان رئيس الجمهورية مع جميع أعضاء الحكومة والسلك السياسي يحضرون هذا الاحتفال الفريد والجميل، ويقدم في نهايته الملبس والحلوى. كنا ننتظر هذا العيد بفارغ الصبر أكثر مما كنا ننتظر عيدي الفطر والأضحى رغم أن الملابس الجديدة كانت تأتينا فيهما.

البيئة والتلوث: لم يكن في ذلك الحين وزارة للبيئة تعنى بنظافة المدينة وخلوها

من التلوث، إذ كان هواء دمشق ومناخها من أجل وأنقى ما خلق الله، فلا سيارات ولا باصات ولا ميكروباصات تنفث سمومها وغازات عادمها في الجو، ولا معامل تحيط بدمشق وتأكّل غوطتها وتملأ السماء دخاناً وثاني غاز الكربون، بل كانت أشجار غوطة دمشق تحمي دمشق من غبار الصحراء وتنقي جوها، كما كانت مياه بردى تسقي حدائقها وغوطتها فتحيلها إلى زمردة خضراء جلّ من خلقها.

لا أود أن أقارن الحاضر بالماضي، فيكفي أن يصعد الإنسان إلى جبل قاسيون ويلقي نظرة على دمشق ليرى مدى التلوث فيها، ورغم وجود وزير للبيئة في وزاراتنا المتلاحقة، فإن نسبة التلوث في هذه المدينة يزداد باضطراب حتى انتشرت من جديد أمراض سل الرئة وسرطان الرئة، وازداد إقبال الفتیان والفتيات على تدخين النارجيلة التي أصبحت موضة العصر، وتدخين اللقائف الأمريكية بكثرة بالإضافة إلى السيجار.

لست أدري ما سيحل بنا في القرن القادم، أجارنا الله من مساوئه...

الفصل الرابع

أنا والأحزاب السياسية

عندما كنت في السنة الثالثة في كلية الحقوق، أي في عام ١٩٤٧، وفي يوم من أيام الربيع، جاءني الأخ زهير الميداني، وكان معي في الصف ومن زملائي الذين أعزهم ويعزوني، ودعاني بعد ظهر ذلك اليوم إلى منزله في الجسر الأبيض للقاء «الأستاذ ميشيل عفلق» ولم أكن قد التقيت الأستاذ ميشيل قبل ذلك.

حضرت في الساعة الثالثة بعد الظهر فوجدت ما يقرب من عشرين طالباً آخر قد حضروا للقاء «الأستاذ ميشيل»، وقد جلس وراء طاولة صغيرة عليها جلالة بيضاء وفوقها منفضة للسيكارة.

بدأ الأستاذ بالتحدث عن مبادئ حزبه الجديد، وكان لا يفتر عن التدخين والتفكير الطويل، والطلاب الحاضرون ينتظرون سماع ما هو جديد. تحدث، وبشكل متقطع، عن ضرورة قيام الوحدة العربية، وهو ما نؤمن به جميعاً، ولم يتحدث عن طريقة تحرير أو استقلال هذه الدول التي كان أكثرها، ولا سيما في شمال أفريقيا، ما زال تحت الهيمنة الأجنبية.

ثم تحدث عن الحرية، ومزج بين حرية الأفراد وحرية الشعوب، ثم تحدث عن الاشتراكية، وبيّن خطر مفهوم الاشتراكية السوفياتية على الاشتراكية العربية وإن كان الأساس واحداً.

وهذه المبادئ التي تحدث عنها: الوحدة والحرية والاشتراكية، كانت في مجملها مستقاة من مبادئ الثورة الفرنسية: حرية، مساواة وأخوة، نظراً لتأثره بالدراسة التي أجراها في فرنسا.

خرجنا من هذا الاجتماع وأفكارنا مشوشة حول مبادئ هذا الحزب الجديد، وإن كانت هذه المبادئ مجتمعة تستهويننا إلا أن شخصية المتحدث لم تؤثر فينا، إذ كانت فكرة القومية العربية، التي اتخذناها أساساً لتحرير الدول العربية ولوحدتها في

«العروة الوثقى» التي أسسناها مع عدد من الطلاب العرب في جامعة بيروت الأمريكية، كانت أوضح وأقوى.

إلا أن الطلاب في دمشق، وفي فترة حماسهم بعد استقلال سورية، كانوا يتوقون للعمل ضمن حزب جديد بعيد عن الشيوعية الدولية، بعيد عن التطرف الديني، فوجدوا ضالتهم في هذا الحزب المعتدل، الوسط بين الاثنين.

لم يقتصر الاتصال بي من قبل حزب البعث وحده للدخول في الحزب، بل إن أكثر الأحزاب كانت نشطة تستقطب طلاب الجامعة وخريجيها، ومنهم: الحزب الشيوعي، والحزب السوري القومي، والإخوان المسلمون وحزب الشعب.

خضني الحزب الشيوعي بأحد أفراده المتحمسين: زيد الشهابي، وكان يتقدمني في مدرسة الفرير بثلاث سنين، وكذلك في كلية الحقوق، أمطرنى بعدد لا يحصى من الكتب عن الاشتراكية والشيوعية: كتب كارل ماركس وأنجلز وستالين ولينين وغيرهم.... وكان يزورني في كل يوم في البيت ويبقى معي الساعات في الحديقة حتى ضقت ذرعاً به، فقلت له: إن النظام الشيوعي لا يمكن أن يصلح لبلدنا ولا يمكن أن يقبله أحد، ولن أنتسب إليه مهما فعلت، بل إنني أجده نظاماً فاشلاً فأرجو أن لا تعود إلي.

كذلك سعى الإخوان المسلمون لاستدراجي إليهم، فكلفوني بتدريس اللغة الفرنسية في المدرسة التي كانوا يشرفون عليها (المعهد العربي) والتي كان يديرها الأستاذان محمد المبارك وعصام العطّار، إلا أنني أنفت من أفكارهم التقليدية، فتركت المعهد وتركت التدريس لديهم.

الحزب السوري القومي بعث بأحد رجالاته المعروفين إلى دمشق: سعيد تقي الدين، وكان من زعماء الحزب في لبنان، وهياً نظاماً أسماه «كل مواطن خفير» وذلك للدفاع عن فلسطين والقضية الفلسطينية، فتنأه النادي العربي بدمشق ونشط فيه، إلا أن الحروب في فلسطين والانقلابات في سورية قضت على هذه الفكرة الممتازة. لم يسع الأستاذ تقي الدين لإقناعنا بالدخول في الحزب السوري القومي لأنه لمس الاتجاه القومي العربي لأعضاء النادي العربي وللمبادئ التي نادى بها، إلا أنه أقام معنا تعاوناً وثيقاً للدفاع عن فلسطين وعن الفلسطينيين، ووجدنا فيه شخصية مؤمنة تجدر بالثقة.

الحزب التعاوني الاشتراكي، الذي كان يتزعمه فيصل العسلي، كانت جماعته من

المتطرفين الشباب، وكان يجري للمنتسبين الجدد للحزب حفلة قسم في إحدى مغاور جبل قاسيون، فينفرد أعضاء الحزب في الطرقات المؤدية إلى جبل قاسيون، فيقطعون هذه الطرقات ويمنعون المرور فيها. كان مبدأ الحزب «الإيمان بالزعيم» وهو مبدأ الحزب النازي «Fuherer Princip»، والزعيم الذي لا يخطئ، لذلك يجب أن يتصهر أعضاء الحزب بالزعيم، فكما يأمرهم يتجهون بدون سؤال ولا مناقشة. وطبعاً كان ذلك نظاماً فاسداً ألب عليه أكثر العققلين. لم يتصلوا بي ولم أتصل بهم.

حزب الشعب، كانت قوته وأهم شخصياته، في حلب: رشدي الكيخيا، ناظم القدسي، معروف الدواليبي، أحمد قنبر، رشاد برمدا، عبد الوهاب حومد، وفي حمص عدنان الأناسي ابن الرئيس هاشم الأناسي. أما في دمشق فقد دخله علي بوظو ورشاد جبيري. وكانت قوة الحزب ونشأته في حلب لا في دمشق، وأنشئ ليقابل الحزب الوطني. ولم يتصل بي أحد من أعضائه ولم أتصل بأحد منهم رغم معرفتي برشاد جبيري وعلي بوظو.

الأحزاب السياسية في سورية

في مذكرات خالد العظم (الجزء الثالث ص ٣٢ وما يليها) بحث مستفيض عن الأحزاب السورية ألفت الانتباه إليه لدقة تحليله وشمول معلوماته، ولا يجدر بي أن أورده هنا بتفاصيله إلا أنني أجد من الفائدة اقتباس بعض فقراته في هذا المجال.

يقول خالد العظم:

«ما كانت الأحزاب السورية، في الواقع، سبيلاً إلى جمع أصحاب العقيدة الواحدة أو حتى العقائد المتقاربة من أجل العمل على تنفيذ مبادئ معينة أو سياسة معينة. ولئن شذ حزب البعث الاشتراكي، في بادئ عهده، عن التشبه ببقية الأحزاب، إلا أنه لم يكن يحوي من أصحاب العقيدة الصحيحة سوى نفر قليل، أما الآخرون فقد التصقوا به وانتسبوا إليه عن طمع وطموح، وهو لا يختلف عن الحزب الشيوعي في المبادئ والنظريات الاجتماعية، كما أنه لا يختلف عنه في السياسة الخارجية، إلا أن كل واحد منهما كان يريد أن يسيطر على الساحة وأن تكون القيادة بيده...».

«وأما الحزب الاشتراكي، فكان قطبه أكرم الحوراني الذي أُلّف الحزب رسمياً في ١٩٤٩ حينما كان وزيراً في حكومة هاشم الأناسي قبل انتخابات الجمعية التأسيسية... وكانت الصلات بين الحوراني وضباط الجيش السوري متينة

جداً... وقد تمكن الحوراني بمعونة أولئك الضباط من السيطرة على مدرسة حمص العسكرية التي كانت تخرج كل سنة عدداً من الضباط الشباب لا يقل عن المائة...».

على أن أخطر ما فعلته بعض هذه الأحزاب أنها أدخلت السياسة الحزبية إلى صفوف الضباط كسباً لدعمهم، فانتقلت أمراض الأحزاب إلى الجيش الذي يجب أن يكون صفّاً واحداً في مقارعة العدو الذي يترصد بنا الدوائر.

ولقد أشرت في مطلع مذكراتي إلى عزوفي عن دخول أي حزب من الأحزاب منذ خمسة عشر عاماً، عندما استدرجتني هذه الأحزاب إليها فلم أجد ما يشجعني على الدخول فيها، وفُضِّلَت العمل في المجالات الثقافية والاجتماعية والفنية، فانتسبت إلى «النادي العربي»، وهو نادٍ ثقافي وقومي عربي، وأصبحت رئيساً له، وأسست مع زملاء لي «الحلقة الاجتماعية لخريجي المعاهد العالية» وأصبحت رئيساً لها، وأسست مع المرحوم المهندس صبحي كحالة وعدد آخر من الزملاء الفنانين «الجمعية السورية للفنون» وانتخبت نائباً لرئيسها، وكان لنا في هذه الأندية نشاطات وفيرة.

وأنقل في ما يلي بعض ما ذكره عني نواف وناديا كرامي في كتاب «العالم العربي، تاريخ ورجال»^(١) عن سبب بعدي عن الحزبية والأحزاب:

«السيد عبد الله الخاني

مدير القصر الجمهوري»

«هو شخصية محترمة أوجدت نفسها بنفسها وفرضت احترامها، وليس للقدر ولا للمصنف أدنى حصة في تكوينها.

أهمل السياسة ومتاعبها فابتعد عن طريقها الشائك رغم أنه عربي متطرف في عروبه ووطنيته، ووجّه نشاطه إلى الاجتماع والخدمات العامة، ولاقى به مجالاً رحباً يضاهي الخدمات السياسية بل يفوقها، فكان بذلك مثال الإنسان العامل والوطني المخلص الذي ينظر إلى الأمور وجهاً إلى وجه، ويبتعد في معالجتها وإصلاحها بدون مواربة أو مداورة، بل بصدق وتجرد وإخلاص.

دخل معترك الحياة في أيلول عام ١٩٤٨، حيث تفضل فخامة الرئيس شكري

(١) العالم العربي، تاريخ ورجال - ١٩٥٦: المطبعة المخلصة، دير المخلص، صيدا، لبنان.

القتولي فاستدعاه دون سابق معرفة، إلى القصر الجمهوري وكلّفه بأعمال الملحق الصحفي في قصر الرئاسة، ومنذ ذلك الحين حتى الآن ما زال في قصر الرئاسة متدرجاً في الأعمال الآتية:

رئيس ديوان، ثم رئيس دائرة المراسم، ثم مديراً بالوكالة، ولما نقل الأمين العام السابق وتعين وزيراً مفوضاً لسورية في مدريد، كُلف الأستاذ عبد الله بالأمانة العامة للقصر بالوكالة، وكان ذلك في عهد فخامة الرئيس هاشم الأتاسي، وبقي حتى إسناد الأمانة العامة إلى السيد فؤاد الحلبي فتولى إدارة القصر الجمهوري والمراسم.

لم يخض لجنة السياسة، ولم ينتسب إلى أي حزب سياسي، بل مال إلى النشاط الاجتماعي، فهو رئيس الحلقة الاجتماعية لخريجي المعاهد العالية، وعضو النادي العربي، والجمعية السورية للفنون، وجمعية خريجي الجامعة الأمريكية واشترك في مؤتمراتها في بيروت.

رافق فخامة رئيس الجمهورية في زيارته إلى البلدان العربية، وأوفد إلى إنكلترا وفرنسا لدراسة شؤون الإدارة العامة والمراسم، ووضع لهذين الموضوعين مؤلفين لم يطبعهما بعد.

يجيد اللغات الفرنسية والإنكليزية والإسبانية إلى جانب العربية طبعاً، ويلم بالألمانية التي درسها بنفسه، ويهوى الموسيقى الكلاسيكية لا سيما موسيقى «بيتهوفن» «شوبرت» و«براهمز» ويهوى الرياضة، ويجيد التنس والسباحة.

يحمل أوسمة عديدة، منها: وسام الاستحقاق السوري من (الدرجة الأولى)، وسام الاستحقاق المصري (درجة أولى)، وسام الاستقلال الأردني (درجة ثانية)، وسام الجمهورية المصرية (درجة رابعة).

لقد أثبت السيد عبد الله الخاني في جميع الأعمال التي أسندت إليه نشاطاً وجدارة وإماماً، ولا بدع إذا كوفئ نشاطه بما يستحقه من تقدير، ورفع إلى أعلى المناصب، فله من حسن إدارته ومؤهلاته خير حافز لمكافأته.

الفصل الخامس

المحاماة

أكثر زملائي من السوريين لجؤوا إلى الوظائف الحكومية أو أنهم كانوا سابقاً موظفين وأتموا دراستهم وحصلوا على إجازة الحقوق لتحسين أوضاعهم الوظيفية.

أما أنا فرغبت أن أعمل في مجال المحاماة، أولاً تنفيذاً لرغبة والدي بعدم التوظيف، وثانياً لأنني كنت أجد في المحاماة مجال الحرية والاعتماد على النفس.

كان عليّ أن أتدرّب في مكتب أحد الأساتذة المحامين لمدة سنتين أصبح بعدها مؤهلاً للمحاماة. بعد استعراض جميع مكاتب الأساتذة المحامين، وقع اختياري على مكتب الأستاذ نعيم الأنطاكي، وكان من أكبر المكاتب وأرقاها في دمشق.

كانت معرفتي باللغتين الفرنسية والإنكليزية سبباً لقبولي متمرنًا في مكتبه، وقد أفدت فائدة كبيرة من العمل معه وبطريقته العلمية وبتهذيبه الفائق النبيل. كان في المكتب أيضاً الأستاذ صباح الركابي الذي كان على معرفة واسعة بالحقوق وبالفكر الحقوقي، فتعاوناً كثيراً وأفدت أيضاً من خبرته كثيراً وأصبح أفضل أصدقائي في دمشق، وكان الأستاذ نعيم يعاملنا كأولاده وليس كمتدربين لديه. كما كانت أعماله الكثيرة خارج المكتب، إذ أصبح وزيراً للخارجية في وزارة جميل مردم بك (٢٨ كانون الأول ١٩٤٦ - ٢ تشرين الأول ١٩٤٧) وسبق ذلك أن كان وزيراً للمالية في وزارة فارس الخوري (٧ نيسان ١٩٤٥ - ٢٣ آب ١٩٤٥)، ووزيراً للمالية ووكالة الأشغال العامة في وزارة سعد الله الجابري (٣٠ أيلول ١٩٤٥ - ٢٥ نيسان ١٩٤٦)، أقول، كانت أشغاله الكثيرة خارج المكتب تلقي علينا أعباء كثيرة، ولكننا كنا نفيد منها كثيراً من الناحية العلمية والخبرة الضرورية لحسن تمريننا وزيادة معرفتنا القانونية، وعندما أوكلت إليه شركة التابلاين الأمريكية دراسة عقودها مع الحكومة السورية ومع أصحاب الأراضي التي سيمر منها أنبوب نفط التابلاين، ومع العمال، ازداد ضغط العمل على المكتب، فأردفتنا الأستاذ أنطاكي بزميلين جديدين هما سعد

الله فنواتي وعبدته قبوات، وسار العمل بانتظام، وكانت شركة التابلاين مسرورة من طريقة تنظيم العقود.

كان مكتبنا في «بناء القدسي» في شارع سعد الله الجابري تجاه دائرة البريد والبرق وفي الطابق الثاني منه، وكان المكتب المجاور لنا يشغله الأستاذان صبري العسلي وظافر القاسمي، وقد وجدنا أن مكتب نعيم أنطاكي يستأثر بأكثر شركات النفط، فذهبنا إلى رئيس الحكومة آنذاك وطلبنا تحويل شركة التابلاين إلى مكتبهما. كان جواب مدير التابلاين إن شركته تحتاج إلى من يتقن اللغة الإنكليزية ويضع العقود باللغة الإنكليزية، فتعاقدنا مع المحامي الفلسطيني هنري كتن وسحبنا شركة التابلاين إلى مكتبهما المجاور لمكتبنا.

ولم نشعر أبداً أن الأستاذ نعيم الأنطاكي قد حنق عليهما أو أساء العلاقة معهما. ولتشجيعي على العمل في المكتب، فقد خصص لي راتباً شهرياً يبلغ مائة وخمسين ليرة سورية، ولم يكن الأساتذة المحامون يمنحون المتدربين لديهم أي مكافأة أو راتب أو تعويض.

كلفتني مرة نقابة المحامين أن أدافع عن أحد المتهمين أمام محكمة الجنايات وكان رئيسها القاضي مصطفى الرحيباني، وهذه عادة متبعة عندما لا يكون المتهم قادراً على دفع أجور المحامي، ولا يتقاضى المحامي عندئذ أي تعويض. كان المتهم من أصحاب السوابق وكان قد أمضى في السجن عدة سنوات، ولما خرج من السجن لم يلبث أن قام بسرقة أحد المحال التجارية، فقبض عليه وسيق إلى المحاكمة. دافعت عنه قدر استطاعتي لأنه فقير معدم وليس لديه مأوى وليس لديه ما يقوم بأوده، فاحتج عليّ وقال إنني لم أكلفك أن تقول عني ما ليس لي حاجة إليه، ثم التفت إلى رئيس المحكمة قائلاً: سيدي، خرجت من السجن فلم أجد صديقاً لي خارجه، وكل أصدقائي داخله، كما أنني لم أجد من يقبل أن يستخدمني عنده، فرأيت من الأفضل أن أعود لأصدقائي في السجن فإنهم أكثر عطفاً عليّ ومحبة لي، فأرجو أن لا تستمعوا إلى هذا المحامي وأن تعيدوني إلى السجن.

مرة ثانية استدعاني الدكتور عبد الجواد السرميني، وكان رئيساً لمحكمة الجراء، وكلفني أن أكون سديكا في دعوى إفلاس حكم فيها على أحد الصناعيين بالإفلاس لأنه لم يستطع الوفاء بديونه. أذكر أن محامي الادعاء كان المحامي جان عنحوري، والمحكوم عليه بالإفلاس صناعي من عائلة محترمة بدمشق (ف) يملك معملًا صغيراً للنسيج في الجسر الأبيض.

قبل يوم من النظر في الدعوى المرفوعة على هذا الصناعي، قامت طائرة إسرائيلية بإلقاء القنابل على مدينة دمشق (وقد سقطت إحدى قنابلها في حديقة بيتنا، إلا أنها لم تصب أحداً بأذى والله الحمد) إلا أن عدداً كبيراً من سكان دمشق ذهبوا إما إلى المصايف أو إلى لبنان هرباً من هجمات أخرى للطائرات الإسرائيلية على دمشق، وكان من بينهم ذلك الصناعي الشاب، وكان غائباً عن المحكمة، فحكمت عليه بالإفلاس.

كان هذا التكليف لي صعباً ومؤلماً ولن أنساه، وكرهني بمهنة المحاماة. بعث القاضي الدكتور سرميني معي كاتب المحكمة وشرطي المحكمة إلى بيت المحكوم بالإفلاس لحجز ما يمكن حجزه لسداد الديون. كان المعمل بلصق البيت، وفيه ستة أو سبعة أنوال للنسيج فحجزنا عليها، ثم دخلنا إلى بيته وكانت حريمه في البيت يستعملن آلات الخياطة وما سواها، فحجز الكاتب أيضاً ما يمكن حجزه من أمتعة وأثاث البيت. وهذا ما ألمني.

عاد الصناعي بعد يومين، فوجد معمله ومنزله وأثاثه محجوزاً، فتألم جداً، وازداد ألمي عندما رأيته يبكي. قمت بعدئذٍ بالاتصال بأقربائه وأصدقائه ومعارفه، فجمعنا منهم مبلغ الديون المحكوم بها كافة وسددناها للدائنين. وسترنا طابقه. وعدت إلى القاضي أعلمه بما فعلت، وقد ارتحت وسررت لما فعلت، لإعادة اعتبار الصناعي إليه، وهكذا كان.

قال لي الدكتور السرميني، وكان أستاذاً في كلية الحقوق بمادة أصول المحاكمات، وكنت وما زلت أحبه وأجله وأحترمه، قال: لست مؤهلاً لأن تكون محامياً!... قلت: ولماذا؟ قال: لأن قلبك رقيق، أما بقية المحامين فيأخذون لنفسهم من التفليسة نصيب الأسد وما تبقى يوزعون على أصحاب الديون، ثم سألتني: كم تقاضيت؟ قلت: لا شيء، وكيف أتقاضى من تفليسة سعت جهدي لستر طابقها، فقال: اذهب بارك الله فيك.

كان الأستاذ نعيم الأنطاكي وكيل مصرف سورية ولبنان، كما ذكرت، وهو المصرف الرئيسي في سورية، ووكيل مكتب القطع فيه، وكان مكتب القطع قد أقام دعاوى كثيرة على معظم تجار سورية، ذلك لأن هؤلاء التجار كانوا يأخذون من مكتب القطع نقداً بالقطع النادر لاستيراد بضائع من الخارج، فلا يستوردون شيئاً ويبيعون القطع في السوق السوداء ويستفيدون من فارق السعر، أو يصدرون بضاعة إلى الخارج وعندما يحصلون على ثمنها بالقطع النادر، دولار أو استرليني، وكانوا قد

تعهدوا بإعادته إلى مصرف سورية ولبنان، فلا يعيدونه. وهكذا كان مكتب القطع يلاحقهم بالدعاوى لسداد هذه المبالغ، بعد أن انتهت الحرب وانتهت المدة التي كان يجب عليهم أن يسددوا هذه المبالغ خلالها.

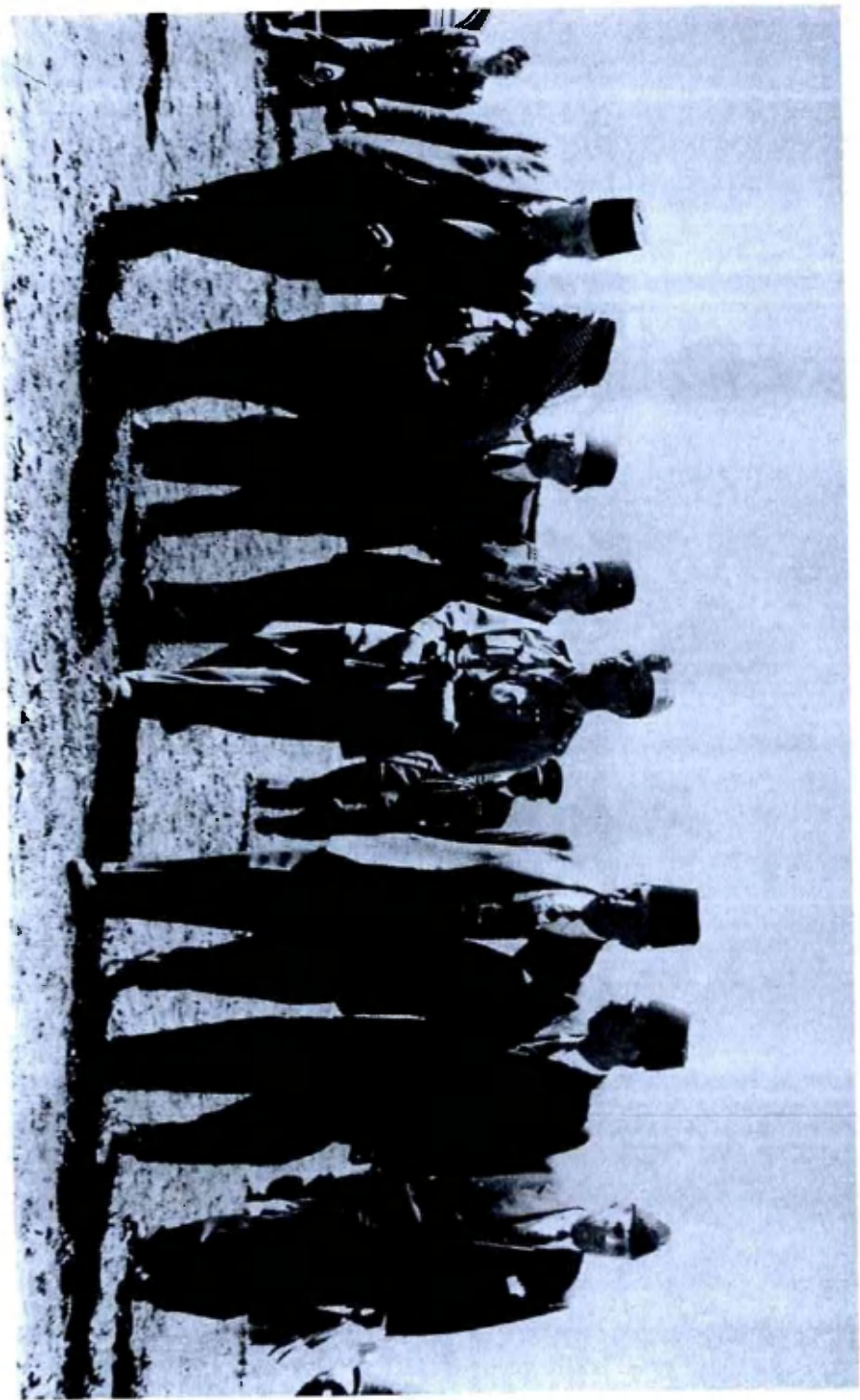
خُصِّصت لنا محكمة بداية الجزاء، وكانت برئاسة القاضي وجيه الشرايبي، ويمثل النيابة إسماعيل قولي، يوماً في الأسبوع لهذه الدعاوى، وكان الأستاذ نعيم قد كَلَّفَ بها زميلي الأستاذ صباح الركابي، إلا أنه أثناء مرضه، كلفني أن أقوم بهذه المهمة وأدافع عن حقوق مكتب القطع، ثم عندما كثرت هذه الدعاوى، خُصِّصت لنا المحكمة يومين في الأسبوع للنظر فيها.

وقد مر أمامي أكثر تجار دمشق وتجار سورية. كان ممثل النيابة الأستاذ إسماعيل قولي، يطلب ما أطلبه أنا: الحكم على هؤلاء التجار بكامل المبلغ الذي تقاضوه من المصرف، أو الذي حصلوا عليه ثمناً لبضائعهم المصدرة إلى الخارج، وكانت هذه المبالغ تصل إلى مئات الألوف من الدولارات أحياناً، فيقول لهم رئيس المحكمة: هل تدفعون هذا المبلغ أم تصالحون مكتب القطع عليه؟، فيجيبون: بل نصالح مكتب القطع، وتنتهي عملية المصالحة بثلاثين أو أربعين أو خمسين ليرة سورية فقط، عوضاً عن عشرات ألوف الدولارات.

كانت تجربة غنية بالمعرفة والمعلومات وإن كنا لم نتقاض عنها شيئاً.



اجتماع درعا - في عام ١٩٤٨، أثناء الحرب الفلسطينية:
الأمير عبد الإله، الرئيس القوتلي، الرئيس الشيخ بشارة الخوري، الملك عبد الله بن الحسين



في اجتماع درعا عام ١٩٤٨ - أثناء الحرب الفلسطينية
عزام باشا، الرئيس القومي، الأمير عبد الإله، سمير الرفاعي، جميل مردم،
الملك عبد الله بن الحسين، رياض الصلح

الباب الثاني

الفصل الأول : العمل في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية

الفصل الثاني : تهيئة الانقلاب الأول

الفصل الثالث : الانقلاب الثاني

الفصل الرابع : الانقلاب الثالث

الفصل الخامس : الانقلاب الرابع

العمل في دوائر الحكومة

دخلت العمل في دوائر الحكومة السورية في منتصف أيلول ١٩٤٨ وتركته في الأول من آذار ١٩٨١، عندما استقلت من وزارة الخارجية ومن السفارة السورية في الهند، بعد أن انتُخبت قاضياً في محكمة العدل الدولية بلاهاي، أي أنني أمضيت في خدمة الدولة ثلاثاً وثلاثين سنة ونصف:

- أمضيت عشر سنوات في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية من عام ١٩٤٨ إلى ١٩٥٨، أي حتى الوحدة مع مصر، وعشت جميع الأحداث التي مرّت على سورية في تلك الحقبة من الزمن.

- أمضيت عشرين سنة في وزارة الخارجية، بما في ذلك وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة أثناء الوحدة مع مصر، متنقلاً بين مدريد وبروكسل والقاهرة، وأنقرة ولندن وباريس، والأمم المتحدة والهند وبورما ونيبال وسري لانكا وبنغلادش، وكأمين عام، ثم معاون لوزير الخارجية، ثم وزير خارجية بالوكالة.

- أمضيت في وزارة السياحة، كوزير، ثلاث سنين ونصف (كانون أول ١٩٧٢ - آب ١٩٧٦).

- أمضيت في محكمة العدل الدولية بلاهاي أربع سنوات ونصف (كانون ثاني ١٩٨١ - حزيران ١٩٨٥).

- أمضيت في الهيئة الدولية للتحكيم التابعة لغرفة التجارة الدولية في باريس ست سنوات (١٩٩٠ - ١٩٩٦).

- انتُخبت عضواً مستقلاً في المجلس التحكيمي الدولي في مجال الرياضة منذ ١٩٩٤ وما زلت فيه.

- أمضيت في المركز الدولي للتحكيم التجاري بالبحرين ست سنوات (١٩٩٣ - ١٩٩٩).

- أمضيت في المحكمة الدستورية لاتحاد البوسنة والهرسك خمس سنوات (١٩٩٦ - ٢٠٠١).

في خدمة بلادي، أي في العمل الحكومي في سورية، لا أدعي أنني كنت فاعلاً أو مؤثراً في الأحداث، وإنما كنت شاهداً ومراقباً ومصوراً لهذه الأحداث عن كثب.

الفصل الأول

العمل في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية

في يوم من أيام أيلول ١٩٤٨، لا أذكر اليوم، وأعتقد أنه حوالي منتصف أيلول، اتصل بي هاتفياً إلى مكتب الأستاذ أنطاكي الدكتور سامي الميداني، وكان رئيساً لجامعة دمشق، وطلب إليّ أن أذهب إليه في الجامعة، وكان يعزني لأنني كنت أدرس وابنه عدنان في بيته في شارع الروضة.

ذهبت إليه في مكتبه في الجامعة، فبادرني بالسؤال إن كنت متسبباً لأحد الأحزاب فأجبت بالنفي، وكنت أعتقد أنه سيكلفني بعمل في الجامعة، ولكنه فاجأني بقوله: إن فخامة الرئيس يريد رؤيتك. فقلت له: إن فخامة الرئيس (القوّتلي) لا يعرفني البتة فكيف يريد أن يراني. قال: هكذا قال لي، اذهب ولا تتأخر لرؤيته. قلت: إن كان ذلك من أجل وظيفة فأنا لا أريد التوظيف، وأنا مسرور بالعمل الحر في المحاماة في مكتب الأستاذ نعيم الأنطاكي. قال: اذهب وسترى. قلت: لن أذهب إلا بمعيتك. قال: على بركة الله. ثم اتصل هاتفياً بالقصر، وكان في البناء الذي اتخذته الملك فيصل الأول قصراً في شارع ناظم باشا بالمهاجرين.

ذهبت والدكتور سامي الميداني إلى القصر، وكانت الساعة قد قاربت الثانية بعد الظهر، وجلسنا في مكتب الأمين العام للقصر، وكان خاوياً، لأن الأمين العام، الدكتور محسن البرازي كان قد عُيّن وزيراً للمعارف في ذلك الحين، وكان الأستاذ عصام الإنكليزي، المدير العام، يقوم بأعمال الأمانة العامة بالنيابة، وكان مكتبه في الغرفة المقابلة لغرفة الأمين العام.

نزل فخامة الرئيس فسلمنا عليه. سألني عن نعيم بك، فقلت له: إنه يقدم احترامه لفخامتكم، وهو بخير. قال: قلت لهم أن يفرغوا لك مكتباً هنا في القصر، ويضعوا لك راديو لتتابع مناقشات مجلس الأمن في باريس الآن في بحث قضية فلسطين وتعلمني بها أولاً بأول، إن وقتي لا يسمح لي بمتابعتها، وإن من يساعدني في ذلك يؤدي خدمة لوطنه. يمكنك المباشرة غداً.

وودعنا وانصرف، فلم أحر جواباً.

التقيت الرئيس لأول مرة وجهاً، وكنت أراه في الصور بالصحف، فوجدت نفسي أمام رئيس طويل القامة، قوي البنية، شديد المراس، عالي المقام، جمهوري الصوت، قوي العزيمة، يفرض هيمنته على من هم أمامه، فيصعب مخالفة أوامره.

عدت إلى نعيم بك وأطلعته على ما جرى، قال: هذا أمر من فخامة الرئيس لا يمكنك رفضه. قلت: إنما لا أريد أن أدخل وظائف الحكومة مهما كانت. قال: اذهب الآن، وسرى ما سيجري فيما بعد، وإن كنت أسفاً لتترك المكتب الآن نظراً لكثرة الأعمال، وسأسعى لتدبر الأمر.

بدأت العمل في مكنتي الكبير في القصر. وكنت أتابع مناقشات مجلس الأمن في قصر شايبو بباريس التي كانت تنقلها هيئة الإذاعة البريطانية، كنت أنقلها مباشرة إلى اللغة العربية، ذلك أن هذه المناقشات كانت تجري باللغتين الإنكليزية والفرنسية، وكنت أرفعها تباعاً إلى الرئيس فيطلع عليها ويعطي توجيهاته فترسل برقية إلى رئيس الوفد السوري فارس الخوري في باريس عن طريق وزيرنا المفوض فيها خالد العظم.

في الوقت ذاته، كنت أنقل إلى فخامة الرئيس الأخبار التي كنت أستمع إليها من مختلف إذاعات العالم، ثم كنت أطالع الصحف الأجنبية والعربية وأرفع له أهم ما فيها من أخبار. كان يقول لي: يمكنك أن تدخل إلى مجلسي في أي وقت وتقرأ لي هذه الأخبار، حتى ولو كان لدي اجتماع هام. وهكذا كان.

بدأت أستمع بالعمل في القصر الجمهوري، أولاً لأن ارتباطي بالرئيس كان ارتباطاً مباشراً وكنت أشعر بتقديره لي، وبالجهد الذي يبذله في إدارة شؤون البلاد في ظروف هي أشد ما تكون قسوة وحرماً وصعوبة، إذ إن قرار تقسيم فلسطين في هيئة الأمم المتحدة جاء في تلك الفترة، ودخول القوات العربية: السورية والمصرية والعراقية والأردنية، كانت في ربيع ذلك العام، وفشلها في تحرير فلسطين من اليهود، أو الحيلولة دون قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من أيار في ذلك العام.

كانت جلسات مجلس الوزراء، برئاسة الرئيس، تمتد في القصر حتى الثانية صباحاً من كل يوم، وكان رئيس الوزراء وزير الدفاع، جميل مردم بك، يحضر دوماً إلى القصر للتداول في ما يجب عمله، وكنت لا أغادر القصر قبل مغادرة الرئيس وجميع الوزراء ومرافقيهم، كما كنت أحضر إلى القصر قبل قدوم جميع الموظفين

لمتابعة نشرات الأخبار وتهينة نشرة إخبارية صباحية للرئيس عندما يأتي إلى مكتبه في القصر. كانت تحت تصرفي سيارة من سيارات القصر الثلاث تنقلني في الذهاب والإياب إلى القصر ومنه إلى الدار.

نتيجة إخفاق الجيوش العربية في ما دخلت من أجله فلسطين، والخianات التي ظهرت فيما بعد، والتي أدت إلى قيام دولة إسرائيل واعتراف الدول الكبرى بها، وعدم قيام دولة للفلسطينيين على أرضهم، حدثت اضطرابات في معظم الدول العربية، لم تكن سورية بمنأى عنها.

ومع أن الجيش السوري الفتى، الذي أسس حديثاً بعد الاستقلال، والذي لم يكن قد مضى على تأسيسه أكثر من عام واحد، كما أنه لم تكن لديه أسلحة ولا معدات كافية، كان قد أبلى بلاء حسناً في الحرب ضد القوات الإسرائيلية المنظمة والمسلحة تسليحاً حديثاً وراء خط إيدن، وكان من الخطوط المحصنة التي بنتها بريطانيا أثناء وجودها في فلسطين للدفاع عن قواتها وعن فلسطين فيما لو هاجمتها القوات الألمانية من الشمال... أقول، لقد أبلى الجيش السوري بلاءً حسناً، فخرق خط إيدن وتوغّل في الأراضي الفلسطينية حتى احتل مستعمرة مشمار هايردن، ووصل إلى جنوب بحيرة طبريا واحتل مدينة سمخ^(١)، وقد دفع ضباطه الشباب الأشاوس أرواحهم، قبل الجنود، لإحراز هذه الانتصارات، في الوقت الذي توقفت فيه الجيوش الأردنية والعراقية، التي كانت مجهزة أفضل تجهيز، عند الخطوط المرسومة لها من قبل الدول الاستعمارية. أمّا الجيش المصري، فقد كانت أسلحته فاسدة، وكانت المدافع تنفجر لدى إطلاق قذائفها فتصيب الجنود المصريين وتقتلهم.

قبول التوظف في ملاك الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية

في منتصف كانون الأول ١٩٤٨، وبعد أن مضى على عملي في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية زهاء ثلاثة أشهر دون أن أتقاضى أي أجر، لأنني كنت أعتبر عملي في رئاسة الجمهورية مساهمة بسيطة يفرضها عليّ الواجب الوطني واحترامي وتقديري للرئيس القوّتي، ولأنني كنت أود العودة إلى العمل في المحاماة في مكتب الأستاذ نعيم الأنطاكي، لا سيّما وأنني لم أكمل فترة تدريبي حتى أحصل على لقب

(١) الحدود السورية، الدكتور ياسين زكريا، أطروحة الدكتوراه، باريس أيار ١٩٥٠، خط الحدود مع فلسطين التي رسمتها اتفاقية سايكس بيكو في ١٦/٥/١٩١٦، ثم خط حدود الهدنة في ٢٠/٧/١٩٤٩، ثم حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ قبل العدوان الإسرائيلي، في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ١ - ..

أستاذ في المحاماة، وبعد أن توقفت دورة الأمم المتحدة بمناسبة قرب أعياد الميلاد ورأس السنة، صعدت إلى الرئيس القوّتلي أستأذنه بالانفكاك وأشكره على ثقته وأرجوه أن يسمح لي بالعودة إلى مكتب الأستاذ الأنطاكي.

قال لي إنه يقدر عملي ويريدني أن أبقى في ملاك القصر، ثم قال: «إن الموظفين عندي كسالي، وأريدك أن تبقى هنا». كان عدد موظفي الأمانة العامة محدوداً جداً. فالأمين العام هو الدكتور محسن البرازي، إلا أنه دخل في وزارة خالد العظم كوزير للمعارف (التربية)، وكان المدير العام عصام الإنكليزي يقوم بأعباء الأمانة العامة بالوكالة، كما كان خالد العسلي يشغل منصب مدير لمراسم القصر، وعبد المجيد الطرابلسي: رئيساً للدائرة، و خليل السعداوي: معاوناً لرئيس الديوان، وعبد الهادي دياب: ملحقاً في الأمانة العامة، وأمين كيوان: ضارباً على الآلة الكاتبة. أمّا المرافقان العسكريان للرئيس فكانا الرئيس (النقيب) توفيق شاتيل، والنقيب سهيل العشي.

ثم أخذ الرئيس ملاك الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية، كما أخذ ميزانية القصر، وصار يفتش لي عن منصب يتوافق مع تقديره لي، ويكون شاغراً في ملاك الأمانة العامة ويمكن تعييني فيه، فلم يجد سوى وظيفة رئيس ديوان من المرتبة الرابعة والدرجة الثالثة، وكان يريد أن يمنحني مرتبة أعلى، فوجد أن في ملاكات الدولة وظيفة قائمقام في وزارة الداخلية من المرتبة الثالثة، فقال: يمكن تعيينك فيها ثم نقلك إلى ملاك الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية. وبعد أن أمعن النظر وجد أن النقل من ملاك وزارة الداخلية ووظيفة قائمقام إلى ملاكات أخرى في الدولة لا يمكن أن يتم إلا بعد مضي خمس سنوات على هذا التعيين الاستثنائي. بقيت واقفاً لا أنبس ببنت شفة، وقد تأثرت جداً أن أرى رئيس الجمهورية يفتش لي عن منصب لديه، ويقضي الوقت في تقليب صفحات الملاك والموازنة ليؤمن لي منصباً جيداً، في الوقت الذي كانت مشاغله السياسية والحكومية والإدارية تغطي وتملاً جميع أوقاته ليل نهار. لقد كان تأثري وشعوري عميقاً جداً، فقلت لفخامة الرئيس:

«سيدي فخامة الرئيس، أن العمل بمعيتكم فخامتكم شرف كبير لي وواجب يمليه عليّ حبي لوطني، وما رغبت بالعودة إلى المحاماة إلا لأن والدي الذي ينفر من وظائف الدولة أوصاني بعدم التوظف وشجّعني على العمل الحر، أمّا وأنكم ترغبون أن أبقى بمعيتكم فإنني أعتبر ذلك شرفاً كبيراً لي وثقة تعلقو كل اعتبار آخر، أمّا المرتبة والراتب فإنني لم أفكر بهما أبداً، فالخدمة بمعيتكم تفوق كل مرتبة وراتب وإنني أقبل بأدنى مرتبة وأقل راتب، ويكفيني شرفاً أن أحظى بعطفكم وتقديركم».

قال: «اذهب، بارك الله بك، وقابل فؤاد بك (المحاسني)»، وكان في الطابق الأرضي ينتظر لمقابلة الرئيس.

كان فؤاد بك والد مروان، زميل الدراسة وأخلص الأصدقاء، وكنا ندرس معاً في بيته، وكان والده (فؤاد بك) يعتبرني كأحد أولاده، فنهزني وقال لي: «على إيش شايف حالك لا تريد الوظيفة؟». قلت: أؤكد لك إنني (مالي شايف حالي أبداً)، وشرحت له سبب رغبتني بالعمل الحر، وقبولي بما أملاه عليّ فخامة الرئيس وبالحديث الذي جرى مع فخامته، قال: طلبت إلى الديوان هنا أن يهيئ لك مرسوماً لتعيينك رئيساً للديوان من المرتبة الرابعة والدرجة الثالثة.

كان فؤاد بك المحاسني رئيساً للنياحة العامة، إلا أنه أُحيل على التقاعد لبلوغه السن، وكان من أصدقاء الرئيس، ويتردد عليه بين الفينة والفينة، وكان من أقدر علماء القانون في سورية، وكنت أجله وأحترمه كوالدي.

وهكذا أصبحت موظفاً في ملاك الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية بوظيفة رئيس للديوان، إلا أنني كنت في الواقع أشرف على المكتب الصحفي والإعلامي، ولم تتغير طبيعة عملي، وكنت أكثر الموظفين قرباً من الرئيس، أمي له نشرة إخبارية كل ساعة وأطلعه على أخبار العالم الهامة إن جدّ جديد بين النشرتين، كما أن مراسلي الصحف ووكالات الأنباء كانوا يزوروني من وقت لآخر لأعطيهم ما يمكن أن ينشروه عن مقابلات الرئيس، ولأقدم لهم بعض المساعدات الشهرية.

كان الجو في القصر مريحاً، فالموظفون لا يشعرون بأي فارق بينهم، بل كانت تسودهم روح الأخوة الصادقة والزمالة والتقدير، وكنا ننعم جميعاً بعطف الرئيس، يحبونا ويحيطنا بعنايته ورعايته وكأننا أبناءه، وكان تقديره للزميلين عصام الإنكليزي وخالد العسلي ناجماً عن أنهما ابنا شهيدين (عبد الوهاب الإنكليزي وشكري العسلي)، حاربا الهيمنة الطورانية العثمانية فكان نصيبهما المشقة في ساحة المرجة مع بقية الشهداء في ٦ أيار.

اشتدت الأزمة بعد اكتشاف السمن المغشوش الذي كان يقدم لأفراد الجيش في منطقة الجبهة، والذي كان مسؤولاً عن توريده العقيد البستاني، مما استوجب زيارة للرئيس القوّتلي ورئيس الوزراء وزير الدفاع جميل مردم إلى الجبهة وتحميل العقيد البستاني (صديق الزعيم حسني الزعيم) مسؤولية هذا السمن المغشوش، وتشكيل لجنة من وزارة المالية للتحقيق، مما أثار حفيظة الضباط.

إثر ما حدث في فلسطين من وقف للقتال بعد ما كانت القوات الأردنية على

أبواب تل أبيب بعد أن احتلت مطار اللد والرملة، وأطبقت على القدس وقطعت عنها الماء والكهرباء مما اضطر العصابات الإسرائيلية فيها إلى الاستسلام ورفع الأعلام البيضاء. بعد وقف القتال، أعلن بن غوريون قيام الدولة الإسرائيلية، وتسابقت الدول الغربية والشرقية للاعتراف بها وتزويدها بالسلاح والأعتدة والمال. ازدادت النقمة على الحكام في البلاد العربية لسوء تنظيم تحرير فلسطين ومنع قيام دولة يهودية فيها والحيلولة دون التقسيم، وانصبّت النقمة في سورية على الحكومة برئاسة جميل مردم بشكل خاص مما اضطره إلى الاستقالة.

نظّمت المعارضة صفوفها والتقت الأحزاب مع بعضها تطالب بتغيير الأوضاع كافة. كانت هذه الأحزاب: حزب الشعب، وحزب البعث، والحزب الشيوعي، وحزب فيصل العسلي التعاوني الاشتراكي، وجماعة سامي كبراءة والإخوان المسلمون.

في الساعة الثالثة بعد ظهر آخر خميس من شهر تشرين الثاني ١٩٤٨، اتصل بي هاتفياً فخامة الرئيس وطلب إليّ أن أذهب إلى الاجتماع الذي كان يعقده حزب الشعب في مقرّه بالشرييشات، في أحد تفرعات شارع بغداد، وأوافيه بما يجري في هذا الاجتماع، لأنه لا يريد أن يعتمد على ما تنقله إليه أجهزة الأمن التي لا يثق بها كثيراً، والصحافة التي لا تفي بالمراد.

ذهبت إلى الاجتماع المذكور في مقر حزب الشعب، وكان غاصّاً بأعضاء الحزب يستمعون إلى الخطاب الذي يلقيه عدنان الأناسي، نجل فخامة الرئيس هاشم الأناسي، وكان مليئاً بالهجوم على الحكم القائم، ثم تلاه في الخطابة الشيخ معروف الدواليبي، وكان في هجومه على الحكم وعلى الرئيس القوتلي أشد مما كان ورد في خطاب عدنان الأناسي ومما قاله: «أعطوني خمسين شأباً وأنا على استعداد لتقويض أركان هذا الحكم الفاسد...».

نقلت الأقوال والخطب وصورة الاجتماع بكل دقة وأمانة للرئيس القوتلي الذي بدا عليه الامتعاض الشديد.

بعد أيام قليلة من ذلك الاجتماع لحزب الشعب، تنادت أحزاب المعارضة إلى التجمهر في ساحة يوسف العظمة في الحريقة، بغية الدعوة إلى الإضراب العام وإغلاق المحال التجارية في الحريقة وسوق الحميدية وسوق الخجة وبقية الأسواق التجارية.

وبعد أن تجمّعت، اتجهت إلى سوق الحميدية، فأغلقت المحال التجارية خوفاً من الاعتداء عليها، ثم مرت بسوق الحجة، واتجه بعضها إلى مخزن لبيع أسلحة الصيد يملكه أرمني فأخذت جميع ما فيه، ثم سعت إلى الدخول إلى القلعة حيث «سجن دمشق» لإخراج السجناء (كما حدث في الثورة الفرنسية)، علماً بأن هؤلاء السجناء كانوا من القتلة والمجرمين ولم يكونوا من السياسيين، ولم تستطع قوى الأمن من الشرطة والدرك، محدودي العدد، من صدّهم.

اتصل مدير الشرطة زكي الجابي بالقصر ليعلم الرئيس بالوضع، وكان الرئيس مجتمعاً مع الوزراء لبحث الأزمة، فأخذت الاتصال الهاتفي.

قال زكي الجابي: إن جماعة فيصل العسلي ومعهم بعض الجماعات الأخرى والغوغاء هجموا على محل الأرمني في سوق الخجة على باب القلعة فاستولوا على ما فيه من أسلحة، وأرادوا اقتحام باب السجن في القلعة لإخراج السجناء، ولم تستطع قوى الأمن المحدودة من صدّهم، فليتبدر الرئيس الأمر ولا حول لي ولا قوة أمام هذه المظاهرة العارمة التي قد ترتكب من الحرائق والجرائم ما لا تحمد عقباه.

أبلغت الخبر فوراً إلى الرئيس، فقال مستغرباً: فيصل العسلي يفعل هذا؟! لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم قرر استدعاء الجيش لإخماد الفتنة، فتدخل الجيش فوراً بقيادة الزعيم حسني الزعيم، وأعلن منع التجول، وأخمدت الفتنة قبل استفحال أمرها.

إلا أن النار بقيت تحت الرماد، فاستدعى الرئيس القوتلي الرئيس هاشم الأتاسي وكلفه بتشكيل الوزارة خلفاً لوزارة جميل مردم، فهدأت النفوس قليلاً، نظراً للمكانة السامية التي يتمتع بها الرئيس هاشم الأتاسي، وباعتبار أنه والد عدنان الأتاسي العضو البارز في حزب الشعب.

استجاب الرئيس الأتاسي إلى هذه «المهمة المستحيلة» في ظروف تتطلب تأزراً جميع القوى لاجتياز هذه المحنة الخطرة، إلا أن أحزاب المعارضة التي تجمعت في البداية لإسقاط وزارة جميل مردم، اختلفت فيما بينها لأن كل جماعة أو حزب أراد من هذا التغيير الحصول على حصة الأسد في هذه الوزارة الجديدة، وبرزت الخلافات على السطح فاضطر الرئيس الأتاسي إلى الاعتذار عن تشكيل الوزارة.

استدعى الرئيس القوتلي السيد خالد العظم، الذي كان يشغل منصب الوزير المفوض في باريس (كان التمثيل السياسي عندئذ على مستوى الوزير المفوض، ولم يصبح على مستوى السفير إلا في أواسط الخمسينات)، استدعاه من باريس لتشكيل

الوزارة نظراً لكفاءته ومقدرته ومكانته، إلا أن الصعوبات التي جابهت الرئيس الأناسي جابهت الرئيس العظم، فاعتذر أيضاً عن المهمة. عندئذ استدعى الرئيس القوّتلي الأمير عادل أرسلان لتشكيل الوزارة، ولم يلبث أن اعتذر عن هذه المهمة للأسباب إياها.

ثم استدعى الرئيس القوّتلي مجدداً السيد خالد العظم وساعده على التغلب على هذه الصعاب، كما ساعده على إقناع بعض الأشخاص بالتخلي عن طلباتهم التعجيزية، فاستطاع العظم تشكيل الوزارة على الشكل التالي، وذلك في ١٦ كانون الأول ١٩٤٨ واستمرت حتى ٢٩ آذار ١٩٤٩:

- السيد خالد العظم : للرئاسة والخارجية والدفاع الوطني.
السيد محسن البرازي : وزيراً للمعارف.
السيد محمد العايش : وزيراً للزراعة.
السيد أحمد الرفاعي : وزيراً للعدلية والصحة والشؤون الاجتماعية.
السيد حنين صحنائي : وزيراً للاقتصاد الوطني.
السيد حسن جبارة : وزيراً للمالية.
السيد عادل العظيمة : وزيراً للدخالية.
السيد مجد الدين الجابري : وزيراً للأشغال العامة.

المفاوضات مع التابلاين

شكّلت الحكومة وفداً من أعضائها للتفاوض مع شركة التابلاين على العائدات التي يتوجب على الشركة الأمريكية دفعها للحكومة السورية، مقابل إمرار نفطها عبر الأنابيب في الأراضي السورية. شكّل الوفد السوري المفاوضات على الشكل التالي ومن الوزراء: حسن جبارة: المالية، حنين صحنائي: وزير الاقتصاد، مجد الدين الجابري: وزير الأشغال العامة.

انطلقت شركة التابلاين في مفاوضاتها مع الحكومة السورية من مبلغ العائدات التي تدفعها شركة نفط العراق I.P.C. إلى الحكومة السورية، قائلة إن أنبوب نفط العراق يمر عبر سورية بطول يقرب من ثمانمائة كيلومتراً، وتدفع مقابل ذلك مبلغاً زهيداً. إن شركة التابلاين، التي يمر أنبوبها عبر مسافة تقل عن مائة كيلومتر في سورية، مستعدة لدفع ضعف المبلغ الذي تدفعه I.P.C. أي شركة نفط العراق. وقد

وجه الرئيس الوفد السوري للضغط على الشركة الأمريكية للحصول على المزيد، علماً أن الوفد وجد في العرض الأمريكي فائدة يمكن الاعتماد عليها للضغط على الشركة البريطانية I.P.C. لرفع عائدها للحكومة السورية إلى الضعف أو أكثر من ذلك في المستقبل.

وصول جيمس منهل إلى دمشق

عندما كان فارس الخوري رئيساً للوفد السوري إلى مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة بعد الاستقلال مباشرة، سعى للاتصال بالأمريكيين من أصل سوري ولبناني لإقناعهم بالعودة إلى سورية، في أول عهد استقلالها، ليعملوا في وطنهم، مما يحقق لهم ربحاً جزيلاً؛ ويؤمن لسورية خدمات مجزية وخبرة وفيرة هي بحاجة إليها. من هؤلاء الذين اتصل بهم فارس الخوري: جيمس منهل، أو نجيب منهل، كما كان يريد أن يصحح اسمه استناداً إلى سجلاته القديمة في مدينة الرياق التي أصبحت لبنانية.

كان منهل يعمل في المجال النفطي في ولاية «إيلينوي» في الولايات المتحدة، ولديه خبرة في موضوع العائدات التي تجبى في أمريكا لدى مرور النفط عبر أكثر من ولاية.

طلب منهل مقابلة الرئيس وشرح له طريقة حساب العائدات، قائلاً: يجب حساب قيمة برميل النفط في منبعه ثم حساب قيمته في مصبه. الفارق بين السعيرين هو نتيجة مروره من منبعه إلى مصبه. فإذا ما ضرب هذا الفارق بكمية النفط المار ووزّع على عدد الكيلومترات في البلاد التي يمر عبرها، أمكن حساب المبالغ التي يمكن لكل دولة من هذه الدول: السعودية والأردن وسورية ولبنان الحصول عليها.

راق هذا الحساب للرئيس القوّتلي، فطلب إليّ أن أ استدعي على الفور أعضاء اللجنة السورية ليلفّهم طريقة الحساب هذه وقال لي: إنه (أي منهل) يتحدث «سكاوي علاوي من فوق الروس».

قابل الوفد السوري الرئيس وعمل بتوجيهه في طريقة التفاوض مع وفد شركة التابلاين، مما فاجأ الوفد الأمريكي بمبالغ لم يكن يحسب لها هذا الحساب، وتوقفت المفاوضات.

والمعروف أن من أحد أسباب الانقلاب العسكري الذي قام به حسني الزعيم هو توقيع اتفاقية التابلاين مع الأمريكان بالشكل الذي كانت تريده الشركة، مقابل دعم

الأمريكان لانقلاب الزعيم، كما تبين فيما بعد أن السفارة الأمريكية في دمشق كانت لها يد في انقلاب حسني الزعيم.

فيصل العسلي وحسني الزعيم

قال لي أحد المقربين من فيصل العسلي: «إن لفيصل فضلاً كبيراً على حسني الزعيم، إذ إنه عندما كان الأخير رئيساً للمحكمة العسكرية في دير الزور، توسّل إلى فيصل العسلي أن يتوسّط لدى الرئيس القوّتلي لينقله إلى دمشق حتى يكون قريباً من أهله، إذ إنه يعلم ما لفيصل العسلي من منزلة عند الرئيس، وإن فيصل رجا الرئيس بالموضوع، فنقل حسني الزعيم إلى دمشق وعيّنه مديراً عاماً للشرطة والأمن الداخلي، ولولا وساطة فيصل العسلي ل بقي حسني الزعيم في دير الزور أو في القامشلي أو في الرقة، وإن حسني الزعيم، مقابل هذه الخدمة الجليلة، طلب من فيصل العسلي أن يقبله عضواً في حزبه: الحزب التعاوني الاشتراكي، ولولا الحرب في فلسطين وتكليف حسني الزعيم بقيادة الجبهة لأقسم اليمين وانتسب إلى حزب فيصل العسلي»...

إلا أن حسني الزعيم، عندما كُلف بإنزال الجيش وقمع المظاهرات، التي أشرنا إليها سابقاً، وقضى بذلك على أحلام فيصل العسلي بالوصول إلى سدّة الرئاسة من خلال هذه الاضطرابات، حمل العسلي على الزعيم حملة عنيفة تحت قبة البرلمان محمّلاً إياه والجيش تبعة خسارة الحرب في فلسطين، فاستغل حسني الزعيم هجوم فيصل العسلي عليه ليوغر صدر ضباط الجيش على المدنيين بشكل عام وعلى فيصل العسلي بشكل خاص، وليوقد نعمة الضباط على الحكام المدنيين عامة هادفاً من وراء ذلك إلى تهئية الجو للقيام بانقلابه الذي كان يطمح إليه ويخطّط له من زمن بعيد، لا سيّما وأنه كان يخشى على نفسه أن تطاله فضيحة السمن المغشوش التي زوّد بها صديقُه وزميله وشريكه العقيد البستاني الجيش السوري بالجبهة.

الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى

أخطاء ثلاثة فادحة في فلسطين غيرت مجرى التاريخ في الشرق الأوسط

١ - كان من المفروض، وقد أعلنت بريطانيا أنها ستسحب من فلسطين في الخامس عشر من أيار ١٩٤٨، أن يكون الزعماء الفلسطينيون قد هيئوا حكومة فلسطينية مؤقتة تعلن استقلال فلسطين فوراً من ذلك التاريخ على جميع التراب الفلسطيني، وتسعى مع بقية الدول العربية والإسلامية للحصول على اعترافات الدول بها، والحصول مع الاعتراف على الدعم السياسي والعسكري، ويكون عندئذ دخول القوات العربية لتحرير فلسطين مبرراً قانونياً ودولياً. كان ذلك ممكناً وضرورياً إلا أنه لم يحصل، وكان ذلك خطأ فادحاً.

٢ - قيادة القوات في الجبهة الشرقية: عندما اجتمع رؤساء الدول العربية الخمس التي بعثت بقوات إلى فلسطين للاتفاق على القيادات، لم تكن هنالك مشكلة بالنسبة للجبهة الجنوبية، إذ لم يكن فيها سوى القوات المصرية، وكانت القيادة فيها طبعاً للمصريين، أما الجبهة الشرقية والشمالية فكانت القوات فيها الأردنية والعراقية والسورية واللبنانية.

طالب الملك عبد الله ملك الأردن أن تكون القيادة العامة له، ذلك أن الجيش الأردني كان أكثر الجيوش العربية تدريباً وتأهيلاً وسلاحاً، ويعد ٢٥ ألفاً من الضباط والجنود. وافق الأمير عبد الإله، الوصي على عرش العراق، على تسليم القيادة لعمه الملك عبد الله، واعترض الرئيس القوتلي على ذلك، باعتبار أن الجيش الأردني يقوده القائد البريطاني كلوب باشا، وأن بريطانيا هي التي جزأت مع فرنسا، في اتفاقية سايكس - بيكو، سورية إلى أربع دول: سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن، وفتحت أبواب فلسطين للهجرة اليهودية، فكيف لنا أن نسلم القيادة في سبيل تحرير فلسطين إلى قائد بريطاني ينفذ أوامر بريطانيا ويثبت تقسيم فلسطين في الحدود التي رسمتها الأمم المتحدة.

كان جواب الملك عبد الله أن كلوب باشا يتلقى أوامره منه، وهو، أي الملك عبد الله، إن لم يستلم قيادة الجبهة الشرقية والشمالية فلن يبعث بقواته إلى فلسطين، فأذعن بقية الرؤساء لذلك.

٣ - عندما دخلت القوات العربية إلى فلسطين، توغلت القوات الأردنية حتى احتلت مطار اللد والرملة، وهو المطار الوحيد الذي كان يزود اليهود بالأسلحة، كما أطبقت على القدس وقطعت عنها الماء والكهرباء، فرفع اليهود الأعلام البيضاء إشارة إلى استسلامهم، ووصلت القوات الأردنية إلى ما يقرب من خمسة عشر كيلومتراً من تل أبيب عندما اجتمع مجلس الأمن وقرر وقف القتال. أما القوات العراقية فوقفت عند مثلث نابلس - جنين - طولكرم ولم تتقدم لأنه «ماكو أوامر». والقوات المصرية توقفت في «الفالوجة» بسبب الأسلحة الفاسدة التي حصلت عليها من بعض الدول الشمالية المؤيدة لليهود وبواسطة بعض الشركات المالية لهم..

كان بإمكان الدول العربية أن تؤخر تنفيذ قرار مجلس الأمن بضعة ساعات فقط حتى تحتل القوات الأردنية تل أبيب، وكان بالإمكان أن توجد الأعذار لذلك. وقد علمتنا دروس التاريخ والسياسة أن الحدود النهائية لدولتين متحاربتين هي الخطوط التي تصل إليها قواتها.

اجتمع الرؤساء العرب في «عاليه» بلبنان، وكنت أتابع الأخبار ملتصقاً بالراديو، وأدعو الله أن لا يستجيبوا لقرار مجلس الأمن لبضع ساعات حتى يتم الإطباق على تل أبيب وعلى القدس.

وعندما أعلن المذيع أن الدول العربية استجابت لقرار مجلس الأمن وأمرت قواتها بوقف القتال، قلت لمن حولي: «لقد انتهينا»، قالوا: «وماذا تعني؟»، قلت: «لقد قُضي علينا»، وأجهشت بالبكاء، وقلت: إن كل جندي يوفره اليوم سندفع غداً عوضاً عنه ألف جندي، وبعد سنة عشرة آلاف وبعد سنوات الملايين!...

وكانت تلك أكبر خطيئة، أو بالأحرى أكبر مصيبة تقع على العرب في تاريخهم، وهي الخطيئة التي أدت إلى إعلان دولة إسرائيل واعتراف الدول الشرقية والغربية بها، وبدأت منها سلسلة الانهيارات والحروب والخسارات التي نشهدها اليوم والتي لم تنته بعد، والخطيئة أسوأ من المصيبة، فالمصيبة تقع مرة واحدة، أما الخطيئة فتجرّ وراءها أخطاء فادحة وكوارث كبيرة تؤدي إلى هلاك المخطئ.

عندما أتيت لي فرصة الاستيضاح من الرئيس القوتلي عن هذه الأمور الثلاثة، ولم تكن غائبة عن باله، قال:

أما بالنسبة لقيام دولة فلسطينية مؤقتة على جميع التراب الفلسطيني في ١٥ أيار ١٩٤٨ لدى انسحاب البريطانيين من فلسطين، فيعود إلى الخلاف بين آل الحسيني وآل الخالدي، فكل منهما كان يطمح للرئاسة، وبعد نقاش طويل قرّر الزعماء الفلسطينيون أن ينتظروا تحرير فلسطين على يد القوات العربية وبعدئذ تجري انتخابات يتم على أساسها انتخاب الرئيس. فالأناية الفردية هي التي سيطرت، وللأسف، فقضت على العائلتين، وقضي على فلسطين وأنزلت بالدول العربية أفدح الخسائر.

أما بالنسبة للقيادة العامة على الجبهة الشرقية، فإن الرئيس القوتلي كان يعلم ارتباط العائلة الهاشمية، سواء في العراق أم في شرقي الأردن، بالبريطانيين. فبريطانيا هي التي أقامت لهم هاتين الدولتين ودعمتهما بالمال والسلاح والنظام الإداري والسياسي، فكيف للملك عبد الله أو للموصي على عرش العراق الأمير عبد الإله أن يخالفا الأوامر البريطانية، لا سيما وأن بريطانيا كانت تعدّ كلاّ منهما بعرش سورية. إلا أن تهديد الملك عبد الله بعدم إرسال قواته إلى فلسطين إن لم يستلم القيادة العامة، وكان جيشه في ذلك الحين أقوى الجيوش العربية. فالجيش اللبناني كان حديث العهد وينقصه السلاح والتدريب، كذلك الجيش السوري، لم يكن قد مضى على تأسيسه وتدريبه أكثر من سنة ونصف، كما أن الدول الغربية لم تكن لتقبل بتزويدنا بالسلاح، لذلك اضطررنا إلى القبول بالأمر الواقع وتسليم قيادة الجبهة إلى الملك عبد الله.

أما قرار وقف إطلاق النار، فقد اتخذ بأكثرية الأصوات، فوافق الملك عبد الله والأمير عبد الإله والنقراشي باشا رئيس وزراء مصر، على القرار، بينما عارضته وعارضه الشيخ بشارة الخوري رئيس جمهورية لبنان.

يحضرني في هذا المجال موقف الزعماء العرب من وقف القتال، وموقف ليفي أشكول رئيس وزراء إسرائيل من قرار وقف إطلاق النار الذي اتخذته مجلس الأمن في أعقاب حرب حزيران ١٩٦٧، عندما اتصل وزير خارجية الولايات المتحدة هاتفياً بدار أشكول فلم يجده، وكان يتابع الحرب في الجولان، فأبلغ زوجته عن القرار، فاتصلت به في الجولان، فقال لها: قلولي له إنك لم تستطيعي الاتصال بي، لأن خطوط الهاتف معطّلة، ولن أوقف القتال حتى تنهي خطّة الاحتلال. هكذا كان على العرب أن يفعلوا، ولكن الخيانات كانت قد بدأت منذ ذلك الحين أو قبل ذلك بزمان.

الفصل الثاني

تهيئة الانقلاب الأول

إن هدأت الأوضاع الاجتماعية نسبياً بعد تشكيل حكومة خالد العظم، فإن النفوس لم تهدأ، لا سيما نفوس كبار ضباط الجيش، فقد اعتبروا أن الحكومة بكاملها ووزير الدفاع بشكل خاص، وهو رئيس الوزراء الذي لم يدافع عن حسني الزعيم رئيس هيئة أركان الجيش عندما هاجمه فيصل العسلي تحت قبة البرلمان، مسؤولون عن الهجوم عليه، لا سيما وأن خالد العظم أهمل رئيس الأركان وبعض كبار الضباط عندما جاؤوا إليه في منزله ليحتجوا على خطاب فيصل العسلي وليطلعوه على أوضاع الجيش، فأخر استقبالهم ولم يستقبلهم إلا بعد حين، وقد ترك ذلك الإهمال أثراً سيئاً في نفوسهم مما سهّل على حسني الزعيم اجتذابهم عندما قام بانقلابه في ٣٠ آذار ١٩٤٩.

بعد أن أخفق الضباط بحمل رئيس الوزراء خالد العظم على اتخاذ إجراء حاسم ضد فيصل العسلي، لكونه نائباً في مجلس النواب ويتمتع بالحصانة النيابية، عقدوا اجتماعاً في القنيطرة برئاسة الزعيم حسني الزعيم، ووضعوا مذكرة رفعوها إلى الرئيس شكري القوتلي باعتبارها رئيساً للجمهورية وقائداً أعلى للجيش، طالبوه فيها «بتوقيف النائب فيصل العسلي وإحالة على القضاء العسكري لانهامه الجيش بالخيانة العظمى»، كما طالبوا، «بمحاكمة المسؤولين عن عدم تحضير الجيش وإعداده وتسليحه وتجهيزه منذ ١٩٤٥ حتى حرب فلسطين» و«تصديق قانون الجيش من قبل المجلس النيابي وفي دورته الحالية وقبل الموازنة وغيرها من القوانين» و«عدم التعرض مستقبلاً لمناقشة أمور الجيش في جلسات علنية».

وقد أنهوا مذكرتهم بما يلي:

«إن الجيش يا صاحب الفخامة في توتر وهياج من جرّاء ما حدث، وسيزداد هياجاً وتوتراً كلما طال التأخير في تحقيق المطالب المذكورة أعلاه، وإننا إذ

نرفع شكوانا ومطالبنا إلى مقامكم، فإننا نرفعها إلى زعيم البلاد وسند الجيش وقائده الأعلى».

«وقد عودتمونا في كافة المناسبات على الكثير من رحابة صدركم وتفهمكم العميق لهذا الجيش الذي يدين لكم بالولاء التام والثقة العمياء. حفظكم الله ذخراً وستداً وللمروية ملاذاً وللأمة زعيماً وهدى»^(١).

وقد وقّع المذكرة عدد كبير من الضباط برئاسة قائد الجيش الزعيم حسني الزعيم. بحث حسني الزعيم بهذه المذكرة مباشرة إلى الرئيس ولم يرسلها عن طريق التسلسل، أي عن طريق وزير الدفاع رئيس الوزراء، كما كان يجب أن يفعل، فاستدعى الرئيس القوّتلي خالد العظم وأطلعته عليها، كما استدعى حسني الزعيم وقال له: «خذ هذه المذكرة وقدمها إلى رئيس الوزراء وانصرف».

كان خالد العظم يعرف خطر المغامر حسني الزعيم وأطماعه وشروبه ويشعر بما يهيئه في صفوف الجيش، فاقترح على الرئيس تسريح حسني الزعيم، إلا أن الرئيس استمهله حتى يتم موضوع الهدنة مع إسرائيل وبالشكل الذي يضمن حقوقنا ومكاسبنا، خوفاً من أن تحدث بلبلة في الجيش نتيجة تغيير القيادة يستفيد منها العدو بفرض شروطه للهدنة، مما سيأتي تفصيله فيما بعد.

إلا أن حسني الزعيم شعر بما يهيئ له وبدأ يأخذ حذره واستعداده للقيام بعمل ما، ولم يطلع على ما يخططه سوى ثلاثة من أعوانه الضباط: المقدم أديب الشيشكلي قائد اللواء الرابع، والنقيب إبراهيم الحسيني آمر الشرطة العسكرية، والمقدم بهيج الكلّاس معاون رئيس الأركان.

يقول نذير فنصة، وكان عديلاً لحسني الزعيم، وقد تمّ في منزله تهيئة الانقلاب^(٢): «كان هذا في ٢٤ آذار (مارس ١٩٤٩)».

«عند المساء بدأ الضباط يتوافدون على منزلي في عين الكرش في دمشق. كان عددهم ١٤ تقريباً، وكانوا جميعاً في اللباس المدني، وقد بدأ توافدهم إلى منزلي واحداً واحداً من دون سياراتهم وخلال فترات متباعدة. وقد وصل أولهم، وكان سامي الحناوي، في السادسة، وحوالي الثامنة والتصف اكتمل الشمل بحضور الزعيم حسني الزعيم».

(١) مذكرات خالد العظم - الجزء الثاني (١٨٧، ١٨٨).

(٢) أيام حسني الزعيم: نذير فنصة، الطبعة الثانية، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص ٣٠ - ٣٢.

«... وأذكر من الضباط الذين حضروا هذا الاجتماع في منزلي... سامي الحناوي، إحسان شردم، إبراهيم الحسيني، محمد ناصر، عبد الإله رسلان، والعقيد محمد بتيان (أبو رفعت) مدير سلاح المشاة وسواهم».

«بدأ الجميع بالشراب حتى حسني الزعيم الذي لا يشرب لإصابته بداء السكري، شرب في تلك الليلة».

«فهمت من أحاديثهم الأولى أن شرارة الانقلاب تنطلق من الهجوم المستمر في مجلس النواب من قبل فيصل العسلي...».

«... في الأولى بعد منتصف الليل، بدأ من الجلسة أن الانقلاب واقع لا محالة، فطلب مني الزعيم أن أحضر القرآن الكريم، فأحضرت، فتوالى الضباط واحداً إثر الآخر للقسم على الكتاب الكريم بأنه سيحفظ السر، سرّ هذا الاجتماع، وسرّ القرار بالانقلاب الذي موعده في ٢٩ آذار ١٩٤٩».

«هنا أخذ الاجتماع طابعاً عسكرياً تقنياً، فوضعت على الطاولة الخرائط التي أحضرها المجتمعون، وبدأ الزعيم يوزع مهمات الاستيلاء على العاصمة، وكيفية تحريك القطعات العسكرية نحو محاصرة المباني العامة ومنازل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء والنواب وبعض السياسيين الآخرين».

أنا وحسني الزعيم

لما كنت الوحيد من موظفي قصر الرئاسة الذي يبقى في القصر حتى مغادرة الرئيس القوتلي له في ساعة متأخرة من الليل، فإن جميع من كانوا يأتون لزيارته يمكنون في مكثي حتى أستاذ لهم بمقابلته.

وكان حسني الزعيم يأتي مراراً إلى القصر لمقابلة الرئيس وإطلاعه على شؤون الجيش، وكان يمكث عندي فترات طويلة مما أوجد بيننا جواً من المعرفة والألفة.

جاءني في ليل ٢٦/٢٧ آذار ١٩٤٩ حول منتصف الليل، وكان، على غير عادته، مهتماً بزرع مكثي ذهاباً وإياباً، فقلت له: «هلاً تفضلت بالجلوس، ودعني أتم عملي».

فقال: «مو جاييني قعود، عندي خبر سار أريد أن أطلع فخامة الرئيس عليه».

قلت: «إنه مجتمع مع رئيس الوزراء وبعض الوزراء، فما هو هذا الخبر السار؟».

قال: «وصلت الآن على القطار من بيروت الدبّابات الفرنسية التي كنا اشتريناها وهي «خلنج» أي جديدة، وأريد أن أقدم له هذا».

وأخرج من جيبه ما يشبه «ستيلو» أي قلم حبر من النحاس الأصفر وأعطاني إيّاه، فوجدته ثقيلاً، فقلت له: «هذا ستيلو يحتاج إلى يد «مخباطة» مثل يدك».

فقال: «آه «يا جديبه»، هذا ليس ستيلو إنه فرد رصاص».

إذ إنه في مكان ريشة الكتابة كانت هنالك فوهة تخرج منها الرصاص.

قلت: «وإلى أي مدى يمكن أن تنطلق منه الرصاص فتقتل؟».

قال: «إلى مسافة خمسة أمتار».

قلت: «وهل له صوت؟».

قال: «هكذا»، وضرب بقبضة يده اليمنى على كف يده اليسرى.

قلت: «إن فخامة الرئيس لا يخشى من اعتداء أي إنسان عليه، فهو يخرج للسير أحياناً بمفرده كما يذهب إلى الجامع للصلاة منفرداً».

قال: «ذلك أفضل، يضعه على مكتبه خشية معتدٍ آثم».

قلت: «أجاره الله منك».

فضحك ضحكة هستيرية عالية.

وبعد قليل استأذنت له، فقابل فخامة الرئيس وانصرف.

يقول السفير سهيل العشّي، وكان مرافقاً للرئيس القوّتلي برتبة نقيب (رئيس):

«في حوالي ٢٥ آذار ١٩٤٩، استدعت السفارة البريطانية في دمشق السيد عصام الإنكليزي وأعلمته وجود محاولة انقلاب على القوّتلي، وفي السابع والعشرين، استدعت وزارة الخارجية البريطانية سفيرنا في لندن «إدمون حمصي» وطلبت إليه إبلاغ القوّتلي بأن انقلاباً يعدّه حسني الزعيم قائد الجيش ضده».

فنادى الرئيس القوّتلي حسني الزعيم في مساء ٢٩/٣/١٩٤٩ ليلاً، فدخل إلى مكنتي وقال: خيراً يا سهيل، ماذا يريد فخامة الرئيس؟، أجبت: لا أدري لكنّه يريدك فوراً. ورافقته إلى مكتب الرئيس في الطابق العلوي وعدت إلى مكنتي. وبعد حوالي نصف ساعة، رأيته يدخل إلى مكنتي وعيناه مغروروقتان بالدموع، وقال لي: «يا سهيل، إذا كان في سورية رجل تُقبّل قدمه وليس يده، فهو هذا الرئيس شكري القوّتلي. أنا أنهم بالقيام بانقلاب؟! معاذ الله، لقد أقسمت لفخامة الرئيس أن هذه الأخبار لا أساس لها من الصحة، وهي ملفقة وكاذبة ومغرضة. وقد أجاد التمثيل لدرجة أنني صدّقته كما صدّقه فخامة الرئيس قبلي».

وبدأت أطيب خاطره حتى هدا وقفل عائداً إلى القنيطرة من حيث أتى، مركز قيادة الجبهة»^(١).

في ١٣ آذار ١٩٩٧، التفتيت الأخ والزميل زهير مردم بك، نجل جميل مردم بك ورئيس الوزراء السابق، وسألته عما كنت سمعته عن إيفاد والده المقيم في مصر له إلى الرئيس القوتلي، فقال:

«أرسلني والذي بمهمة إلى الرئيس القوتلي في آذار ١٩٩٩، وتحديدًا في ١٧ - ١٨ آذار، وقلت له بأن حسني الزعيم يهَيئ انقلاباً عليه، إلا أن الرئيس القوتلي لم يأخذ ذلك على محمل الجد، وسألني عن صحة والذي الذي كان يزعم إجراء عملية جراحية وقال إنه سيتصل به ويطمئن عن صحته...»^(٢).

حدثني وديع الشيشكلي، وكان نائباً عن منطقة دوما في مجلس النواب، وينزل عادة في فندق أمية بالمرجة أثناء دورت المجلس، قال:

«في ليلة ٢٨/٢٩ آذار كان حسني الزعيم عندنا في فندق أمية يسهر ويتحدث مع صبري العسلي وميخائيل إليان وبعض أعضاء الحزب الوطني وبعض النواب من نزلاء الفندق، ثم خرجوا سوية وهم يضحكون ويتسامرون».

اعتقدت في البداية أن صبري العسلي وجماعته كانوا على علم بالانقلاب، أو أنهم كانوا يريدونه ويدعمونه، ثم سألت من كان على صلة وثيقة بهم، فقال إن حسني الزعيم كان قبل إقدامه على الانقلاب يتصل بالشخصيات السياسية ليرى إن كانوا على علم بما يخبئه لهم، أما صبري العسلي وميخائيل إليان وبقية النواب فلم يكونوا على اطلاع بنوايا حسني الزعيم.

اتق شر من أحسنت إليه

وهكذا ورغم كل الدلائل والمعلومات الموثوقة، فقد تمكن حسني الزعيم من إخفاء نواياه الانقلابية على المسؤولين وأعلن بيانه الأول بالانقلاب صبيحة يوم ٣٠ آذار ١٩٩٩، وهذا نصه:

«لقد رأى الجيش السوري ما آلت إليه حالة البلاد الراهنة من تخبط وميوعة وفوضى واستئثار وخذلان، ووجد العهد مليئاً بالمساوي والمخازي من

(١) محمد سهيل العثي: فجر الاستقلال في سوريا، متعطف خطير في تاريخها، ص ١٢٩.

(٢) حديث مع زميل الدراسة والصديق زهير مردم بك.

خيانة وسرقات وقضاء على الحريات الديمقراطية إلى مخالفة الدستور والقوانين. لقد رأى الجيش كل ذلك وأيقن أن الأمة تسير بخطى متسارعة نحو الموت والفناء، فأبت عليه وطنيته وكرامته أن يقف مكتوب الأيدي، فصمم على هذا الموقف الشريف وتدخل ليعيد الأمور إلى نصابها، وقد تم ذلك في هذا الانقلاب المجيد دون إراقة نقطة دم ودون إطلاق رصاصة واحدة... واليوم ستتألف حكومة قومية ديمقراطية تنقذ البلاد من أهوال الأوضاع الماضية وتؤمن للشعب جوّاً هادئاً ليتمتع بحرياته الدستورية وتضمن له مستوى رفيعاً. اليوم شُكِّت الطريق أمام الشعب العربي في سورية قدماً إلى الأمام لتحقيق رسالته الخالدة»...

وتتالت بعدئذٍ البلاغات العسكرية من إذاعة دمشق، وقد سبق فؤاد الشايب، وكان مديراً عاماً للدعاية والأبناء، بما في ذلك الإذاعة، من بيته بالقوة يرافقه بعض الضباط إلى الإذاعة ليذيع هذه البيانات مرغماً....

لم أستطع تصديق ما سمعت، فخرجت على عجل إلى الشارع فرأيت الدبابات أمام مجلس النواب والجنود بأسلحتهم يحتلون الشوارع، فقلت في نفسي: أهذه الدبابات «الخلنج» جاء بها حسني الزعيم لاحتلال دمشق أم للدفاع عن دمشق وعن سورية؟ لعنة الله على حسني الزعيم.

ثم ذهبت إلى القصر الجمهوري في المهاجرين أستطلع الخبر، وجاء بعدئذٍ بقية الموظفين، إلا أن الباب كان مغلقاً وأمامه جندي، فقال: انتظروا هنا في الحديقة. فانتظرنا.

حوالي الساعة الحادية عشر، جاء إلينا النقيب إبراهيم الحسيني، وقال: إن قصر الرئاسة قد أغلق الآن، فاذهبوا إلى بيوتكم ولا تغادروا دمشق واعطوني أماكن تواجدكم يومياً. فقال له خالد العسلي: سأكون إمّا في الدار أو في مقهى البرازيل. وقال له عبد المجيد الطرابلسي: إن أكثر إقامتي في مقهى البرازيل. وقلت له: سأكون دوماً في البيت وهذا رقم الهاتف عندي، كذلك قال له خليل السعداوي وعبد الهادي دياب. أما عصام الإنكليزي، الأمين العام بالوكالة، فلم يحضر، وعلمنا فيما بعد أنه اعتُقل وأُهيّن، وأما المرافقان العسكريان: النقيب توفيق شاتيل والنقيب سهيل العشي، فقد اعتُقل هذا الأخير وُجِّع به في سجن المزة ثم أُطلق سراحه وأُرسل مديراً لشرطة حلب، وأمّا النقيب توفيق شاتيل فأُرسل قائداً لأحد الأفواج في الجبهة.

بعد أن انصرف النقيب إبراهيم الحسيني، اقترحت على الزملاء أن نذهب إلى دار

محسن البرازي، القريب من القصر في الشمسية بالمهاجرين، لنستطلع الخبر ونرى ما سيحل برئيسنا، فخامة الرئيس، وينا.

ذهبنا إليه فأدخلتنا زوجته السيدة مودة الجابري إلى الغرفة خلف الباب، ثم جاءنا على عجل وقال: «عندي الآن الفريق محمد حلمي حسين بك والأميرالاي محمد يوسف بك، يرافقهما القائم بأعمال المفوضية المصرية، والأستاذ أبو درة الملحق الثقافي، أوفدهم الملك فاروق للاطمئنان عن فخامة الرئيس وعن الوضع، وإنني أتصل الآن بحسني الزعيم للذهاب معهما إلى سجن المرأة للاطمئنان عن فخامة الرئيس. اذهبوا الآن إلى دوركم ريثما أندبر الأمر مع هذا المجنون «أي حسني الزعيم» وسأتصل بكم».

وكان الملك فاروق قد اشترط اعترافه بالوضع الجديد في سورية بسلامة الرئيس شكري القوتلي وخالد العظم.

فانصرفنا وبقينا نتابع أخبار الانقلاب والأوضاع السياسية في المجال الداخلي وفي العالم العربي والعالم الغربي ومواقفها من هذا الانقلاب. وسعيت مراراً لمقابلة فخامة الرئيس في المشفى بالمرّة فلم يُسمح لي، وكنت أطمئن على صحته من وقت لآخر حتى غادر المشفى إلى سويسرا.

١ - في المجال الداخلي: كان أول من اعتقله حسني الزعيم، بالإضافة إلى الرئيس وخالد العظم، وأودعه سجن المرأة، فيصل العسلي وزميله فائز عربي كاتبي، وقد حلق شعر رأس الأول الذي كان علامة فارقة يسعى لتقليده فيها بعض من أتبعه في حزبه.

وأرهب الناس عندما نُفذ حكم الإعدام في ساحة المرجة بمن كانوا قد حُكموا بالإعدام، ولم يكن الرئيس القوتلي يرغب في تنفيذ حكم الإعدام بأحد.

وأصدر أمراً لموظفي الدولة بأن لا يكون على رأس عمله في الساعة الثامنة صباحاً يعتبر مستقيلاً، وتطبق بحقه أحكام القانون.

في المجال السياسي: استدعى رؤساء الأحزاب المعارضة، فرفض السياسيون التعاون معه. رفض رشدي الكيخيا وناظم القدسي ولطفي الحفار وفارس الخوري أن يقبلوا بأي عرض منه قبل أن يعيد الشرعية إلى البلاد، أما أكرم الحوراني وعلي بوظو فقد وجدا في الانقلاب فرصة العمر، ومنذ اللحظة الأولى قبعوا في مكتب حسني الزعيم يكتبان له البيانات التي كانت تذاع من الإذاعة خرقاً للدستور وإرهاباً للناس.

يقول نذير فنصة:

«ذهبت إلى قيادة الشرطة العسكرية فوجدت الزعيم قد وصل لتوّه، وكان معه أكرم الحوراني وخليل الكلّاس... كان أكرم الحوراني منهمكاً في إعداد البلاغات والبيانات التي صدرت في ذلك اليوم لتذاع من الإذاعة السورية»^(١).
ويضيف نذير فنصة:

«كان في طلبه من استقبلهم حسني الزعيم في الصباح الأول للانقلاب ناظم القدسي والشيخ معروف الدواليبي، وهما من زعماء «حزب الشعب» المعارض للقوّتلي، والأمير عادل أرسلان والدكتور سامي كُبّارة صاحب «جريدة النضال» المعارضة للرئيس القوّتلي، والدكتور عبد الوهاب حومد وغيرهم.

ناظم القدسي وجاهياً وزميله رشدي كيخيا الذي اتصل به حسني الزعيم هاتفياً في حلب، لم يقبلوا التعاون مع الانقلابيين معتبرين أن التعاون مع العسكريين أمر عواقبه وخيمة على مستقبل الوطن، أمّا الدواليبي فقبل بالتعاون مع الزعيم، ومن هنا حدث ذلك الانشقاق في حزب الشعب...».

بعد اتصالات كثيرة مع بعض النواب وبعض السياسيين، وبعد أن أصدر أمراً بحلّ مجلس النواب، وذلك بالمرسوم التشريعي رقم ١ تاريخ ٢ نيسان ١٩٤٩، شكّل حسني الزعيم وزارة برئاسته واحتفظ فيها بوزارتي الداخلية والدفاع الوطني، وعيّن فيها الأمير عادل أرسلان نائباً للرئيس ووزيراً للخارجية، وفيضي الآتاسي (من حزب الشعب) للمعارف والصحة والشؤون الاجتماعية، وأسعد الكوراني (مستقل) للعدلية والأشغال العامة، وحسن جبارة (مستقل) للمالية، ونوري الإيش (مستقل) للزراعة، وفتح الله صفّال (مستقل) للاقتصاد الوطني. واستمرت هذه الوزارة من ١٦ نيسان إلى ٢٦ حزيران ١٩٤٩^(٢)، حين أجرى استفتاءً صورياً وانتخب رئيساً للجمهورية بأكثرية ١١٦٪ (بلغ عدد الأصوات التي حصل عليها ٨١٦٣٢١، بينما كان عدد المشتركين بالاقتراع فعلاً ٧٣٠٠٣٠)^(٣).

(١) أيام حسني الزعيم: نذير فنصة، منشورات دار الآفاق الجديدة - الطبعة الثانية - ص ٣٠.

(٢) الوزارات السورية ١٩١٨ - ١٩٨٩ الصادر عن رئاسة مجلس الوزراء عام ١٩٨٩، أعده أنطون جبران وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء مع العاملين في قسم التوثيق في رئاسة مجلس الوزراء.

(٣) سورية ١٩١٨ - ١٩٥٨: وليد المعلّم، شركة بابل للنشر (١٩٨٥).

وكان الرئيس القوّتلي قد قدّم استقالته موجّهاً إيّاها إلى الشعب السوري الذي انتخبه وليس إلى حسني الزعيم الذي خرق الدستور واعتدى على الحريّات، كما أن خالد العظم قدّم استقالته، فأفرج عنهما، وغادر الرئيس القوّتلي إلى سويسرا بينما بقي خالد العظم في بيته بدمشق.

في الأيام الأولى للانقلاب، كان حسني الزعيم يجلس في مديرية الشرطة ثم انتقل فيما بعد إلى الأركان، وبقي القصر الجمهوري مغلقاً، وبقيت في البيت أقضي الوقت بالمطالعة وبدراسة اللغة الألمانية مستفيداً من هذه العطلة المفروضة علينا. أعتقد شخصياً أن فكرة الانقلاب سيطرت على الزعيم منذ أن استدعاه الرئيس القوّتلي ليقمع المظاهرات في كانون الأول ١٩٤٨ عندما عجزت الشرطة عن ذلك، فوجد نفسه سيد الموقف.

من نوادر حسني الزعيم: في الساعة الثانية من بعد منتصف ليل أحد الأيام، بعث سائقه بسيارته إلى الدكتور الزعيم (العميد) عبد القادر زهرا الذي كان يشرف على صحته، وكان صديقاً ومقرباً منه، يستدعيه في تلك الساعة، فجاءه على عجل اعتقاداً منه أن الزعيم قد أصيب بحركة على قلبه، ولم يكمل العميد الدكتور زهرا لباسه إلا في السيارة، ولما وصل إلى حسني الزعيم وجده وقد ارتدى لباس الماريشاليّة ووضع المونوكل على إحدى عينيه يجوب صالون بيته ذهاباً وإياباً، فقال للدكتور زهرا لدى دخوله إليه: كيف تجدني بهذا اللباس؟ فأوسعه الدكتور زهرا شتماً وتقريعاً، وقال له: حسبتك قد فارقت الحياة، تستدعيني في مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل وأنا نائم، إنك أسوأ ماريشال.

بعد أن «انتخب» حسني الزعيم بهذا الإجماع الشعبي، أو فوق الإجماع، رئيساً للجمهورية بتاريخ ٢٦ حزيران ١٩٤٩، قرر الانتقال إلى القصر الجمهوري بالمهاجرين، وعيّن عديله نذير فنصة سكرتيراً خاصاً له، والملازم الأول عبد الحميد السراج والملازم الأول هيثم كيلاني مرافقين عسكريين، وطلب عودة الموظفين السابقين إلى القصر ما عدا عصام الإنكليزي، وقد استبدله بالدكتور خالد شاتيل منتدباً من وزارة الخارجية، وكان قبل ذلك وزيراً مفوضاً في إسبانيا.

إلا أننا لم نرغب العمل معه، وقابلنا الدكتور محسن البرازي الذي كان قد عيّن رئيساً للوزراء وقلنا له: لا يمكننا العمل مع الزعيم. فقال: داوموا على القصر الآن وأنا سأقلّكم قريباً إلى وزارة الخارجية وأبعثكم إلى الخارج - كانت ملاكات الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية والأمانة العامة لرئاسة مجلس الوزراء وملاك وزارة

الخارجية تشكّل ملاكاً واحداً يمكن نقل الموظفين بينها - فانتظرنا على مضض .
وكان حسني الزعيم، بعد أن «انتُخب» رئيساً للجمهورية، قد شكّل أول حكومة برئاسة الدكتور محسن البرازي على النحو التالي:
الدكتور محسن البرازي: للرئاسة والداخلية والخارجية
الأمير مصطفى الشهابي: وزيراً للعدلية
السيد خليل مردم بك: وزيراً للمعارف والصحة والإسعاف العام
السيد حسن جباره: وزيراً للمالية والاقتصاد الوطني
السيد نور الإيش: وزيراً للزراعة
السيد فتح الله الصقّال: وزيراً للأشغال العامة
اللواء عبد الله عطفة: وزيراً للدفاع الوطني

وقد تشكّلت هذه الوزارة بالمرسوم رقم ٣ تاريخ ٢٦ حزيران ١٩٤٩^(١) واستمرت حتى ١٤ آب ١٩٤٩، عندما عصفت الانقلاب الثاني بها، وقضى على حسني الزعيم وعلى الدكتور محسن البرازي رمياً بالرصاص في المزة.

السؤال الذي كان يُطرح دوماً وذُهب المسؤولون في الإجابة عليه كل مذهب: هل إن الدكتور محسن البرازي، الذي كان أقرب المقرّبين للرئيس القوّتلي، كان على علم بالانقلاب وأخفاه عليه؟ كان الرئيس القوّتلي يعتقد ذلك، بينما نفى هذا العلم أكثر المقرّبين من البرازي.

كنت أعتقد أن البرازي لم يعلم بالانقلاب قبل وقوعه، إلا أنني، وبعد أن اطلعت على ما كتبه نذير فنصة الذي تمّ في منزله التخطيط للانقلاب، كما ورد سابقاً، أصبحت أميل إلى الاعتقاد أنه - أي محسن البرازي - أطلع من نذير فنصة على الانقلاب قبل وقوعه بليلة واحدة، وأراد إطلاع الرئيس فلم يفلح.
يقول نذير فنصة:

«... عندما عدت إلى منزلي، بعدما أوصلت الزعيم إلى شقته، وجدت نفسي في حالة من تنطبق عليه «راحت السكره وجاءت الفكرة»...
يا إلهي، ماذا أفعل؟ لقد أقسمت على القرآن الكريم أن أكتّم السر، ولكنني من

(١) الوزارات السورية: إعداد وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء.

ناحية ثانية، لديّ ذعر دائم من العنف والدم، وأنا أصبحت متيقناً أن الزعيم، لو تسلّم الحكم، فسيعدم القوّلي والمعظم على الأقل ودون تردد. خطر لي عندئذٍ أقرب الأصدقاء إليّ في الحكومة، وهو محسن البرازي، وزير الداخلية، فقلت في نفسي لأذهب إليه حالياً وأحاول أن ألمّح له عمّا في الجو، أو على الأقل أطمئن منه إلى أن لديه معلومات ما عن أمر خطير سيحدث لهذا البلد.

... ذهبت إليه فاستقبلني بملابس النوم... قلت له: إنني أرى من المناسب أن يعيّن حسني الزعيم محافظاً في حلب أو في اللاذقية أو أي مكان تروثه...
... قال البرازي: ماذا تقصد؟ هل ينوي الزعيم القيام بانقلاب؟
قلت له: والله لا أعرف.

يبدو أنني قلت عبارة «والله لا أعرف» بصورة ما لفتت انتباه الرجل الذكي، فقام إلى الهاتف وطلب رئيس الجمهورية على رقمه الخاص، ولكن يبدو أن رئيس الجمهورية قال للبرازي إنه متوَعك الصحة وإن طبيبه الخاص الدكتور عزّت مريدن غادره منذ دقائق، وإنه يرغب في مقابلتنا في اليوم التالي صباحاً...
إذن، كانت هنالك شكوك لدى محسن البرازي، ولا أقول معرفة، عن إمكانية قيام الزعيم بانقلاب عسكري، ولم يفصح بذلك إلى الرئيس القوّلي.

لم يكن لحسني الزعيم ولا للضباط الذين شاركوا في الانقلاب أي برنامج سياسي معيّن، لذا كان الارتجال رائدهم في السياسة الداخلية والعربية والدولية، إلا أن حسني الزعيم كان متأثراً بشخصية الزعيم التركي أتاتورك، فسعى لتقليده، وطبعاً بالمظهر الخارجي في البداية، فأمر بإلغاء الطربوش الذي كان سائداً كغطاء للرأس، وأمر المشايخ وعلماء الدين الذين كانوا يلقون اللقّة على الطربوش بأن يلقوها على طاقيّة من اللباد، وفتح الحدود مع تركيا، فتّم تبادل وفود الطلاب والأساتذة ومجموعات السيّاح بين البلدين، واستدعى الجنرال التركي «أورباي» لتنظيم الجيش السوري.

أقول: لم تكن للزعيم سياسة معيّنة ينتهجها ولا برنامج سياسي يسير عليه، إلا أنه بعد أن استتبّ له الأمر بدأ يتلذذ بالحكم فيبعد كل من يمكن أن ينافسه، كأديب الشيشكلي، أو من يخطر له أن يستغله، كأكرم الحوراني وحزب البعث، وفضّل أن يحكم مع مجموعة من المستقلين ذوي الاختصاص في الأمور القانونية والمالية والاقتصادية، فأصدر مجموعة من القوانين: القانون المدني، قانون العمّال، القانون التجاري وسواها من القوانين التي ما زالت معمولاً بها مع بعض التعديل.

٢ - في المجال العربي : غداة قيام حسني الزعيم بانقلابه، بعثت الدول العربية المجاورة بوفود إلى سورية لتطمئن على الاتجاه الذي ينوي الزعيم اتخاذه.
بعث ملك الأردن وكيل رئيس ديوانه والقائد عبد الله التل ليزكراً حسني الزعيم بعوده قبل الانقلاب، بأنه يريد توحيد سورية مع الأردن تحت العرش الهاشمي للملك عبد الله.

كما بعث العراق بالوزير جمال بابان ليجس نبض الزعيم بإقامة وحدة بين العراق وسورية، ذلك أن الأمير عبد الإله - الوصي على عرش العراق - كان يفتش عن عرش له في سورية، ثم جاء رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد بطائرة خاصة واجتمع إلى الزعيم في المطار لبحث موضوع الوحدة أيضاً.

وأوفد حسني الزعيم عديله نذير فنصة إلى القاهرة ليطمئن الملك فاروق أنه لن يقيم وحدة مع العراق، ثم قام بزيارته شخصياً، ورأيت صورته في الصحف المصرية ممتطياً السيارة الملكية المكشوفة إلى جانب الملك فاروق.

كما أوفد نذير فنصة إلى الرياض ليؤكد للملك عبد العزيز آل سعود أنه لن يغير في اتجاه سورية السابق تجاه الدول الشقيقة، وسيحافظ على استقلال سورية وسيادتها.

ومع لبنان، ليؤكد الروابط المتينة معه، رغم كرهه لرياض الصلح صديق الرئيس القوتلي، فقد سلمه زعيم الحزب السوري القومي، أنطون سعادة، الذي كان التجأ إلى الزعيم، فأعدمه في بيروت.

ذكر لي حسين كامل (باشا)، وكان كبير الأمناء لدى الملك فاروق، أن حسني الزعيم لدى زيارته للملك فاروق، عرض عليه أن يقيم وحدة بين مصر وسورية، فأوفده الملك فاروق إلى دمشق ليطلع على حقيقة الأوضاع، وإن كان حسني جاداً في ذلك، وبعد حضوره إلى دمشق ودراسته للأوضاع العامة السياسية والداخلية، عاد إلى القاهرة ليقول للملك فاروق إن حسني الزعيم لا يملك شعبية كافية ولا قوة سياسية تمكنه من ذلك، كما إنه لا يعتقد بهجديته في هذا العرض.

ذكر لي حسين كامل (باشا) ذلك بعد أن أصبح مستشاراً لأمير قطر أثناء زيارة هذا الأخير لسورية، وكنت عندئذ وزيراً للخارجية بالوكالة وكلفني الرئيس الأسد بأن أكون رئيس لجنة الشرف لمرافقة أمير قطر.

٣ - في المجال الدولي - السفارات الأجنبية في دمشق : لم تكن السفارات الأجنبية في دمشق بمنأى عن الأحداث التي تجري في سورية، فاهتمامها بالأوضاع

السياسية والاقتصادية والعسكرية شديد، ولها عيون وآذان في كل مكان تزودها بما يجري في أوساط الحكم والجيش والمجالات الاقتصادية الأخرى.

ولقد رأت السفارة الأمريكية والسفارة الفرنسية، ولكلا الدولتين مصالح تسعى لتأمينها، ويقف دون تحقيقها رجل شديد المراس قوي الوطنية والشعبية، عرف بجهاذه الطويل ضد الأطماع الاستعمارية هو الرئيس شكري القوتلي، وحكومة منبثقة عن مجلس النواب وتحظى بثقته، ونواب ينوف عددهم على المائة نائب انتخبوا من قبل الشعب، وهم حريصون على مصلحته ومستقبله لا يفرطون بغيره أنملة من مصلحته، رأت هاتان السفارتان أن التعامل مع شخص واحد عرف بأطماعه الشخصية ويتضح به بالمصلحة العامة في سبيل مصلحته الشخصية، سيما وأن أمر تعاونه مع أعداء الوطن (الملك عبد الله) ومع مستغلي قوت الشعب (العقيد أنطوان يستاني) قد كشف وقد يؤدي به إلى العزل أو حتى إلى المحاكمة، فاتصلنا به وهيئاً له برنامج الانقلاب وطريقة تنفيذه، وللأمريكان، ولا سيما CIA أي وكالة المخابرات المركزية، خبرة واسعة وباع طويل في انقلابات دول أمريكا اللاتينية.

وقد ذكر ذلك مفصلاً «مايلز كوبلاند» Miles Copland في كتابه «لعبة الأمم» The Game of Nations^(١).

«إن انقلاب حسني الزعيم كان من إعدادنا وتخطيطنا؛ فقد قام فريق العمل السياسي، بإدارة «الميجر ميد» بإنشاء علاقات صداقة مع حسني الزعيم، ومن خلال هذه الصداقة أوحى «الميجر ميد» لحسني الزعيم بفكرة القيام بانقلاب عسكري وصعدت السفارة كامل خطته».

كتب دوغلاس ليتل في مجلة «ميدل إيست جورنال» مقالاً عن المؤامرات الأمريكية على سورية قال فيه^(٢):

«حكومات الباب الدوّار».

«عندما كشف مايلز كوبلاند، أحد المختصين بالشرق الأوسط في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية سابقاً، قبل عشرين عاماً، عن أنه هو وميد دبّراً انقلاب آذار ١٩٤٩ الذي أطاح خلاله رئيس الأركان حسني الزعيم بالقوتلي

(١) مايلز كوبلاند: لعبة الأمم، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت.

(٢) ميدل إيست جورنال، العدد رقم (١)، عدد فصل الشتاء لعام ١٩٩٠، المجلد رقم (٤٤)، المقال بقلم دوغلاس ليتل عنوانه: (العمل السري في الحرب الباردة) الولايات المتحدة وسورية ١٩٤٥ - ١٩٥٨.

والعظم، اعتبر معظم المراقبين ادعاءاته على أنها كلام (بهورة) (كذا)، بيد أن السجلات التي رُفِعَ الحظر عنها مؤخراً، تؤكد أن ميد اجتمع سرّاً، اعتباراً من ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٨ مع الزعيم حسني الزعيم ست مرات على الأقل لبحث «إمكانية قيام دكتاتورية يدعمها الجيش». والظاهر أن المسؤولين الأمريكيين أدركوا منذ البداية أن حسني الزعيم كان من طراز دكتاتوريّ «جمهوريات الموز»، وأنه لا يملك كفاءة عريف فرنسي، ولكنهم كانوا يعرفون أيضاً موقفه شديد العداء للسوفييت واستعداده لبحث السلام مع إسرائيل أو رغبته في الحصول على مساعدة عسكرية أمريكية.

أتم ميد وحسني الزعيم التخطيط للانقلاب في أوائل عام ١٩٤٩، وفي ١٤ آذار طلب حسني الزعيم من عملاء الولايات المتحدة أن يشجعوا على قيام اضطرابات داخلية باعتبارها جوهرية لقيام انقلاب، أو أن تزوده الولايات المتحدة بأموال لهذه الغاية في أقرب وقت ممكن.

... ومع تزايد الشائعات عن انقلاب عسكري، وصل جورج ماكفري، مساعد وزير الخارجية الأمريكي إلى دمشق، ظاهرياً لكي يبحث مع «حكومة سورية غير مستقرة» إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين، ولكن، ربّما، لإعطاء الإذن أيضاً بدعم الولايات المتحدة لحسني الزعيم.

... وفي ١٥ نيسان ذكر ميد في تقرير له أن «أكثر من أربعمئة شيوعي في سائر أنحاء سورية قد اعتقلوا» وأن الزعيم مستعد لإبرام اتفاقية التابلاين بمجرد أن تعترف واشنطن بنظام حكمه... وهكذا فإن كييلي (جيمس كييلي، السفير الأمريكي) قدّم في السادس والعشرين من نيسان أوراق اعتماده إلى حسني الزعيم.

تجاوز أداء الزعيم، خلال الأشهر الثلاثة التالية، كل توقعات واشنطن. فمنذ ٢٨ نيسان أبلغ حسني الزعيم السفير كييلي أن سورية ستستأنف محادثات السلام مع إسرائيل، وأنها تدرس إعادة توطين ٢٥٠,٠٠٠ لاجئ فلسطيني في «وادي الجزيرة» (كذا) على امتداد الحدود العراقية. وفي ١٦ أيار وافق الزعيم على امتياز التابلاين الذي تأخر تاريخ إقراره، فأزال بذلك العقبة النهائية عن طريق مشروع شركة أرامكو لنقل النفط السعودي بالأنابيب إلى البحر الأبيض المتوسط...

وقد توجّ الزعيم أدائه الرائع في تمّوز بسحب جميع مطالب سورية من تركيا

بشأن إسكندرون، ثم بتوقيع اتفاقية الهدنة السورية - الإسرائيلية التي طال انتظارها...».

وكتب الأمير عادل أرسلان في مذكراته ما يلي:

«ظهر لي أن بعض النواب جندوا له (أي حسني الزعيم) حلّ المجلس، وأن ملحق أمريكا العسكري يتدخل، وأن بعض الصحفيين ومراسلي شركات البرق جواسيس للأجانب، وأن بعض الغائبين كشاكر العاص هم المحرّضون للضباط على طلب حلّ المجلس...»^(١).

وكان للولايات المتحدة هدفان ترمي إلى تنفيذهما، وهما: تصديق اتفاقية التابلاين وفق شروط الشركة وليس وفق الشروط التي فرضها الرئيس شكري القوتلي واللجنة السورية المشكّلة للتفاوض مع الشركة، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وتوقيع اتفاقية الهدنة مع إسرائيل بشروط إسرائيل لا بشروطنا.

وكانت شروطنا، وهي الشروط القانونية في مثل هذه الأحوال، أن يمرّ خط الهدنة وخط الحدود في منتصف مياه بحيرة الحولة وطبريا من الشمال إلى الجنوب، وهي الحدود التي وصلت إليها قوّاتنا في الحرب مع إسرائيل، بينما كانت هذه الأخيرة تصرّ على أن يكون خط الهدنة هو خط الحدود الدولية السابقة بين سورية وفلسطين.

أمّا فرنسا فقد كانت ترمي إلى تصديق اتفاقية النقد مع سورية بشروطها أيضاً، وهي الشروط التي تُبقي ارتباط النقد السوري بالفرنك الفرنسي، وعندئذ يبقى اقتصادنا مرتبطاً بشكل نهائي بتطورات الاقتصاد الفرنسي والنقد الفرنسي، الذي كان يشهد تدهوراً مستمراً بالنسبة للعملاء الصعبة مثل الدولار والسترليني، وبالنسبة للذهب.

أرضى حسني الزعيم الدولتين، فوَقَّع اتفاقية الهدنة ووقَّع اتفاقية التابلاين إرضاءً للولايات المتحدة ولكسب اعترافها به.

وأوفد عديله نذير فنصة، مع وفد كان فيه آدمون حمصي وزيرنا المفوض في لندن، إلى رئيس جمهورية فرنسا فانسان أوربول Vincent Auriol مع هدية هي سيف صلاح الدين (وكان هذا السيف واحداً من مئات السيوف العادية التي يدّعي بانعها بأنها سيوف صلاح الدين)، وبالمقابل بعث الرئيس الفرنسي فانسان أوربول ببندقية قديمة هي - على ما يقول - بندقية نابليون إلى الزعيم حسني الزعيم.

(١) الأمير عادل أرسلان - المذكرات - الجزء الثاني (١٩٤٦ - ١٩٥٠)، ص ٨٠٦.

أما مع تركيا، فقد بيّنا فيما سبق عمق العلاقة بين البلدين التي أوجدها التعاون العسكري وفتح الحدود وتبادل الوفود والزيارات.

قبل أن يُنتخب رئيساً للجمهورية في ٢٦ حزيران ١٩٤٩، كان حسني الزعيم يجلس في سراي الحكومة بالمرجة، وكان قصر الرئاسة بالمهاجرين مغلقاً، وموظفوه، وأنا منهم، في بيوتهم لا يُطلب منهم أي عمل. وبعد أن انتُخب رئيساً للجمهورية جاء إلى القصر ليجلس فيه وليستقبل زائريه، وقد كثر المنافقون بالتملق إليه والتقرّب منه، إلا أنه كان يعرف سريرتهم وطويتهم ويعاملهم بحسبها. ويوم زارته مجموعة من العلماء من رجال الدين الإسلامي ليقدّموا إليه طلباتهم بالإصلاح، اتصل أمامهم هاتفياً بالمشرف على سجن المزة وسأله: كم مكاناً فارغاً لديه؟ فانسحب العلماء دون تقديم أي طلب لتحسين أوضاعهم.

وعندما زاره ميشيل عفلق والدكتور حافظ الجمالي ومدير العامودي ممثلين حزب البعث لتهنئته، وبعد انسحابهم من لدنه، التفت العامودي إلى الخلف فوجد الزعيم يشير بإصبع يده الأوسط إليهم (إشارة استخفاف تعني التحقير)، ورسالة ميشيل عفلق مشهورة ولا مجال لذكرها هنا^(١).

وهكذا نرى، أن الولايات المتحدة، التي تنادي ظاهراً بإقامة أنظمة ديمقراطية في الشرق الأوسط وفي العالم، اعتقاداً منها أن هذه الأنظمة ستسير في ركابها ووفق رغباتها، فإنها في السرّ، تتأمر عليها وتنحرفها إذا ما استهدفت مصلحتها الوطنية وخدمة شعبها، وتقيم مكانها ضابطاً مغموراً أو ديكتاتوراً متهوراً ونظماً فردياً يؤمّن لها مصلحتها، ثم تهمله فيسقط كالثمرة الغضة، والأمثلة على ذلك كثيرة في أميركا اللاتينية وفي آسيا و الشرق الأوسط وفي أفريقيا .

وصدق رسول الله عندما قال:

(من سنّ سنة سيئة فعله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة).

(١) ذكره لي المحامي منير العامودي في حديث معه عن حسني الزعيم.

الفصل الثالث

الانقلاب الثاني

وبدأت سلسلة الانقلابات في سورية، وأصبح كل ضابط ينتمي إلى فئة معينة من السياسيين يفكر بالقيام بانقلاب عسكري يزيع فيه خصومه ليستلم الحكم أو ليسلمه إلى حزبه. ودخلت السياسة إلى الجيش، وهي أسوأ «سوسة» أو مرض يمكن أن يصيب الجيش. وكان أول من أدخل هذا المرض إلى الجيش أكرم الحوراني، ثم تبعته بقية الأحزاب، فانقسم الجيش إلى فئات عدة تلعب بها السفارات أحياناً وتعصف بها الحزبية أحياناً أخرى، وتسيطر عليها الأطماع الشخصية في أكثر الحالات.

لن أدخل في تفاصيل هذه الانقلابات العسكرية ولا في دوافعها، ولا في هوية منفذها وانتماءاتهم، فذلك من اختصاص المؤرخين ولست منهم، وقد وضعت عن هذه الانقلابات العسكرية الكثير من الكتب، ولكنني سأبحث في ما يخصني منها، وفي ما اطلعت عليه شخصياً من أخبارها وله صلة بعلمي.

في الساعة الثانية من صباح الأحد ١٤ آب ١٩٤٩ عدت إلى الدار من عشاء كان دعاني إليه أحد الأصدقاء، وإذ بدأت بخلع ملابسي بدأ إطلاق الرصاص يهزّ ليل دمشق الهادئ. هرعت إليّ شقيقتي تستطلع الخبر، فقلت لها: انقلاب جديد، عودي إلى فراشك وسنعلم في الصباح من قام به، وأمل، إن كان كذلك، أن يقتلوا حسني الزعيم كيلا ينقسم الجيش على نفسه ويتقاتل فتكون الطامة الكبرى.

وفي الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم افتتحت الإذاعة السورية بالمرشحات العسكرية، وبدأ البلاغ رقم واحد يهاجم مثالب الحكم السابق ويصف حسني الزعيم بشئ الأوصاف السيئة، ويعلن أنه ومحسن البرازي قد حوكما على سوء تصرفهما وحكم عليهما بالإعدام، ونفذ حكم الإعدام بهما صبيحة ذلك اليوم، وأن الجيش سيسلم السلطة إلى السياسيين المدنيين ويعود إلى ثكناته آيلاً على نفسه الدفاع عن الوطن والذود عن حدوده، كما أعلن أن قائد الانقلاب هو الزعيم سامي الحناوي.

كان سامي الحنّاوي أقرب المقرّبين من حسني الزعيم الذي رفعه من رتبة عقيد إلى رتبة زعيم وولّاه أمرية الجبهة، وكان الحنّاوي آخر من يستطيع أن يقوم بانقلاب ضد حسني الزعيم الذي كان أحياناً، في سهراتهم الماجنة، يطلب إليه، أي إلى الحنّاوي، أن يلفّ على خصره فوطه ويرقص أمام الحاضرين!... إلا أن صغار الضباط الذين كانوا يميلون إلى الوحدة مع العراق، وصهر الحنّاوي الدكتور أسعد طلس الذي كانت له علاقة مع العراق، وكان محسن البرازي قد سرّحه من وزارة الخارجية، والضباط الدروز من الحزب السوري القومي الاجتماعي الذين نقموا على حسني الزعيم الذي سلّم أنطون سعادة إلى الحكومة اللبنانية فأعدمته، هم الذين هيّؤوا هذا الانقلاب ووضعوا واجهة له الزعيم سامي الحنّاوي.

ولكي ينفّذ الحنّاوي ما وعد به في البلاغ رقم واحد، ولكي يتخلّص من أعباء الحكم وضغط الضباط عليه الذين قاموا بالانقلاب، ولمّا لم تكن له خبرة بالسياسة الخارجية والداخلية على السواء، جمع لديه رؤساء الأحزاب السياسية في مساء يوم ١٤ آب ١٩٤٩، وطلب إليهم استلام الحكم وتشكيل حكومة مؤقتة تشرف على انتخاب جمعية تأسيسية تضع دستوراً جديداً للبلاد. وتشكّلت الحكومة المؤقتة على الشكل التالي:

السيد هاشم الأتاسي	: للرئاسة
السيد خالد العظم	: للمالية
السيد رشدي الكيخيا	: للداخلية
الدكتور ناظم القدسي	: للخارجية
اللواء عبد الله عطفة	: للدفاع الوطني
الدكتور سامي كُبّارة	: للعدل والصحة والشؤون الاجتماعية
السيد فتح الله أسيون	: وزير دولة
السيد أكرم الحوراني	: للزراعة
السيد ميشيل عفلق	: للمعارف
السيد مجد الدين الجابري	: للأشغال العامة

وهكذا حصل كل واحد من الأحزاب المعارضة على مبتغاه.

فالمالية من اختصاص خالد العظم ليكمل ما بدأه من مفاوضات مع فرنسا ومع

لبنان؛ وحزب الشعب يريد وزارة الداخلية لأنها تؤمن له الفوز في الانتخابات النيابية القادمة؛ وحزب البعث (ميشيل عفلق) يريد وزارة التربية لأنه يشرف منها على المدارس والأساتذة والطلاب؛ وهم في فورة حماسهم الوطني، فيدخلهم في حزبه، وهم ذخيرة المستقبل؛ وأكرم الحوراني يريد وزارة الزراعة ليفرض الإصلاح الزراعي في حماه ويسلب الإقطاعيين أراضيهم ليوزعها على الفلاحين فيكسب أصواتهم في الانتخابات القادمة؛ والدكتور سامي كبتارة يريد العدل ووزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ليضع الأنظمة القانونية للعمال وللجمعيات فيكسب دعمها في الانتخابات القادمة. وهكذا فقد اقتسمت الأحزاب «قالب الكاتوه» الذي قدّمه إليها هذا الانقلاب الثاني دون النظر إلى انسجام الوزراء في النهج والثقافة والعقلية والسياسة الداخلية والخارجية. أما الحزب الوطني فلم يشارك في الحكومة وعارضها، وقاطع الانتخابات التي جرت بعد ثلاثة أشهر لانتخاب أعضاء الجمعية التأسيسية.

كما حدث في الانقلاب الأول، أغلق القصر الجمهوري، وبقي موظفوه في بيوتهم عاطلين عن العمل، إلا أنني، في هذه المرة، وبالإضافة إلى دراسة اللغة الألمانية التي أحببتها، عدت إلى العمل في مكتب الأستاذ نعيم الأنطاكي.

في إحدى الأمسيات من العشر الأخير من شهر أيلول ١٩٤٩، اتصلت وزارة الخارجية بالبيت عندنا تطلبني. ذهبت في اليوم التالي إلى الخارجية فعلمت أن بركة باللغة الإنكليزية وردت من وفدنا الدائم لدى الأمم المتحدة البارحة، فلم يجدوا في الخارجية من يستطيع ترجمتها للردّ عليها وكانوا يريدون أن أقوم بذلك. قابلت وزير الخارجية الدكتور ناظم القدسي، وكانت تلك المرة الأولى التي ألقاه فيها. قال لي: «ماذا تفعل الآن؟». قلت: «لا شيء»، أذهب أحياناً إلى مكتب الأستاذ نعيم الأنطاكي للتدرب على المحاماة؛ قال: «بل أنت موظف، فكيف تترك الوظيفة وتذهب إلى المحاماة؟». قلت: «ماذا أفعل والقصر الجمهوري، وأنا موظف في الأمانة العامة فيه، مغلق؟». قال: «تعال إلى الخارجية وداوم فيها. نريد أن ننشئ إدارة للوطن العربي، فضع لهذه الإدارة نظاماً، وأطلعني عليه».

عكفت على وضع نظام لإدارة الوطن العربي بحيث يشمل، عن كل دولة عربية، مستقلة أو غير مستقلة بعد، المعلومات التالية:

الموقع الجغرافي. نبذة عن التاريخ، المساحة، السكان والتركيب السكاني، الثروات المتاحة والثروات المستثمرة، الأحزاب وبرامجها ونسخاً عن دساتيرها، أهم الشخصيات السياسية والاقتصادية والعلمية والجامعية والثقافية، الصحافة واتجاهاتها،

علاقاتها مع الدول الأجنبية والدول العربية الأخرى، المعاهدات الدولية المرتبطة بها... إلى آخر ما يمكن أن نحصل عليه من معلومات سياسية وثقافية واقتصادية ورياضية وفنية...

أعجب تقرير الدكتور القدسي، فقال: «أريدك أن تبقى هنا في الخارجية»؛ قلت: «سأبقى طالما بقي القصر الجمهوري مغلقاً، فإذا ما افتتح أصبح أمر مقامي مرهوناً بمشيئة رئيس الجمهورية الجديد عندما يتم انتخابه»؛ قال: «لا بأس». وبقيت في وزارة الخارجية، في مبناها بالمهاجرين - شوري - الذي أصبح فيما بعد مقراً للهيئة المركزية للرقابة والتفتيش، حتى انتخب فخامة الرئيس هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية.

على أن هذه الفترة لم تمر على سورية بكامل الهدوء المطلوب، بل كانت سياسة الحكومة تتأرجح بين الوحدة مع العراق وبين المحافظة على استقلال سورية، وبين التقارب من مصر والمملكة العربية السعودية. ولما كانت غالبية أعضاء الجمعية التأسيسية التي تشكلت بعد ثلاثة أشهر من الانقلاب الثاني، من حزب الشعب الذي يهدف إلى إقامة الوحدة مع العراق، وكان اللواء سامي الحنّاوي يسير أيضاً بهذا الاتجاه تحت تأثير الدكتور أسعد طلس، وكانت الوحدة مع العراق ستضع الجيش السوري تحت رقابة الجيش العراقي المرتبط بالنظام البريطاني، وستمنع أكرم الحوراني من تنفيذ مآربه ضد أصحاب الأملاك في حماه، قام العقيد أديب الشيشكلي وأكرم الحوراني بالانقلاب الثالث.

الفصل الرابع

الانقلاب الثالث

إلا أن هذا الانقلاب احتفظ بالرئيس هاشم الأتاسي رئيساً للدولة، واكتفى بإبدال زعامة الجيش، وذلك باعتقال الحثاوي وطلس وإحلال العقيد الشيشكلي مكان الأول، فأصبح الرجل القوي الذي يفرض هيمنته على الحكم وعلى الجيش.

الجمعية التأسيسية والدستور الجديد

انتُخب السيد رشدي الكيخيا، رئيس حزب الشعب، رئيساً للجمعية التأسيسية بعد أن استقال من وزارة الداخلية.

درس أعضاء الجمعية التأسيسية دساتير الدول العربية والأجنبية لأخذ ما يمكن الاستفادة منه للعهد الجديد في سورية. وفي غياب الحزب الوطني الذي قاطع الانتخابات، فإن الهدف الأول لأعضاء الجمعية التأسيسية كان إيجاد دستور يسلب رئيس الجمهورية كل الصلاحيات، خشية عودة الرئيس شكري القوتلي إلى الحكم، فأخذوا بأكثر مواد الدستور الفرنسي للجمهورية الرابعة، حيث رئيس الجمهورية يرمرز ولا يحكم، بل زادوا عليه أن رئيس الوزراء، إذا بعث بمرسوم إلى رئيس الجمهورية ليصدره ولم يوقع عليه خلال عشرة أيام، جاز لرئيس الوزراء أن يصدره على مسؤوليته وبدون توقيع رئيس الجمهورية. بمعنى أن رئيس الجمهورية أصبح صورة للحكم ورمزاً لا سلطة له، كملكة بريطانيا!...^(١).

وقرر أعضاء الجمعية التأسيسية، حفاظاً على مقاعدهم، قلب الجمعية التأسيسية إلى مجلس نواب، وعدم الدعوة إلى انتخابات جديدة قد يفقد بعضهم فيها مقاعدهم، وطلبوا إلى رئيس الدولة فخامة هاشم الأتاسي الاستقالة لانتخابه رئيساً للجمهورية، وقد تم ذلك في ٧ أيلول ١٩٥٠.

(١) بعض مواد دستور ٥ أيلول ١٩٥٠ المتعلقة بصلاحيات رئيس الجمهورية في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ٢-.

أُعيد فتح القصر الجمهوري في المهاجرين، وجلس فيه فخامة الرئيس هاشم الأتاسي، وعاد موظفوه القدامى: الدكتور خالد شاتيلاً أميناً عاماً، عبد الله الخاني مديراً للمراسم، خليل السعداوي رئيساً للديوان وعبد الوهاب زين العابدين للآلة الكاتبة، وعُيِّنت قيادة الجيش النقيب لؤي الأتاسي مرافقاً عسكرياً لفخامة الرئيس. أما خالد العسلي وعبد المجيد الطرابلسي فقد طلبا نقلهما إلى وزارة الخارجية، وتمَّ نقلهما بعد حين، وعُيِّن الأول وزيراً مستشاراً في السفارة السورية في روما، وعيِّن الثاني مديراً في وزارة الخارجية. واكتفى فخامة الرئيس بهذا العدد المحدود ممن بقي من الموظفين، وحتى المرافق العسكري النقيب لؤي الأتاسي، وقد اختاره الجيش من أقارب الرئيس، إرضاء للرئيس، فلم يكن يريد أن يقول له: «لا تأت لمرافقتي إلى القصر، فاذهب إليه متى شئت وأنا أذهب بمفردي».

أصبح العمل في القصر في هذه الفترة خفيفاً، والحياة فيه هادئة مقتصرة على بعض الحفلات عندما تأتينا بعض الوفود الرسمية، أو عندما يستقبل الرئيس المهنيين بعيد الفطر وعيد الأضحى.

كان الرئيس يعرف الناس حق المعرفة. كان إذا جاءه أحد ولم يعرفه يسأل عن أبيه، فإن لم يعرفه يسأل عن جدّه وذلك قبل أن يستقبله. أما السياسة فقد خبرها منذ أول عهد سورية بالاستقلال الأول، زمن الملك فيصل الأول عام ١٩٢٠، عندما ترأس المؤتمر السوري الأول عام ١٩٢٠، ورأس الوزارة السورية في عهد الأمير فيصل، من ٣٠ آذار ١٩٢٠ إلى ٢٤ تموز ١٩٢٠، ورأس المجلس التأسيسي في نيسان ١٩٢٨، ورأس وفد المفاوضات إلى باريس عام ١٩٣٥ لعقد المعاهدة مع فرنسا، وبعد عودة الوفد من باريس انتخب رئيساً للجمهورية.

كان الرئيس يتمتع باحترام الجميع وتقديرهم لمقامه السامي أولاً، ولنظافته يده ثانياً ولمحافظته على الدستور والقانون أولاً وأخيراً. كنت أجله وأحترمه كما كنت أشعر أنه يعزني كأحد أولاده، وكانت علاقة عائلتنا بعائلته قديمة، عندما كان والدي قاضياً في حمص، فعشنا كعائلة واحدة وهذا ما جعله يحتفظ بي، وهذا ما جعلني أعزف عن المطالبة بترك الوظيفة للعودة إلى المحاماة.

كانت له مجموعة من الأصدقاء القدامى يأتون لزيارته مرة في الأسبوع مساءً، أو عندما لا تكون لديه ارتباطات رسمية، وقد أطلق عليهم لقب «مجلس الشيوخ» وهم: «بديع المؤيد، سامي مردم بك، رضا مردم بك، فارس الخوري، عطا الأيوبي،

عبد القادر العظم، مصطفى برمدا، جميل الدهان، الشيخ عبد القادر المغربي، الشيخ عزيز الخاني، الدكتور نجيب الأرمنازي، يوسف الحكيم، الدكتور أسعد الحكيم».

أما الشيخ أحمد القاسمي، والأساتذة عبد القادر الأسود وعبد الوهاب الأزرق وتوفيق الحياتي، فقد كانوا يحضرون «معرضين لمجلس الشيوخ» رغم تجاوز كل منهم الخامسة والستين.

كان الرئيس، لتمرير لغته الفرنسية، يقرأ جريدة «الوريان لوجور l'Orient Le Jour» البيروتية بصوت عال لدى فراغه، وكان، بطبيعة الحال، يلدغ لدى لفظ حرف الراء R فكان لفظه جميلاً. كانت وتيرة حياته منتظمة، يحضر إلى القصر في التاسعة أو التاسعة والنصف صباحاً ويغادره في الثانية بعد الظهر، إلا إذا كانت لديه اجتماعات فيتأخر قليلاً. كان يقيم في البيت الذي تم شراؤه في شارع الروضة عند ملتقى شارع الجلاء ليكون بيتاً للرئيس الجمهورية، وقد أقام قبله فيه حسني الزعيم، وهو الآن مقر المحكمة العسكرية. كان يعود أحياناً في المساء للاجتماع إلى أصدقائه أعضاء «مجلس الشيوخ».

أمّا الأمين العام، الدكتور خالد شاتيل، فكان دقيقاً في عمله، لطيفاً في معشره، مهذباً في تصرفه، أميناً في واجباته، مخلصاً للرئيس، مثقفاً يتقن الفرنسية ويتابع الأخبار العالمية من خلال جريدة لوموند Le Monde الفرنسية، يقطع المقالات الهامة منها ويحفظها لديه، وقد أفدت منه فائدة جلى في هذا المجال. كان يقوم بجميع الأعمال القانونية والإدارية والتنظيمية في القصر، وكنت أقوم - تحت إشرافه - بأعمال المراسم من استقبال السفراء وتقديمهم لفخامة الرئيس، وتهيئة برامج الاستقبالات العامة والولائم في القصر، وزيارات الرئيس خارج القصر، لافتتاح بعض المؤسسات أو لوضع حجر الأساس للأبنية الحكومية، أو استقبال رؤساء الدول ووضع برامج إقامتهم، إلى آخر ما تستوجه أعمال المراسم.

خلال هذه الفترة، أي من ٤ حزيران ١٩٥٠ إلى الأول من كانون الأول ١٩٥١، أي خلال سنة ونصف تشكلت في سورية خمس حكومات هي:

- حكومة الدكتور ناظم القدسي : من ٤ حزيران ١٩٥٠ إلى ٨ أيلول ١٩٥٠
- حكومة الدكتور ناظم القدسي : من ٨ أيلول ١٩٥٠ إلى ٢٧ آذار ١٩٥١
- حكومة السيد خالد العظم : من ٢٧ آذار ١٩٥١ إلى ٩ آب ١٩٥١
- حكومة السيد حسن الحكيم : من ٩ آب ١٩٥١ إلى ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥١

حكومة الدكتور معروف الدواليبي: من ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥١ إلى ١ كانون الأول ١٩٥١^(١).

خلال الوزارة الأولى للدكتور ناظم القدسي، زارنا في ٢٨ حزيران ١٩٥٠ البرنس فيليب، دوق أدنبره، زوج الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا، فأقمنا له حفلة عشاء في القصر الجمهوري حضرها، بالإضافة إلى فخامة الرئيس، الدكتور نظام القدسي رئيس الوزراء وزير الخارجية، والسيد رشدي الكيخيا رئيس مجلس النواب، واللواء فوزي سلو وزير الدفاع، واللواء أنور بنود رئيس الأركان العامة، والعقيد أديب الشيشكلي نائب رئيس الأركان العامة وأعضاء السفارة البريطانية بدمشق. وقد ذكر لنا البرنس فيليب، بعد العشاء، كيف كان «يرشي» «العشيّة» الطاهية في قصر بكنغهام ببعض الهدايا والمال لتسمح له بدخول القصر من المطبخ لملاقاة الملكة إليزابيث، قبل زواجه منها. وبقي ذلك سرّاً بينه وبينها حتى بعد الزواج.

وخلال وزارة خالد العظم، زارنا الأمين العام للأمم المتحدة «تريغفي لي» وأقام له فخامة الرئيس حفل عشاء باللباس الرسمي في القصر الجمهوري، وقلده، بعد العشاء، وسام أميّة، وهو الوسام الذي يمنح عادة لرؤساء الدول، ممّا أثار انتقاداً لدى الأوساط الشعبية، نظراً لمواقف «تريغفي لي» التي كانت مؤيدة لإسرائيل.

وخلال هذه الوزارة أيضاً، قام الرئيس الأتاسي والسيد خالد العظم بوضع حجر الأساس لبناء فندق سميراميس، وتعود ملكيّة الأرض والبناء إلى أوقاف محطة الحجاز.

وخلال وزارة حسن الحكيم، اشتد الخلاف بين حزب الشعب وبين أديب الشيشكلي حول موضوع قيادة الأمن الداخلي، أي الدرك والشرطة، فقد كانت أثناء حكم الزعيم حسني الزعيم مرتبطة بقيادة الجيش وبقيت كذلك خلال هذه الفترات، ولمّا كانت الحكومة تريد فكّ ارتباط قيادة الأمن الداخلي من قيادة الجيش وإعادتها إلى وزارة الداخلية، كما هو متعارف عليه في أكثر الدول، وكانت الحكومة قد دعت إلى انتخابات برلمانية جديدة بعد أن تمّ إصدار الدستور الجديد، فقد اشتدت الأزمة بين حزب الشعب وبين قيادة الجيش، فاستقالت وزارة حسن الحكيم التي كانت وزارات الداخلية والخارجية والمعارف فيها يشغلها وزراء من حزب الشعب،

(١) مجموعة الوزارات السورية - رئاسة مجلس الوزراء.

وطالت الأزمة لتشكيل وزارة جديدة، وكان الرئيس يستقبل من يعتقد أن بإمكانه تشكيل الوزارة فيكلفه بذلك، وبعد إجراء الاتصالات يعود إلى الرئيس ليعتذر عن المهمة التي أصبحت مستعصية نظراً لأنها تشكّل تحدياً لقيادة الجيش. إذ من المعروف أن قوى الدرك في القرى والريف هي التي تحوّل اتجاه الانتخابات لهذا الحزب أو ذك، وكان الشيشكلي يرفض التنازل عن قوى الأمن الداخلي رفضاً باتاً، أما بالنسبة لحزب الشعب فكان الموضوع موضوع مبدأ، فقوى الأمن الداخلي في جميع الدول مرتبطة بوزارة الداخلية وليس بوزارة الدفاع وإذا ما أعيدت إلى وزارة الداخلية فإنها ستؤمّن لحزب الشعب الفوز بالانتخابات بأكثرية ساحقة.

استمرت الأزمة اثني عشر يوماً، والذي كان «يتنطع» لتشكيل الوزارة والصمود أمام العقيد الشيشكلي هو ابن خاله حسني البرازي وكان يقول: «لا يوجد سواي يستطيع أن يقف في وجه ابن عمتي»... ولكن البرازي كان أخطر على الوضع من الشيشكلي لذلك لم يكلفه الرئيس بتشكيل الوزارة. وأخيراً وقع اختيار حزب الشعب على الشيخ معروف الدواليبي لتشكيل الوزارة، وجاء الشيخ معروف إلى الرئيس يحمل قائمة الوزارة التي شكّلها في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥١ على الشكل التالي:

السيد معروف الدواليبي	:	لِلرئاسة والدفاع
السيد منير العجلاني	:	وزيراً للعدل
السيد هاني السباعي	:	وزيراً للمعارف
السيد أحمد قنبر	:	وزيراً للداخلية
السيد محمد المبارك	:	وزيراً للزراعة
السيد شاكر العاص	:	وزيراً للخارجية
السيد عبد الرحمن العظم	:	وزيراً للمالية
السيد علي بوظو	:	وزيراً للاقتصاد الوطني
السيد محمد الشواف	:	وزيراً للصحة والإسعاف العام
السيد جورج شاهين	:	وزيراً للأشغال العامة والمواصلات

وقد وقّع الرئيس الأتاسي مرسوم تشكيلها في الساعة الثانية بعد الظهر، وأرسلنا المرسوم إلى الإذاعة لإذاعته في نشرة الأخبار في الساعة الثانية والربع من بعد ظهر ذلك اليوم الخميس ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥١.

اتصل العقيد أديب الشيشكلي بالدكتور خالد شاتيل في الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد الظهر وسأله: «هل تشكّلت الوزارة؟»، فأجابه شاتيل: «نعم وأصدرنا مرسوم تشكيلها»، فلم يجب.

في الثانية وعشر دقائق حضر إلى القصر، على عجل، مدير الشرطة والأمن العام العقيد محمود شوكت وقال للدكتور شاتيل، وكنت لديه في المكتب: «كنت الآن عند العقيد أديب الشيشكلي وسمعت يتصل بقيادة القطاعات ويطلب إليها التوجّه إلى دمشق، فهلاً أوقفتم إذاعة مرسوم تشكيل الوزارة حتى نتدبّر الأمر؟».

قال له الدكتور شاتيل: «هذا غير ممكن الآن، وقد أرسلنا المرسوم إلى الإذاعة وسيذاع بعد قليل».

وفي الواقع، أذيع في بداية نشرة الأخبار في الثانية والربع من بعد ظهر ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥١.

قال لي الدكتور شاتيل: «انزل فوراً إلى فخامة الرئيس وبلغه الخبر».

نزلت إليه، وكان يتناول طعام الغذاء، وأبلغته الخبر، قال: «سأنهي غذائي الآن وأرتاح بعض الوقت، استدع لي في الساعة الخامسة الشيخ معروف والعقيد الشيشكلي للمجيء إلى هنا لنرى ما يجب عمله».

اتصلت بهما، فقال الدكتور الدواليبي: «ليست لدي سيارة».

قلت: سأرسل إليك سيارة قبل الخامسة. وهكذا كان.

حضر الدكتور الدواليبي إلى فخامة الرئيس في داره في الروضة وكنت فيها، ولم أبرحها منذ نزلت إليها، ثم جاء العقيد الشيشكلي وجاءت معه ثلّة من الشرطة العسكرية أحاطت بالدار خشية أن نكون قد هيّأنا لاعتقاله. كان مرافقه العسكري الملازم أول محمد آصف القبّاني ابن الدكتور نظمي القبّاني، وكان في فترة الكشفية في مدرسة الفرير، من فرقتي، وكان صديقي، وقد أوفده الزعيم حسني الزعيم وخمسة آخرين من خريجي الكلية العسكرية في حمص إلى كلية «ساند هيرست» البريطانية للدراسة فيها، وكلية «ساند هيرست» البريطانية تعتبر مع كلية «سان سير» الفرنسية و«وست بوينت» الأمريكية، أعلى الكليات الحربية في العالم، وقد تخرّج منها الملك حسين بن طلال والسلطان قابوس، سلطان عُمان. كان محمد آصف القبّاني ضابطاً بكل معنى الكلمة.

اجتمع فخامة الرئيس بالدواليبي والشيشكلي في الغرفة الداخلية من المنزل لمدة

تزيد على نصف ساعة، بينما بقيت ومحمد القبانى في الغرفة التي تقع خلف الباب. وبعد هذه المدة خرج الشيشكلي مسرعاً وتبعه الدواليبي مسرعاً خلفه، يقول له: «يا أديب بك، أنا أخذت وزارة الدفاع لأنني أعلم أنك تشق بي، ولن أقوم بما لا يرضيك»، فيرد عليه الشيشكلي: «ليست لي ثقة لا بك ولا بغيرك». وناداني فخامة الرئيس بأعلى صوته المتهدج: «ضعهما في سيارة واحدة كي يظهر أمام الناس أنهما متفقان».

ولكن أين الاتفاق منهما؟...

وقدّرنا أن الانقلاب الرابع لا بدّ واقع هذه الليلة، فلنتنظر البلاغ رقم واحد.

الفصل الخامس

الانقلاب الرابع

وهكذا كان. وفي تلك الليلة تمّ اعتقال رئيس الوزراء الدواليبي وأعضاء وزارته وأودعوا سجن المزة. وسعى الرئيس الأتاسي لتلافي الأزمة، فكلّف حامد الخوجة بتشكيل وزارة جديدة يوم السبت في ٣٠ تشرين الثاني، إلا أن ذلك كان غير ممكن واعتذر. ويوم الأحد في ١ كانون الأول صباحاً سألتني إن كانت الأمور مستقرة في البلد، وإن كان الموظفون قد قبضوا رواتبهم فأجبت بالإيجاب، وأضفت: إن الرأي العام يشير إلى أن الانقلاب هو ضد الحكم عامة وضد الدستور وضدكم، ثمّ قدّمت له راتبه وتعويضه. كان راتب رئيس الجمهورية خمسة آلاف وخمسمائة ليرة سورية، وتعويض التمثيل خمسة آلاف ليرة.

كان فخامة الرئيس قد استدان من البنك مبلغاً من المال ليسدد الرسوم عن المفروشات التي استوردها ابنه عدنان من باريس عندما قرر أن يقيم في دمشق، وكان الرئيس يسدد أقساط هذا الدين من راتبه وتعويض تمثيله، كان باستطاعته أن يستورد هذه المفروشات ويدخلها باسمه، وعندئذ تكون معفاة من الرسوم والجمارك ولكنه لم يشأ تجاوز القوانين، وهكذا فقد استدان من المصرف وكان يسدد الأقساط شهرياً.

في ذلك اليوم، قرر فخامة الرئيس الاستقالة والعودة إلى حمص. أبلغنا الخبر إلى العقيد الشيشكلي، فقال: أرجو أن ترافقوه حتى حمص. كما أعطى تعليماته إلى قيادة المنطقة الوسطى وإلى الكلية العسكرية في حمص وأمر الموقع باستقبال فخامة الرئيس عندما يصل إلى حمص وتقديم التحيّة والاحترام له.

وهكذا كان، رافقته والدكتور شاتيل إلى حمص، وبعد أن اطمأننا عليه، عدنا ليلاً إلى دمشق.

في صباح ٢ كانون الأول ١٩٥١، أذيع البلاغ العسكري بتولّي رئيس الأركان

رئيس المجلس العسكري الأعلى مهام رئاسة الدولة مع جميع الصلاحيات التنفيذية، كما صدرت المراسيم بحل البرلمان وبتولي الزعيم فوزي سلو، وزير الدفاع السابق، مهام رئيس الدولة، وبتولي الأمناء العامين في الوزارات مهام الوزراء، وصدر المرسوم رقم ٤ بحل جميع الأحزاب السياسية.

في ٣ كانون الأول تولى الزعيم فوزي سلو السلطتين التشريعية والتنفيذية وممارسة سلطات واختصاصات رئيس الدولة ورئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع الوطني ووزير الداخلية^(١)، وشكل وزارة برئاسته، وعين الدكتور ظافر الرفاعي وزيراً للخارجية، كما عين بعض رجال الاقتصاد في الوزارات المشرفة على الاقتصاد: سعيد الزعيم للمالية، منير دياب للاقتصاد الوطني، والدكتور مرشد خاطر للصحة والإسعاف العام^(٢).

بدأ الزعيم فوزي سلو ممارسة صلاحياته في القصر الجمهوري، يستقبل الوفود الرسمية والسفراء، ويعتمد السفراء السوريين لدى الدول الأجنبية، إلا أن السلطة الحقيقية بقيت بيد العقيد أديب الشيشكلي وكان ذلك يئناً. وكتبت جريدة «لوموند Le Monde» الفرنسية مقالاً افتتاحياً حول هذا الموضوع بعنوان: «الدولة ذات الرأسين L'Etat Bicéphalique»، انتقدت فيه الوضع في سورية، إلا أن هذا الوضع استمر سنة وشهراً ويومين، أي من ٩ حزيران ١٩٥٢ إلى ١١ تموز ١٩٥٣، عندما أنهى الشيشكلي وضع دستور جديد يقوم على النظام الرئاسي، أي أن رئيس الجمهورية ينتخب مباشرة من قبل الشعب وهو رئيس السلطة التنفيذية.

خلال هذه الفترة، التي كان فيها الزعيم فوزي سلو رئيساً للدولة، استقبل الملك طلال ابن الملك عبد الله ملك الأردن؛ كما استقبل الاقتصادي الألماني الشهير شاخت، وكان وزير الاقتصاد منير دياب قد استدعاه للاستشارة برأيه في سبيل إصلاح الاقتصاد السوري، ولم يعط أي رأي أو توجيه في هذا الخصوص؛ كما استقبل وفداً إسبانياً رفيع المستوى كانت فيه السيدة كارمن ابنة الجنرال فرنسيسكو رئيس الدولة الإسبانية وكاستيللا وزير الخارجية والجنرال بومديان (من أصل مغربي) رئيس الحرس للجنرال فرنكو؛ كما استقبل «أدلاي ستيفنسون» عضو مجلس الشيوخ الأمريكي، و«إليانور روزفلت» زوجة الرئيس الأمريكي المتوفى «فرنكلين روزفلت»،

(١) مجموعة الوزارات السورية - وثامة مجلس الوزراء.

(٢) المصدر نفسه.

و«مسز بانديت» شقيقة جواهر، لال نهرو و«جون فوستر دالاس» وزير خارجية أمريكا.

وقام الزعيم سلو والعقيد الشيشكلي بوضع حجر الأساس لمرفأ اللاذقية، الذي حصلت على تعهده شركة يوغوسلافية بعد أن كادت شركة فرنسية أن تحصل عليه. كان السفير اليوغسلافي في دمشق «يافورسكي» من أنشط السفراء، فأمن الحصول على تعهد توسعة مرفأ اللاذقية إلى شركة حكومية يوغوسلافية، بعد أن كان السفير الفرنسي «مسيو باريس» قد قارب أن يأخذ المشروع لشركة فرنسية.

وفي تلك الأثناء أيضاً، التي كان يهيئ فيها العقيد الشيشكلي الأمور للحصول على السلطة كاملة، بعث بوزير الخارجية الدكتور ظافر الرفاعي إلى إسبانيا ليدرس كيف أن الجنرال فرنكو استطاع أن يحتل منصبه كرئيس للدولة طيلة هذه المدة من دون منازع. فعاد ليقول له: إن فرنكو يعتمد في حكمه على ثلاث قوى، يقف دوماً على قوتين منها، حتى إذا تمادت إحدهما نبذها واستعان بالأخرى، وهكذا... وهذه القوى الثلاث هي: الملكية والكنيسة وحزب حركة التحرير Movimiento، وهذا ما أوحى إلى الشيشكلي، بعد أن حل الأحزاب السياسية في سورية، أن ينشئ «حركة التحرير العربي» واعتمد فيها على الدكتور منير شوري والدكتور حمدي الإدلي، وقد اتخذوا مركزاً للحركة بناء في ساحة النجمة في شارع المجلس النيابي، وأخذوا باستدعاء الأشخاص الذين يعرفونهم لإدخالهم في «الحركة».

وكنيت ممن استدعوه، إلا أن جوابي كان: «إنني لم أنتسب إلى أي حزب، ولن أنتسب إلى أي حزب أو أي تجمع حزبي» رغم صداقتي مع الدكتورين.

وقد انتسب إلى هذه الحركة الكثيرون من الموظفين الطامعين بالترقيع الاستثنائي، أو تحسين أوضاعهم الوظيفية أو النقل إلى وزارة الخارجية، وفي مثل هذه الأحوال يكثر المنافقون والمتزلفون!...

بعد قيام الثورة المصرية في ٢٣ تموز ١٩٥٢ بقليل، قام الشيشكلي بزيارة لمصر لتهنئة القائمين عليها وتوثيق العلاقة معهم، وكان اللواء محمد نجيب، القائد العام للجيش والقوات المسلحة هو الواجهة لهذا الانقلاب الذي قضى على النظام الملكي في مصر، وكان معه مجموعة من الضباط الأحرار برتب أدنى. بعد الاجتماع بهم عاد إلى دمشق، وأسر لي مرافقه القباني بأن العقيد الشيشكلي قال له: «ليس اللواء نجيب هو قائد الانقلاب، وإنما القائد الفعلي هو البكباشي (المقدم) جمال عبد الناصر».

كان العقيد الشيشكلي، عندما يأتي إلى القصر لزيارة الزعيم فوزي سلو، يأخذ له التحية العسكرية ويبدي احترامه له، إلا أنه في الواقع كان صاحب السلطة العليا، وقد لمست أمثلة كثيرة على ذلك أفضل عدم ذكرها والدخول في تفاصيلها.

في ١٠ تموز ١٩٥٣، دعا الشيشكلي إلى إجراء انتخابات جديدة لمجلس النواب، كما أجرى انتخاباً لرئاسة الجمهورية، كان فيه المرشح الوحيد، ففاز بما يشبه الإجماع واستلم رئاسة الجمهورية وشكّل وزارة جديدة في ١٩ تموز برئاسة، أوكل فيها وزارة الخارجية إلى السيد خليل مردم بك، ووزارة الداخلية للسيد نوري الإبيش، ووزارة الدفاع للواء رفعت خانكان، ووزارة الصحة للدكتور نظمي القبّاني (والد محمد آصف)، ووزارة العدل للدكتور أسعد محاسن.

سارت الأمور في البداية على ما يرام بعد أن استقال الزعيم فوزي سلو وذهب إلى السعودية كخبير في وزارة الدفاع، وأدخل الشيشكلي إصلاحات كثيرة في جهاز الدولة ولا سيّما في مجال الاقتصاد، إذ تساوى للمرة الأولى التصدير مع الاستيراد، وبنى في دمشق «قصرًا» للضيافة في ساحة أبي رمانة، وهو، مع تواضعه، استقبل عدداً كبيراً من ضيوف دمشق من الأمراء ورؤساء الدول، كان بينهم الرئيس جمال عبد الناصر أثناء الوحدة، والرئيس الأمريكي نيكسون عام ١٩٧٤، وقبلهما سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا، وجوزيب بروز تيتو رئيس جمهورية يوغسلافية، وجواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند وغيرهم كثيرون، كما بنى في دمشق ساحتي الأميين، في شارع شكري القوّثلي، والعباسيين في شرقي المدينة، وبلغ الجيش في فترته ذروة قوّته، وما زلت أذكر العرض العسكري الذي جرى بمناسبة العيد القومي في ١٧ نيسان ١٩٥٣، وقد ظهرت فيه، ولأول مرّة، الدبابات الكبيرة والمدفعية الثقيلة وغيرها من الأسلحة الحديثة ولا سيّما الطائرات، إلا أن ذلك العرض، وللأسف، انتهى بمأساة عندما انحرفت إحدى الدبابات في مسيرها على جسر الحرية، قرب متحف دمشق، فدهست عدداً من المشاهدين الذين اصطفوا على جانبي الجسر لمشاهدة العرض، وعندما صلّحت موقفها وعادت إلى الوراء، دهست عدداً آخر من المشاهدين، فكانت كارثة سوّدت ذلك العرض العسكري الجميل الذي قاده الضابط الفذ الزعيم قره مانوكيان.

بعد انتخاب أديب الشيشكلي رئيساً للجمهورية، بعثت الدول العربية والأجنبية بوفود لتهنئته، وكان من بينها الأميران سلطان بن عبد العزيز وتركلي بن عبد العزيز، أوفدهما الملك عبد العزيز لتهنئة الرئيس الجديد ولتوثيق الصلة معه كيلا ينجرّ إلى

الهاشميين في العراق، وجرى للأميرين استقبال حار، وأقام لهما الرئيس الشيشكلي مأدبة عشاء في حدائق القصر في ١٠ آب ١٩٥٣، وقدم لكل منهما وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى.

سيارة هتلر

عندما قام أديب الشيشكلي بانقلابه في ٣٠ تشرين الثاني عام ١٩٥١، وعيّن اللواء فوزي سلو رئيساً للدولة وبدأ بتهينة نفسه ووضع البرامج والترتيبات لاستلام السلطة كرئيس للجمهورية من بعده، زين له بعض أصدقائه أن يشتري للرئاسة سيارة المرسيدس التي كان يمتلكها هتلر أثناء الحرب، والتي كانت معروضة للبيع في «كان» بجنوب فرنسا، سيما وأنها كانت مصفحة وتزن أربعة أطنان بالإضافة إلى كونها مكشوفة وتصلح للاستعراضات، فاشتراها بثمن باهظ استفاد منه من كان الوسطة لشرائها.

إلا أنه عندما استقبل الملك طلال في نيسان ١٩٥٢، وامتطيها وصعدا بها إلى القصر الجمهوري، حمي محركها في صعودها الجسر الأبيض فتوقفت عن المسير، واضطر الملك طلال والشيشكلي أن ينزلا منها ويركبا بسيارة المرافقة التي كانت خلفها، ثم باعها الشيشكلي بثمن بخس وتخلص منها.

الباب الثالث

الفصل الأول : منحة الأمم المتحدة للتخصص

الفصل الثاني : الانقلاب الخامس

الفصل الثالث : انتخاب الرئيس القوتلي

– مؤتمر القمة المصغر لبحث مشروع جونستون
ومنعكساته

– زيارة الملك حسين لدمشق ومباحثاته مع الرئيس
شكري القوتلي

الفصل الأول

منحة الأمم المتحدة للتخصص

درج برنامج الأمم المتحدة للتنمية UNDP على تقديم منح لبعض موظفي الدول النامية للتخصص في الدول الأوروبية أو الأميركية، ولتحسين مستوى أداؤهم الوظيفي، وتقدم هذه المنح إلى وزارة التخطيط لانتقاء من يستطيع أن يقيد منها، وقد خصتني وزارة التخطيط بإحدى هذه المنح، وتركت لي اختيار المادة التي أود الاختصاص بها والبلد الذي أود أن أذهب إليه.

وبعد دراسة الموضوع، قررت أن أختص بموضوع المراسم طالما كنت أقوم بها في القصر الجمهوري والإدارة العامة ولا سيما تنظيم وزارة الخارجية. واخترت أن أقسم المنحة، ومدتها ستة أشهر إلى فترتين بين لندن وباريس، ثلاثة أشهر في كل من البلدين، لأطلع على نظامين مختلفين للمراسم: نظام ملكي في بريطانيا، ونظام جمهوري في فرنسا. وكان عليّ أن أسافر في منتصف شهر آب ١٩٥٣.

رفض الرئيس الشيشكلي في بداية الأمر أن يسمح لي بالسفر، وقال إننا بحاجة إليك الآن هنا، ثم توسط الأخ محمد آصف القباني فسمح لي بالسفر، وأخذت عدتي لذلك.

والدي وأنا

استأذنت والدي للسفر، وكان يعزُّ عليه أن أغادره، إلا أنه رأى مصلحتي في ذلك فوافق على ماض.

كانت علاقتي بالدي أكثر من علاقة ولد بأبيه أو أب بابنه، كانت علاقة روحية وعاطفية لا سيما بعد أن تجاوز الثمانين من العمر، وكانت والدتي قد توفيت منذ أربعة عشر عاماً، أي عام ١٩٣٩. كان لا يأكل حتى آتي لتأكل معاً، ولا ينام حتى يطمن أنني عدت إلى الدار سالمًا، وكان أسعد ما يسعدني أن أقوم بخدمته وأن

أقتنص من الوقت بعضه لآخذه وصديقه الأمير بدر الدين الجزائري في فسحة خارج دمشق، أو أن أستمع لحديثه عن دراسته وإقامته في استنبول وشيخه «أبو الهدى» شيخ السلطان عبد الحميد، يعيدها على مسامعي للمرة العشرين أو الخمسين، وأنا أستمع إليه بكل جوارحي وكأنني أسمع هذه القصة للمرة الأولى.

كان يريد أن أتزوج كي يطمئن عليّ قبل وفاته، ويكرر ذلك على مسامع شقيقتي كي تقنعني بالزواج، وكنت عازفاً عنه، أولاً، لأنني لا أود أن أتركه حتى أنشغل بغيره بزوجة وأطفال. ثانياً: لأن وقتي كله كان منشغلاً في عملي بالقصر الجمهوري. وثالثاً: لأنني كنت أنظر إلى المستقبل بشيء من التشاؤم، فالأوضاع في سورية تنتقل من انقلاب لآخر، ومن حاكم مغمور لحاكم مجهول، ومن ضابط كبير لضابط آخر أصغر منه. أمّا خارج سورية، فالحرب مع العدو الإسرائيلي مستمرة، وهو يقوى ونحن نضعف، وهو يتوسع ونحن ننكمش، وهو يتّحد ونحن نشئت، كل هذا جعلني أتردد بالزواج. وقد أسفت أنني تزوجت بعد وفاته وليس في حياته، وتجري الرياح بما لا تشتهي السفن.

إلا أنني ما زلت أشعر، وبعد أكثر من أربعين عاماً على وفاته، أنه ما زال معي في كل لحظة من حياتي، وأني إن إصبت بعض النجاح في حياتي الوظيفية أو العملية أو العائلية فبفضل توجيهه ودعائه ورضاه ورضى والدتي عليّ، وقبل كل ذلك رضاء الله عز وجل، والحمد لله رب العالمين.

كان يجب أن أكون في جنيف بسويسرا في الخامس والعشرين من شهر آب ١٩٥٣، لبدء دورة تدريبية مع باقي الموفدين من مختلف الدول لمدة أسبوع واحد، ثم يتوجّه كل واحد منا إلى الجهة التي اعتمدها والتي قبلته. اخترت أن أسافر بحراً إلى إيطاليا ومنها بالقطار إلى سويسرا.

أبحرت من بيروت على الباخرة التركية «إسكندرون»، وكانت وشقيقتها «إستنبول» تقومان بجولة في موانئ البحر الأبيض المتوسط، وكانت شركة الملاحة التركية قد أوصلت عليهما من إيطاليا وحصلت عليهما مؤخرًا.

كانت حمولتها اثني عشر ألف طن، وعلى جنبيها مئبتان لحفظ توازنها في حال هيجان البحر. رغم أنني كنت في الدرجة الثانية إلا أنني حصلت على غرفة مستقلة لا يشاركني فيها أحد.

في اليوم الثاني، دعاني القبطان إلى مائدته للعشاء بالألبسة الرسمية.

في الليلة الثالثة، مرت الباخرة بمضيق «مسينا Messina» فحيّانا بركان سترومبولي Stromboli عن بعد بقذيفة عالية من النار وكان البركان قد خُصّن بها. كان منظرًا أخاذًا لن أنساه، إذ اختلط نور القمر الأبيض بأشعة البركان الحمراء. وبدأ البحر هيجانه كلما اقتربنا من نابولي.

في الوقت الذي لم يستطع فيه رُكّاب الباخرة النوم لهيجان البحر، تمت بملء عينيّ، ذلك أن ميلان الباخرة يمنة ويسرى كان يهددني، ولأنني لم أنم خلال الليلتين السابقتين للاستمتاع بجمال نور القمر ينعكس على صفيحة البحر الهادئ فيزيده جمالاً.

انتهت جولتنا، وقد استغرقت أربعة أيّام وثلاث ليالٍ، في نابولي، وبعد أن أمضينا يوماً في زيارتها والتجول فيها، أكملت طريقي إلى روما بالقطار طبعاً. مشكلتي الرئيسية كانت أنني جلبت معي ثلاث حقائب كبيرة فيها الألبسة الصيفية والشتوية والرسمة، أي (البونجور أو ما يسمونه الجاكيت، والفراش والسموكن والمانطو الأسود) وكان التنقل مع هذه الحقائب الثلاث من بلد لبلد ومن فندق لفندق متعباً للغاية.

ذهبت إلى السفارة السورية، أو بالأحرى إلى المفوضية السورية، لزيارة الوزير المفوض الدكتور حيدر مردم بك وبقية الزملاء، فاستقبلني بما عرف عنه من كياسة ولطف وإيناس، وقال لي: إن كنت تريد زيارة المدينة فلا تعتمد على هؤلاء الكسالى، أي موظفي السفارة، بل خذ جولة سياحية مع شركة CIT السياحية تريك كل شيء في روما وخارجها. وهكذا كان.

أما الزملاء في السفارة فكانوا: الدكتور زكريا سباهي والدكتور حيدر البرازي والدكتور ضياء الله الفتال.

كانت مرافقتي في الجولة السياحية آلة التصوير، فالتقطت لروما من الصور ما جعلني أعرفها في الواقع أكثر من أهلها، سيما وأنني أعجب بها أيما إعجاب، وقرأت الكتب التاريخية والسياحية عنها. إنها متحف كبير ومدينة زاهرة تنبض بالحياة، وتجمع من الفن الحديث والقديم ما لا تجمعه مدينة أخرى.

في جنيف

كانت الدورة التدريبية للمستفيدين من المنحة، في مبنى الأمم المتحدة في جنيف مفيدة، وجّهتنا إلى ما يجب عمله لدى وصولنا إلى البلد المانح من دراسة وإطلاع، ثم من ضرورة وضع تقرير عن الدراسة في نهايتها يرفع إلى الأمم المتحدة لتقييم الفائدة من هذه المنحة.

أعجبت بمدينة جنيف، إذ تلك كانت المرة الأولى التي أقوم بزيارتها، وبمبنى الأمم المتحدة المطل على البحيرة وبالحقائق المحيطة بالمبنى، سيما وأن الطقس الجميل ساعد في إعطائي الانطباع الإيجابي عنها.

في باريس

غادرت جنيف بالقطار ليلاً إلى باريس فوصلتها في الساعة الخامسة صباحاً، وكم كانت دهشتي كبيرة إذ وجدت بانتظاري على رصيف المحطة الدكتور سموحي فوق العادة، المستشار في المفوضية السورية في باريس. قال: وصلت ببطاقتك إلى الزميل فيصل الدالاتي، ولما كان بإجازة، سمحت لنفسي أن أقرأها فعلمت أنك قادم اليوم، فأحببت أن أستقبلك، وقد حجزت لك في فندق «لوتيس Lutèce». وقد أخجلني جداً بلطفه وحسن استقباله لا سيما في تلك الساعة المبكرة، وكان بكامل لباسه الذي يذهب به إلى المفوضية.

ذهبت إلى المفوضية السورية في شارع «المارشال مونوري» المحاذي لغاية بولونيا، وكان بناءً جميلاً في أجمل موقع في باريس، مطلاً على أجمل الحقائق فيها. كان القائم بالأعمال بالنيابة الدكتور علي أسعد الخانجي ومعه في المفوضية الزملاء: د. سموحي فوق العادة وعلي الشهابي وموفق القدسي، أمّا القنصل فكان فيصل الدالاتي، وكانت القنصلية في مبنى آخر في شارع السلام 6, Rue de la Paix. سررت ببقاء الزملاء وشعرت أنني بين أهلي كما أن عنايتهم بي أخجلتني.

بقيت في باريس يومين زرت خلالهما متحف اللوفر العظيم والغني جداً، والذي يحتاج إلى أيام بل أسابيع لزيارته كاملاً، واكتفيت بزيارة القسم الخاص بالآثار السورية، وهي على وفرتها أكثر مما هو موجود في متحف دمشق وأتقن عرضاً، ثم زرت متحف المثل «Rodin» وأعجبت به كثيراً، ومتحف لوحات الانطباعيين Les Impressionistes في قاعة Salle du Jeu des Pommes في حدائق «التويلري Tuileries».

ودّعت باريس دون أن أرى كل ما كنت أبغي رؤيته، وأبقيت ذلك حتى أعود إليها بعد ثلاثة أشهر، وسافرت بالقطار إلى لندن.

في لندن

هنالك قول مأثور ذكرته وعشته عندما وطأت قدماي أرض لندن، وهو أن «كل من يدخل لندن يبكي، وكل من يغادرها يبكي».

لم تكن لندن قد تخلصت من آثار الحرب العالمية الثانية بعد انتهائها بثمانى سنوات، فما زالت مناطق فيها أصابها الدمار لم تعمر بعد، وما زالت أزمة السكن على أشدها، وما زال التقنين في العديد من المواد الغذائية ساري المفعول. لم أكن أبه بالأكل على الإطلاق ولكنني كنت أمضي أكثر وقتي في النهار أفتش عن فندق يقبلني ليوم أو يومين، وكان ذلك من الأمور الصعبة جداً. فبكيت!... إلى أن أرشدني حسن الطالع، بعد أسبوع من العناء والتنقل بين شرق لندن وغربها، إلى فندق صغير قبلني لمدة أسبوع، فارتاحت أعصابي. ولمّا أنس بي صاحبه، قال: يمكنك أن تبقى شهراً وأن تمدد إن أردت. كانت الغرفة واسعة وجميلة، وكان الفندق في منطقة Notting Hill Gate في غرب لندن، لا يبعد كثيراً عن محطة (المترو) الأنفاق، وفي منطقة شعبية مزدحمة.

بعد أن استقر بي المقام في الفندق بدأت باتصالاتي، وكان أول اتصال طبعاً بالمركز الثقافي البريطاني British Council الذي يهيئ البرامج لجميع الموفدين من أقطار العالم كافة. أطلعت مدير المركز على ما أريد دراسته والاطلاع عليه، فخصص لي سكرتيرة، قال إن أصلها من الفرنسيين النبلاء، وكان اسمها يدل على ذلك Miss Violet de la Pryme، وكانت قديرة، وضعت لي برنامجاً مكثفاً للاطلاع على المراسم في وزارة الخارجية وفي القصر الملكي Buckingham Palace، ومع سائر المديرين في وزارة الخارجية وفي بعض الإدارات الأخرى ذات الأهمية وإن لم تكن لها علاقة بوزارة الخارجية.

أول ما يلاحظه الإنسان الغريب عن إنكلترا، عندما يزور هذا البلد، أموراً ثلاثة:
أولها: إن الطقس لا يختلف في الصيف عنه في الشتاء، فهو غائم وممطر إلا ما ندر.

وثانيها: إن سير السيارات والحافلات والدراجات، أي السير عموماً، إلى يسار الطريق وليس إلى يمينه، كما هو الحال في الشرق وفي أوروبا، وتحدث حوادث للمشاة الأوروبيين عندما يريدون اجتياز الشارع، فيلتفتون إلى اليسار ليروا خلو الطريق من السيارات وإذا بها تأتي من اليمين، لذلك وضعت بلدية لندن على أرض الطريق لدى العبور: «انظر يميناً» أو «انظر يساراً» Look Left أو Look Right.

وثالثها: الحافلات الحمراء - أي الباصات - من طابقين، خصص الطابق الأعلى للمدخنين والطابق الأسفل لغير المدخنين، وكانت بريطانيا أول من يفصل بين هاتين الفئتين.

لندن مدينة ضخمة بكل معنى الكلمة، غنية بكل ما يمكن أن تذخر به عاصمة امبراطورية عظيمة، ما كانت الشمس لتغيب عن مستعمراتها، واسعة الأرجاء، تمتد طولاً إلى أكثر من ٢٥ ميلاً وتزخر بـ ١٢ - ١٤ مليون نسمة من مختلف الألوان والأجناس؛ سلبت من مستعمراتها أثمن ما لديها، جمعتها في متاحف يندر أن تجد لها مثيلاً. جامعاتها أرقى الجامعات، كتبها وأدباؤها وعلمائها نشروا الثقافة والآداب والعلوم واللغة الإنكليزية في أركان العالم قاطبة، لا حدود لما يمكن أن يتعلم فيها إنسان، ويكفي أن يسير في شوارعها ليتعلم التاريخ ويحيط بالمجتمع ويعيش الجغرافيا بجميع أبعادها، وفوق هذا وذاك يُعجب الإنسان بتهذيب الإنكليز وحبهم للنظام وتعاونهم مع بعضهم ومع الغير.

كانت زيارتي الأولى في وزارة الخارجية إلى مدير المراسم فيها، السفير «سير ماركوس تشيك Sir Marcus Cheek»، وأحببت أن أخذ له معي هدية تذكارية من صناعة بلدنا، عبارة عن علبة خشب مطعمة بالصدف وضمنها قطعة من الحرير الموشى بالذهب (بروكار). بعد أن فتحها أعجب بها، وقال: «إن الأنظمة الحكومية لا تسمح بقبول الهدايا»، قلت: «بل هي ذكرى بسيطة من بلدنا تذكرك بزيارتي إليك»، قال: «لا بأس ساقبلها ولا شك أن زوجتي ستسرُّ بها»، ثم تحدثنا عن نظام المراسم المعمول به في بريطانيا. قال: «إن أفضل كتاب وضع لنظام المراسم هو الكتاب الذي وضعه السفير الفرنسي جان سير Jean Serre»، وأخرج لي نسخة عنه. قلت: «قرأت هذا الكتاب ولدي نسخة منه»، قال: «هنالك كتاب آخر قديم وضعه أرنست ساتو Ernest Satow تجري مراجعته الآن وتنقيحه»، ثم قال: «سأهيء لك زيارة إلى قصر بكنغهام للتعرف على رئيس المراسم فيها (ويسمونه مارشال السلك الدبلوماسي) وحضور إحدى حفلات تقديم أوراق الاعتماد للملكة، كما سأهيء لك زيارة إلى البرلمان لحضور حفلة افتتاحه»، ويعنون بحفلة افتتاحه، افتتاح الدورة بعد العطلة الصيفية، حيث تلقي الملكة اليزابيث الثانية خطاب العرش الذي يهيئه لها رئيس الوزراء البريطاني.

ثم بدأت زيارتي للمديرين في وزارة الخارجية، حسب برنامج كانت تعده لي السكرتيرة «فيوليت ده لا برايم».

أعجبت بالدقة والأمن والنظام في وزارة الخارجية، ومبناها ضخمة وقديم، ويقع تجاه مبنى رئيس الوزراء. كنت عندما أصل إلى الوزارة، إذ يكون لي موعد مع أحد مدراءها، أجد على باب الوزارة الحاجب بلباسه الرسمي التقليدي، يقول لدى رؤيتي:

«مستر خاني؟»، فأجيبه: نعم. يستقبلني، فنذهب إلى قسم الاستقبال، وأأخذ ورقة كتب عليها اسمي واسم المدير الذي سأقبله وساعة دخولي إلى الوزارة، ثم يصطحبني في المصعد إلى المدير المرغوب مقابلته ولا ينسى أن يحدثني، ونحن في المصعد، عن الطقس اليوم!... فهو الحديث الدائم في بريطانيا لدى كل لقاء... ثم ندخل على المدير، فيعطيه الورقة التي أخذها من قسم الاستقبال وينسحب بكل تهذيب. ولدى الانتهاء من المقابلة، يضرب المدير الجرس فيأتي الحاجب مرة أخرى، فيعطيه الورقة بعد أن يوقعها ويحدد فيها ساعة انتهاء المقابلة، فيصطحبني الحاجب حتى الباب الخارجي للوزارة، ويودعني بكل تهذيب واحترام.

أعجبني هذه الطريقة الأمنية، فضيوف الوزارة لا يدخلون ويخرجون إلا بالمرافقة، وتعلم إدارة الأمن في الوزارة بكل زائر وبجميع المقابلات. وسعيت بعد عشرين سنة أن أطبق هذا النظام في وزارة الخارجية لدينا، وللأسف لم ينجح.

ذهبت في أوائل إقامتي لزيارة سفارتنا في شارع «المليونيرية» Millionaires' Road، وهو شارع محصور له بابان من الحديد في مدخله ومخرجه، ذلك أن معظم السفارات الهامة، بالإضافة إلى «قصر كنزنگتون» Kensington - حيث تقيم شقيقة الملكة - تقع فيه، ولا يدخل إليه إلا من كان على موعد مع إحدى هذه السفارات.

كان السفير السيد فائز الخوري شقيق الأستاذ فارس الخوري، أما أعضاء السفارة فكانوا: المستشار الدكتور نهاد إبراهيم باشا والشاعر نزار القباني والسيد مظفر قبرصلي والدكتور رفيق جويجاتي، وكانوا جميعاً من أصدقائي، وسررت بلقائهم والتحدث إليهم.

سألني السفير عن الأوضاع في سورية، فذكرت له ما أعرفه، قال: «وهل ستستمر الأوضاع السيئة على هذا الشكل؟؟»، قلت: «نرجو الله أن يبدل الأوضاع بخير منها»، قال: «إننا نعتمد على الله في كل شيء، ولا نعمل شيئاً لمساعدته!... ولم أجب.

في السفارة اللبنانية، المجاورة لسفارتنا في هذا الشارع الأنيق، كان زميل الدراسة سهيل فريج. وهكذا، ومع الزملاء في السفارة السورية، لم أشعر بأثر الغربة عليّ بل كانت تلك الفترة من أسعد أيام حياتي.

طبعاً كنت على اتصال دائم بوالدي في دمشق، أبعث إليه برسالة كل أسبوع أطلعه فيها على أخباري بكل تفصيل، وذلك عن طريق أخي صلاح الدين، وأتلقى من أخباره ما يطمئنتني عنه.

في الأمسيات، كنت أحضر حفلات الموسيقى العالمية (الكلاسيك) في قاعة «ألبرت هول» الضخمة أو «لندن فستيفال هول London Festival Hall»، أو أحضر إحدى التمثيليات، إذ إن لندن مشهورة بمسارحها العديدة وبتمثيلاتها الجميلة. كما زرت جميع متاحفها: المتحف البريطاني «بريتيش ميوزيوم British Museum» ومتحف ألبرت وفكتوريا ومتحف العلوم الطبيعية ومتحف اللوحات الفنية National Gallery ومتحف تيت Tate Gallery، هذا عدا عن المتاحف المتخصصة الأخرى. وكما ذكرت سابقاً فإن مدينة لندن غنية جداً بمتاحفها، وهنالك متحف التاج البريطاني، وفيه الصولجان والتيجان البريطانية المتعددة، وفيه أكبر ماسة في العالم واسمها Star of India، تزن أكثر من ثلاثمائة قيراط، ولا يجوز لزائر لبريطانيا إلا أن يبدأ بزيارة هذا المتحف.

لنعد الآن إلى وزارة الخارجية البريطانية. على سطح الوزارة قاعة كبيرة حُوِّلَت إلى معهد لتدريب الموظفين، الحديثين والقدامى، على العمل في الوزارة. يشرح الأستاذ كيفية استقبال البريد العادي والسري، وطريقة تسجيله أولاً لدى وروده ثم توجيهه إلى الإدارة المختصة بحيث يكون البريد على طاولة المدير المسؤول أو الأمين العام أو الوزير في الساعة الثامنة صباحاً لدى مجيئه إلى مكتبه. يتم توزيع البريد من السجل إلى المديريات، وبين المديريات إياها ضمن صناديق مقفولة من الخشب المكسو بالجلد الأخضر للبريد العادي، وبالجلد الأحمر للبريد السري ينقله الحاحب المكلف بذلك. وللصناديق مفاتيح خاصة لدى السجل، ومثلها لدى المدير المختص، بحيث لا يطلع عليها إلا الموظف المسؤول، وعلى الصندوق شعار ملكة بريطانيا «ERII» أي «Elizabeth Reine II» أي «الملكة أليزابيث الثانية».

وزير الخارجية في بريطانيا يسمى «سكرتير الدولة للشؤون الخارجية Secretary of State for Foreign Affairs» أو اختصاراً «Foreign Secretary»، أما الأمين العام، فهو «السكرتير الدائم Permanent Secretary» حتى ولو لم يكن دائماً، إنما هو أعلى موظفي وزارة الخارجية الذي يطلع على جميع معاملاتها وأسرارها وتوجهاتها، مهما اختلفت الوزارات، فهو عنصر الديمومة والاستقرار والاستمرارية في الوزارة، وبهذه الصفة فهو أقوى من وزير الخارجية الذي يتغير حسب تغيير الحكام والحكومات بين حزب المحافظين وحزب العمال.

وقد أنتجت هيئة الإذاعة البريطانية مسلسلاً تلفزيونياً هزلياً العلاقة بين السكرتير الدائم ووزير الخارجية سمته «Yes Minister» نعم أيها الوزير، حيث يقترح الوزير

أموراً غير قانونية يريد أن يفرضها بصفته وزيراً، فيقول له السكرتير الدائم «نعم أيها الوزير» ولكن هذه الأمور لا يمكن تطبيقها لأنها مخالفة للأنظمة والقوانين، فيعود عنها الوزير.

كنت لدى زيارتي لأحد المديرين أستوضح عن سير العمل في مديريته، وأسجل ذلك في دفتر كنت أصطحبه معي دوماً حتى أحظت بمعظم سير العمل في وزارة الخارجية وتنظيماتها، وقد ساعدني في ذلك كثيراً ووجهني في أمور عدة، مدير عام الشؤون الإدارية السفير «أشتون غواتكين Sir Ashton Gwatkin» الذي اطلع على التقرير الذي وضعته في نهاية دراستي، وطلب مني أن يحاضر عما ورد في هذا التقرير.

من الأمور الرئيسية التي أطلعوني عليها خارج وزارة الخارجية:

في مجال المراسم: زرت قصر بكنغهام أكثر من مرة، وتعرفت على «مارشال السلك الدبلوماسي» وهو وإن لم تكن له رتبة «مارشال» إلا أنه كان في الجيش برتبة جنرال وتقاعد، وكان مقرباً من القصر الملكي فعين رئيساً للمراسم فيه.

مراسم تقديم أوراق الاعتماد مبسطة: يذهب مدير المراسم في وزارة الخارجية بعريتين مذهبتين من عربات القصر الملكي تجرهما الخيول إلى مقر السفير الجديد، فيصطحبه بالعربة الأولى بينما يجلس في العربة الثانية ستة (لا أكثر) من أعضاء السفارة، ولا تستقبل الملكة أكثر من هذا العدد، إذ إن بعض السفارات الكبيرة تحوي من الموظفين الدبلوماسيين عدداً يصل أحياناً إلى خمسين أو أكثر من خمسين موظفاً. أمام الباب الداخلي للقصر يستقبل رئيس مراسم القصر (مارشال السلك الدبلوماسي) السفير المعين وباقي موظفي السفارة، ويصطحبهم إلى صالة مجاورة للصالة التي تستقبل فيها الملكة السفراء، ثم يستأذن لهم بالدخول إلى الملكة، التي تكون واقفة وإلى جوارها وزير الخارجية وكبير أمناء القصر. يدخل السفير فينحني أول مرة احتراماً للملكة ثم يتقدم فينحني مرة أخرى ويقف على بعد ثلاث خطوات من الملكة وصحبها، يقرأ خطابه أو يرتجله، ثم يقدم للملكة أوراق اعتماده، فتشكره بكلمة موجزة، ثم يقدم لها السفير أعضاء سفارته المرافقين له، ثم تقدم له الملكة مرافقيها، ثم ينسحب موظفو السفارة مع رئيس المراسم وتبقى هي ووزير الخارجية والسفير في مكتبها تتحدث إليه في العلاقات بين الدولتين، ويتم أثناء ذلك تقديم بعض المشروبات، ولدى الانتهاء يستأذن السفير فيغادر الملكة، ويغادر القصر إلى السفارة بالشكل الذي جاء به من السفارة إلى القصر. في لندن أكثر من مائة سفارة وسفير، لذلك أصبحت مراسم تقديم أوراق الاعتماد مبسطة.

حفلة افتتاح البرلمان: في بريطانيا، أو المملكة المتحدة United Kingdom وهو الاسم الرسمي للدولة، يوجد مجلسان للبرلمان: مجلس اللوردات، وهو المجلس الأعلى، ومجلس العموم، وهو المجلس الأدنى ولكنه هو الرئيس في الواقع. يجري افتتاح دورة البرلمان كل عام، يوم أول ثلاثاء من شهر تشرين الأول، بمراسم جد متقنة وبمنتهى الأبهة.

في ذلك اليوم، جاءتني «الآنسة فيوليت ده لابران» في الساعة الثامنة والنصف صباحاً بسيارة رولز رويس من القصر الملكي لمرافقتي إلى البرلمان، وكنت قد ارتديت اللباس الرسمي (الجاكيت أو البونجور). اتجهنا إلى البرلمان، وكان الناس قد اصطفوا على جانبي الطريق منذ الصباح الباكر، وكان الذي أشرف على تنظيم الاحتفال ضابط كبير وقديم نظم للملكة حفلة التتويج، وكان ينظم لأبيها حفلات افتتاح البرلمان.

يجري الاحتفال في مجلس اللوردات، ويحضر النواب من مجلس العموم هذا الاحتفال، أما اللوردات فلا يسمح لهم بدخول مجلس العموم، وهنالك حفرة صغيرة على الباب الخشبي لمجلس العموم، عندما جاء أحد اللوردات يريد الدخول إلى مجلس العموم، منذ أكثر من مائة عام، فأغلق الباب في وجهه ومنع من الدخول فضرب الباب بسيفه، وترك ذلك أثراً حتى اليوم يرشدون إليه الزوار دلالة على منع اللوردات من دخول مجلس العموم.

أخذت مكاني المحجوز مسبقاً إلى جانب السفراء في المكان المخصص في مجلس اللوردات. وفي الساعة الثانية عشرة بدأ الاحتفال بدخول اللوردات، ثم أفراد العائلة المالكة وكل واحد منهم، حسب ترتيب الأسبقية، تحيط به ثلة من الحرس بألبستهم المزركشة التاريخية تسبقهم الموسيقى معلنة قدومهم، ثم جاءت الأميرة مارغريت شقيقة الملكة بمرافقين أوفر، وأخيراً صدحت الموسيقى معلنة قدوم الملكة، ودخلت يتقدمها حامل الصولجان على طنفسة من القטיפه ذات اللون الخمري، وقد ارتدت لباساً خاصاً من القטיפه الخمرية المحلاة بالفراء الأبيض الذي يحمل شعار الملكة ووضعت على رأسها التاج الملكي، ودخل معها زوجها البرنس فيليب. جلست على كرسي العرض وجلس الأمير فيليب إلى جنبها. بعد برهة وقفت لتقرأ خطاب العرش الذي يتضمن سياسة الدولة الداخلية والخارجية، والذي هياه لها رئيس الوزراء لتلقيه. بعد الانتهاء من قراءة الخطاب انسحبت من المجلس وانسحب معها بقية الأمراء بالشكل والتسلسل الذي دخلوا فيه. كانت حفلة ممتعة حقاً.

لجنة انتقاء الموظفين: هيأ لي «المجلس الثقافي البريطاني» برنامجاً منوعاً، اطلع من خلاله على أمور مختلفة كثيرة ومنها هذه اللجنة، وقد وجدت في حضور مناقشاتها فائدة كبيرة.

في مطلع كل سنة، تهىء كل وزارة قائمة بعدد ورتب واختصاصات الموظفين الذين تحتاج إليهم، تبعث بها إلى اللجنة المختصة بانتقاء الموظفين Civil Service Commission، تعلن اللجنة عن موعد انتقاء الموظفين الذين يرغبون بدخول الوزارات المختلفة. وفي الموعد المحدد لإجراء الفحوص المختلفة، يقسم المتقدمون إلى زمر، كل زمرة من تسعة مرشحين، يأخذ كل واحد منهم رقماً من ١ إلى ٩ وتختفي أسماؤهم بعدئذ ويصبحون يعرفون بأرقامهم فقط. أما اللجان الفاحصة فتتألف أيضاً، كل واحدة منها، من ثلاثة فاحصين: أستاذ جامعة، وموظف قديم، ومختص بعلم النفس.

المواد الإلزامية التي يخضع لها المرشحون هي: اللغة الإنكليزية والرياضيات، ويجب على كل مرشح أن يجتاز الامتحان في هاتين المادتين بنجاح، بعدئذ تجري جلسات عامة لكل زمرة ولجنتها الفاحصة على حدة. تطرح اللجنة موضوعاً سياسياً أو اجتماعياً عليهم لمناقشته، ويراقب أعضاء اللجنة مناقشة المتقدمين وسعة اطلاعهم وحسن عرض الموضوع ومناقشته، وتضع لكل واحد من المتقدمين علامة تدل أولاً على حسن مناقشته وذكاؤه وسعة اطلاعه وقدرته على تحويل اتجاه المناقشة للأخذ برأيه، أو عدم اطلاعه وضعف شخصيته وعدم قدرته على المناقشة، إلى آخر هذه الأمور التي يبرز فيها رأي العالم النفساني.

وفي اليوم الثاني تطرح اللجنة على زمرة المتقدمين موضوعاً اجتماعياً هاماً، كنقل ثلاثين ألفاً من سكان إيرلندا إلى أستراليا، وتكلف كل واحد من هؤلاء التسعة المتقدمين أن يرأس الجلسة في موضوع يتعلق به، كتأمين وسائل النقل من إيرلندا إلى أستراليا، أو تهيئة أماكن إقامتهم في أستراليا، أو العناية الطبية بهم لدى وصولهم، أو تأمين المدارس لأولادهم، أو الإشراف على الأمن في منطقة وجودهم، وكل ما يتعلق بتأمين معيشتهم إلخ... وتراقب اللجنة الفاحصة حسن عرض موضوع كل واحد منهم وإلمامه بصعوبة تنفيذه، والحلول التي يقترحها والنتائج التي يتوصل إليها، ثم تجتمع اللجنة على انفراد لتقييم أداء كل واحد من هؤلاء التسعة.

وبعد الانتهاء من هذه الاختبارات، التي تركز قبل كل شيء على قوة شخصية كل واحد من المتقدمين وسعة اطلاعه وذكاؤه وحسن تدبيره، يجتمع المتقدمون جميعهم

في أحد القصور أو أحد الفنادق، يمضون فيه ثلاثة أيام أحراراً ولكن تحت مراقبة اللجان المختصة، فترى مثلاً أن رقم ه شاب انعزالي لا يحب الاختلاط، أو أنه نشيط اجتماعياً أقام علاقات حميمة مع عدد من المتقدمين، أو أنه لا يحسن تناول الطعام، أو أنه لا يحسن ارتداء ملابسه، أو أنه يحب الدس والوقعة بين زملائه.

على ضوء هذه الدراسات والملاحظات، يجري توزيع الناجحين على الوزارات حسب مؤهلاتهم العلمية ومقدرتهم الشخصية وحسن تصرفهم وقدرتهم على العمل والإنتاج في الوظيفة التي يعيّنون عليها. وهكذا يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب من دون التماس ولا محسوبية.

هنلي أون تيمس Henley on Thames : في هذا المكان الهادئ الجميل على نهر التيمس، قريباً من لندن، اجتمع ما يقرب من أربعين مدير مصرف من المصارف الكبرى البريطانية، يتبادلون خبراتهم مع بعضهم ويناقشون المشاكل التي تعترض سير العمل في مؤسساتهم، ويقدم كل منهم الحلول التي يريتها. حضرت اجتماعهم ومناقشاتهم وأعجبت بها، وإن لم أكن على اطلاع على قضايا المصارف ومشاكلها، ولكنني وجدت في الدراسات، التي قدموها والحلول التي اقترحوها، فائدة كبيرة لهم، وبعض الشيء لي.

ريدنغ Reading: هي مدينة صغيرة قريبة من لندن، دُمّرتها الحرب، فأعيد بناؤها بشكل حديث. حدثنا المهندس المعماري عن الطرق الحديثة في البناء بحيث يمكن الاستفادة، ضمن مساحات ضيقة، من أكثر الخدمات، فلا ضياع في المساحات ولا أماكن لا يستفاد منها، إلا أن الهدف من إطلاعي وباقي زملائي الموفدين على هذا البلد الحديث، هو معمل تكرير المياه المالحة ومياه المجاري بحيث تصبح هذه المياه صالحة للاستعمال المنزلي وللسقي وحتى للشرب، وفي نهاية إطلاعنا على المشروع تناول المدير كأساً ملاء بالماء المكرر وشربه دلالة على نقاوته.

ساوثامبتون Southampton: هو الميناء الرئيس لإنكلترا في الجنوب على بحر المانش، أو على القنال الإنكليزية، كما يسميها الإنكليز. في الحرب العالمية الثانية كانت ساوثامبتون هدفاً للغارات الجوية الألمانية التي دمرتها تدميراً كاملاً، وبعد انتهاء الحرب ركّزت إنكلترا جهودها على إعادة بنائها، وإعادة بناء المرفأ وبشكل حديث ليستوعب من البواخر وحمولاتها أضعاف أضعاف ما كان يستوعبه قبل الحرب.

لقت نظري شارع مستقيم حديث ومسفلت، غير أن في منتصفه شجرة أحاطوها بدائرة تمر السيارات من حولها. قلت في نفسي: لو كانت هذه الشجرة في بلدنا واعترضت الطريق لقطعوها ولم يأبهوا لها. إن العناية بالأشجار هي دلالة الحضارة والرقى، وكم نحن متخلفون في هذا المجال، إذ لا نجد أجمل من قطع الأشجار!... في إنكلترا أشجار كثيرة، بل غابات كثيفة، ومع ذلك فإنهم يحافظون على أي شجرة، ويحولون الطريق عنها، ونحن الذين بأشد الحاجة إلى الشجرة نجد لذة في قطعها!...

التجارب النووية: من ضمن البرامج التي هيأها لي المجلس الثقافي البريطاني، الاطلاع على «فيلم» عن التجارب النووية وأخطارها. من يشاهد هذا الفيلم يرتعد من الخوف للدمار الهائل الذي تحدثه القنبلة الذرية، ولآثارها الخطيرة على الإنسانية.

قال لي محدثي، بعد أن انتهينا من رؤية هذا الفيلم: إن الإنكليز تمكنوا خلال الحرب العالمية من اتقاء الغارات الجوية الألمانية باللجوء إلى محطات الأنفاق (الميترو)، وهي على عمق يبلغ أحياناً مائة متر، أما في الحرب القادمة، إذا استعملت القنابل الذرية والهيدروجينية، فلا يمكن حماية أحد.

فالقنبلة الذرية لها آثار ثلاثة مبيدة:

الأثر الأول: الانفجار، إذ يدمر كل ما حوله إلى عشرات الكيلومترات.

الأثر الثاني: الاحتراق، إذ إن الحرارة الشديدة المنبعثة عن القنبلة الذرية تحرق كل ما حولها وإلى مسافات بعيدة جداً، بل إنها تذيب الحديد.

الأثر الثالث: وهو الأخطر، الإشعاعات الذرية التي تبقى بعد الانفجار، فتقضي على الحياة في الإنسان والحيوان والنبات وحتى في الأرض والجماجم. أجازنا الله منها.

خرجت من الفيلم وأنا أرتعد، وكان ذلك عام ١٩٥٣، والفيلم عن تجارب حدثت قبل ذلك التاريخ، أما الآن فلا يمكنني أن أتصور ما يمكن أن يحدث للعالم إذا استعملت مئات أو آلاف القنابل الذرية والهيدروجينية الحديثة، الأشد فتكاً وتدميراً.

جولة في أسكتلندا وإيرلندا الشمالية

نظّم لي المجلس الثقافي البريطاني، في النصف الثاني من شهر تشرين الثاني، بعد أن وضعت تقريرى عن تنظيم وزارة الخارجية وقبل مغادرتي إنكلترا، زيارة إلى كل

من أسكتلندا وإيرلندا الشمالية استغرقت عشرة أيام. سافرت بالقطار من لندن إلى أدنبرة، وشاهدت في الطريق الطبيعة البريطانية الجميلة.

كان عليّ أن ألتقي في أدنبرة بوزيري الداخلية والمالية المحليين، وكانا مكلفين بتنظيم برنامج زيارتي إلى أسكتلندا، وكانا لطيفي المعشر، دعواني في ثاني يوم وصولي إلى الغذاء في أحد مطاعم أدنبرة، وأثناء الطعام سألني وزير الداخلية المحلي إن كنت لاحظت أن الأسكتلنديين هم كما يصفهم الإنكليز، فأجبت: «إن الصفات السيئة للإنكليز يحبون أن يلصقوها بكم، ولقد لمست الكرم عندكم»، فوقع ذلك منهما موقعاً حسناً وهياً لي برنامجاً ممتعاً، زرت خلاله قصر بالمورال Balmoral الشهير، حيث تجري الاحتفالات الكبرى كل سنة، كما زرت أحد معامل النسيج الصوفي (الأجواخ) المشهورة، ومتحف أدنبرة.

ولا يمكن أن أنسى ذلك الحارس الأسكتلندي الضخم في المتحف، الذي جاء يحدثني ويرشدني عن التحف الثمينة في هذا المتحف، ثم سألني: من أين أنت؟، فقلت له: من سورية. فنظر إلي طويلاً، ثم قال: «في اليوم الذي تحاربون فيه إسرائيل وتقذفون باليهود إلى البحر، فكّر بأن هنالك أسكتلندياً سيكون أكثر الناس سعادة». تعجّبت لهذا القول، فسألته عما دفعه إلى هذا، قال: «لقد خدمت في فلسطين وأطلعت على مكر وردالة الصهاينة، وإنني أكرههم وأود لو أحاربهم معكم». لست أدري إن كان ذلك الحارس ما زال حيّاً، ولقد أعجبت به كثيراً، فإن مات فأرجو الله أن يتغمده برحمته.

في طريقي من أدنبرة إلى إيرلندا الشمالية، مررت بغلاسكو، ولا أذكر منها سوى الضباب الكثيف الملوّث بغاز ثاني أكسيد الكربون نتيجة استعمال الفحم الحجري للتدفئة.

اجتزت البحر بالعبرة، وحللت في فندق لطيف في بلفاست. زرت المدينة في اليوم التالي ولم أطل المقام فيها نظراً لوصولي في يومي السبت والأحد، وهما يوما عطلة حكومية، إلا أن ما لفت نظري في هذه المدينة الهادئة طابور الأشخاص أمام القنصلية الكندية الذين اصطفوا لطلب التأشيرة للهجرة إلى كندا، مما يدل على فقر هذه المنطقة.

عدت إلى لندن أهيء نفسي لمغادرتها إلى باريس، وقد تعلّقت بها وأحببتها وأفدت علمياً واجتماعياً فيها كثيراً. نزلت في شوارعها أودّعها؛ مررت بشارع

أو كسفورد وشارع ستراند وشارع بيكادللي وشارع مول، فلم ألحظ إلا وعينيّ تمثلنان بالدموع، فتذكرت الدموع التي انهمرت منهما لدى مجيئي، وها إن القول المأثور عن لندن ينطبق عليّ، رغم أنني سأغادرها إلى باريس، أجمل مدن العالم. ودّعت رئيس وأعضاء المجلس الثقافي البريطاني، ومديري وزارة الخارجية والأصدقاء والزملاء في السفارة السورية، واستقلت الطائرة إلى باريس - عاصمة النور ..

في باريس

حطت بنا الطائرة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥٣ في مطار «بورجيه Bourget»، وهو المطار الرئيسي في باريس قبل افتتاح مطار أولي Orly، وانتقلنا بباص شركة الطيران الفرنسية إلى قلب العاصمة. وعند مفترق أحد الطرق كادت سيارتنا أن تصطدم بسيارة أجرة قادمة من اليمين، فنزل السائق وتشاجر مع سائق سيارة الأجرة، ولولا أن توسط المشاجرة بعض المارة لحدث ما لا تحمد عقباه. كان خلفي على المقعد سيدتان. قالت إحدهما إلى الأخرى: الآن شعرنا أننا في باريس ولسنا في لندن!...

حللت في فندق قريب من وزارة الخارجية Hôtel de la Bourdonnais، وفي اليوم التالي لوصولي ذهبت إلى وزارة الخارجية لأنظم برنامجي. كانت المسؤولة عن الموفدين آنسة اسمها Nicole Courson في مديرية المساعدة الفنية Assistance Technique بالوزارة، هيأت لي برنامج الزيارات التي كان أولها زيارة مدير المراسم، ثم أدخلتني إلى مدير إدارة الإعلام، وكان أثناء انتداب فرنسا على سورية مسؤولاً عن الإعلام والصحافة في دمشق. سألتني عن «فوزي أمين»، قلت إنه بخير إلا أن صحيفته قد أوقفت مع عدد من الصحف الأخرى في زمن الرئيس أديب الشيشكلي، قال: «من جميع الصحفيين السوريين في دمشق والمحافظات، هو الوحيد الذي أتبعني، يهاجم الحكومة ويهاجمنا بعنف، فنغلق جريدته، وإذا به يصدر في اليوم التالي الجريدة باسم آخر، ذلك أنه كان قد حصل على رخصتين لإصدار الجريدة»!...

في ٣ كانون الأول - يوم الخميس - حضرت في السفارة السورية حفلة استقبال بمناسبة ذكرى «الانقلاب» الذي قام به الشيشكلي، والذي أصبح عيداً قومياً إلى جانب العيد القومي في ١٧ نيسان.

في اليوم التالي، وحسب الموعد، ذهبت لزيارة مدير المراسم. كان من النبلاء،

كما يدل اسمه ومنظره عليه «الكونت ده لاشوفينيير Comte de la Chauvinière». كان يملك قصراً كبيراً قرب باريس ورثه عن أجداده، يزوره السياح كما يزورون قصور منطقة «اللوآر Loire»، وله فيه جناح يقضي عطلة فيه. وبالإضافة إلى نبلة وأصالته، فقد كان على جانب كبير من اللطف والإيناس وحسن الاستقبال. بعد أن تعرف على ما أريد الاطلاع عليه، قال: «سأضع لك في مكتبي طاولة تجلس إليها، ويعرض عليك بريدي تطلع عليه وتدرسه ثم تقدّمه إليّ». قلت: «هذا لطف وكرم منكم وافر، ولكنكم تستقبلون سفراء ووزراء وتحدثون في أمور ينبغي أن لا أطلع عليها، لذلك أفضل، إن أمكن، أن أجلس في مكتب آخر في الوزارة قريباً منكم». قال: «كما تشاء، سأخصص لك هذا المكتب القريب مني، وسأضع فيه أحد موظفي المراسم يكون تحت تصرفك، كما أن السكرتيرتين الخاصتين بي ستكونان تحت تصرفك أيضاً في ما تشاء الاطلاع عليه». لقد أخرجني حقاً بلطفه وحسن استقباله، ثم دعاني للغداء في داره في اليوم التالي.

قال: «دعوت مدير أفريقيا والشرق الأوسط في وزارة الخارجية لتعرف إليه، أما زوجتي فقد ذهبت إلى سويسرا، وأما ابنتي فقد جاء صديقها من كندا وذهبا للتزلج على الثلج في شامونيكس». إذا كنا ثلاثة فقط على الغداء في داره.

وفي حديث معه عن المقارنة بين الإنكليز والفرنسيين، قال: «عندما يصدر قانون في إنكلترا يقرؤه الإنكليز بتمعن ليروا كيف يطبقونه ويعملوا بموجب أحكامه، أما عندنا في فرنسا، وعندكم أيضاً (أي في سورية) فعندما يصدر قانون نقرؤه لنرى كيف يمكن أن ننفذ من ثغراته لعدم تطبيقه، لا شيء وإنما لنثبت لمن وضعه أننا أشد ذكاء منه!...». ووجدت في ذلك الكثير من الحقيقة.

كانت إدارات وزارة الخارجية مفتوحة أمامي بفضل مدير المراسم، وبفضل مدير أفريقيا والشرق الأوسط الذي تقع ضمن اختصاصه سورية وبقية الدول العربية، وبفضل مدير عام الشؤون الإدارية السفير جان سير Jean Serre، وهو يذكر سورية ودمشق بكل حب وحنين، ذلك أنه كان أول وزير مفوض فرنسي في سورية في أول عهد الاستقلال، وهو واضح كتاب البروتوكول الذي يعتبر مرجعاً أولياً في هذا العلم.

أتاحت لي الفرصة أن أطلع على أرشيف الوزارة الخاص بسورية، فوجدت أموراً هامة كثيرة تستوجب أن يتفرغ لها الإنسان ليسجل تاريخ سورية ومنطقة الشرق الأوسط في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية.

انتخاب رئيس الجمهورية الفرنسية : كان رئيس الجمهورية الفرنسية السيد «فانسان أوريول Vincent Auriol» قد انتخب في بداية عام ١٩٤٧، وبموجب الدستور الفرنسي للجمهورية الرابعة، فإن مدة الرئاسة هي سبع سنوات تنتهي في بداية عام ١٩٥٤، لذا وجب انتخاب رئيس الجمهورية الجديد قبل فترة من بدء استلامه صلاحياته.

وكان الدستور يوجب أيضاً أن يجري انتخاب رئيس الجمهورية من قبل مجلسي البرلمان، أي مجلس النواب Assemblée Nationale ومجلس الشيوخ أي Senat، وبالأكثرية المطلقة لأعضاء المجلسين، أي ٥١٪ من مجموع أصوات النواب والشيوخ.

كان مرشح اليمين «جوزيف لانييل Joseph Laniel» رئيس الوزراء الحالي وشقيق زعيم الأغلبية في مجلس النواب، وكان مرشح اليسار الزعيم الاشتراكي «نيجلان Naegelin».

تقرر أن تجري الانتخابات في القاعة الكبرى في قصر فرساي Versailles القريب من باريس التي تتسع للنواب وللشيوخ. وفي القاعة لوحة جدارية كبيرة ترمز إلى اجتماع أول مجلس للثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وفيها صورة للزعيم «Mirabeau» وجملته الشهيرة: «نحن هنا بإرادة الشعب ولن نخرج إلا على أسنة الحرب».

كان على مدير المراسم «الكونت ده لا شوفينيير» أن يحضر الانتخابات ليهيئ مراسم انتقال السلطات بين الرئيس السابق والرئيس اللاحق، لذلك كان عليه أن يذهب إلى فرساي، وقد عرض عليّ أن يأخذني معه، وطبعاً لم أتردد.

كان قد وضع في صندوق سيارته حقيبة فيها الألبسة الرسمية للنهار وللليل، فإذا تم انتخاب الرئيس في النهار، ارتدى الرئيس وصحبه ومدير المراسم «الجاكيت Jacques à taille أو البونجور» ونزلوا إلى باريس، وإذا انتخب الرئيس في الليل، كان عليه أن يمضي الليل في بلدية فرساي ويحضر حفلة يقيمها على شرفه رئيس البلدية، يكون فيها اللباس الرسمي «الفراك Habit».

بدأت دورات الاقتراع بعد الظهر من يوم الاثنين ٢١ كانون الأول ١٩٥٣، إلا أن أيّاً من المرشحين لم يحصل على الأكثرية المطلقة المطلوبة.

وأعيد الاقتراع للمرة الثانية وللمرة الثالثة، وكانت النتيجة دوماً ٤٥ - ٤٦٪ للمرشح لانييل و ٤٢ - ٤٣٪ للاشتراكي نيجلان، والباقي بطاقات بيضاء أو لأسماء أخرى.

عدنا في الليل إلى باريس على أن نعود غداً إلى فرساي، وأعيد الاقتراع للمرة الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة دون أي تغيير في النسب.

وعدنا في اليوم الثالث، وأعيد الاقتراع للمرة الثانية عشرة دون الوصول إلى نتيجة حاسمة. ولما كان عيد الميلاد قد اقترب، وكان النواب والشيوخ يريدون الذهاب إلى عائلاتهم للاحتفال بهذا العيد، تنازل لانييل عن الترشيح ورشح اليمين «رونيه كوتي René Coty»، فنجح في أول اقتراع، لا لمكانته أو كفاءته ولكن لأن النواب والشيوخ رغبوا بالانتهاء من هذه الأزمة. وقد فوجئ رونيه كوتي بانتخابه، وعندما طلب إليه أن يعلق على هذه النتيجة، قال: «إنني أجد إلى جانبي من هو أحق مني بالترئاسة!...» ويعني بذلك لانييل (كان لرونيه كوتي ثماني بنات وجد لهن أزواجاً خلال رئاسته).

بعد الانتهاء من الانتخاب، عدت إلى باريس وبقي مدير المراسم في فرساي للإشراف على الترتيبات، ولقضاء الليل في فرساي بانتظار الغد للنزول إلى باريس بموكب رسمي كان قد هياه للرئيس الجديد.

في اليوم التالي تحرك الركب بموكب رسمي من فرساي إلى باريس، وكانت الجماهير قد اصطفت على جانبي الشوارع منذ دخول الموكب باريس، مروراً بالشوارع الرئيسية حتى بناء قصر البلدية في باريس حيث كان على الرئيس الجديد المنتخب أن يوقع السجل الذهبي لمدينة باريس قبل أن ينتقل إلى قصر الرئاسة Palais de l'Elysée للسلام على الرئيس السابق فانسان أوريول، وحضور الحفلة التي يقيمها هذا الأخير على شرفه في القصر.

لقد أفدت كثيراً من هذه المناسبة، إذ هيأت، بعد سنتين، حفلة انتقال السلطات بين الرئيسين هاشم الأتاسي وشكري القوتلي بشكل موفق وجميل، وكانت تلك المناسبة الوحيدة في تاريخ سورية التي يجري فيها انتخاب رئيس الجمهورية بشكل دستوري، وانتقال السلطات بين الرئيس الذي تنتهي ولايته والرئيس المنتخب - (وسأتي لتفصيل ذلك في حينه) - ذلك لأن جميع الرؤساء، الذين جاؤوا قبل هذه المناسبة أو بعدها، جاؤوا بانقلابات عسكرية لم تعمر طويلاً.

كنت أجد فائدة في زيارة السفير «جان سير» مدير عام الشؤون الإدارية في وزارة الخارجية، وهذه الإدارة التي تقع في شارع كليبر هي من أهم إدارات الوزارة، فهي التي تهَيء تنظيم إدارات الوزارة وتنقلات السفراء والموظفين، وتهيئة ميزانية الوزارة وغيرها من شؤون الوزارة.

في حديث معه حول النظام الإداري في فرنسا بالمقارنة مع النظام الإداري في بريطانيا، قال: «في بريطانيا يُمنح الموظف الثقة في تنظيم إدارته وفي صياغة المراسلات المتعلقة بها، وقد يخطئ أحياناً في صياغتها ولا يرى غلطته. أما في فرنسا فلا بد أن يقرأ الكتاب أكثر من موظف حتى يتأكد من عدم وجود خطأ في الصياغة. فالذي يكتب لا يرى خطأه ولو قرأ الرسالة عدة مرات، لذلك وجب أن يقرأها شخص آخر فوقه.

بالإضافة إلى ما ذكرت، هيأت لي وزارة الخارجية (فرع المساعدة الفنية) زيارات لجميع المتاحف، وللمكتبة الوطنية وللمعهد الوطني للإدارة «Ecole Nationale d'administration» (ENA)، وهو أعلى معهد في فرنسا لا يدخله إلا من أوتي حظاً وفيراً، ولا يتخرج منه إلا كلٌ من تفوّق في دراسته وفي حياته العملية مثل «فاليري جيسكار ديستنج» Valerie Jiscar d'Esting رئيس جمهورية فرنسا الأسبق.

لو أمضى الإنسان عمره يزور المتاحف في باريس لا يستطيع أن يلمّ بها جميعها، فمتحف اللوفر وحده يحتاج إلى أشهر للإحاطة بجميع ما فيه من تحف، جمعتها فرنسا من مختلف بلاد العالم ولا سيّما من مستعمراتها السابقة.

أما الناحية الفنية، فإن باريس ولندن تعتبران أغنى مدينتين في هذا المجال، إذ يوجد في باريس ٦٤ مسرحاً يقدم مختلف التمثيليات، وفيها ثلاث دور للأوبرا، وتعتبر دار الأوبرا Palais Garnier، نسبة إلى المهندس الذي أنشأها، أجمل دار للأوبرا في العالم، وقد حضرت فيها أوبرا «الهنديات العاشقات» Les Indes Galantes والتي كلّف إخراجها خمسين مليوناً من الفرنكات في ذلك الحين، ولم أشاهد حتى الآن مثل ذلك الإخراج الناجح البديع، هذا عدا عن صالات الموسيقى المتعددة.

إلى جانب ذلك كان في باريس مجموعة من الطلاب الدمشقيين الذين يهيئون للدكتوراه، كنت ألتقي بهم من حين إلى آخر في مقهى «كلوني» Cluny على الناصية بين شارع سان ميشيل وشارع سان جيرمان، نتحدث في شؤون بلدنا وما نحن عليه من حال.

كانوا: الدكتور مروان محاسن (طبيب)، الدكتور عمر النص، الدكتور عبد الغني حمّور، الدكتور راتب النحاس، الدكتور نسيب شويكني. كانوا يهيئون للدكتوراه في الحقوق، الدكتور عدنان الخطيب، كان موفداً للاطلاع على نظام مجلس الدولة، الأستاذ محمود الجبّان، كان موفداً للاطلاع على تنظيم البلدية.

أحاديثنا كانت تدور حول الوضع في سورية والقلاقل التي يتعرض لها الحكم، حكم الشيشكلي. كانت مصادر معلوماتنا الصحف ولا سيما جريدة الموند، والإذاعات المحلية، وكان إخواننا ينتظرون سقوط الشيشكلي بين عشية وضحاها، ذلك أنه عندما أضرب طلاب الجامعة دخلت الشرطة ومن ورائها قوات من الجيش حرم الجامعة واعتقلت العديد من الطلاب، فقال إخواننا لقد اقترب سقوط الشيشكلي، قلت لن يسقط الآن. وبعد أن ضرب الجيش العصيان في جبل الدروز، قال إخواننا الآن جاء أجل الشيشكلي، قلت لم يحن بعد. وبعد أن اعتقل الشيشكلي زعماء حزب الشعب وبعض الأحزاب الأخرى نتيجة تأسيس «الجبهة الوطنية» التي طالبت بإعادة الحياة الدستورية، قال إخواننا الآن سقط الشيشكلي، قلت لن يسقط الآن. وبعد أن هاجم الشيشكلي أمريكا وبريطانيا، قال إخواننا لا بد من سقوط الشيشكلي الآن، قلت لن يسقط.

بعد مدة قرأت في جريدة «الموند» أن الشيشكلي يهيء قانوناً يعطيه صلاحية تسريح من يريد من ضباط الجيش وتخفيض رواتب ومخصصات الضباط، عندئذ قلت لإخواني: الآن سقط أديب الشيشكلي، وبالفعل لم تمض أيام على هذا المقال حتى حدث الانقلاب الخامس، ذلك أن من يتعرض لمكتسبات الضباط لا بد وأن يكون مصيره إلى الزوال.

كانت فترة دراستي وإطلاعي قد انتهت في العشرين من شباط ١٩٥٤، وتهيأت للعودة إلى دمشق، إلا أنني أحببت أن أودّع فرنسا بحضور الكرنفال في مدينة نيس بجنوب فرنسا، ذلك أنني كنت سمعت عنه الكثير، لا سيما مهرجان الزهور الذي يتبعه. قال لي الدكتور عدنان الخطيب إنه سيرافقني إلى نيس في طريقه إلى إسبانيا، وهكذا كان.

في مساء ٢٤ شباط ١٩٥٤، استقلت الطائرة الهولندية KLM من نيس إلى دمشق، فتوقفت في طريقها في أثينا حيث بذلت طاقمها، ومن أثينا إلى دمشق، وبعد منتصف الليل، كنت الراكب الوحيد على متنها.

وصلت الطائرة إلى مطار المزة في الخامسة صباحاً، وجاء موظف الشركة يستقبلنا. قلت له: «تركت نيس تحت المطر وهنا أجد السماء صافية والطقس جميلاً». قال: «الطقس الطبيعي جميل، أما الطقس السياسي فغير ذلك. لقد حدث انقلاب على الشيشكلي وطلب إلينا تهينة طائرة له لأنه يعترم مغادرة البلد»، قلت: «وكيف سأصل إلى بيتي في دمشق؟»، قال: «هيا بنا لكم ولطاقم الطائرة سيارة تنقلكم إلى دمشق».

في الطريق إلى دمشق، وجدنا ثلاث سيارات قد وقفت معترضة الطريق، وتبين لنا أنها تعود لثلاثة صحفيين جاؤوا مع مصوّر لالتقاط صورة أديب الشيشكلي وهو يغادر دمشق. وقفت السيارات قبل مشفى المواساة بقليل وكانت لنصوح بابل صاحب «الأيام»، ووجيه الحفار صاحب «الإنشاء»، وفوزي الأمين صاحب «النقاد»، وكانوا قد علموا أن أديب الشيشكلي طلب تجهيز طائرة في مطار المزة ليغادر عليها دمشق، إلا أن فالهم قد خاب، ذلك أن أديب الشيشكلي غادر بالسيارة إلى بيروت بالطريق البرية، وفوت عليهم السبق الصحفي الذي كانوا يأملون تحقيقه.

وصلت البيت وكان والدي يصلي الفجر، فكانت سعادتي كبيرة بلقائه ولقاء إخوتي، سيما وأن أخي صلاح الدين كان أعلمني أن صحة والدي قد تدهورت منذ مدة وعليّ أن أقطع دراستي وأعود لدمشق فوراً، ثم أبرق ليقول إن صحته قد تحسنت ولا مانع من إتمام الدراسة. وقد أتممتها ووضعت تقريراً عن نظام المراسم يعتبر كتيباً في هذا المجال، قدّمت نسخة منه إلى مدير المراسم في وزارة الخارجية الكونت ده لا شوفينيير، وبعثت بنسخة إلى منظمة الأمم المتحدة قسم (المعونة الفنية) عن طريق مديرية المعونة الفنية في وزارة الخارجية الفرنسية، واحتفظت بنسخة لي أعانتي على تنظيم المراسم في القصر.

لقد أفدت فائدة جلّى من هذه المنحة التي حصلت عليها من نظام المعونة الفنية، في الأمم المتحدة، ولا أعتقد أنه كان بإمكانني الحصول على المعلومات التي حصلت عليها في بريطانيا وفي فرنسا لو أردت أن أدرسها بدون هذه المساعدة الفنية وبدون هذه البرامج التي وضعت لي في كلا البلدين، ولو أردت أن أكتب بالتفصيل كل ما شاهدت وكل ما اطلعت عليه لكان ذلك مؤلفاً من مئات الصفحات، وما زلت أذكر، وبحنين، كل ساعة، بل كل دقيقة من تلك الأشهر الستة التي قضيتها بين لندن وباريس، وكل شخص قابلته وكل حديث أجرته معه، وأكتفي بما ذكرت.

الفصل الثاني

الانقلاب الخامس

بدأ الانقلاب الخامس هذه المرة من الشمال، ومن حلب بالذات، وكان رائده النقيب مصطفى حمدون، ثم لم تلبث بقية القطاعات في الشمال وفي الوسط والغرب أن التفت حوله.

أذاع مصطفى حمدون بيانه من إذاعة حلب يوم ٢٥ شباط ١٩٥٤، واعدأ بإعادة الحياة الدستورية إلى البلاد، وإعادة الحكم إلى أصحابه، وإعادة الجيش إلى ثكناته.

فكّر الشيشكلي في البداية بضرب هذا العصيان بالقوة، يسانده في ذلك النقيب عبد الحق شحادة آمر الشرطة العسكرية، والنقيب حسين حدة آمر المدرعات، وإلى حد ما الزعيم شوكت شقير رئيس الأركان. إلا أنه بعد أن تبين له أن أكثر القطاعات في سورية، ولا سيّما آمر المنطقة الوسطى العقيد محمود شوكت، الذي خصّه الشيشكلي بتقدير لا يستحقّه، قد أثبتت الانقلاب، خشي أن يتقاتل الجيش وتسيل دماؤه فقرر الاستقالة ومغادرة البلاد إلى بيروت في المرحلة الأولى من اغترابه.

اتصل به هاتفياً عبد الحق شحادة، وقال له إنه على استعداد أن يؤدب العصاة، فرد عليه الشيشكلي بحزم، وبلغته المعروفة، أنه لو أراد البقاء لفعل ذلك، إلا أنه يريد أن يصون وحدة الجيش ويجنبه الاقتتال، وهذه ماثرة للشيشكلي يذكره الجميع بها ويقدرونه عليها.

إلا أن عبد الحق شحادة كان يريد من بقاء الشيشكلي في الحكم، ولو لبضعة أيّام، أن يوقع له طلب العفو الخاص الذي كان قدّمه قبل أيّام من الانقلاب. ذلك أنه كان قد صدر عليه حكم لجرم ارتكبه، فتقدّم بطلب العفو الخاص هذا، ولمّا لم يستجب له الشيشكلي، جاء بالدكتور مأمون الكزبري الذي كان رئيساً لمجلس النواب ونصّبه رئيساً للجمهورية بالوكالة - حسب الدستور - فوقع له العفو الخاص، ثم استقال بعد يومين وغادر البلاد.

اجتمع قادة الانقلاب الجديد وبعض زعماء الأحزاب إلى الرئيس هاشم الأتاسي في حمص، وطلبوا إليه العودة لإتمام فترة رئاسته ولإعادة الحياة الدستورية إلى البلاد، ودعى البرلمان القديم إلى الاجتماع، وتشكّلت حكومة جديدة في الأول من آذار ١٩٥٤ برئاسة صبري العسلي، واحتفظ فيها معروف الدواليبي بوزارة الدفاع.

قررت الوزارة عدم الاعتراف بما صدر في فترة حكم الشيشكلي من قوانين ومراسيم تشريعية، وكأن تلك الفترة لم تمر بتاريخ سورية.

واستناداً إلى ذلك القرار، أصدرت وزارة العسلي قانوناً يقضي بمطالبة الوزراء الذين خدموا في عهد الشيشكلي بإعادة ما تقاضوه من رواتب، ومع أن ذلك القانون لم يؤخذ به ولم يطبق، إلا أنه أتاح المجال للدواليبي أن يطالب برواتبه عن تلك الفترة، فاستدعى فخامة الرئيس وزير المالية الأستاذ عبد الرحمن العظم وسأله عن الموضوع، فأفتى بعدم استحقاق الدواليبي لتلك الرواتب «لعدم ممارسته مهام منصبه»، فارتاح فخامة الرئيس لهذه الفتوى.

وعادت الخلافات الحزبية تنخر بالعهد الجديد. فمن حصل على منصب من الوزارة سعى لتأمين مستقبله ومستقبل حزبه (حزب الشعب والحزب الوطني)، ومن لم يدخل الوزارة أثار الشغب والمظاهرات والاضطرابات (أكرم الحوراني وحزب البعث) لا سيّما وأنهما كانا وراء الانقلاب، إذ كان الحوراني «في كل انقلاب ومع كل انقلاب وعلى كل انقلاب»، كما قال عنه الصحفي اللبناني المعروف «كامل مروّة».

اضطرت وزارة العسلي إلى الاستقالة في ١٩ حزيران ١٩٥٤، فكلف الرئيس الأتاسي سعيد الغزي بتشكيل وزارة حيادية تشرف على الانتخابات النيابية في أيلول ١٩٥٤، إلا أنها استقالت قبل ذلك التاريخ وحلّت محلّها وزارة فارس الخوري.

في القصر الجمهوري عاد الموظفون القدامى إلى عملهم: الدكتور خالد شاتيلاً أميناً عاماً، عبد الله الخاني رئيساً لدائرة المراسم ومعاوناً للأمين العام، خليل السعداوي للديوان، عبد الوهاب زين العابدين للآلة الكاتبة. أمّا خالد العسلي وعبد المجيد الطرابلسي فقد نقلوا إلى وزارة الخارجية، وعيّن العقيد جمال فيصل مرافقاً عسكرياً لفخامة الرئيس، وقد خصّوه به لأنه ضابط من حمص، ولم يكن ذلك الانتقاء موفقاً بالنسبة لفخامة الرئيس الذي يعرف جميع أهل حمص ويعرف أصلهم وفصلهم... وقد استبدله فيما بعد بالملازم الأول مأمون تحسين.

لم يشأ الرئيس الأتاسي أن يسكن في المنزل الذي اتخذ مقراً للرئيس الجمهورية في شارع الروضة، بل اكتفى بالإقامة في غرفة متواضعة هيئتها له في القصر الجمهوري في المهاجرين، ويشرف على خدمته فيها أحد أذني القصر، وكان يعيش فيها عيشة بسيطة.

خلال فترة الرئيس الأتاسي الثانية هذه، أي من آذار ١٩٥٤ إلى ٦ أيلول ١٩٥٥، تشكّلت أربع حكومات:

وزارة صبري العسلي : من ١ آذار ١٩٥٤ إلى ١٩ حزيران ١٩٥٤ واستمرت ثلاثة أشهر وتسعة عشر يوماً.

وزارة سعيد الغزّي : من ١٩ حزيران ١٩٥٤ إلى ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٤ واستمرت أربعة أشهر وعشرة أيام.

وزارة فارس الخوري : من ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٤ إلى ١٣ شباط ١٩٥٥ واستمرت ثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً.

وزارة صبري العسلي : من ١٣ شباط ١٩٥٥ إلى ١٣ أيلول ١٩٥٥ واستمرت سبعة أشهر.

أمور حدثت في القصر تستحق الذكر

رؤساء الأركان العرب: عقد رؤساء الأركان العرب اجتماعاً في دمشق، في الأسبوع الأول من حزيران ١٩٥٤، وأقام لهم وزير الدفاع مأدبة غداء في فندق بلودان الكبير، ودعاهم فخامة الرئيس الأتاسي إلى حفلة شاي في اليوم نفسه تقام في حدائق القصر.

ولما كان الدكتور شاتيليا يحب أن يهيئ كل شيء قبل وصول الوفود، فقد نصب الموائد في حدائق القصر منذ ظهر ذلك اليوم، ووضع عليها جميع أنواع المأكولات والحلوى، إلا أن الأمطار هطلت في عصر ذلك اليوم بشكل لم تعرفه دمشق من قبل؛ إذ إن عاصفة شديدة هبت على دمشق، وانهمر المطر والبرد بشكل شديد خرب جميع المأكولات.

وظافت مياه بردى وانقطع السير عن طريق الهامة ودعمر والربوة، فاضطرت الوفود أن تأتي عن طريق المزة التي لم تكن معبّدة بعد، واضطرونا لتعويض المأكولات بغيرها على عجل. وما زالت ذكرى ذلك اليوم ماثلة في أذهان سكّان دمشق، إذ كيف يمكن أن تهطل مثل هذه الأمطار الغزيرة في شهر حزيران؟!

الرئيس ومصطفى السباعي: طلب الشيخ مصطفى السباعي موعداً من فخامة الرئيس وحضر لمقابلته. كان الشيخ السباعي - وهو من حمص، والرئيس يعرف أصله واتجاهاته - أستاذاً في كلية الشريعة، وأثناء المقابلة سمعت الرئيس يصرخ بأعلى صوته، فصعدت إليه بأسرع ما أستطيع، قال لي: «خذ وضعه في السجن، إنه يهددني، ضعه الآن في السجن».

أنزلت السباعي إلى غرفة الدكتور شاتيل وعدت إلى الرئيس الذي كان مهتماً ومتأثراً، قال: «هذا اللعين يهددني بأنني إن لم أمنحه درجة استثنائية في كلية الشريعة فسيثير الطلاب ضدي. ضعه في السجن».

نزلت إلى الشيخ السباعي أستوضحه الخبر، قال: معاذ الله أن أهدد فخامة الرئيس، كل ما قلته له إن الطلاب يريدونني أستاذ مادة الشريعة لهم، وإنهم إن لم يحصلوا على ما يرغبون، سيمتنعون عن الحضور إلى الكلية، وإنني على استعداد أن أفسر ذلك مجدداً لفخامة الرئيس وأن أقبل يده».

عدت إلى الرئيس أشرح له ما قاله السباعي وأهدئته، وقلت له: «إن السباعي يريد أن يعتذر لفخامتكم ويقبل يدك»، قال: «لا أريد أن أرى وجهه، لعنة الله عليه». وانتهى الأمر عند هذا الحد.

اغتيال عدنان المالكي: في الملعب البلدي، وأثناء مباراة بكرة القدم كان يشهدها العقيد عدنان المالكي، جاء جندي من خلفه وأطلق عليه النار فأراه قتيلاً، وجاء جندي آخر فأطلق النار على الذي اغتال المالكي (انتقاماً للمالكي في ظاهره، ولكن لإخفاء الحقيقة)، فقتله: كان ذلك في ٢٢ نيسان ١٩٥٥.

اتهم الحزب السوري القومي بتدبير هذه المؤامرة، ولوحق أعضاؤه، وكلّف جلال عقيل بالتحقيق معهم، واقترح ضبط الجيش الإسراع في إجراءات التحقيق، فاقترحوا تعديلاً في قانون العقوبات العسكرية جاؤوا به إلى فخامة الرئيس. ولدى الاطلاع عليه رفضه وثار وصرخ: «أنا لا أعدّل القوانين والدساتير من أجل شخص»، وتأثر واحتاج وعلا صوته إلى درجة أنه أصيب بفالج جزئي في وجهه، وقد خشينا جداً عليه واستدعينا على عجل الدكتور حسني سبيح والدكتور إسماعيل عزت اللذين بدأ بأعطائه العلاج اللازم بحقنة بطيئة في الوريد. قال لي الدكتور شاتيل: «فلنستدع أيضاً أطباء من مشفى الجامعة الأمريكية في بيروت»، فاتصلت بالدكتور قسطنطين زريق رئيس الجامعة الأمريكية، فأرسل إلينا على عجل طبيباً أمريكياً والدكتور منيب شهيد (الذي كان أستاذاً عندما كنت في الجامعة الأمريكية). حضر الطيبان إلى

دمشق في اليوم ذاته وأقرأ الطبيب سبوح وعزّت على معالجته وعادا إلى بيروت.
استمرت المعالجة أسبوعين، عاد بعدهما الرئيس إلى طبيعته معافى من الفالج
الجزئي في وجهه نتيجة تأثره من الضباط.

مجلس الشيوخ: عاد فخامة الرئيس يستقبل أصدقاءه من مجلس الشيوخ في
الأمسيات التي لا يكون عنده لقاء رسمي، وكان قد توفي منهم عطا الأيوبي (رئيس
الوزراء الأسبق) والشيخ عزيز الخاني (قاضي دمشق الممتاز)، وكان لقاءه بهم تسليته
الوحيدة.

زيارة معرض دمشق الدولي: افتتح معرض دمشق الدولي دورته الثانية في أيلول
١٩٥٤، فطلب مدير عام المعرض إلى الرئيس أن يتفّصل بزيارة الأجنحة، فقبل
ورافقته. وقمنا بجولة في أرجاء المعرض، زرنا خلالها مختلف الأجنحة بلا حراسة
ولا أمن وحتى بدون المرافق العسكري. وعندما كنا نزور بعض الأجنحة في التكتية
السليمانية، أدّن المؤذن لصلاة المغرب، فتركنا الرئيس وذهب ليصلي المغرب مع
الجماعة، ووقف في آخر صف. وبعد الانتهاء، ليس حذاءه وعاد لإتمام الزيارة. قلت
له في نفسي: «هنيئاً لك على إيمانك، وهنيئاً لك على بساطتك، وهنيئاً لك على
ديمقراطيتك»، ذلك بأن الرؤساء من الضباط قبله وبعده، ما كانوا يتحركون إلا وتحيط
بهم مفارز الأمن والشرطة تفسح لهم الطريق وتفرغه من المارة ومن السيارات وتحيط
بهم من كل جانب.

لقد كان احترام الجميع للرئيس الأناسي وتقديرهم له خير حارس وأفضل أمن،
وقد ذكرني بما قيل للخليفة عمر بن الخطاب: «عدلت فأمنت فنمت».

الرئيس وخالد العظم: لم يكن الانسجام تاماً بين الرئيس وخالد العظم، لذلك لم
يكلّفه بتشكيل أي وزارة، عدا عن كون خالد العظم كان يفتقر إلى الأكثرية البرلمانية
لتأمين ثقة المجلس بأي حكومة يشكّلها، فلم يكن لديه حزب منظم يدعمه، لذا كان
يعتمد على كتلة المستقلين الذين كانوا يميلون مع أي اتجاه يأخذ منهم وزيراً أو
وزيرين، واكتفى العظم بأن يكون وزيراً للخارجية ووزيراً للدفاع بالوكالة في وزارة
صبري العسلي.

ولكي ينتقم خالد العظم من الرئيس أنهى نذب الدكتور خالد شاتيللا إلى القصر
وطلب إليه العودة إلى الخارجية ليرسله سفيراً إلى إسبانيا، مما أزعج الرئيس الذي
اقترح تعيين الدكتور نجيب الأرمنازي أميناً عاماً مكانه، ورفض خالد العظم ذلك
واقترح عوضاً عنه الأمير مصطفى الشهابي، فرفضه الرئيس.

ولمّا كان ذلك قد تمّ في ١٣ حزيران ١٩٥٥، أي قبل انتهاء ولاية الرئيس بثلاثة أشهر فقط، فقد كلّفني بالأمانة العامة بالوكالة، ولم يرغب تعيين أي أمين عام جديد، وكان ذلك ثقة كبيرة بي وفضلاً منه.

وبرز الخلاف مجدداً بين الرئيس وخالد العظم بمناسبة عيد الأضحى، إذ كانت العادة أن يستقبل الرئيس المهنيين حسب جدول نضجه، مبتدئين برئيس الوزراء والوزراء. وقد حضر صبري العسلي وأعضاء حكومته ولم يحضر خالد العظم ممّاً أثار حفيظة الرئيس الأتاسي، فأرغد وأزبد وثار على خالد العظم في غيابه، ممّاً جعلنا نخاف عليه مجدداً من أن تعود إليه أزمة الفالج، وقد هدّاه صبري العسلي واعداً بأن يأتيه بخالد العظم في القريب العاجل.

الرئيس ومعروف الدواليبي: لم يكن الرئيس يحترم الدكتور معروف الدواليبي كثيراً، فهو يعرف محتده ويعرف والده ويعرف سيرته السياسية. كان، بعد أن يوقّع البريد الذي أقدمه له، يستبقيني ليحدّثني عن بعض ذكرياته، وكنت أجد متعة وثقافة وعلماً في ذلك، إذ إنه عاش أحداث سورية منذ الملك فيصل الأول وعرف جميع شخصياتها، ولو أردت أن أسرد جميع ما ذكره لي لمأت الكتب عنه.

الوضع السياسي

لم تكن هذه الفترة مريحة، لا بالنسبة للرئيس الأتاسي ولا بالنسبة للأحزاب السياسية التي اشتدت خلافاتها، ولا بالنسبة لسورية عامة التي تصدّت لحلف بغداد (تركيا والعراق)، وقاومت الضغوط التركية والبريطانية للدخول في هذا الحلف، كما تصدّت للضغوط الأمريكية بجّرها للقبول بمشروع دالاس، الذي كان ظاهره العطف على اللاجئين الفلسطينيين وحقيقته الاعتراف بإسرائيل والتعاون معها، وللقبول أيضاً بمشروع جونستون لتحويل مجرى نهر الأردن واقتسام مياهه بين إسرائيل وسورية والأردن، بما يهدف أيضاً لإعطاء إسرائيل الحصّة الأوفى من مياهه والاعتراف بها والتعاون معها، وقد وقفت سورية بصلافة تجاه هذه الضغوط مجتمعة.

ولمّا كانت ولاية الرئيس الأتاسي ستنتهي قريباً، فقد شعرت الأحزاب والجمعيات والنقابات، وشعر المواطنون بالحاجة إلى رئيس شديد المراس، صلب العود، قوي العزيمة، واسع المعرفة بشؤون السياسة ويتمتع باحترام الدول العربية، يستطيع أن يحمي سورية من هذه الأحداث الخطيرة ويقود سفيتها وسط هذه الأنواء المضطربة إلى شاطئ الأمان.

فتوجّهت الأنظار إلى الرئيس شكري القوّتلي، وقامت الوفود من رجال السياسة ورجال الدين ورجال الاقتصاد ومن الجمعيات، ومن مختلف الطوائف بالسفر إلى الإسكندرية مطالبة الرئيس القوّتلي بالعودة إلى دمشق لقيادة سورية في هذه المرحلة الحرجة من تاريخها.

لم تكن خطورة الأوضاع في سورية خافية على الرئيس القوّتلي، ولا سيطرة الضباط وأوضاع الأحزاب، إلا أنه كان دوماً رجل الصدام والأزمات الصعبة، لا يخشى التزال ولا يهاب التحدي، يخاف على سورية من أن تقع فريسة لقوّات الدول العظمى، ولا سيّما الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، تحرّكان تركيا والعراق للاعتداء على سورية.

لقد صعب عليه أن يقول «لا» لمن جاء يستنجد به، وهو يعلم خطورة هذه المرحلة وصعوبتها، وكان أمام أحد خيارين، أحلاهما مر:

- إمّا أن يعتذر ويدع الأمور تسوء والأوضاع تندهور، وهو الذي ناضل في سبيل استقلال سوريا وحمايتها من كل معتد أثيم، وفي هذه الحالة لا يمكنه أن يرتاح نفسياً ولا روحياً ولا عقلياً، ويخشى تحمّل مسؤولية رفضه.

- وإمّا أن يقبل ويدخل المعركة، ويسعى جهده لدفع الخطر وحماية البلد، وهذه هي طبيعته. فهل يتخاذل ويتراجع؟ لا يمكنه أن يرفض الدخول في المعركة لحماية ما يمكن حمايته من سورية. فقبل الدعوة والتحدي وعاد إلى دمشق.

هنالك من يقول إنه أراد أن يرد اعتباره لنفسه بعد انقلاب حسني الزعيم عليه، كما أن هنالك من يقول إن مصر والسعودية ضغطتا عليه ليعود ويقف في وجه حلف بغداد والهلال الخصيب. فهل هذه هي أيضاً من الأسباب التي دفعته إلى القبول بهذه المجازفة؟

ربما كانت جميع هذه العوامل مجتمعة هي التي حملته على العودة، وعلى مجابهة كل هذه المخاطر.

الفصل الثالث

انتخاب الرئيس القوّتلي

كانت ولاية الرئيس هاشم الأتاسي ستنتهي في السادس من أيلول ١٩٥٥، لذا وجب إجراء انتخاب الرئيس الذي سيملاً هذا المنصب قبل فترة تمتد من ثلاثة إلى أربعة أسابيع، وقد تحدد يوم ١٥ آب ١٩٥٥ موعداً لإجراء هذا الانتخاب.

كان الدستور يوجب أن يحصل الرئيس المنتخب على الأكثرية المطلقة، أي ٥١٪ من أصوات السادة النواب في الاقتراع الأول، فإن لم يحصل على هذه النسبة اكتفي بالأكثرية النسبية في الاقتراع الثاني.

رشّح الحزب الوطني الرئيس شكري القوّتلي لهذا المنصب، ورشّحت الكتلة الديموقراطية السيد خالد العظم، ولم يتقدّم لترشيح نفسه غيرهما.

في الاقتراع الأول الذي جرى في ١٨ آب لم يحصل أي من المرشحين على الأكثرية المطلقة المطلوبة للنجاح بالمنصب، فجرى الاقتراع الثاني، وحاز الرئيس القوّتلي فيه على ٩١ صوتاً، وأعلن رئيس المجلس، الدكتور ناظم القدسي، انتخابه رئيساً للجمهورية، على أن تبدأ ولايته في السادس من أيلول. وقد حضرت هذا الانتخاب في مجلس النواب، وصوّت حزب الشعب برئاسة رشدي الكيخيا لانتخاب الرئيس القوّتلي، وكان حزب البعث وأكرم الحوراني يدعمون انتخاب خالد العظم.

تهنئة وداع الرئيس الأتاسي

كان عليّ أن أهنيء وداعاً لفخامة الرئيس الأتاسي يتناسب مع مكانته ومع احترامي الشديد له ومع تقدير الجميع له، فوضعت برنامجاً لمجموعة من حفلات العشاء نقيمها في حدائق القصر الجمهوري للحكومة ونواب المجلس، وأخرى للسفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية، وأخرى لرجال الدين الإسلامي والمسيحي، وغيرها لنقابات الأطباء والمحامين والمهندسين والصيدالة والمهن الحرة، وغيرها لاتحاد

نقابات العمّال والفلاحين، وأخرى لأعضاء غرف التجارة والصناعة والحرفيين، وأخرى لكبار ضباط الجيش والقوّات المسلّحة. وهكذا كانت عندنا، كل مساء، حفلة عشاء تكريماً لهؤلاء الناس ووداعاً وتقديراً لفخامة الرئيس الأتاسي، وكان مسروراً لذلك فكّرمني والزميل خليل السعداوي بأن منحني درجة في سلّم الترفيع، فأصبحت مديراً عاماً، بالإضافة إلى كوني أميناً عاماً، بالوكالة في رئاسة الجمهورية، كما منحني وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى وصورته موقّعة بيده الكريمة، أحفظ بها مع أئمن ما أحفظ به، ومنح الزميل السعداوي وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية.

كنت مسروراً بما منحني إيّاه، وكنت سعيداً جداً أن أقوم بما يمليه عليّ احترامي لهذه الشخصية العظيمة، ولكي تكون خاتمة حياته السياسية والعملية على هذا الشكل من الإجلال والتقدير والاحترام، وأن ما قمت به كان جزءاً يسيراً ممّا أكثّه له من إجلال واحترام.

في الوقت ذاته كان عليّ أن أستقبل وفود المهنيين لفخامة الرئيس القوّتلي من الحدود أو من المطار، وأقوم بما يلزمهم من عناية وتكريم، وأن أودّعهم إلى الحدود وإلى المطار.

وقد جاءت وفود كثيرة، وعلى أعلى المستويات، من مصر ولبنان والسعودية والعراق والأردن ومن سائر الدول العربية، عدا الوفود من الدول الأوروبية الصديقة، وتمكنت، بحمد الله، من القيام بأعباء العاملين معاً: حفلات الوداع لفخامة الرئيس هاشم الأتاسي، وحفلات الاستقبال والتهنئة لفخامة الرئيس شكري القوّتلي.

حفلة انتقال السلطات بين الرئيسين هاشم الأتاسي وشكري القوّتلي

للمرة الأولى، وللمرة الوحيدة في تاريخ سورية، جرى انتقال السلطات بين رئيس الجمهورية السلف ورئيس الجمهورية الخلف، بشكل دستوري وبشكل أنيق ومنظم. وضعت برنامجاً لذلك استوحيته، إلى حد ما، من انتقال السلطات في فرنسا بين فانسان أوريول ورونيه كوتي الذي كنت أشرت إليه فيما سبق وكنت حضرته عندما كنت في باريس، أوجزه فيما يلي:

البرنامج

- في موكب رسمي وباللباس الرسمي (فراك) ينتقل الرئيس القوّتلي من منزله في العفيف إلى القصر الجمهوري، يرافقه رئيس الوزراء صبري العسلي والمدير العام

للشرطة والأمن ومدير المراسم والمرافق العسكري في القصر، يؤدي له حرس الشرف التحية وتعزف فرقة الموسيقى النشيد السوري، ثم يستقبله أمام الباب الداخلي الرئيس الأتاسي ورئيس مجلس النواب الدكتور ناظم القدسي، وبعد استراحة يقلد الرئيس الأتاسي الرئيس القوتلي الوشاح الأكبر من وسام أمية الوطني.

- وبموكب رسمي، وفي سيارة الرئاسة المكشوفة، يتوجه صاحبها الفخامة من القصر الجمهوري إلى مجلس النواب، ويجلس الرئيس الأتاسي إلى اليمين والرئيس القوتلي إلى اليسار، والمرافق العسكري إلى جانب السائق.

- يستقبل صاحبي الفخامة لدى الباب الخارجي للمجلس النيابي رئيس المجلس النيابي ورئيس مجلس الوزراء والوزراء ويصحبوهما إلى قاعة الاستقبال.

- يفتتح رئيس مجلس النواب جلسة المجلس ثم يعود ليدعو صاحبي الفخامة لدخول قاعة المجلس، وبعد جلوسهما يدعو فخامة الرئيس شكري القوتلي لأداء اليمين الدستورية.

- تطلق المدفعية إحدى وعشرين طلقة إيداناً بتولي فخامة الرئيس القوتلي صلاحياته الدستورية.

- بعد أن يلقي فخامة الرئيس القوتلي كلمته، ينتقل الرئيسان ورئيس المجلس النيابي ورئيس مجلس الوزراء ورئيس المحكمة العليا، إلى قاعة الاستقبال يتبعهم النواب والوزراء وأعضاء السلك السياسي.

- يقدم الأمين العام لرئاسة الجمهورية وثيقة انتقال السلطات إلى رئيس المجلس النيابي الذي يقرؤها علناً ثم يقدمها إلى فخامة الرئيس هاشم الأتاسي فيوقعها، ثم إلى فخامة الرئيس شكري القوتلي الذي يوقعها بدوره، ثم يوقعها هو ودولة رئيس مجلس الوزراء ورئيس المحكمة العليا.

- توقع هذه الوثيقة على نسختين، تحفظ الأولى في قصر الرئاسة وتحفظ الثانية في المجلس النيابي.

- يتقدم الوزراء والنواب ورؤساء البعثات السياسية وكبار موظفي الدولة من صاحبي الفخامة مهنيين ومودعين.

- يغادر صاحبها الفخامة المجلس النيابي إلى قصر الرئاسة بذات الموكب الرسمي، ويجلس الرئيس القوتلي إلى اليمين في السيارة والرئيس الأتاسي إلى اليسار والمرافق العسكري إلى جانب السائق.

- يقيم فخامة الرئيس شكري القوتلي في قصر الرئاسة مأدبة غذاء تكريماً لفخامة الرئيس الأتاسي.

وقد تمّ تنفيذ هذا البرنامج بحذافيره وبالذقة المتناهية.

بعض ما تضمّنه خطاب فخامة الرئيس القوتلي

بعد تقديمه الشكر لمن أولاه ثقته بانتخابه، قال:

«... أمّا الذين توجّهوا باختيارهم إلى مرشّح سواي، يؤسفني أن لا يكون اليوم حاضراً هذه الجلسة بسبب مرض ألمّ به، فقد قاموا بعمل هو من طبيعة الحياة الديموقراطية العريقة ومألوف التقاليد الجمهورية الأصيلة، ولهؤلاء وأولئك عندي منزلة واحدة بحكم المهمة الخطيرة الملقاة على عاتقي باسم الأمة.

وإنّي الآن، وقد طويت صفحة الانتخاب، لأودّ من صميم قلبي أن تتجه الأحزاب والهيئات نحو اتحاد قومي في هذه الأزمات الصعاب التي نواجهها نحن، ويواجهها العالم العربي بأسره فيشدّ بعضنا أزر بعض في العمل على إسعاد وطننا ورفع مستوى شعبنا وإدراك المثل العليا التي تستهوي أفئدتنا، ونتطلّع من خلالها إلى إنشاء مجتمع يسوده الحقّ والعدل والإخاء.

أيها النواب الكرام،

قد تتساءلون عن البرنامج الذي وضعته لنفسي وقررت اتباعه والاهتداء به، فأقول إنّ هذا البرنامج قد تلوته عمّا قليل، إنّهُ في القَسَم الذي أشهدت الله عليه، وآليت على نفسي أمامكم ألاّ أدّخر جهداً في سبيله: هو التمسك بالدستور، رمز سيادة الأمة وعنوان ضميرها القومي، واحترام القوانين، والمحافظة على حرّيات الشعب ومصالحه وأمواله، والإخلاص للنظام الجمهوري في السرّ والعلن، وحماية استقلال الوطن وسلامة أرضه وتعزيز قوانا الدفاعية التي توكل إليها هذه المهمة، والسعي لتحقيق وحدة البلاد العربية التي تربط بينها أوثق الصلات وأبقاها على الدهر حتى تصبح أمنية اليوم حقيقة الغد...».

وهكذا نرى أن خالد العظم لم يحضر هذه الجلسة «لمرض سياسي» ألمّ به.

بعد مأدبة الغذاء التي أقامها الرئيس القوتلي للرئيس الأتاسي في القصر الجمهوري، جرى وداع حافل للرئيس الأتاسي، إذ ذهب الرئيسان بموكب رسمي إلى القابون (حدود مدينة دمشق)، حيث أقيم سرادق خاص، ووقف أمام الحرس

الجمهوري مع موسيقى الدرك، فعزفت النشيد السوري وأدت لهما التحية، فاستعرضها الرئيسان، وكان في السراشق أعضاء الحكومة ورئيس وأعضاء مكتب مجلس النواب ورئيس الأركان العامة، ثم ودّع الرئيس الأتاسي الرئيس القوتلي، وبموكب رسمي اتجه إلى حمص، حيث مدينته ومنزله.

واستقبل موكب الرئيس الأتاسي في «حسيه» - حدود محافظة حمص - استقبالا رسميا، اشترك فيه محافظ حمص وقائد المنطقة الوسطى وقائد لواء الدرك ورئيس الشرطة وكبار موظفي محافظة حمص. وفي حمص، وأمام دار فخامته، جرى له استقبال رسمي من قبل الجيش والشرطة والدرك والموسيقى التي عزفت النشيد السوري تحية له.

وقد رافقته حتى منزله، وبعد أن اطمأنت على أن جميع الترتيبات التي وضعتها لتحيته واحترامه قد نُفذت بحذافيرها، استأذنته وعدت إلى دمشق.

وكنّت، كلّما سنحت لي الفرصة، أذهب إلى حمص لزيارته وتقديم الاحترام له والاطمئنان عن صحته وراحته.

وأورد، فيما يلي، خطاب الدكتور ناظم القدسي رئيس مجلس النواب في الحفلة التي أقامها على شرف فخامة الرئيس الأتاسي في حديقة مجلس النواب في الخامس من أيلول ١٩٥٥:

«سيدي فخامة الرئيس الجليل، سادتي المحترمين،

إنّهُ لشرف عظيم أن أعرض لفخامتكم بلسان زملائي السادة النواب وبلساني، عمّا تكنّه نفوسنا لفخامتكم، وما تحفظه قلوب أبناء الأمة التي أولتنا شرف تمثيلها من عظيم الإجلال وبالغ الاحترام لشخصكم الكريم، وما تشعر به نحوكم من عرفان الجميل للأيدي البيضاء التي أسديتموها والخدمات الجلّي التي قدّمتموها في مختلف مراحل النضال منذ انبثاق نهضتنا القومية، وانطلاق حركتنا الوطنية.

وقد ترأّستم في عام ١٩١٨ (ألف وتسعمائة وثمانية عشر) المؤتمر السوري الذي انبعثت منه كلمة الأمة السورية معلنة تحررها واستقلالها وخلصها من نير الاستعمار الذي رزحت تحته مدى أحقاب.

وشكّلتم الوزارة السورية في عهد الاستقلال التي نألت عليه قوى المستعمرين فانبرت الأمة في شتّى الميادين تدافع عن حقّها، وتدفع العدوان وتقاوم

الطغيان، فكنتم في سائر مواقفكم المشرفة قدوة للعاملين المخلصين، وإماماً للمجاهدين المناضلين ومثالاً للقائد الحكيم والأب الرحيم والراعي الأمين.

وبعد طول الجهاد، ترأستم الجمعية التأسيسية عام ١٩٢٨ فوضعتكم مع إخوانكم دستوراً للبلاد تمثلت فيه مبادئ الحقوق السائدة آنذاك، فما لبثت السلطات المحتلة أن هيئت للتدخل فصمدتكم مع إخوانكم، وسار الشعب تحت لوائكم لمقاومة العدوان ومحاربة الطغيان فقدتموه بحكمتمكم وصادق وطنيتكم إلى تحقيق رغائبه الوطنية ونيل أمانيه في الحرية، حتى كتب الله له النصر.

ورفعتكم الأمة إلى سدة الرئاسة العليا، فكنتم فيها، كما كنتم في عهد النضال، مناط الآمال وملجأ الأمة في كل ما يحزُّ بها من أمر، وما زلتكم لها السند والمرجع في الملمات، تجد فيكم الراعي الصالح والمرشد الناصح، ترسمون لها بسيرتكم وحسن سريرتكم طريق الخلاص، وتأخذون بيدها لاجتناب العثرات بعقيدة وإخلاص.

وإنه لمن أكبر دواعي الفخر والاعتزاز أن أشيد بمآثركم الحميدة وسيرتكم المجيدة، في هذا الحفل الذي يضمُّ الكثيرين ممن كان لهم شرف العمل تحت لوائكم في مقاومة الأجنبي، تشاركنا فيه أرواح الشهداء الخالدين المجاهدين الذين عرفوا فيكم كما عرفنا الإخلاص والإيمان والثبات. وكلُّ من عمل معكم في ساحات النضال أو ساهم في الحكم في عهد الاستقلال يذكر لفخامتكم بكلِّ فخر ما تحلُّون وما تمتازون به من الصدق في القول والعمل والتفاني في خدمة الأمة والحرص على مصلحتها، وما تتصفون به من نكران الذات في سبيلها، تسوسون الأمور بالحكمة والروية والأناة حتى تشيع الطمأنينة ويسود الاستقرار.

وقد تمَّ في عهدكم سنُّ دستورنا العتيد الضامن لحقوق الأمة والحافظ لحرِّيَّاتها والمحقق لتقدُّمها فشملتكم برعايتكم على صيانتها وتنفيذه بغيرة وحمية وروح، وقمم عالية من التجرد والإخلاص، وصمدتكم أمام الزعازع التي أرادت الإطاحة به والعبث بقدسيته فكنتم صخرة الإيمان التي تحطمت عليها عواصف الأهواء والرغبات الجامحة، وأثبتتم في جميع مواقفكم كيف يكون المثل الأعلى للحكم الديمقراطي الدستوري الصحيح.

فنواب الأمة، والفخار يملأ جوانحهم، يجدون في شخصكم الكريم، هذه

المرحلة التاريخية التي اشتملت عليها حياتكم الحافلة بجلال الأعمال،
سائلين الله العليّ القدير أن يجزيكم عن هذه الأمة خير الجزاء، وأن يحسن
إليكم كما أحسنتم إليها، وأن يحفظكم ذخراً للبلاد، وأن يجعل من عهد
خلفكم فخامة الرئيس السيد شكري القوّتلي عهداً زاهراً بالمجد والقوّة لسورية
والعروبة، وأن يلهمنا الهداية والتوفيق للعمل الصالح المثمر، وأن يوفّقنا جميعاً
لما فيه مجد سورية وعزّ الوطن العربي الكبير.

انتهى خطاب الدكتور ناظم القدسي رئيس مجلس النواب.

بدأ الرئيس شكري القوّتلي مزاولة مهامه في رئاسة الجمهورية في السادس من
أيلول ١٩٥٥، فقدّم له الأستاذ سعيد الغزّي، رئيس الوزراء، استقالة حكومته حسبما
يستوجبه العرف والدستور، على أنه استمر بتسيير الأمور حتى تشكيل وزارة جديدة.

كلّف الرئيس القوّتلي الدكتور ناظم القدسي (رئيس مجلس النواب) بتشكيل
الحكومة الجديدة فاعتذر، ثمّ عاد فكلّف الأستاذ سعيد الغزّي الذي شكّلها محتفظاً
بوزارة الخارجية إلى جانب رئاسة مجلس الوزراء، وبعد يومين جرى تعديل طفيف
بالمناصب بحيث حصل حزب الشعب على وزارتي الدفاع (رشاد برمدا) والداخلية
(علي بوظو) وتوزعت بقية الوزارات بين الكتلة الديموقراطية والمستقلين والحزب
الوطني.

حضرت وفود كثيرة، وعلى أعلى المستويات من الدول العربية، لتهنئة الرئيس
القوّتلي بالرئاسة، ومن هذه الوفود، وفد المملكة العربية السعودية برئاسة الأمير
محمد، النجل الأكبر للملك سعود، وتمّت العناية به حسب الأصول.

وكلّف الرئيس القوّتلي رئيس الوزراء سعيد الغزّي أن يرأس وفداً إلى السعودية
لشكر الملك سعود على تهنئته، ولحضور الاحتفال الذي سيقام في المدينة المنورة
بمناسبة التوسعة الجديدة للحرم النبوي الشريف، وقد تضمّن الوفد، بالإضافة إلى
الأستاذ سعيد الغزّي، الوزيرين علي بوظو ومحمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
وعبد الله الخاني ومحمد علي الخطيب (رئيس الديوان في رئاسة الوزراء).

وكانت الدعوة قد وجّهت أيضاً إلى مفتي الجمهورية السورية، الشيخ أبو اليسر
عابدين، لحضور هذا الاحتفال، وذهب بشكل مستقل إلى المدينة المنورة مع باقي
رجال الدين وأصحاب المناصب العلمية، والتقينا به هناك.

لقد كانت التوسعة التي شملت مساحة كبيرة من المنطقة المحيطة بالحرم النبوي



رئيس مجلس النواب الدكتور ناظم القدسي
يلقي كلمة تقدير ووداع لفخامة الرئيس هاشم الأتاسي



فخامة الرئيس هاشم الأتاسي يرد على كلمة رئيس مجلس النواب الدكتور ناظم القدسي
- حفلة وداع فخامة الرئيس هاشم الأتاسي في حديقة مجلس النواب -



تبادل الأوسمة في القصر الجمهوري - الرئيسان الاتاسي والقوتلي
وبينهما عبد الله الخاني مدير المراسم

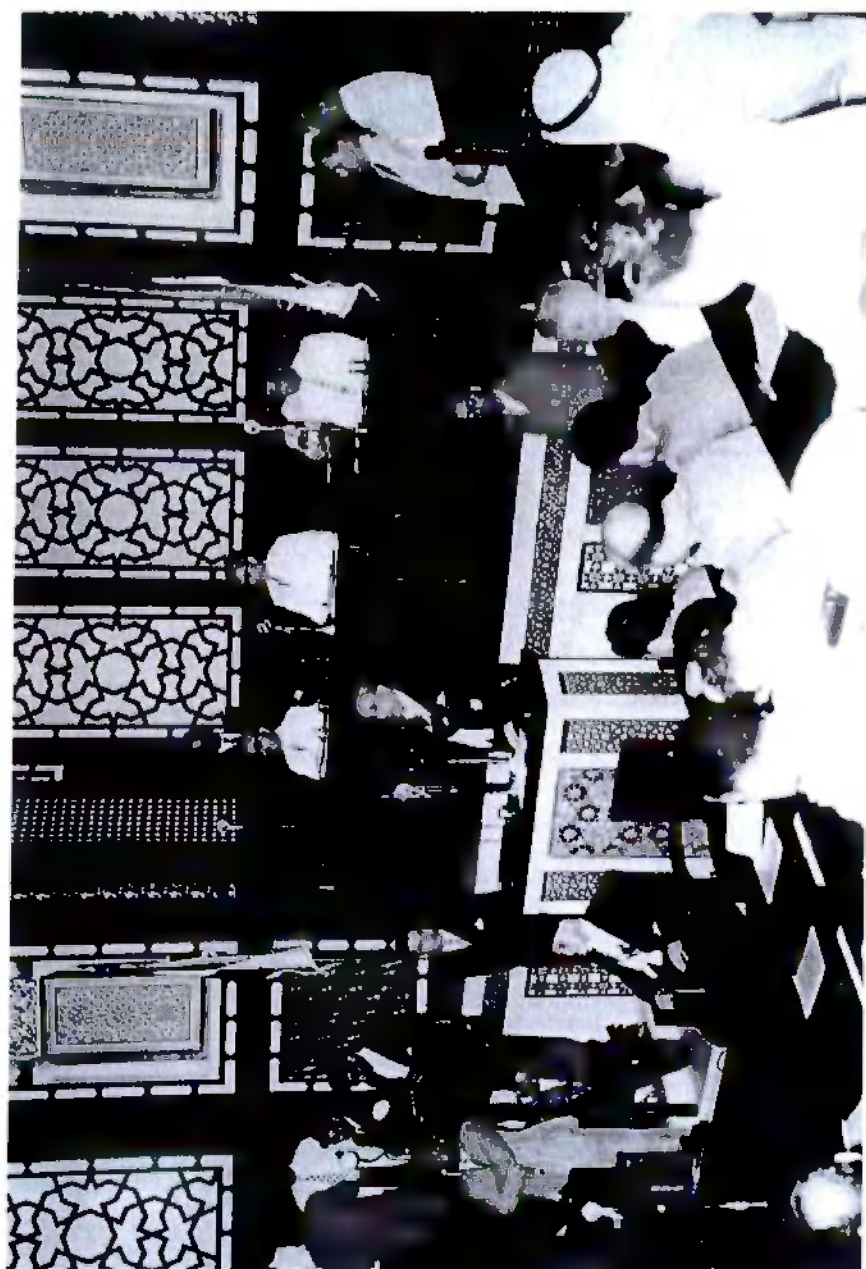


الدكتور ناظم القدسي، رئيس مجلس النواب
مع الرئيسين الاتاسي والقوتلي



القسم الذي اذاع خطبته الرئيس الجمهورية السيد محمد السادس في مجلس النواب حسب المادة ٧٥ من الدستور.
 القسم الذي اذاع خطبته الرئيس الجمهورية السيد محمد السادس في مجلس النواب حسب المادة ٧٥ من الدستور.
 ومجلس النواب هو الذي اذاع خطبته الرئيس الجمهورية السيد محمد السادس في مجلس النواب حسب المادة ٧٥ من الدستور.
 على استكمال الوطن والامانة من سلاسله وانما على تحقيق وحدة الاقطار العربية

فخامة الرئيس القوتلي يؤدي القسم الدستوري في مجلس النواب



فخامة الرئيس شكري القوتلي يلقي خطاباً في مجلس النواب

وثيقة انتقال السلطات الدستورية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



في هذا اليوم نشهد، ونحن نعلم من طرف كل من الطرفين، أن كل دولة من الدولتين، فلسطين والجمهورية العربية السورية، قد وافقت على أن تكون كل دولة من الدولتين، فلسطين والجمهورية العربية السورية، هي التي ستنتقل إليها السلطة الدستورية، وأن كل دولة من الدولتين، فلسطين والجمهورية العربية السورية، هي التي ستنتقل إليها السلطة الدستورية، وأن كل دولة من الدولتين، فلسطين والجمهورية العربية السورية، هي التي ستنتقل إليها السلطة الدستورية.

والسنة ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٥ م
والسنة ١٩٨٥ م الموافق ١٤٠٥ هـ

وثيقة انتقال السلطات



فخامة الرئيس هاشم الأتاسي يوقع وثيقة انتقال السلطات



فخامة الرئيس شكري القوتلي يوقع وثيقة انتقال السلطات

الشريف، جميلة للغاية، من حيث الفن المعماري ومن حيث التنفيذ الذي اشترك فيه مهندسون ومعماريون وفنانون من مصر ومن السعودية، وأضافت إلى مساحة الحرم السابقة أكثر من أربعة أمثالها، كما كان الاحتفال بافتتاحها منظماً ودقيقاً وشاملاً.

لقد انتابني، لدى دخولي الحرم والوقوف أمام ضريح سيّد المرسلين، شعور بالرهبة والاحترام والخشوع لم أشعر بمثله في أي مكان آخر من قبل. فهذا الرسول الذي حمل رسالة الإيمان بالله الواحد القهار توفي في هذا البيت الصغير الذي جمعه، وجمع إلى جانبه صاحبيه أبا بكر وعمر، يؤمّه المسلمون من كل حذب وصوب ليؤكدوا له إيمانهم برسالته، وبأن لا إله إلا الله وبأن محمداً رسول الله. كان هذا أيضاً شعور بقية أعضاء الوفد السوري والوفود الإسلامية التي دعيت لحضور هذا الاحتفال.

أما المناطق المحيطة بالحرم الشريف، فلم تكن قد نظّمت بعد، فهناك المحال التجارية البدائية والمطاعم وبائعو المسابح والبخور والعطور وبائعو الحلي إلى جانب بائعي التمور... إلخ.

أراد الرئيس القوّلي أن يوزّع أول راتب يتقاضاه بعد عودته إلى رئاسة الجمهورية على فقراء آل المدينة، وقد أعطاني راتبه وتعويض تمثيله، وأوصاني بأن أقوم شخصياً بتوزيعه على الفقراء والمحتاجين من آل المدينة، وأن لا أعهد بذلك إلى مدير المراسم السعودي أو إلى أي شخص آخر يقوم بمرافقتنا. وعندما أعلمت مدير المراسم بمهمّتي، قال يستطيع هو أن يقوم بذلك، فأخبرته بأوامر فخامة الرئيس إليّ، وكان الشيخ أبو اليسر عابدين، مفتي الجمهورية السورية حاضراً، فقال: وأنا أيضاً لديّ مبلغ من وزارة الأوقاف أريد توزيعه.

وافقنا مدير المراسم إلى بيوت الفقراء من أهل المدينة، وكان بعضهم من أكابر عائلات المدينة من الحجازيين إلا أن الزمان أحالهم إلى العوز والشدة والفقر المدقع، وأمام هذه المآسي أضفت راتبي إلى راتب فخامة الرئيس في التوزيع.

كانت مدينة الرسول مهملة، وأحيل أهلها إلى العوز والفاقة، أما الآن فإن العناية بها فاقت كلّ وصف، ولقد زرتها مراراً منذ ١٩٥٦، وفي كلّ مرّة أرى تطوّراً إيجابياً بمطارها وطرقاتها وأبنيتها ومحالّها التجارية وفنادقها الفخمة، إنها أصبحت مدينة من أجمل مدن العالم وأرقاها، ولا سيّما بعد التوسعة الكبيرة التي تمّت بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين، الملك فهد. هذه التوسعة التي أضافت إلى المساحات القديمة

مساحة تزيد على ثمانية أمثال مجموع تلك المساحة ببناء حديث لا مثيل له في العالم من حيث الفن المعماري والتجهيزات التقنية الحديثة. لقد أصبح الحرم النبوي الشريف أكبر جامع وأجمل جامع في العالم، تحيط به مساحات مكشوفة شاسعة من أجل أي توسعة مستقبلية، ويستطيع أن يستوعب الآن أكثر من مليون مصل في آن واحد.

وتنمّ تنظيم المنطقة المحيطة به، فقامت فيها فنادق من الدرجة الممتازة (خمس نجوم) والمحلات التجارية الراقية، كما أن البنية التحتية شملت تمديدات التكييف والتدفئة والمياه إلى جانب المرائب الواسعة لآلاف السيارات والطرق والأنفاق المنورة الجميلة. لقد أصبحت منطقة الحرم آية في الجمال والبهجة والنظافة.

من مدينة الرسول انتقلنا بالطائرة إلى جدة. وفي مطار المدينة ودعنا لجنة الشرف السعودية وقدمت لنا الهدايا. وفي الطائرة الخاصة فتح كل منا صرة الهدية المقدمة له، فكان فيها كسوة (أي عباءة مع كوفية وعقال سعودي) وساعة يد عليها صورة الملك سعود وساعة نسائية. واختلفت قيمة الساعات وتزييناتها باختلاف درجة المهدي لهم. أما أستاذنا الشيخ أبو اليسر عابدين، فلم يفتح الصرة المقدمة له رغم إلحاح بدوي الجبل عليه ليفتحها، مما كان مجالاً للمزاح والمفارقات المسلية بينهما.

في جدة حللنا في فندق «الكندرة»، وكان الفندق الوحيد المكيف في ذلك الوقت، وشعرنا بنعيم التكييف الذي لم يكن دارجاً بعد. وبعد استراحة قليلة ذهبنا إلى السفارة السورية لزيارة القائمين عليها، ولم يكن فيها سفير بل قائم بالأعمال: عبد الهادي الدرکزلي. في المساء، وبعد العشاء، ذهبنا بالسيارات إلى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة.

عندما دخلنا الحرم كانت الأنوار تتألق من كل جانب وكأنها أنوار سماوية، كان الوقت بعد منتصف الليل وكانت الحرارة قد خفت، لا سيما وأنتا كنا بلباس الإحرام (أي منشفتين فقط). قمنا بالطواف سبعة أشواط ثم أدينا صلاة العشاء ثم ذهبنا للسعي بين الصفا والمروة، وكانت طريقاً ترابية تحف بها المحال التجارية من جانبيها، لقد شعرت بروحانية غامرة وبراحة نفسية بعد أداء هذه العمرة.

عدنا بعدها إلى جدة، وفي الصباح الباكر استقلنا الطائرة مجدداً من جدة إلى دمشق. وفي دمشق أعلمت فخامة الرئيس عما قمت به في المدينة المنورة حسب أوامره فكان راضياً.

الأوضاع العامة

في بداية الرئاسة الثالثة للرئيس شكري القوتلي كانت الأوضاع العامة كالتالي:

١ - الوضع السياسي الداخلي: كان أول ما اصطدم به الرئيس القوتلي الدستور الموضوع عام ١٩٥٠، والذي يسلب رئيس الجمهورية جميع الصلاحيات ويحيله إلى مجرد رمز.

لم يكن هذا الدستور لينسجم مع طبيعة الرئيس القوتلي المناضلة، التي يعترف لها الزعماء العرب قبل الشعب السوري بالمكانة الرائدة في السياسة العربية والزعامة المجلية في النضال السياسي في سورية وفي العالم العربي.

أمّا العقبة الثانية، فكانت وضع الجيش والضباط بعد أن دخلت إليهم «سوسة» السياسة، فأصبح الجيش مجموعة من الأحزاب السياسية: حزب البعث، الحزب القومي السوري، الحزب الشيوعي، الناصريون وجماعة حزب الشعب والمستقلون، كما أصبحت كل جماعة، ممّن تريد العمل في السياسة، تسعى لاستقطاب بعض الضباط للفوز بمقعد في البرلمان أو للقيام بانقلاب جديد، فالانقلابات أضحت عملاً ميسوراً وللأسف الشديد، كما مر ذكره، واستقطبت أحزاب اليسار ولا سيّما حزب البعث وأكرم الحوراني أكثر الضباط إلى صفوفها، فازداد عدد نوابها في المجلس.

واشتدت قبضة عبد الحميد السراج والمخابرات التي يشرف عليها، على أمور الدولة، وأصبح الشخص المعتمد من قبل الرئيس عبد الناصر ومصر وسفيرها في دمشق محمود رياض، يتصل بهم مباشرة، ينفذ رغباتهم ويعقد معهم ما يشاء من أمور بعيداً عن الحكومة وعن المسؤولين.

العقبة الثالثة، كان وضع الأحزاب السياسية. فالحزب الوطني، وريث الكتلة الوطنية، الذي كان السند للرئيس القوتلي في الانتخابات السابقة التي رفعت الرئيس إلى سدة الرئاسة مرتين، لم يعد له في مجلس النواب سوى ١٤ مقعداً، بينما كان للكتلة الديمقراطية ٣٨ مقعداً، ولحزب الشعب ٢٧ مقعداً، ولحزب البعث ١٨ مقعداً، ولكتلة العشائر ١٨ مقعداً.

وحتى الحزب الوطني فلم يعد متماسكاً كما كان في أول عهده، وكان أعضاؤه منقسمين بين مختلف الاتجاهات ولا يرومون إلا مصلحتهم الشخصية.

هكذا كانت الأوضاع الداخلية في سورية في بداية عهد الرئيس القوتلي،

وبالإضافة إلى ذلك كانت المؤامرات الداخلية والخارجية تستهدف سورية من كل جانب، وسأتي لتفصيل ذلك فيما بعد.

كانت الفترة الثالثة من حكم الرئيس القوّتلي مثقلة بالأحداث الجسام وبالآزمات الداخلية والخارجية، وأمام الأخطار التي كانت تتهدد سورية من الخارج (حلف بغداد، إسرائيل، المؤامرات الأمريكية، التهديد التركي...) عقدت سورية مع مصر في ٢٠ تشرين الأول ١٩٥٥ معاهدة للدفاع المشترك أقامت بموجبها قيادة مشتركة^(١).

إلا أن إسرائيل قامت بعدوان على الضفة الشرقية لبحيرة «طبريا» حيث كانت تتمركز طلائع القوّات السورية، وذلك بغية إبعاد هذه الطلائع والسيطرة على كامل البحيرة، وكان ذلك في ١١ كانون الأول ١٩٥٥.

على أن أهم حدث في هذه الفترة التي تزوّدت فيها إسرائيل بأحدث الأسلحة الأمريكية، كان أن سورية استطاعت أن تخرق حصار تزويدها بالأسلحة، فوَقَّعت مع الاتحاد السوفياتي، في أوائل تشرين الثاني من هذا العام أي ١٩٥٥، على صفقة للأسلحة، ووقَّعت مصر صفقة مماثلة في ٢٢ تشرين الثاني من العام ذاته ممّا أثار حفيظة الأمريكان وإسرائيل معاً، وخشيتهما من تغلغل النفوذ السوفياتي إلى منطقة الشرق الأوسط التي كانت حتى ذلك التاريخ تعتبر تحت هيمنة الغرب.

٢ - في القصر الجمهوري: بناء القصر الجمهوري في شارع ناظم باشا بالمهاجرين كان شيّده والي دمشق خورشيد باشا في زمن السلطنة العثمانية، وعندما ولي الملك فيصل ملكاً على سورية في ٨ آذار ١٩٢٠ أقام فيه، ومنذ ذلك الحين اعتبر هذا البناء مقراً لرئاسة الدولة، وعندما استقلّت سورية، أصبح المقر الرسمي لرئاسة الجمهورية، عقب هدم البناء القديم في آخر شارع ناظم باشا.

بعد وفاة خورشيد باشا، ألت ملكية البناء إلى ابن زوجته الدكتور حمدي الإدلبي، وبعد وفاة الدكتور الإدلبي ألت ملكيته إلى زوجته الأدبية المعروفة السيدة ألفت عمر باشا الإدلبي وإلى أولاده، وتدفع الحكومة أجراً زهيداً له مقابل إشغاله، وللبناء حدائق واسعة تمتد على شارعين، أمّا الآن فهو محروس من قبل الجيش ولا تشغله رئاسة الجمهورية.

(١) ميثاق الدفاع المشترك بين مصر وسورية. راجع قسم الوثائق، وثيقة رقم - ٣ - ..

أما الموظفون، فقد بقي عددهم محدوداً منذ غادره الرئيس هاشم الأتاسي:

عبد الله الخاني: مديراً عاماً وأميناً عاماً بالوكالة. خليل السعداوي: رئيساً للديوان.
عبد الهادي دياب: في الديوان. عبد الوهاب زين العابدين: ضارب على الآلة الكاتبة.
محمد العجاجة: محاسب، منتدب من وزارة المالية. الملازم الأول مأمون تحسين:
المرافق العسكري لفخامة الرئيس. الرقيب الأول نجم الدين نقشبندي: رئيس شرطة
القصر. وعدد محدود من الأذّان والطاهي الأرمني أرتين، وكان طاهياً ممتازاً.

أما خالد العسلي وعبد المجيد الطرابلسي، فكانا قد نُقلا إلى وزارة الخارجية،
ذلك أن ملاك القصر وملاك رئاسة الوزراء وملاك وزارة الخارجية كانت تشكل
ملاكاً واحداً يجوز النقل بينها.

بهذا العدد المحدود من الموظفين، كان العبء عليهم شديداً، إلا أنهم قاموا به
بكل أمانة وحماس.

لاحظ الرئيس ثقل عبء العمل عليّ، فطلب إليّ أن أختار من أرشحه لملء
شواغر الوظائف في الأمانة العامة. وبعد تفكير وبحث وجدت أن خير من يملأ
وظيفة الأمين العام، بحيث يكون ممّن يثق بهم الرئيس، الأستاذ فؤاد الحلبي الذي
كان يشغل منصب المدير العام للخط الحديدي الحجازي، وشغل قبل ذلك منصب
المحافظ في عدد من المحافظات، وكان إدارياً ناجحاً، وقد وافق الرئيس على هذا
الانتقاء وأصدر المرسوم رقم ٣٤٧٩ بتاريخ ١١/٩/١٩٥٥ بتعيينه أميناً عاماً لرئاسة
الجمهورية^(١).

ثمّ وظيفة السكرتير الخاص، الدكتور عمر النص، وكنت تعرّفت عليه عام ١٩٥٣
عندما كان يحضّر للدكتوراه بالقانون في باريس، فأعجبت بثقافته الواسعة وأدبه الجم
وإتقانه اللغتين الفرنسية والإنكليزية إلى جانب اللغة العربية التي كان فيها شاعراً
ملهماً وأديباً.

وانتدبنا من وزارة الخارجية السفير مؤيد العظم، وكان من أنجح دبلوماسيينا.

(١) عندما توفي المرحوم فؤاد الحلبي في دمشق بتاريخ ١١ نيسان ١٩٦٤، كان الرئيس القوّتلي يستوفي
ويستجم في جنيف بسويسرا، فبلغه خبر وفاته فتألّم كثيراً عليه وبعث إليّ برسالة لكي أنقلها إلى ال
الفقيد، تعبّر عن عميق ألمه، وتذكر مزاياه الرفيعة وإدارته الحكيمة ووطنيته الصادقة؛ ونظراً لقيمتها،
أثبتها كوثيقة رقم - ٤ - ..

وهكذا أصبح عدد الموظفين في الأمانة العامة مكتملاً وكافياً، وعلى مستوى جيد من الكفاءة والإخلاص وحسن التصرف.

على أنني بقيت الفاعل الذي يقوم بأكثر أعباء العمل، سواء في مجال المراسم والاستقبالات والحفلات والمآدب للضيوف الرسميين ورجال السلك السياسي، أم في مجال العمل الإداري بما في ذلك كتابة الرسائل إلى رؤساء الدول العربية وضربها على الآلة الكاتبة.

وقد حظيت بثقة الرئيس، فكان يأخذني معه لمؤتمرات القمة العربية ويكلفني بتهئة مواضيعها وكتابة محاضرها وتسجيل ملاحظاته عليها، مما أكسبني تجربة فريدة وإطلاعاً كاملاً على مجريات الأمور الهامة في هذه الحقبة الخطيرة من تاريخ سورية والمنطقة.

وللدلالة على ثقته الغالية بي، أذكر أنه كان يريد إرسال رسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر فأشار إليّ بما يجب أن تتضمنه هذه الرسالة، ولمّا كان مضطراً، لأمر ما، أن يغادر القصر، فقد وقّع لي على الورقة التي يجب أن تتضمن الرسالة في المكان الذي يمكن أن تصل إليه أسطر الرسالة، وقّعها على بياض وقال مازحاً: «لا تكتب استقالتني على هذه الورقة». وكنت أجله وأحترمه وكان احترامي وتقديري له يزداد مع الأيام ويسمو.

أنا وميزانية القصر وأكرم الحوراني: كانت ميزانية قصر الرئاسة تتضمن بنداً للنفقات الخاصة بنفقها الرئيس في مساعدة كبار اللاحثين السياسيين من الدول العربية إلى سورية، وكثيراً ما كان يضيف إليها من جيبه الخاص، أو يستدين من صهره صادق الأسطواني بعض المال لتغطية هذه النفقات، أو يستدين من البنك العربي، كما كان ينفق في سفراته إلى الخارج لحضور بعض مؤتمرات القمة من دخل مزرعته في «بالا» ومن جيبه الخاص.

ولمّا انتخب الرئيس هاشم الأتاسي رئيساً للجمهورية ألغى هذا البند وألغى المساعدات، ولم يبق بأي زيارة للخارج، واستراح.

وعندما عاد الرئيس القوّتلي إلى رئاسة الجمهورية أعدت هذه النفقة إلى بند النفقات الخاصة في الميزانية للعام القادم ١٩٥٦، كما أنني لاحظت زيادة ألفي ليرة سورية على أجرة القصر، إذ كان صاحبه الدكتور حمدي الإدلبي جاءني يشتكي من ضعف الأجرة وقال إنه أجّر دكاناً صغيراً بعشرين ألف ليرة سورية، فكيف نقبل أن

تكون أجرة القصر، بسعته وحدائقه، بتسعة آلاف ليرة فقط لم تجر زيادتها منذ ١٩٤٨ نتيجة عدم الاستقرار والانقلابات، فوعده بزيادة الأجرة إلى أحد عشر ألف ليرة سورية.

كان في القصر ضارب واحد على الآلة الكاتبة هو عبد الوهاب زين العابدين، وكان يطبع المراسيم والرسائل العادية ويقوم بالأعمال الإدارية، وكنت أساعده في كتابة الرسائل الرسمية إلى رؤساء الدول والرسائل الهامة الأخرى. ولمّا كان العمل في القصر قد ازداد كثيراً فقد لاحظت في الميزانية الجديدة تعيين ضارب آخر على الآلة الكاتبة العربية.

وهكذا فقد بلغت ميزانية القصر، بما فيها رواتب الرئيس وتعويضاته ورواتب الموظفين ونفقات حفلات القصر للضيوف الرسميين ونفقات الانتقال والنفقات الخاصة وسواها، مائتين وخمسين ألف ليرة سورية، وكان عليّ أن أناقش هذه الميزانية مع لجنة الموازنة في مجلس النواب لإقرارها، وقد عرضتها قبل ذلك على الرئيس فوافق عليها.

كان رئيس لجنة الموازنة أكرم الحوراني، وكان معه من الأعضاء: علي بوظو، بدوي الجبل، رزق الله أنطاكي وآخرون من نواب العشائر.

بادرني أكرم الحوراني بشكل عنيف: لِمَ هذه الزيادة في أجرة القصر، هل تدفعها من جيبيك؟ فشرحت له أسباب الزيادة، فشطبها، ثمّ جاء إلى تعيين ضارب على الآلة الكاتبة، فشطبه أيضاً، وقال: قم أنت بالعمل. ثمّ جاء إلى النفقات الخاصة، قال: لماذا هذه النفقات؟ قلت: إن فخامة الرئيس يضطر أحياناً إلى السفر لحضور بعض مؤتمرات القمة، قال: ولماذا يسافر الرئيس؟ قلت: إذا دعي لحضور مؤتمر قمة في حال وجود عدوان إسرائيلي أو أزمة تتعلق بالشرق الأوسط، فهل يعتذر عن الحضور لعدم وجود مخصصات؟! قال: عندئذ ندعو مجلس النواب للحضور وإقرار المبلغ اللازم. قلت: وهل ينتظر العدو مثلاً استدعاء النواب من القامشلي ودير الزور والرقّة وبقية المحافظات لإقرار النفقة الخاصة بهذا المؤتمر أو ذاك؟! فشطبها، وقال: إن رئيس الجمهورية لا يحضر المؤتمرات إلا بموافقتنا. عندئذ لم أستطع تحمّل ذلك، قلت: جئت لمناقشة ميزانية رئاسة الدولة، وكنت أعتقد أنكم ستقرّونها دون مناقشة احتراماً لمقام رئيس الدولة، ضعوا الميزانية التي ترون. وأخذت أوراقني وانسحبت، ونقلت ما جرى لفخامة الرئيس فاستاء. أمّا أكرم الحوراني فاغتاظ واعتبر ذلك إهانة له وللجنة الموازنة، واتصل بعد قليل بالمرافق العسكري للرئيس يطلب موعداً من

الرئيس لبعض أعضاء لجنته للاحتجاج على تصرفي معهم، وطلب تسريحني فوراً ومحاكمتي، إلا أن فخامة الرئيس رفض استقبالهم.

بعد فترة استقالت وزارة سعيد الغزّي، وكلف الرئيس الأستاذ صبري العسلي بتشكيل الوزارة الجديدة، فجاء بدوي الجبل، ثم جاء رزق الله أنطاكي يطلبان إليّ أن أسعى لدى الرئيس أن يوصي بإدخالهما في الوزارة الجديدة. قلت لهما: الآن ترجوان فخامة الرئيس لأمر يتعلّق بكما، وعندما ناقشت ميزانية القصر وتهجّم أكرم الحوراني على الرئيس لم ينبس أحداً بكما بينت شفة. فاعتذرا لأن أكرم الحوراني ما كان يسمح لهما بالكلام.

في عام ١٩٧٠، عندما كنت أميناً عاماً في وزارة الخارجية، جاءني علي بوظو يطلب جوازاً خاصاً بصفته وزيراً سابقاً. قال لي: أتذكر يوم مناقشتك لميزانية القصر؟ قلت: أذكر ذلك. قال: بعد قليل من ذهابك اتصل اللواء توفيق نظام الدين هاتفياً بأكرم الحوراني وقال له: البارحة ناقشنا ميزانية وزارة الدفاع، وكانت ٨٢ مليون ليرة سورية. هنالك نقص في ما عرضنا، أضفنا إليها مليوني ليرة، فصلّح المبلغ الإجمالي لديك. فسأله الحوراني: وكيف أفسّر هذه الزيادة للجنة. أجابه اللواء نظام الدين: هذا موضوع سرّي لا مجال لمناقشته، افعل ما أقوله لك. فأضاف الحوراني مليوني الليرة ولم يستطع مناقشته.

قلت: ما شاء الله عليكم، تستكثرون خمسين ألف ليرة سورية على رئيس الدولة عندما يضطر لحضور مؤتمرات القمة في حال عدوان العدو علينا، ولا تستطيعون إبداء أي ملاحظة أو سؤال على ميزانية وزارة الدفاع. قال: هكذا كان، وهذا ما حصل.

يحضرني، في هذه المناسبة، كيف سعى الرئيس القوّتلي لدى فريد العظم في حمّاه لكي يضع اسم أكرم الحوراني على قائمته في الانتخابات النيابية لعام ١٩٤٣، حرصاً من الرئيس على وحدة الصف.

كما أنقل، في هذا المجال، ما ذكره لي السيد رضا مرتضى، مدير عام مؤسسة مياه الفيحة، نقلاً عن الأستاذ لطفي الحفّار الذي كان رئيساً لهذه المؤسسة. قال الحفّار: «عندما كنت وزيراً للداخلية في وزارة فارس الخوري عام ١٩٤٥، تقدّم أكرم الحوراني بطلب لإصدار جريدة، فاحتفظت بالطلب لدي ولم أوافق عليه، فاحتجّ لدى فخامة الرئيس القوّتلي، فاتصل بي الرئيس وقال: «لِمَ لم توافق لأكرم الحوراني

على إصدار الجريدة؟». قلت: «إنه سيشتبعا نقداً وشتماً»، فقال لي فخامة الرئيس: «لقد ناضلنا طيلة ربع قرن لنحصل على حريتنا وحرية الرأي، فدعه يصدر جريدته، إن كان في نقده ما يصلح أوضاعنا، أخذنا به، وإن كان فيه تجنُّ علينا، انقلب عليه، لا بأس أن تسمح له بإصدارها». فسمحت له بذلك وأصدر جريدة «اليقظة»، وكانت كما قدّرت تشتمنا وتنتقدنا بأقذى العبارات. هذه طبيعة أكرم الحوراني، فاتق شرَّ من أحسنت إليه».

قارنت بين أخلاق الرجلين، القوّتلي والحوراني، فوجدت فرقاً شاسعاً، ولا مجال للمقارنة!... وقارنت بين تصرّف الحوراني وتصرّف سعد الله الجابري الذي كان أبرز الزعماء السياسيين وألمعهم وأقربهم إلى الرئيس القوّتلي. كان كلّما جاء إلى القصر ليقابل الرئيس انحنى أمامه إجلالاً واحتراماً ليعلم الناس الاحترام لمقام الرئاسة. أمّا أكرم الحوراني فعندما كان يأتي لزيارة الرئيس كان يضع يده اليمنى في جيبه ويمسك بسيكارتة بيده اليسرى، وإذا جاءه الأذن بمنفضة السيكاارة، أبعدها عنه.

كان نصيب رئاسة الجمهورية من السيارات ثلاث: واحدة من طراز «باكارد Packard» (قديمة ١٩٥٠) للرئيس، واثنان للخدمات العامة، إحداها بونتياك قديمة والأخرى ستوديبكر قديمة أيضاً، مفرزتان من وزارة الأشغال العامة مع سائقيهما.

وعندما جاء جيمس منهل (الأمريكي من أصل لبناني، الذي يعمل بالنفط) المار ذكره، أهدى الرئيس سيارة جديدة من طراز كاديلاك، إلا أن الرئيس أحالها إلى وزارة الدفاع وأوصى بوضعها في اليانصيب ليؤول ريعها إلى تسليح الجيش، وهكذا كان، وبلغ ريعها النهائي نصف مليون ليرة سورية، واكتفى الرئيس بالسيارة القديمة الباكارد.

أمّا عام ١٩٥٦ فكان حافلاً بالأحداث الهامة

١ - من هذه الأحداث السياسية

١ - مؤتمر القمة المصغّر في القاهرة: الرئيس جمال عبد الناصر، الملك سعود، الرئيس شكري القوّتلي لبحث مشروع جونستون بتحويل مجرى نهر الأردن، ومنعكساته، ومواضيع أخرى.

٢ - زيارة الملك حسين لدمشق.

٣ - زيارة الرئيس القوّتلي إلى الأردن.

٤ - استقالة وزارة سعيد الغزّي، وتكليف صبري العسلي بتشكيل الوزارة.

- ٥ - زيارة وزير خارجية الاتحاد السوفياتي شيبيلوف إلى سورية.
- ٦ - زيارة أمير قطر لسورية.
- ٧ - الوفد السوري لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر بانتخابه رئيساً لجمهورية مصر.
- ٨ - استقالة رئيس الأركان اللواء شوكت شقير.
- ٩ - تأميم قناة السويس.
- ١٠ - مؤتمر القمة المصغر في الدمام.
- ١١ - اكتشاف النفط في منطقة الجزيرة بسورية.
- ١٢ - مؤتمر الأدباء العرب، ومؤتمر المجامع العلمية بدمشق.
- ١٣ - العدوان الثلاثي على مصر.
- ١٤ - سفر فخامة الرئيس إلى موسكو، والإنذار السوفياتي والأمريكي لبريطانيا وفرنسا.
- ١٥ - مؤتمر القمة العربي في بيروت لبحث هذا العدوان.
- ١٦ - اكتشاف المؤامرة الأمريكية على النظام في سورية، ومشاركة أديب الشيشكلي وإبراهيم الحسيني فيها.
- ٢ - الأمور الخاصة بي
- ١ - زيارتي إلى هولندا تلبية لدعوة من شركة الطيران الهولندية KLM.
- ٢ - مرافقة الوفد الرسمي السوري إلى القاهرة لتهنئة الرئيس عبد الناصر بانتخابه رئيساً للجمهورية.
- ٣ - وفاة المرحوم والدي في مشفى دمشق، تغمّده الله بواسع رحمته.
- ٤ - معرض دمشق الدولي، وتصوير دمشق من الجو بالطائرة العمودية الأمريكية.
- ٥ - السعي بمجيء الفرقة السمفونية النمساوية إلى دمشق بمناسبة معرض دمشق الدولي.
- ٦ - المشاركة في المؤتمرات الثلاث للقمة العربية وتسجيل مباحثاتها.
- ٧ - تهيئة مشروع «اتحاد الدول العربية».
- وسأستعرض هذه الأحداث بالتفصيل.

مؤتمر القمة المصغر

لبحث مشروع جونستون ومنعكساته

صباح يوم الجمعة ٢٤ شباط ١٩٥٦ اتصل بي الرئيس هاتفياً وقال: استعد للسفر غداً. ولم يزد لا إلى أين ولا من أجل أي شيء، وطبعاً لم أسأله، وهيأت نفسي. استقلينا الطائرة في الساعة التاسعة والنصف صباحاً، وكانت معه عائلته الكريمة، وابن عمه الدكتور فائز القوتلي، وكان من أعز أصدقائي.

وصلنا القاهرة، ومنها إلى أسوان في الجنوب، واستقبل الرئيس استقبالاً رسمياً من قبل محافظ أسوان - وقد وصلنا في الساعة ١٤،١٠ - وحللنا في فندق كاتاراكت حيث حجزت لنا السلطات المصرية، وكان أفضل الفنادق في أسوان، كما وضعت تحت تصرفنا أحد ضباط الجيش برتبة لواء كمرافق لفخامة الرئيس، والسيد عمر شيرين، الأمين الثاني في قصر الرئاسة بالقاهرة.

في المساء، قمنا بجولة في النيل بمركب اللنش الذي وضع خصيصاً تحت تصرف الرئيس.

وفي اليوم الثاني قمنا بزيارة حديقة النباتات الاستوائية ومتحف أسوان. وفي المساء، استدعاني الرئيس وأعطاني رزمة من الأوراق كان هيئها، تتضمن مسودة مشروع إقامة «اتحاد الدول العربية»، وطلب إلي أن أنقحها وأنظّمها بشكل مشروع قابل للدراسة والعرض، فعكفت على ذلك ووضعت المشروع وعرضته على فخامته بعد ثلاثة أيام، فوافق عليه.

أمضينا في أسوان ستة أيام، زرنا خلالها السد ومنشآت الكهرباء، وكوم أمبو والمعبد وشركة السكر، وتناولنا الغداء لدى مدير الشركة السيد حسين كامل، كما كنا نقوم بجولات نهريّة في النيل العظيم. وفي يوم الجمعة الثاني من آذار، وبعد أداء الصلاة في جامع المدينة، غادرنا أسوان إلى الأقصر بقطار خاص وبعرية الملك فاروق، وحللنا في فندق «ونتر بالاس».

في الأقصر، أمضينا يومين زرنا خلالهما المعابد في وادي الملوك (حتشبسوت) والكرنك ومعبد الأقصر الشهير.

ويوم الاثنين، الخامس من آذار، استقلينا طائرة خاصة إلى القاهرة حيث جرى للرئيس استقبال رسمي حضره الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة والوزراء، والسفير السوري عبد الرحمن العظم وأعضاء السفارة، وحللنا في قصر القبة.

يوم الثلاثاء، السادس من آذار، وصل إلى القاهرة قادماً من واشنطن الملك سعود والوفد المرافق له، حيث جرى له أيضاً استقبال رسمي شاركنا فيه.

لاحظنا أن طائفة الملك سعود بقيت تحوم فوق القاهرة أربع مرات قبل هبوطها، وعلمنا أن الرئيس عبد الناصر كان في طريقه من مركز عمله في منشية البكري إلى المطار، وكان يجب أن لا تهبط الطائرة حتى يصل الرئيس عبد الناصر كي يكون في استقبال الملك، وحل الملك سعود معنا أيضاً في قصر القبة مع حاشيته.

بدأت القمة الثلاثية اجتماعاتها في إحدى صالات قصر القبة يوم الأربعاء السابع من آذار ١٩٥٦، ودعاني الرئيس القوتلي لحضورها، فحضرتها وسجلت أبحاثها.

كان الوفد المصري برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر، وحضر معه وزير خارجية مصر محمود فوزي ومدير المكتب السياسي للرئيس عبد الناصر، علي صبري. وكان الوفد السعودي برئاسة الملك سعود وحضور مستشاره السياسي الشيخ يوسف ياسين (نائب وزير الخارجية).

وكان الوفد السوري برئاسة الرئيس القوتلي وحضور رئيس الوزراء السوري الأستاذ سعيد الغزي، والمدير العام لرئاسة الجمهورية عبد الله الخاني. استمعنا في بداية الاجتماع إلى تقرير عن زيارة الملك سعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية واجتماعه إلى الرئيس دوايت أيزنهاور. كان الملك سعود لا يحب الإطالة بالكلام، وكان يقول، بين فترة وأخرى: يا يوسف (الشيخ يوسف ياسين) قل لهم ماذا جرى من أحاديث مع أيزنهاور.

أمّا الرئيس عبد الناصر، فكان يدير الجلسات بشكل جيد؛ يعرض الموضوع ثم يناقشه مناقشة شاملة حتى يصل إلى النتيجة التي يتوخاها، إلا أنه كان يكثر من التدخين، ولا يدخن من السيكارة إلا القليل ثم يطفئها.

وكان الرئيس القوتلي يوجّه المباحثات إلى الواجهة التي يريد، وكان الجميع يستمع إليه بكل إجلال واحترام لأنه كان عميدهم وأقدمهم في العمل السياسي.

عندما تعرّض البحث لمشروع جونستون لتحويل مجرى نهر الأردن، وكان هذا هو الموضوع الأهم في هذا الاجتماع، شرح الملك سعود والشيخ يوسف ياسين ما قاله لهما الرئيس الأمريكي أيزنهاور، الذي كان يهتم كثيراً بتنفيذه، ولم يعلق الملك على المشروع.

وبين الرئيس القوتلي خطر قبول هذا المشروع على الدول العربية، ولا سيّما على

الأردن وعلى سورية وشرح أسباب ذلك^(١)، ثم اقترح توجيه الدعوة لحضور هذا الاجتماع إلى الملك حسين ملك الأردن، فوافق الجميع وكلفوا الأستاذ سعيد الغزي والأستاذ محمود فوزي بالذهاب إلى عمان لإبلاغ دعوتهم إلى الملك حسين، وسافرا بعد ظهر ذلك اليوم.

تعرض البحث للضغط الأمريكي للقبول بمشروع جونستون وإمكانية قيام إسرائيل بعدوان لتنفيذه، كما بحث الرؤساء إمكانية الرد على إسرائيل في حال قيامها بهذا العدوان، أو بتحويل مجرى نهر الأردن منفردة، ومواقف الدول الكبرى من هذه الحرب إن وقعت، ولا سيما موقف الاتحاد السوفياتي. وسأل الرئيس عبد الناصر وزير خارجيته محمود فوزي عن ذلك، فأجاب أن الاتحاد السوفياتي لن يتدخل عسكرياً في هذه الحرب، وجل ما يمكن أن يقوم به، استعماله حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن، في حال اتخاذ أي قرار ضد الدول العربية، وأقصى ما يمكن أن يفعل هو أن يرسل بعض الأسلحة إلى الدول العربية المحاربة، لا أكثر.

واقترح الرئيس عبد الناصر دعوة قادة الجيوش الثلاثة لسؤالهم عن مدى استعداد هذه الجيوش لخوض مثل هذه الحرب، فحضر الأمير مشعل واللواء شوكت شقير واللواء عبد الحكيم عامر. وبعد العرض تبين أن الجيش المصري هو أكثر الجيوش الثلاثة استعداداً، وقال اللواء عبد الحكيم عامر: «إنني إن تلقيت أمراً بالهجوم فلن أقف إلا في تل أبيب، حتى لو اتخذ مجلس الأمن قراراً بوقف القتال وحتى لو أصدرتم إلي أمراً بالتوقف، فلن أقف إلا في تل أبيب».

وقال الأمير مشعل: إن السعودية تملك ما يكفي من الأسلحة إلا أنها بحاجة إلى الطيارين المدربين. فأجابه الرئيس عبد الناصر إن مصر مستعدة لتقديم هؤلاء الطيارين.

لم يكن اللواء شوكت شقير متحمساً إلى هذه الدرجة، إذ إن الأسلحة المتعاقد عليها لم تصل بعد إلى سورية، كما أن التدريب عليها يحتاج إلى بعض الوقت.

بين الرئيس القوّلي خطورة خرق الجبهة السورية عن طريق فجوة مرجعيون في لبنان، أو عن طريق الالتفاف عليها من الأردن. وبحث الرؤساء الثلاثة ضرورة الاتفاق مع لبنان ومع الأردن في هذا المجال.

(١) التقرير عن مشروع جونستون والمشاريع الأخرى للاستفادة من مجاري المياه في المنطقة في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٥ - .

وكان الرؤساء الثلاثة قد بحثوا مطوّلاً ما يجب أن يحمله الأستاذ سعيد الغزّي في زيارته مع الدكتور محمود فوزي إلى الملك حسين، وطلب سعيد الغزّي أن يكون ذلك في رسالة مكتوبة تتضمّن النقاط الرئيسية التي يجب أن يبحثها مع الملك حسين، فتمّ الاتفاق على ما يلي:

١ - عقد الاجتماع يأتي تلبية للدعوة التي وجّهتها الدول العربية في السابق إلى الملك حسين.

٢ - بحث المعونة المالية التي اقترحت الدول الثلاث تقديمها للأردن، لا لتحل محل المعونة المالية البريطانية وإنما إلى جانبها، ولتقوية الجيش الأردني.

٣ - بحث الدعوة التي كان الملك حسين وجّهها للاجتماع في عمّان، والاتفاق على الخطوط الرئيسية التي يجب السير عليها كي تكون النتيجة سليمة وعلى ما نحب.

٤ - تأييد الموقف الذي اتخذته جلالته سياسياً وعسكرياً في إقصاء الجنرال كلوب.

٥ - في حالة الهجوم على الأردن من قبل إسرائيل، تنسيق الدفاع على أن تبحث تفاصيله فيما بعد.

قال الملك سعود: قد يشير الملك حسين قضية ارتباطه مع الإنكليز بالمعاهدة. فقال الرئيس القوّتلي والرئيس عبد الناصر: نحن لا نريد إخراجهم وإنما تطمينه ودعم موقفه، ونحن نقدم المساعدة المالية قصد إعانة الأردن لا إخراجهم.

حضر بعد يومين، أي في العاشر من آذار، السيد بهجت التلهوني، رئيس الديوان الملكي في عمّان، يحمل جواب الملك حسين بقبول الدعوة وتعذر حضوره بهذه السرعة، ودعوته إلى الرؤساء الثلاثة لعقد اجتماعهم القادم في عمّان. أكّد التلهوني أن الأردن لا يريد الارتباط بحلف بغداد أو بأية أحلاف أخرى غير عربية، وذلك في الرسالة التي حملها من الملك حسين، والتي وردت في البيان الوزاري لسمير الرفاعي في البرلمان الأردني، والذي حصل بموجبه على الثقة.

إلا أن الموضوع يتعلق بالدعوة التي كان الملك حسين وجّهها للرؤساء العرب لعقد اجتماع قمة في عمّان، وقد وردت بعض الموافقات من عدد من الرؤساء، فما هو العمل؟.

أجابه الرئيس القوّتلي: «نحن نريد أن نجتمع مع الجميع على أساس تأمين نجاح الاجتماع، والنجاح مع القلة أفضل من الخلاف مع الكثرة، لذا أحببنا أن يكون هذا

الاجتماع تمهيداً لاجتماع مقبل، وهناك مسؤولية تقع على من لا يلبي هذه الدعوة، وخطر يهددنا جميعاً واحتلال القسم المتبقي من فلسطين من قبل إسرائيل. وفي ختام بحث موضوع تحويل مجرى نهر الأردن ومنعكساته، اتخذ المجتمعون القرارات التالية:

موضوع تحويل مياه نهر الأردن

- ١ - إرسال مذكرة من الدول الثلاث إلى الدول الأعضاء في مجلس الأمن لإخطارهم بخطورة تحويل مياه نهر الأردن على السلام في المنطقة، مع القيام بمسعى منفرد لدى الدول صاحبة البيان الثلاثي (أمريكا وبريطانيا وفرنسا).
- ٢ - القيام بإبلاغ دول البيان الثلاثي أن أي تدخل من جانبهم، سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، وذلك بإعطاء إسرائيل السلاح أو تجنيد رجال من الدول الغربية ودخولهم بالقوات الإسرائيلية، ستتبعه إجراءات مماثلة من جانبنا.
- ٣ - التحويل بدون إذن من كبير مراقبي الهدنة الجنرال بيرنز يعتبر خرقاً يستوجب المجابهة والقتال بدون سابق إنذار.
- ٤ - التحويل بإذن من بيرنز لا يعتبر قانونياً أيضاً لأن بيرنز لا يملك الحق بالتصرف في هذه المنطقة، ولأن موضوعاً بهذه الخطورة لا يجوز أن يتصرف به شخص لوحده.
- ٥ - التحويل بموافقة مجلس الأمن.
- يجب، في حال عرض الموضوع على مجلس الأمن، سبق الاتصال بأعضائه وإفهامهم الموضوع، ثم في حال الخوف من أخذ مجلس الأمن قراراً مخالفاً للقرار السابق، السعي لاستعمال حق الفيتو.
- لا يمنع اجتماع مجلس الأمن في جلسة عاجلة لبحث خطورة الموقف في الشرق الأوسط من تقديم المذكرات المذكورة.
- ٦ - إجابة العراق على عرضه المعونة العسكرية على سورية بالقبول، على أن تكون القوات العراقية تحت إمرة القيادة المشتركة، وتوضع في الأماكن التي تقترحها القيادة المشتركة.
- ٧ - إرسال دعوة إلى لبنان لإيفاد من يمثله في هذا الاجتماع.
- جرى بعدئذٍ بحث بقية الأمور الواردة في جدول الأعمال:

موضوع اليمن: قال الرئيس القوّتلي: كانت وردتني رسائل من الإمام أحمد إمام اليمن يطلب إليّ فيها التوسّط لدى حكومة مصر لحل الخلاف القائم بين مصر واليمن، وأن هنالك يمنيين أحراراً وجريدة اسمها «صوت اليمن» تشتم الإمام والحكم، ولست أعرف ما هو هذا الخلاف.

قال الرئيس جمال: كان هنالك بعض أولاد الإمام السابق لجؤوا إلى مصر، وتكلّموا مرة بالإذاعة وأصدروا جريدة كما تتفضّلون، فتوسّط الإمام أحمد جلالة الملك سعود فكلّمنا وأوقفنا نحن الإذاعة والجريدة، وأصبحنا الآن معرّضين لهجوم اليمنيين الأحرار، مع أنهم أيّدوا الإمام أحمد عندما قام الإمام عبد الله بالانقلاب عليه.

قال الملك سعود: الوضع، في الواقع، في اليمن متدهور جداً، وقد لحظت الآن من الإمام أحمد أنه يريد التقرب من مصر، فأرجو سيادة الرئيس أن يأخذهم بالحكمة لضّمهم إلى المجموعة العربية.

قال فخامة الرئيس: ما دام الأمر كذلك، فأرجو سيادة الرئيس دعوة مندوب اليمن إلى هنا وإفهامه أنه لا يوجد أي معكر بين مصر واليمن، وأن مصر مستعدة لتقديم كل معونة، وخصّية الجوّ.

قال الرئيس جمال: إنني مستعد لهذا وأكثر، إلا أنني أخشى أن يرتمي الإمام في أحضان الإنكليز.

قال الملك سعود: لولا مساعدتنا له لخلعته القبائل، ومتى وجدنا أن سياسته غيرت، فلن يستقر له الوضع.

حلف بغداد: ذكر الرئيس عبد الناصر أن أنتوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا زار مصر واجتمع معه، وأثار موضوع الدعاية المصرية ضد حلف بغداد، فرد عليه إننا نريد أن ينبثق الدفاع عن الشرق الأوسط من دول هذه المنطقة وحدها، وحلف بغداد ذو شقين: الأول الدفاع عن هذه المنطقة، والثاني جر الدول العربية إليه، فإذا أعلن تجميده وعدم دخول دول أخرى فيه، فإننا نوقف الدعاية ضده.

ثم جاء وزير خارجيته سلوين لويد، وقال إننا نتجه للقضاء على النفوذ البريطاني في المنطقة، وأضاف أن الخليج الفارسي بالنسبة لبريطانيا هو موضوع حياة أو موت.

فكان الرد عليه: إننا نتخذ إجراءً دفاعياً لا هجوماً لأن حلف بغداد يهدف إلى عزل مصر وتركها وحدها ضد إسرائيل، وإننا نعتبر حلف بغداد نوعاً جديداً من السيطرة، ونحن نسير على تحرير الدول العربية من أية سيطرة أجنبية، وإننا ننتظر أن تعلن بريطانيا تجميد هذا الحلف. فقال: إنه ليس باستطاعته عمل أي شيء من هذا

القبيل قبل الرجوع إلى حكومته. وكان إيدن قد قال لي: إنه هو صاحب حلف بغداد، وتجميده وخروج العراق منه قضاء على سمعة بريطانيا.

ناقش المجتمعون طريقة تجميد الحلف، وقال الرئيس القوتلي إن أفضل طريقة لتجميده هي كسب الشعب العراقي إلى جانبنا ومساعدته للتخلص منه.

وقال الملك سعود: إن ذلك يكون بتبيان مضار الحلف. وطلب إلى الشيخ يوسف ياسين أن يعرض ما جرى من بحث بين سمو الأمير مشعل وسفير فرنسا.

قال الشيخ يوسف: إننا عقدنا مع فرنسا صفقة أسلحة على أن تسلّمنا إيّاها خلال أربعة أشهر، فقال السفير الفرنسي إن فرنسا مستعدة أن تقدّم السلاح بعد شهرين إذا ما توسّط الملك سعود مع مصر لتخفيف حدّة الدعاية من إذاعات مصر ضدّ فرنسا بشأن شمال أفريقيا. ثم طلب مقابلة جلالة الملك، فوافق على هذا الاجتماع، وإن جلالة الملك يعدنا بالاتصال بالمسؤولين المصريين ومحدثهم بهذا الشأن.

السودان: عرض الرئيس عبد الناصر العلاقات بين مصر والسودان، ومساعي الإنكليز والفرنسيين والحبشة لجبر السودان إمّا إلى حلف بغداد أو إلى الحزام الأفريقي، والمساعي التي تبذلها هذه الدول لإساءة العلاقات بين مصر والسودان كي يرتعي السودان في أحضان الإنكليز والأجانب. وقال إن هنالك مشاكل بيننا وبين السودان كالعملة والسد العالي.

فبالنسبة للعملة، يريدون منا تغطية النقد المصري المتداول الآن في السودان، والذي يبلغ ٢٦ مليون جنيه، تغطيته ذهباً أو إسترليني أو دولاراً، وليس لدينا هذا المبلغ، قلنا: إننا نعطيكم سندات على الخزينة المصرية تؤدي كل سنة قسطاً من المبلغ أو نساعدكم على الحصول على المنتجات الأجنبية بالنقد النادر، وطالما أن الإنكليز ينصحنهم فلا سبيل إلى الاتفاق.

بالنسبة للسد العالي، ورّع الإنكليز مناشير في السودان ضدّ وجهة مصر فيما يتعلق بالسد العالي، وكنا نوذّ بدء المشروع في حزيران، فقررنا تأجيله حتى لا يحصل خلاف يحقق للإنكليز رغباتهم.

ثم استعرض الرئيس عبد الناصر الوضع الداخلي في السودان واتحاد الختمية والأنصار، أي المهدي والميرغني، وطالب الملك سعود والرئيس القوتلي بأن يكون للدولتين تمثيل سياسي بدرجة سفارة في السودان لأنه أول دولة إسلامية في أواسط أفريقيا، وأن يعمل على إزالة الشكوك التي تساور السودان ضدّ مصر سيّما بعد

استقالة صلاح سالم، وقال إن ما يهم مصر أن يكون السودان موَحِّداً، مستقلاً من دون تدخل خارجي، ومزدهراً.

قال الرئيس القوّلي: منذ سنتين، التقيت الميرغني في الإسكندرية وتحدثت إليه. شعرت بأن لديهم بعض البرودة، وقد كنت حدثت سيادتكم عن ذلك وحدثت صلاح سالم بشأنه، كذلك الأمر التقيت الأزهري، وأبدى نفس الشعور بالفتور والبرودة، وكنت طلبت إلى صلاح سالم أن يوسّع صدره. وعندما أعلن استقلال السودان كان أول من فكّر بإرسال وفد هو نحن، وأرى أن نرسل لهم سفيراً خاصاً غير سفيرنا في القاهرة.

وقال الملك سعود: هذا معقول، ويجب استمالتهم واستدراجهم إلينا. دولة الاتحاد العربي: طلب إليّ فخامة الرئيس أن أوزع مشروع دولة الاتحاد العربي، الذي كان وضعه، على الشيخ يوسف ياسين وقائد الجناح علي صبري لعرضه على الملك سعود والرئيس عبد الناصر وبحثه في اجتماع الغد، ففعلت. وفي اجتماع مساء الجمعة ٩ آذار ١٩٥٦ (الساعة ١٨,٣٠)، افتتح الاجتماع فخامة الرئيس فقال:

«كنت في أول المؤتمر أود أن أضيف مادة جديدة لجدول الأعمال لبحثها في هذا المجلس المبارك، الذي أرجو أن يزداد توفيقاً وإنتاجاً في هذه المادة التي أود إضافتها.

وقبل ذلك، أود أن أبحث في تاريخ هذه المادة، فنحن رواد استقلال ووحدة. أما الاستقلال فقد حصلنا عليه والله الحمد بشكل مطلق لا تشوبه شائبة ولا يقيد قيد، وقد تم خلال مدة وجيزة وبجهد طويل.

نحن طلاب وحدة بعد هذا الاستقلال، وهذه الوحدة التي نريدها لهذه الأمة، والتي طالما سعيينا إليها منذ فجر النهضة العربية، لم تسعف الظروف إلى أن نؤمنها ونضعها حيث تستحق.

كنت سمعت من سيادة الرئيس منذ سنة أنه قال لدالاس (وزير خارجية أمريكا) إنه، عوضاً عن الدفاع المشترك، يود أن يكون لهذه المنطقة منظمة دفاعية منها وحدها للدفاع عنها ولا تكون موجهة ضد الغرب. وهذه المنظمة، نحن نقول، إنها وحدة، وعلى الأقل، اتحاد.

وقد كنا متفقين على هذه الفكرة مع جلالة الملك عبد العزيز عندما اجتمعنا للمرة الأولى.

وفي بروتوكول الإسكندرية، كان طوّل أن يكون البروتوكول أساساً للوحدة. والمؤسف أن هذا الميثاق قد نُقِصَ، وأقيم مكانه ميثاق جامعة الدول العربية في القاهرة، وتضمّن هذا الميثاق بنداً شل الميثاق وشل الفكرة، وهو: «القرارات لا تكون ملزمة إلا للدول التي تقرها وتقبل بها».

أمّا الآن، وقد نجح مؤتمرنا والله الحمد، وكى ننوّج أعمالنا بشيء سام يتجاوب مع رغباتنا وأهدافنا، أتقدّم الآن بمشروع لاتحاد عربي يكون نواة لما نأمله في المستقبل من وحدة تامة إن شاء الله^(١).

رحّب الملك سعود بالفكرة، كما رحّب بها الرئيس جمال عبد الناصر وأشاد بما تضمّنه المشروع المقدم من الرئيس القوّتلي، وأعربا عن تأييدهما الكامل لضرورة توحيد الجهود العربية، إلا أنهما طلبا بعض الوقت لدراسة بنود هذا المشروع وتقييمه. قال الرئيس القوّتلي، تعقيباً على ذلك، إنه يضع المشروع بين يديهم ويمكن بحثه في الاجتماع القادم للرؤساء الثلاثة.

جامعة الدول العربية: أكّد المجتمعون على ضرورة تقوية جامعة الدول العربية لتصبح أداة وحدة لا خلاف، ووجدوا أنّ ضعفها لا يتأتى من ميثاقها، وإن كان الرئيس القوّتلي يريد العودة إلى ما كان تضمّنه بروتوكول الإسكندرية من أن القرارات المتخذة بالأكثرية تسري على الجميع وليس فقط على الدول التي وافقت عليها، إلا أن سعيد الغزّي بيّن أن أكثر الدول الأعضاء في الجامعة لن تقبل بهذا التعديل، وقال الرئيس جمال إن ضعف الجامعة يعود إلى الدول المشاركة والتي تنقل أخبارها إلى الدول الأجنبية. وأعطى بعض الأمثلة على ذلك.

الخلاف السعودي - البريطاني بشأن واحة البريمي: وعد الرئيس عبد الناصر والرئيس القوّتلي التوسط مع بريطانيا لحل خلافها مع المملكة العربية السعودية، وذلك بإعطاء الواحة إلى السعودية، وإن كان في الواحة نفط، فيمكن منح استخراجها وتسويقه إلى شركة بريطانية.

وفي نهاية المحادثات، اتفق الرؤساء الثلاثة على استمرار المشاورات فيما بينهم واللقاءات والاجتماعات، وصدر البيان الختامي بعد التوقيع على الاتفاق الثلاثي يوم ١٣ آذار ١٩٥٦^(٢).

(١) مشروع القوّتلي لاتحاد الدول العربية في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ٦ - -

(٢) البيان الختامي لمؤتمر الأقطاب الثلاثة في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ٧ - -

وفي ١٤ آذار، تناول الرئيس القوتلي طعام الغداء لدى جميل مردم بك، بينما تناولت السيدة قرينته طعام العشاء لدى قرينة الرئيس جمال عبد الناصر. ويوم الخميس ١٥ آذار، أقام السفير عبد الرحمن العظم مأدبة غداء على شرف فخامة الرئيس، حضرها الرئيس جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة وأعضاء الوفد السوري وأعضاء السفارة السورية، وذلك في مبنى السفارة بالدقي.

وفي يوم الجمعة، قام الرئيس وعائلته والوفد المرافق برحلة بالباخرة إلى القناطر الخيرية، وأدى صلاة الجمعة في جامعها.

وفي يوم السبت، دعا الرئيس مخبري الصحف لتناول الغداء، وأدلى إليهم ببيان عن المؤتمر ومقرراته.

وفي يوم الأحد ١٨ آذار، سافرنا بالطائرة إلى الإسكندرية حيث حل فخامة الرئيس في قصر أنطونيادس، بينما حللت والدكتور فائز القوتلي في فندق بوريفاج.

وفي ٢٠ آذار، رافقت الرئيس إلى مشفى المواساة، حيث أجرى بعض الفحوص الطبية، ثم تناولنا الغداء لدى محافظ الإسكندرية محمد كمال الديب.

ومرة أخرى، رافقت الرئيس، يوم الخميس ٢٢ آذار، إلى مشفى المواساة، ثم زرت، مع السفير عبد الرحمن العظم، قصر المنتزه الجميل وزرت معه في اليوم التالي قصر رأس التين.

وفي المساء، أقام النادي السوري في الإسكندرية مأدبة عشاء على شرف الرئيس، حضرها المحافظ وكبار موظفي محافظة الإسكندرية والجالية السورية فيها.

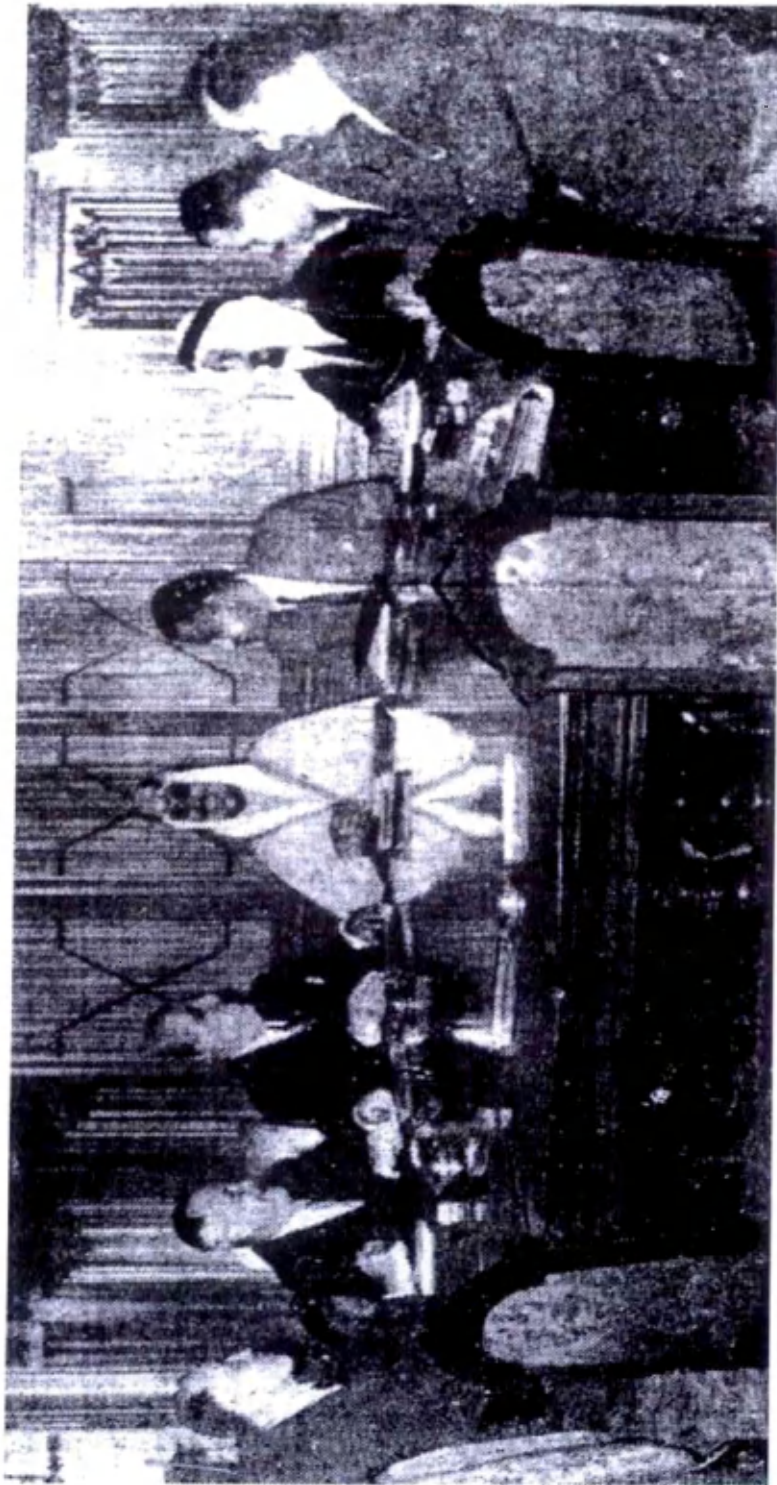
ويوم ٢٤ آذار، أقام الرئيس حفل غداء للرئيس جمال عبد الناصر، حضره اللواء عبد الحكيم عامر وزكريا محي الدين وعبد اللطيف البغدادي والسفير عبد الرحمن العظم.

ويوم ٢٥ آذار غادرنا جميعنا الإسكندرية بالطائرة عائدين إلى دمشق.

خلال فترة إقامتنا في مصر وفي القاهرة بالذات، قويت معرفتي بالرئيس جمال عبد الناصر وتقديرى واحترامى له، كما قدرني سيادته فمحنى وسام الجمهورية من الطبقة الرابعة^(١).

وتوثقت علاقتي مع رجال القصر ومنهم قائد الجناح علي صبري (الذي أصبح

(١) صورة براءة الوسام في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٨ -.



مؤتمر الاقطاب الثلاثة... ويرى في الوسط الرئيس جمال عبد الناصر، وجلالة الملك سعود عاهل المملكة السعودية، فالرئيس شكرى القوتلي رئيس الجمهورية السورية وظهر إلى يساره السيد سعيد الغزي رئيس الوزارة السورية، فالدكتور محمود فوزي وزير الخارجية، وجلس إلى يمين الرئيس جمال الشيخ يوسف يس نائب وزير الخارجية السعودي فقائد الجناح علي صبري مدير مكتب الرئيس جمال للشؤون السياسية فالسيد عبد الله الخاني مدير قسم الشؤون العربية بالقصر الجمهوري السوري

فيما بعد رئيساً للوزراء) وكان مديراً للمكتب السياسي للرئيس، إذ كنا نصيغ محاضر الجلسات سوية، ونشترك في وضع بعض الصيغ معاً، ثم مع كبير الياوران اللواء رشاد حسن (رئيس الغرفة العسكرية)، ولا سيما مع كبير الأمناء علي رشيد (باشا)، والأمناء فؤاد تيمور وعمر شيرين والتشريفتي صلاح الشاهد (الذي أصبح فيما بعد كبير الأمناء، بعد إحالة الأمناء إلى التقاعد).

في أحد الأيام، عرض عليّ علي رشيد (باشا) أن يطلعي على الغرفة السرية للملك فاروق حيث كان يحتفظ بتحفه، فرحبت بالفكرة. وفي يوم كان خالياً من الاجتماعات، أخذني إلى أحد المصاعد السرية الذي كان مغلقاً ولا يفتح إلا بمفتاح خاص كان يحتفظ به الملك فاروق وحده ولا يسلمه لأحد. المصعد نقلنا إلى الطابق الثاني في قصر القبة وتوقف أمام باب الغرفة السرية الذي لا يفتح إلا بأرقام لا يعرفها إلا الملك، وهنالك شعاع بين دفتي الباب وكاميرا (آلة تصوير) إن أراد أحد أن يقتحم الباب ولم يكن يعلم مكان وطريقة إيقاف الشعاع، ضربت أجراس الإنذار في جميع أرجاء القصر والتقطت الصور، فيهرع الحراس إلى مكان الحادث. كان ذلك غريباً جداً بالنسبة لي، إذ لم تكن هذه الوسائل الأمنية معروفة لدي، ولا كاميرات التصوير في ذلك الحين.

دخلنا القاعة وكانت كبيرة، إلا أن علائم الفوضى كانت بادية عليها مما يدل على أن أكثر التحف وأغلاها قيمة قد أخذت منها ولم يبق منها إلا القليل، على أن أكثر التحف كان ثميناً للغاية. كان الملك يهتم بجمع ساعات الجيب المرصعة بالماس واللوحات للعاريات، ولكن ما بقي منها كان عادياً ولا أعتقد أن له قيمة تذكر، كما كانت هنالك مجموعات كثيرة للطوايع وبعض الصواني وفناجين القهوة المرصعة بالماس، على أن أؤمن ما شاهدت كان عصا المارشالية للمارشال الألماني الشهير «روميل» بطل الصحراء الأفريقية وأهم قادة الألمان في الحرب العالمية الثانية.

كانت العصا من الذهب الخالص بطول ٤٠ - ٤٥ سم برأسين مزركشين محفورين ومغطاة بقطيفة خضراء مزدانة بعدد من الصليب المعكوف، شعار النازية، من الذهب الخالص أيضاً. كانت مصر تفاوض ألمانيا على استبدال هذه العصا بتمثال رأس نفرتيتي الشهير الذي يحتفظ به متحف برلين، وحتى ذلك التاريخ لم تثمر هذه المفاوضات.

ذكر لي عمر شيرين، الأمين الثاني في قصر القبة، أنه قبل الثورة بيوم واحد، جاء إلى الملك فاروق اثنان من هولندا يحملان معهما ماستين نادرتين، قيمة إحداها ٢٥٠

ألف جنيه أي ($٢٥٠ \times ٣,٣ = ٨٢٥$ ألف دولار)، إذ إن قيمة الجنيه المصري في ذلك الحين كانت تساوي ٣,٣ دولاراً أمريكياً، والثانية تساوي ٣٠٠ ألف جنيه أي ($٣٠٠ \times ٣,٣ = ٩٩٠$ ألف دولار) وقد استمهلها الملك حتى اليوم التالي ليفحص الماسيتين ويقدر قيمتهما مع الخبراء المصريين، واحتفظ بالماسيتين في أحد دروج مكتبه في قصر الطاهرة، وقد فقدتا فيما بعد ولم يعرف من استولى عليهما.

علمت فيما بعد أن أكثر التحف قيمة قد نقلت إلى متحف المجوهرات الملكية بمدينة الإسكندرية.

وقد نشرت مجلة Horus مقالاً مهماً مزيناً بالصور عنها في عدد نيسان/حزيران ١٩٩٩، ص ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠. يمكن لمن يهمه الأمر الرجوع إليه.

زيارة الملك حسين لدمشق

ومباحثاته مع الرئيس شكري القوتلي

دمشق في ٩ و ١٠ نيسان ١٩٥٦

بناءً على دعوة رسمية من الرئيس شكري القوتلي، قام الملك حسين بن طلال بزيارة رسمية إلى دمشق بين التاسع والعاشر من شهر نيسان ١٩٥٦، رافقه فيها رئيس الوزراء الأردني سمير (باشا) الرفاعي ورئيس الديوان الملكي بهجت التلهوني.

جاءت الزيارة في البداية لتهنئة الرئيس القوتلي بإعادة انتخابه لرئاسة الجمهورية، ثم للاطلاع على الأبحاث التي جرت في القاهرة بين الرؤساء الثلاثة: الملك سعود والرئيس القوتلي والرئيس جمال عبد الناصر في آذار من هذا العام.

أثناء هذه الزيارة، جرت مباحثات بين الملك حسين والرئيس القوتلي، اشترك فيها من الجانب الأردني سمير (باشا) الرفاعي وبهجت التلهوني، ومن الجانب السوري سعيد الغزّي، رئيس مجلس الوزراء السوري، وحرر ضبوط الجلسات عبد الله الخاني المدير العام في القصر الجمهوري.

تناولت المباحثات تنسيق الخطط العسكرية بين البلدين ومع بقية دول المواجهة في حال قيام إسرائيل بعدوان على إحدى هذه الدول، وكانت الآراء متفقة حول تنظيم الدفاع، وتقوية الجيش الأردني والحرس الوطني وتزويدهما بالسلاح اللازم، لا سيما وأن الأردن هي المستهدفة بالدرجة الأولى.

كما تناولت المباحثات الأحلاف الأجنبية في المنطقة، ولا سيما حلف بغداد

الذي يربط العراق بتركيا وبريطانيا بمباركة من أمريكا، وقرر المجتمعون معارضة هذه الأحلاف والاعتماد على دول المنطقة للدفاع عن نفسها، وأكد الملك حسين على إزالة الخلاف بين مصر والعراق، ودعوة الرؤساء العرب إلى قمة يوحدون فيها مواقفهم، بينما رأى الرئيس القوتلي أن مثل هذا الاجتماع الموسع، إن عقد، فسيثير الخلافات بين الدول أكثر مما يؤدي إلى توحيد المفاهيم والمواقف.

كما بحث الرئيسان موضوع المساعدة المالية للأردن لتحل محل المساعدة البريطانية، وطالب سمير الرفاعي بتقديم جزء منها الآن وضمان تقديمها بشكل دائم في المستقبل، نظراً لأن الأردن ليست لديه الموارد الكافية الطبيعية لتحمل نفقات الدفاع والجيش والميزانية العامة، وأكد له الرئيس القوتلي استعداد الدول الثلاث: السعودية ومصر وسورية لتقديم هذه المساعدة المالية.

وفي نهاية الاجتماع وجه الملك حسين الدعوة للرئيس القوتلي لزيارة الأردن، قبلها الرئيس القوتلي دون تحديد موعد معين لها.

طلب إليّ فخامة الرئيس أن أبحث مع سمير الرفاعي إمكانية إقامة قيادة موحدة للجيشين السوري والأردني، فبحثت ذلك معه، فاستمهل ليطلع جلالة الملك على ذلك، ثم عاد في اليوم الثاني ليقول لي إن جلالته يقول طالما أن الجيش السوري والجيش المصري لهما قيادة مشتركة، فوضع الجيش الأردني والجيش السوري تحت قيادة مشتركة معناه وضع الجيش الأردني تحت القيادة المصرية، وهو ما لا يرغب به الأردن حالياً لأنه سيثير مشاكل مع العراقيين. نقلت ذلك إلى فخامة الرئيس^(١).

بعد الانتهاء من الاجتماعات، سألتني فخامة الرئيس: «كيف وجدت الملك حسين؟»، قلت: «إن صوته وحديثه ومحاكمته ومناقشته أكبر من سنّه»، قال فخامته: «وهذا ما لاحظته أيضاً». كان الملك حسين في ذلك التاريخ قد بلغ الواحد والعشرين من عمره (ولد عام ١٩٣٥).

زيارتي إلى هولندا

بمناسبة افتتاح خط الطيران بين دمشق وأمستردام، وجّه إليّ المدير الإقليمي لشركة KLM - الخطوط الجوية الهولندية - السيد زهير العيطة، دعوة لزيارة هولندا. استأذنت فخامة الرئيس بقبول الدعوة والسفر، فوافق، وقمت مع السيد بهجت

(١) محاضر الجلسات موجود لدي بالتفصيل.

الميداني، صهر السيد زهير العيطة، بتاريخ ٢٤ نيسان ١٩٥٦، بأول زيارتي لهولندا. وقد أعجبت أيما إعجاب بمدينة أمستردام وبأقنيتها الكثيرة وبنظافتها وحب أهلها للنظام.

يقول الهولنديون إن الله تعالى خلق العالم، وخلق الهولنديون بلدهم هولندا، ذلك أنهم غمروا البحر لمسافات واسعة فكسبوا ثلث مساحة هولندا الحالية. وتسمى هولندا «البلاد الواطنة Pays Bas»، ذلك أن معظم مستوياتها تقع دون ارتفاع مستوى البحر.

على أن ما أعجبت به كثيراً هو «حديقة كوكنهوف»، وهي حديقة واسعة تحوي معرضاً للأزهار المتنوعة والتوليب، آية في الجمال، ولا مثيل لها في العالم أجمع. يهوى الهولنديون الأزهار ويزرعونها بكثرة ويصدّرونها إلى العالم أجمع، ويجمعون من ورائها ومن ثمنها مليارات الدولارات.

في كل بيت في هولندا حديقة مزروعة بالأزهار، وعلى كل نافذة من كل بيت شقوف من الأزهار الطبيعية وفي سائر فصول السنة. إن هولندا حديقة واسعة، وهذا دلالة الرقي والحضارة.

لقد استمتعت بهذه الزيارة وبزيارة متاحف أمستردام الغنية، ولا سيما المتحف الملكي «ريكس ميوزيوم» ومتحف لوحات الفنان الشهير «فان غوخ» أو كما يسميه الهولنديون «فان خوخ»، وقد حوى معظم لوحاته.

زيارة الرئيس القوتلي إلى الأردن

تنفيذاً للدعوة التي كان وجهها الملك حسين لفخامة الرئيس القوتلي لدى زيارته له في ٩ و ١٠ نيسان الماضي، قام الرئيس بهذه الزيارة بين ٢٨ و ٣١ أيار ١٩٥٦، وقد رافقه فيها الأستاذ سعيد الغزّي، رئيس مجلس الوزراء، كما رافقته أنا والملازم الأول مأمون تحسين، المرافق العسكري لفخامته.

وخلال هذه الزيارة جرت مباحثات متتمة للمباحثات التي جرت في دمشق أثناء زيارة الملك حسين إليها.

كما قمنا بزيارة للضفة الغربية، زرنا خلالها القدس، حيث أدينا مع الرئيس والملك حسين وأعضاء الوفدين الصلاة في مسجد عمر، كما زرنا نابلس وطولكرم وبيت لحم، وقمنا بجولة بالمراكب في البحر الميت، وكانت زيارة ناجحة صدر على

أثرها بيان مشترك تضمن الاتفاقية السورية - الأردنية التي وقّعت في نهاية المباحثات^(١).

في نهاية المباحثات، منحتي الملك حسين وسام الاستقلال من الدرجة الثانية، «تقديراً للصفات الحميدة التي اتّصفت بها!...» كما تقول براءة الوسام، وأرجو أن تكون صفاتي كذلك!...^(٢).

الأحداث الهامة التي وقعت في المنطقة منذ أيار ١٩٥٦

- أعلنت الحكومة المصرية اعترافها بحكومة الصين الشعبية في ٢١ أيار ١٩٥٦، وتلتها الحكومة السورية فأعلنت اعترافها رسمياً بالصين الشعبية في ٢٨ أيار ١٩٥٦^(٣).

- وفي ٢٩ أيار، اجتمع مجلس الأمن في نيويورك للنظر في تقرير المستر همرشولد الأمين العام للأمم المتحدة، وحضر مندوبو سورية ومصر ولبنان والأردن وإسرائيل هذا الاجتماع، ووافق المجلس على تمديد مهمّة همرشولد في العمل على توطيد دعائم الهدنة على الحدود العربية - الإسرائيلية^(٤).

- وفي الأول من حزيران، ١٩٥٦، أعلن الرئيس جمال عبد الناصر حلّ قيادة مجلس الثورة ابتداءً من ٢٣ حزيران، وهو موعد إجراء الاستفتاء الشعبي على رئاسة الجمهورية والدستور الجديد، وقد جرى الاستفتاء وأعلن نجاح الرئيس جمال عبد الناصر رئيساً لجمهورية مصر^(٥).

- وفي ٤ حزيران قدّمت حكومة الأستاذ سعيد الغزّي استقالتها، وفي ١٤ حزيران شكل الأستاذ صبري العسلي الحكومة الجديدة محتفظاً بوزارة المالية إلى جانب الرئاسة، وشملت الوزارة الجديدة: محمد العايش لوزارة الدولة، ومجد الدين الجابري للأشغال العامة والمواصلات، وأحمد قنبر للدخالية، وعبد الوهاب حومد للمعارف، ورشاد جبيري للزراعة، وعبد الباقي نظام الدين للصحة والإسعاف العام، ومصطفى الزرقا للعدلية، وصلاح الدين البيطار للخارجية، وخليل الكلاس للاقتصاد، وعبد الحسيب رسلان للدفاع - (المرسوم رقم ٢١٢٠ في ١٤/٦/١٩٥٦)^(٦).

(١) نص الاتفاقية السورية - الأردنية في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٩ -.

(٢) صورة براءة الوسام الأردني في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ١٠ -.

(٣) مجلة الأبحاث. (٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه. (٦) المصدر نفسه.

- وفي ٢٣ حزيران، قام وزير الخارجية السوفياتية ديمتري شيبيلوف بزيارة لدمشق بعد زيارته لمصر، وأجرى مباحثات مع وزير الخارجية السورية ومع الرئيس القوتلي الذي أقام له حفل عشاء في القصر الجمهوري، وصدر عقب المباحثات بلاغ مشترك أكد على الود والصداقة والتعاون بين البلدين^(١)، ويذكر البيان دعوة الرئيس شكري القوتلي لزيارة موسكو وقبوله هذه الدعوة دون تحديد موعدها.

- وفي الأول من تموز، تشكل الوفد السوري لتهنئة الرئيس جمال عبد الناصر بفوزه برئاسة الجمهورية، من السادة: صبري العسلي رئيس الوزراء، ومحمد العايش وزير الدولة، وصلاح الدين البيطار وزير الخارجية، وعبد الله الخاني المدير العام في رئاسة الجمهورية. وقد زار الوفد الرئيس في القاهرة وقدم له التهانني باسم الرئيس شكري القوتلي، وقد وزع علينا الرئيس عبد الناصر الأوسمة وكان نصيبي منها وشاح الاستحقاق من الدرجة الأولى^(٢).

- في بغداد، جرى عقد قران الأمير عبد الإله، الوصي على عرش العراق، على الأنسة هيام كريمة الشيخ محمد الجيب أمير ربيعة، وذلك في ١٥ حزيران ١٩٥٦ وفي حفل كبير^(٣).

- وفي ١٨ حزيران، أعلنت في تل أبيب استقالة موسى شاريت من وزارة الخارجية وتعيين غولدا مايرسون مكانه^(٤).

- وفي القاهرة، أعلنت الحكومة المصرية في ١٩/٦/١٩٥٦ رفع الأحكام العرفية، وإلغاء الرقابة على الصحف في بداية رئاسة جمال عبد الناصر للجمهورية^(٥).

- وفي دمشق، أعلن صبري العسلي رئيس الحكومة، عندما أدلى ببيانه في مجلس النواب للحصول على الثقة، وذلك في الخامس من تموز، أن الاتفاق قد تم على تأليف لجنة وزارية تتولى مفاوضة الحكومة المصرية لتحقيق الاتحاد الفدرالي السوري - المصري^(٦).

(١) نص البيان المشترك في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ١١، مجلة الأبحاث، تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة ٩، الجزء ٣، أيلول ١٩٥٦، ص ٣٦٥.

(٢) صورة براءة الاستحقاق المصري، الشاح في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ١٢ ..

(٣) مجلة الأبحاث. (١) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه.

(٦) نص البيان في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ١٣ ..

- وفي السابع من تموز، تقدم الزعيم شوكت شقير باستقالته من رئاسة أركان الجيش السوري فقبلت، وعين العقيد توفيق نظام الدين بدلاً منه. وأعتقد شخصياً أن ما دفع الزعيم شوكت شقير على الاستقالة هو ملاحظته أن الجيش قد أصبح أحزاباً وفئات سياسية مختلفة، وفقد الانضباط العسكري.

وفاة والدي

إن أشد ما آلمني في هذه الفترة، رغم خطورة الأحداث التي نعيشها، وفاة والدي الشيخ محمد سعيد، تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنانه ورحمه رحمة واسعة وغفر له. كنت مرتبطاً به روحياً وعقلياً ونفسياً، وكان بالنسبة لي أئمن إنسان في هذه الدنيا، بل كل شيء فيها.

قام للوضوء ولأداء الصلاة فزلت قدمه وأصيب بكسر في عظم الحوض، فنقلناه إلى مشفى دمشق، وكان ذلك في العشرين من آب ١٩٥٦، ورغبت إلى الطبيب الدكتور برمدا، وكان متخصصاً بالعظمية، أن يجري له عملية ليثبت العظم، فقال: لا يمكن إجراء العملية له لأنه نحيل ولأن عظمه هش. وكان رحمه الله قد بلغ السابعة والثمانين من عمره الذي قضاه في العلم والتقى والصلاح، وكانت سيرته العلمية والاجتماعية سيرة عطرة، محترمة، مقدرة، وكان حتى آخر فترة من حياته يقرأ الكتب الدينية، وكانت لديه مكتبة عامرة بالمخطوطات والكتب الدينية القديمة والحديثة قلَّ أن يوجد مثيلها. قال الطبيب: يجب أن نتهياً لوفاته، إذ لا يمكن إجراء أي شيء آخر، وهكذا فقد قضى، رحمه الله، في الثامن والعشرين من آب ١٩٥٦، ودفن في مقبرة باب الصغير، فوق والده الشيخ عبد الله، قريباً من الصحابة والصالحين.

أما مكتبته فقد أهديناها إلى المكتبة الظاهرية بدمشق عندما نُقلت إلى وزارة الخارجية، وذهبت إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة في مدريد بإسبانيا، إذ كان من المتعذر جداً نقل المكتبة حيثما تنقلنا في السفارات، ولم يكن لدي بيت في دمشق أودعها فيه.

معرض دمشق الدولي

استقطب معرض دمشق الدولي، منذ إنشائه في عام ١٩٥٤، العديد من دول العالم العظمى والصناعية التي تسابقت مع شركاتها الكبرى لتعرض فيه أحدث ما توصلت إليه من إنجازات صناعية وزراعية وفنية، كما كان هذا المعرض حدثاً هاماً في منطقة

الشرق الأوسط يؤمّه وزراء الاقتصاد والصناعة والتجارة من مختلف دول العالم، إذ يشكل مؤتمراً اقتصادياً على أعلى المستويات، بالإضافة إلى ملايين الزوار من سورية ولبنان والأردن وبعض الدول العربية الأخرى.

وبالإضافة إلى المعروضات الصناعية، فإن الدول الكبرى كانت تتسابق لعرض فرقها الفنية، فتبعث إلى مسرح المعرض بأفضل فرق الموسيقى والرقص والغناء والتمثيل، وأرقى ما لديها من فرق فنية شعبية.

كنت بحثت مع الوزير المفوض النمساوي في دمشق عن إمكانية دعوة الفرقة السمفونية لفينا لتقدّم بعض الحفلات الموسيقية في دمشق على مسرح المعرض لعام ١٩٥٦، وكنت مسروراً عندما علمت أن هذه الفرقة قد استجابت لهذه الدعوة وقبلت الحضور على أن تتحمل إدارة المعرض نفقات إقامتها فقط، وكان عدد أفرادها يربو على المائة. وخشي المدير العام للمعرض آنذاك أن لا تستطيع ميزانية المعرض تحمل هذه النفقة، إذا لم يكف دخل الحفلات من تغطية هذه النفقة. نقلت هذه الخشية إلى فخامة الرئيس، فقال لي: إن كان هنالك عجز فسأعطيه شخصياً، وقدّرت للرئيس هذه البادرة الخيرة.

وجاءت الفرقة السمفونية النمساوية وقدّمت خمس حفلات، عزفت خلالها مقطوعات لموزارت وبيتهوفن وبراهمز وشومن وتشايكوفسكي وعدد آخر من كبار الموسيقيين العالميين، وحضر هذه الحفلات جمهور غفير من محبي الموسيقى الكلاسيكية، قدموا من مصر ولبنان والأردن والعراق، وفاق دخل هذه الحفلات كل تصوّر، وكان سرور قائد الفرقة ومديرها العام كبيراً، فقدّمت الفرقة حفلة إضافية على مسرح نصب خصيصة في قصر العظم، وعزفت فيه ألحاناً للموسيقار النمساوي يوهان شتراوس كانت في غاية الروعة والجمال.

وفي هذا العام أيضاً - أي عام ١٩٥٦ - عرضت الولايات المتحدة طائرة مروحية صغيرة، وقد حصلت على إذن من وزارة الدفاع للطيران عليها والتقاط صور لدمشق، وقد تمكنت من التقاط العديد من الصور الناجحة بالألوان وبالأبيض والأسود جرى تكبيرها فيما بعد وتوزيعها على سفارتنا في الخارج، وكانت أجملها صور الجامع الأموي والتكية السليمانية ومدينة المعرض وقصر العظم والمدينة الحديثة (شارع الجلاء والشوارع المتفرعة عنه).

وبمناسبة الحديث عن معرض دمشق الدولي، أذكر أنه في عام ١٩٦٨، عندما كنت قائماً بأعمال سفارتنا في باريس، بعث إلي الأخ الأستاذ ناظم حافظ، المدير

العام للمعرض، أن أطلب إلى السلطات الفرنسية المختصة المشاركة في المعرض بجناح لها.

ذهبت لمقابلة المسيو روسلييه، المدير العام «للمجلس الاقتصادي والاجتماعي الفرنسي»، وهو المسؤول عن المعارض الفرنسية في الخارج، ولم يكن استقباله لي في البداية مهذباً. كان ضخمة الجثة مغتراً بنفسه وبمنصبه الكبير، فلم ينهض لاستقبالني إلا قليلاً. قال متهمكماً: إلى أي شيء يمكن أن أعزو شرف زيارتك؟! فأجبتة بنفس اللهجة: «لشرف التعرف عليك»، فضحك ضحكة عالية؛ ثم قال: وغير هذا؟ قلت: طلب إليَّ المدير العام لمعرض دمشق الدولي أن أعرض عليكم المشاركة بجناح في معرضنا؛ قال: لا شك رأيت سفير هنغاريا يخرج للتو من مقابلي، قلت له ما أعيد على مسامعك الآن: إننا لم نعد نهتم بالمشاركة في مثل هذه المعارض التي تعرض البرادات والغسالات والتجهيزات المنزلية، إننا نهتم بالمشاركة في المعارض العلمية المتخصصة، لذا فإنني آسف أن لا نستطيع المشاركة في معرضكم. قلت: ما جئت لأطلب إليكم المشاركة بل لأعرض عليكم المشاركة، فمعرض دمشق لا تشارك فيه الدول العظمى بالبرادات والغسالات وما إليها، إنما هو مؤتمر اقتصادي دولي تتسابق الدول العظمى، مثل اليابان وألمانيا وبريطانيا وأمريكا وإيطاليا والاتحاد السوفياتي وغيرها من الدول الصناعية الكبرى مثل الصين والهند، للمشاركة فيه لأنها تعلم أن من يفوز بعقد مع سورية تفتح له أسواق العالم العربي قاطبة، لأن سورية هي الباب الرئيسي للبلاد العربية وهي أغنى الدول، ويربو عدد الدول المشاركة سنوياً على الستين دولة، تعرض أفضل ما توصلت إليه صناعاتها من تقدم علمي وتقني، ويحضره ما لا يقل عن خمسين وزيراً من وزراء الاقتصاد والصناعة والتجارة في العالم العربي والغربي، فيبحثون علاقات بلادهم بمنطقة الشرق الأوسط التي تعتبر أغنى المناطق وأكثرها استيراداً للبضائع الأوروبية والآسيوية والأمريكية. ودعني أقول لك قبل مغادرتي، إن أشخاصاً مثلك هم الذي يفوتون الفرص على بلادهم ويفقدونها أسواقها في العالم. وهممت بالخروج، فوقف وقال: أرجوك انتظر قليلاً. ثم قرع الجرس فدخل مدير مكتبه، فقال له: هل بقي لدينا اعتماد للمشاركة في المعارض؟ فأجابه مدير مكتبه: هنالك مخصصات حجزناها للمشاركة في معرض كذا...؛ فقال له: حول هذه المخصصات للمشاركة في معرض دمشق لهذا العام. ثم التفت إلي وقال: هل أنت مسرور؟ قلت: الآن تحدث بمنطق اقتصادي. وكان وداعه لي أفضل بكثير من استقباله.

تأميم قناة السويس^(١)

في لندن، صرّح وزير الخارجية البريطانية سلوين لويد في ٢٤ تموز أن قيام مصر برّقي محصلوها من القطن للحصول على أسلحة شيوعية قد دفع حكومته إلى سحب عرضها للمساعدة في تمويل مشروع السد العالي من مصر، وأضاف: «إن التطورات الأخيرة جعلتنا نشك بإمكان تنفيذ المشروع»^(٢).

وقد دفع ذلك الرئيس جمال عبد الناصر إلى تأميم قناة السويس في خطاب هام ألقاه في ٢٦ تموز ١٩٥٦^(٣). وفي اليوم التالي قدّمت حكومتا بريطانيا وفرنسا مذكرتي احتجاج على تأميم القناة وأعلنتا عدم اعترافهما بشرعيته، كما أعلنت الحكومة البريطانية تجريد أرصدة الإسترليني لمصر والأموال المصرية العامة والخاصة، وأعلن رئيس الحكومة البريطانية أن بريطانيا ترفض إشراف مصر «غير المقيّد» على قناة السويس، إلا أن الرئيس عبد الناصر أذاع بياناً أكد فيه حرص مصر على إبقاء حرية الملاحة في قناة السويس، وقال إن مصر واثقة من شرعية الخطوة التي اتخذتها لتأميم القناة باعتبارها شركة مصرية تخضع للسيادة والقوانين المصرية^(٤).

وصرح المستر جون فوستر دالاس، وزير خارجية الولايات المتحدة، في واشنطن في الثاني من آب ١٩٥٦، أن الحكومة الأمريكية لم تتعهد لبريطانيا وفرنسا بالاشتراك في أي عمل حربي ضد مصر فيما لو رفضت حكومتها قبول الإشراف الدولي على قناة السويس، وأعرب المستر دالاس عن أمله بالوصول إلى حل سلمي للمشكلة^(٥).

وفي لندن، أعلن السير أنطوني إيدن، رئيس الحكومة البريطانية، في بيان له أن الإشراف الدولي على القناة قضية حياة أو موت بالنسبة لبريطانيا، وأن نجاح رجل واحد في السيطرة على القناة يضع بريطانيا تحت رحمة رجل واحد، وأن القوة لن تكون السبيل الوحيد لحل المشكلة^(٦).

كما أعلن المستر سلوين لويد، وزير الخارجية البريطانية، أن استعمال القوة هو آخر الحلول التي تلجأ إليها حكومته، وأن فرض الرقابة الدولية على قناة السويس

(١) مجلة الأبحاث، السنة ٩، الجزء ٣، أيلول ١٩٥٦، ص ٣٦٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نص قرار تأميم قناة السويس في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ١٤ - مجلة الأبحاث، السنة ٩، الجزء ٣، أيلول ١٩٥٦، ص ٣٦٩.

(٤) مجلة الأبحاث، السنة ٩، الجزء ٣، أيلول ١٩٥٦، ص ٣٦٣.

(٥) المصدر نفسه. (٦) المصدر نفسه.

عن طريق المفاوضات السلمية هو ما تحرص عليه بريطانيا كل الحرص^(١).

ووقفت سورية بكل حزم إلى جانب مصر وأيدتها في جميع قراراتها، كما وقفت بقية الدول العربية وقفة المؤيد لمصر المدافع عن حقها في تأمين القناة^(٢).

مضاعفات تأمين قناة السويس^(٣) : اقترحت الدول الغربية، في الجلسة الثانية التي عقدها مؤتمر لندن في ١٦/٨/١٩٥٦، أن تكون إدارة قناة السويس تحت مسؤولية مجلس دولي يشتمل على مصر ومرتبطة بالأمم المتحدة^(٤).

وقد قُدم هذا المشروع وزير خارجية الولايات المتحدة جون فوستر دالاس باسم بلاده وبريطانيا وفرنسا، بينما قُدم المستر شيبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي مشروعاً آخر، يأخذ بعين الاعتبار حقوق مصر وضرورة تأمين الملاحة في القناة على أساس اتفاقية ١٨٨٨، ويدعو إلى عقد مؤتمر جديد لدرس المشكلة تحضره مصر، وتكون لجنته التحضيرية مؤلفة من مصر والهند والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي.

إلا أن وزير الخارجية البريطانية رفض هذا الاقتراح، وطالب بوضع قناة السويس فوراً «تحت الرقابة الدولية».

ورفض الرئيس جمال عبد الناصر الإشراف الدولي على القناة لأنه يشكل افتئاتاً على الكرامة الوطنية، وأعلن أن بلاده مستعدة لتأمين حرية المرور في القناة، وأنها تتمسك بما نصت عليه معاهدة ١٨٨٨ بهذا الصدد.

وفي باريس، أعلنت مصادر البحرية الفرنسية أن المدرعة «رغراس» ستقلع إلى البحر الأبيض المتوسط.

وفي نيقوسيا، صدر بلاغ رسمي يعلن أن الطلائع الأولى للقوات الفرنسية المقرر إنزالها في قبرص قد وصلت إلى قبرص بطريق الجو.

وفي لندن، اجتمع رئيسا الحكومتين البريطانية والفرنسية لإحالة قضية السويس إلى الأمم المتحدة، وإمكانية استعمال القوة، وصدر بلاغ عقب الاجتماع يعلن اتفاق الحكومتين على «اتخاذ جميع الإجراءات» لحل قضية السويس.

(١) مجلة الأبحاث، السنة ٩، الجزء ٣، أيلول ١٩٥٦، ص ٣٦٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مجلة الأبحاث، تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة ٩، الجزء ٤، كانون الأول ١٩٥٦.

(٤) نص بيان مؤتمر لندن الثلاثي في ١٦ آب ١٩٥٦، في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ١٥ -.

وفي واشنطن، أعلن الرئيس أيزنهاور في ١١/٩/١٩٥٦، أنه لا يعتقد بوجود مبرر للجوء فرنسا وبريطانيا إلى القوة المسلحة لإبقاء قناة السويس مفتوحة، وكانت شركة قناة السويس (السابقة) قد سمحت اليوم (١١/٩/١٩٥٦) لموظفيها - بمن فيهم ماتني مرشد - بترك أعمالهم في مصر بعد ١٥/٩/١٩٥٦^(١).

وفي لندن، عقد مجلس العموم البريطاني جلسة بتاريخ ١٢/٩/١٩٥٦ أعلن فيها المستر إيدن رئيس الوزراء عن تأليف هيئة دولية، من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة، تقوم بالإشراف على المرور في قناة السويس، وإذا رفضت مصر هذه الهيئة تكون قد نقضت معاهدة ١٨٨٨، وعندئذ تلجأ الدول الثلاث إما إلى الأمم المتحدة وإما إلى اتخاذ "تدابير أخرى" لفرض حقوقها، وقد طلب المستر إيدن سلطات استثنائية لاستعمال القوة عند الحاجة^(٢).

وأبلغت مصر الولايات المتحدة أن تطبيق نظام هيئة مستعملي القناة سيكون معناه الحرب، وأعلنت وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة لا تنوي شق طريق لسفنها بالقوة عبر قناة السويس، بل إنها تفضل إرسال سفنها حول رأس الرجاء الصالح في بعض الحالات^(٣).

وفي موسكو، أذاعت الحكومة السوفياتية بياناً رسمياً أعلنت فيه أن أي اعتداء من الغرب على مصر يعني تدمير القناة ونسف منشآت البترول في الأراضي العربية، ويتهم البيان بريطانيا وفرنسا بالاستعداد لاستخدام القوة ضد مصر.

وفي القاهرة، أنهت اللجنة السياسية للجامعة العربية اجتماعاتها باتخاذ قرارات إجماعية تؤيد فيها موقف مصر من قضية قناة السويس، وتشجب الاقتراح الداعي إلى إنشاء هيئة مستعملي القناة، وتستنكر التهديد العسكري من جانب فرنسا وبريطانيا، وتعلن التمسك بمبادئ الأمم المتحدة لحل الخلاف^(٤).

وفي واشنطن، أقر المستر جون فوستر دالاس، وزير الخارجية الأمريكية، بوجود خلاف في وجهة النظر بين حكومته من جهة وحكومتَي فرنسا وبريطانيا من جهة أخرى حول السياسة الواجب اتباعها لحل الأزمة، إلا أنه أشار إلى ضرورة العمل على تعزيز التضامن الغربي، وأضاف أن أمريكا تؤيد الحركات الإنشائية المعادية

(١) مجلة الأبحاث، تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة ٩، الجزء ٤، كانون الأول ١٩٥٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

للاستعمار، وتتمسك بموقفها الخاص من مشكلة القناة، ولن تحارب مصر اقتصادياً^(١).

في عمان، أعلن اللواء علي أبو نوار، رئيس أركان الجيش الأردني، أن الأردن عقد اتفاقيات عسكرية مع سورية ومصر لتوحيد وسائل الدفاع على الحدود العربية، وسيعهد إلى اللواء عبد الحكيم عامر قيادة القوات الموحدة في حالة وقوع اعتداءات إسرائيلية جديدة، وقال إن الأردن تسلّم شحنات أسلحة ومعونات مالية من مصر وسورية والمملكة العربية السعودية^(٢).

مؤتمر الدمام

نتيجة تأزم الأوضاع في المنطقة والتهديدات البريطانية والفرنسية ضد مصر عقب تأميم شركة قناة السويس، وجد الرؤساء الثلاثة، جمال عبد الناصر وشكري القوتلي والملك سعود، ضرورة عقد اجتماع للتباحث في ما يجب اتخاذه من إجراءات في حال قيام فرنسا وبريطانيا بهجوم مسلح على مصر، وتم عقد هذا المؤتمر بداية في الرياض في ٢٢ أيلول ١٩٥٦ ثم استؤنف في الدمام، شرق المملكة العربية السعودية، في ٢٤ أيلول، وقد حضرته مرافقاً الرئيس القوتلي إليه وسجلت محاضراته، التي سلمتها فيما بعد إلى الرئيس فاحتفظ بها.

وقد أيد الرئيس والملك سعود الرئيس جمال عبد الناصر من دون تحفظ في الخطوات التي اتخذها بتأميم شركة قناة السويس، والوقوف إلى جانب مصر ضد أي عدوان يقع عليها، إلا أن الملك سعود عتب على الرئيس جمال عبد الناصر أنه لم يعلمه قبل التأميم بعزمه على التأميم، ذلك أن الرؤساء الثلاثة كانوا قد اتفقوا في مؤتمر القاهرة في آذار الماضي على التشاور والاتفاق على ما ينوون القيام به من إجراءات هامة تؤثر على أوضاع المنطقة.

فأجابه الرئيس جمال أن تأميم القناة لم يُعلم به أحداً حتى ولا عبد الحكيم عامر، لأنه لو أعلم أحداً لفشل التأميم، ولقامت بريطانيا وفرنسا بإنزال قواتها فوراً في المنطقة للحؤول دون ذلك.

وأبدى الملك سعود عتبه مرة أخرى على الرئيس جمال أنه اعترف بالنظام الشيوعي في الصين، وأقام معها علاقات دبلوماسية دون التشاور مع زميله، والنظام الشيوعي ينكر الأديان ويعجفي الدين الإسلامي.

(١) مجلة الأبحاث، تصدرها الجامعة الأمريكية في بيروت، السنة ٩، الجزء ٤، كانون الأول ١٩٥٦.

(٢) المصدر نفسه.

فأجابه الرئيس جمال أن الصين هي إحدى الدول العظمى، وأنها تقف إلى جانبنا في قضايانا المصرية، والاعتراف بها يدعم مواقفنا جميعاً.

كان احتفال عبد الله بن جلوي، أمير المنطقة الشرقية، بنا كبيراً تجلّى بالمآدب السخية جداً التي أقامها للرؤساء الثلاثة. وما زلت أذكر القصة الكبرى التي تجاوز قطرهما ثلاثة أمتار قدم فيها لحم جمل مع ما يقرب من ثمانية خواريف وما يزيد على خمسمائة كيلو من الأرز، وضعت أمام الرؤساء الثلاثة، وكان الأمير فيصل بن عبد العزيز، شقيق الملك سعود وولي العهد، يقوم شخصياً بتزويد الضيوف بصحون ملأى باللحم والأرز، هذا عدا عن أن كل واحد منا كان أمامه لحم ضأن (خروف) خاص به، بالإضافة إلى جميع أنواع المأكولات.

كان الأمير عبد الله بن جلوي، أمير المنطقة الشرقية، مشهوراً بشدته وقوته وعنفوانه، لا سيما مع السلطات الأمريكية التي تشرف على استثمار النفط في المنطقة الشرقية، ويروون عنه القصص الكثيرة ولا مجال لإيرادها هنا.

أذكر أنه بعد العشاء، دخل علينا الأمير فيصل، ولي العهد، وكنا جالسين في الصالة الكبرى، قال: سمعت الآن نبأ العثور على النفط في سورية، فتهانينا. كان جيمس منهل قد حصل على حق التنقيب عن النفط في منطقة الجزيرة ودير الزور، وكان قد أصلح الحفّارين اللتين تركتهما الشركة السورية للنفط S.P.C، وهي فرع من شركة نفط العراق I.P.C، لأنها تحرّرت عن النفط في الجزيرة ولم توفّق في العثور عليه.

قال الأمير فيصل: إن الشركات البريطانية كانت قد حصلت على حق التنقيب عن النفط في السعودية واستثماره، إلا أنها لم تغلج بالعثور عليه لأن حفّارتها ما كانت تستطيع أن تصل إلى أكثر من ثلاثة آلاف متر في العمق، وعندما جاءت الشركات الأمريكية بتجهيزاتها الحديثة تمكّنت أن تصل إلى عمق خمسة آلاف متر، وعندئذ تمكّنت من العثور على النفط، وهذا ما حدث في سورية الآن.

نتيجة للمؤتمر، حصل الرئيس جمال عبد الناصر على الدعم الذي كان يريجه من الدول العربية التي وقفت بكل قواها وإمكاناتها إلى جانبه ضد قوى الاستعمار، سيما وأن فرنسا كانت تخوض حرب استنزاف وقمع ضد القوى الوطنية في الجزائر، وكانت سورية ومصر في طليعة الدول العربية التي أيدت الثورة الجزائرية وقدمت لها الدعم العسكري والمالي والسياسي، وعندما اعتقلت السلطات الفرنسية أحمد بن بللا ورفاقه الخمسة، استنكرت سورية هذا العمل ودعت الحكومات العربية إلى

اجتماع عاجل لإقرار ما يجب القيام به من تدابير لمساعدة المناضلين في الجزائر، كما قامت مظاهرات في دمشق وحلب أحرق فيها المتظاهرون بعض الممتلكات الفرنسية، كما وافق مجلس النواب السوري بالإجماع على مقاطعة فرنسا سياسياً واقتصادياً وثقافياً.

العدوان الثلاثي على مصر

في العشرين من شهر تشرين الأول ١٩٥٦، قام اللواء عبد الحكيم عامر بزيارة إلى عمّان للتنسيق مع القوات الأردنية في حال قيام إسرائيل بالعدوان عليها، وأعلن أمير اللواء علي أبو نوار، رئيس أركان الجيش الأردني في ٢٤/١٠/١٩٥٦، أن الأردن عقد اتفاقيات عسكرية مع سورية ومصر لتوحيد وسائل الدفاع على الحدود العربية، وسيعهد إلى اللواء عبد الحكيم عامر بقيادة القوات الموحدة في حالة وقوع اعتداءات إسرائيلية جديدة، وأضاف أن الأردن تسلم شحنات أسلحة ومعونات مالية من مصر وسورية والمملكة العربية السعودية، وذكر بأن القوات العراقية ستدخل الأردن عندما يطلب الأردن ذلك^(١).

وبعد انتهاء زيارته إلى الأردن، قام اللواء عبد الحكيم عامر، يرافقه عدد من ضباط الأركان المصريين، بزيارة إلى دمشق للغرض ذاته، وكان وصحبه محل عناية خاصة من ضباط الجيش السوري ومن الحكومة السورية.

وعندما غادر وصحبه دمشق بطائرتين في ليل ٢٩ - ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٦ تصدت لهما الطائرات العسكرية الإسرائيلية وأسقطت إحدى الطائرتين اعتقاداً منها أن اللواء عامر كان فيها، وتمكنت الطائرة التي كان يمتطيها اللواء عامر من تفادي الطائرات الإسرائيلية العدو. وكانت إسرائيل قد بيتت عدوانها على مصر الذي بدأ فجر ذلك اليوم، أي في ٣٠ تشرين الأول ١٩٥٦.

وصرّح في القاهرة مصدر عسكري مصري مسؤول بأن القوات المصرية اشتبكت بالقوات الإسرائيلية على الحدود، وقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر التعبئة العامة لمجابهة العدو، وأذاع راديو تل أبيب أن القوات الإسرائيلية توغّلت في صحراء سيناء إلى مسافة تبعد ٣٠ كيلومتراً عن قناة السويس^(٢).

(١) مجلة الأبحاث، تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت، السنة ٩، الجزء ٤، كانون الأول ١٩٥٦.

(٢) المصدر نفسه.

وفي نيويورك، طلبت الولايات المتحدة دعوة مجلس الأمن للأمم المتحدة إلى الانعقاد للنظر في الهجوم الإسرائيلي على مصر.

وفي لندن، أعلن السير أنطوني إيدن أن الحكومتين البريطانية والفرنسية طلبتا من حكومة مصر أن توافق على أن تتحرك قوات بريطانية وفرنسية مؤقتاً إلى مواقع رئيسية في بور سعيد والإسماعيلية والسويس... لوضع حد للقتال، بتفريق الجانبين المتحاربين وحماية قناة السويس...^(١).

زيارة الرئيس القوتلي إلى موسكو

تلبية للدعوة التي كانت وجهتها حكومة الاتحاد السوفياتي إلى الرئيس القوتلي، والتي حملها إليه السيد شيبيلوف وزير الخارجية في حزيران الماضي، قرر الرئيس القيام بهذه الزيارة في الثلاثين من تشرين الأول ١٩٥٦، وقد اتخذنا الترتيبات اللازمة لهذه الزيارة من حيث تشكيل الوفد المرافق وتهيئة الطائرة وتأمين الهدايا، وما إلى ذلك.

اجتمعنا صباحاً باكراً في القصر الجمهوري، إلا أننا فوجئنا بخبر العدوان الإسرائيلي على مصر تنقله إلينا الإذاعة ووكالات الأنباء، وكان لذلك وقع أليم في نفوسنا.

طلب الرئيس التحدث فوراً بالهاتف مع الرئيس جمال عبد الناصر، أعلمه عن الزيارة إلى موسكو، إلا أنه سيلغيها ليكون على مقربة من الأحداث، واضعاً كل إمكانات سورية تحت تصرف مصر.

أجابه الرئيس عبد الناصر أنه يفضل أن يسافر فخامته إلى موسكو، إذ قد يكون في ذلك فائدة أوفى في كسب الاتحاد السوفياتي إلى جانب مصر ضد هذا العدوان الإسرائيلي الذي من المنتظر أن يكون فاتحة لعدوان بريطاني - فرنسي على مصر.

سافر الرئيس مصطحباً معه الوزراء السادة: رشاد جيري وزير الزراعة، وصلاح البيطار وزير الخارجية، وعبد الحسيب رسلان وزير الدفاع، والأمين العام للقصر الأستاذ فؤاد الحلبي والمرافق العسكري الملازم الأول مأمون تحسين، وبقيت في دمشق مع الزميلين، السفير مؤيد العظم والدكتور عمر النص، نتابع أخبار العدوان الثلاثي على مصر ونوافي الرئيس في موسكو بالأخبار عن طريق سفارتنا وبوسائل الرمز.

(١) مجلة الأبحاث، تصدرها الجامعة الأميركية في بيروت، السنة ٩، الجزء ٥، كانون الأول ١٩٥٦.

وقد جرى للرئيس في موسكو استقبال منقطع النظير، كما أجرى مع الزعماء السوفييت مباحثات هامة، وأقام له السفير السوري الدكتور جمال الفرا حفل استقبال على شرفه حضره جميع زعماء الاتحاد السوفياتي^(١).

كانت زيارة الرئيس إلى موسكو مفيدة جداً، وقد علمت، فيما بعد من الأستاذ فؤاد الحلبي، أن الرئيس هو الذي دفع بولغانين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي إلى توجيه إنذاره الشديد والشهير إلى كل من أنطوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا وغي موليه رئيس وزراء فرنسا، بأن الاتحاد السوفياتي سيبحث بصواريخه وبرؤوسها النووية تدمير لندن وباريس إن لم يوقفا فوراً عدوانهما على مصر.

قال الرئيس لبولغانين: «إن مصر وسورية تعرضتا لهذا العدوان لأنهما رفضتا تحويل بلديهما إلى قواعد غربية ضد الاتحاد السوفياتي، وأنهما لو قبلتا الدخول في حلف بغداد والأحلاف المماثلة ضد الاتحاد السوفياتي لما تعرضتا لهذا العدوان، فهل يكون موقف الاتحاد السوفياتي موقف المتفرج من هذا العدوان؟ إن لم تقفوا بكل قوة معنا ضد هذا العدوان، سيكون لنا موقف آخر منكم».

هذا ما أخبرني به الأستاذ فؤاد الحلبي الذي كان حاضراً الاجتماع، فقرر عندئذ الاتحاد السوفياتي توجيه إنذاره الشديد إلى كل من بريطانيا وفرنسا.

واعتقد، شخصياً، أن الولايات المتحدة قد علمت بهذا الموقف، فبحث الرئيس دوايت أيزنهاور بإنذار مماثل إلى كل من بريطانيا وفرنسا وصلهما قبل دقائق من الإنذار السوفياتي، فأوقفنا وإسرائيل عدوانهما على مصر، وكان ذلك في السادس من تشرين الثاني ١٩٥٦.

وفي دمشق، اجتمع مجلس الدفاع الوطني برئاسة الدكتور ناظم القدسي، رئيس الجمهورية بالنيابة، وقرر إعلان حالة الطوارئ في سورية اعتباراً من ٣١/١٠/١٩٥٦ حتى إشعار آخر^(٢).

وفي الوقت نفسه، نسفت قوات سورية خط الأنابيب التابع لشركة النفط العراقية I.P.C. المار عبر سورية إلى الساحل، فعطلته وأوقفت مرور النفط إلى بريطانيا.

وكانت الطائرات البريطانية والفرنسية قد انطلقت من قواعدهما في قبرص لتغير على الأهداف العسكرية في مصر، وقال الرئيس الأمريكي أيزنهاور أن بريطانيا

(١) برنامج الرئيس في موسكو، وعن حفلة السفير في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ١٦ -.

(٢) قرار إعلان حالة الطوارئ في سورية في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ١٧ -.

وفرنسا أخطأتا بإرسال قواتهما إلى منطقة السويس المصرية، واتهمهما بخرق ميثاق الأمم المتحدة.

وكانت سورية قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع كل من بريطانيا وفرنسا وسحبت سفراءها من لندن وباريس، وأعلنت أنها تضع قواتها المسلحة تحت قيادة موحدة مع مصر تنفيذاً للميثاق الدفاعي المصري السوري المشترك، وقطعت بقية الدول العربية (مصر، الأردن، لبنان، السعودية) علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا، وصدرت الأوامر للقوات العراقية العسكرية بدخول الأردن بناء على طلب حكومته، كما دخلت إلى الأردن قوات سورية عسكرية.

ونتيجة الإنذارين السوفياتي والأمريكي أعلنت إسرائيل وقف القتال على الجبهة المصرية وأن جيوشها قد انتهت من مهمتها باحتلال سيناء وقطاع غزة.

مؤتمر القمة العربية في بيروت لبحث العدوان الثلاثي على مصر

دعا السيد كميل شمعون، رئيس جمهورية لبنان، رؤساء الدول العربية الأعضاء في جامعة الدول العربية إلى اجتماع يعقد في بيروت بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩٥٦، لبحث العدوان الإسرائيلي - الفرنسي - البريطاني على مصر، وتقرير ما يجب اتخاذه من إجراءات للمشاكل الناجمة عن هذا العدوان.

وقد لبي الملوك والرؤساء العرب هذه الدعوة، وعقدوا عدة اجتماعات بين الثاني عشر والخامس عشر من شهر تشرين الثاني. وقد رافقت الرئيس شكري القوتلي إلى هذه الاجتماعات وسجلت محاضرها. وصدر عقب المؤتمر بيان رسمي تضمن إنذاراً إلى دول العدوان بوقف القتال فوراً، وسحب قواتها من المناطق التي احتلتها، وإلا اعتبرت هذه الدول مسؤولة عن استمرار الاعتداء، وحينئذ تقوم الدول العربية، عملاً بحق الدفاع المشروع عن النفس، باتخاذ التدابير الفعالة التي تسمح بها أقصى إمكانياتها، بموجب معاهدة الدفاع العربي المشترك^(١).

وبعد عودته من مؤتمر القمة في بيروت، ألقى الرئيس القوتلي خطاباً أثنى فيه على موقف أمريكا والاتحاد السوفياتي من العدوان الثلاثي على مصر، وقال: «إن

(١) نص البيان الختامي لمؤتمر بيروت في قسم الوثائق، الوثيقة رقم ١٨ - مجلة الأبحاث، السنة ٩، الجزء ٤، كانون الأول ١٩٥٦، ص ٥٠٩، ٥١٠.

سورية لم تصبح وراء الستار الحديدي بل تحررت من الستار الاستعماري». وفي نيويورك تبّلت الأمم المتحدة رسمياً أن بريطانيا وفرنسا وإسرائيل بدأت بسحب قواتها من الأراضي المصرية، ورحبت الولايات المتحدة بهذا القرار، كما قالت مصر إنه إذا تم هذا الانسحاب فليس ما يمنع من استئناف المفاوضات حول مصير قناة السويس. وطالب مجلس حلف الأطلسي، المنعقد في باريس بتاريخ ١٤ كانون الأول، بالإسراع في تنظيف قناة السويس.

ونتيجة لفشله في عملية العدوان على مصر، قام السير أنطوني إيدن بإجازة في جامايكا، وبعد عودته إلى لندن استقال من منصبه «لأنحراف صحته» وخلفه في رئاسة الوزارة المستر هارولد مكميلان. وبذلك أسدل الستار على عملية فاشلة عادت بالخيبة على بريطانيا وفرنسا وإسرائيل.

ومن جهته، فقد ألغى الرئيس جمال عبد الناصر الاتفاق المعقود بين مصر وبريطانيا والموقع في القاهرة في ١٩ كانون الأول ١٩٥٤، وذلك كرد على العدوان البريطاني على مصر^(١).

الحكومة الجديدة

بعد أزمة استمرت عشرة أيام، تشكّلت الحكومة الجديدة في سورية برئاسة صبري العسلي بتاريخ ٣١ كانون الأول ١٩٥٦، على الشكل التالي:

السيد صبري العسلي	:	لرئاسة الوزراء ووكالة وزارة الداخلية
السيد خالد العظم	:	وزيراً للدولة ووزيراً للدفاع الوطني
السيد هاني السباعي	:	وزيراً للمعارف
السيد حامد الخوجة	:	وزيراً للزراعة
السيد فاخر الكيّالي	:	وزيراً للأشغال العامة والمواصلات
الدكتور مأمون الكزبري	:	وزيراً للعدل ووزيراً للشؤون الاجتماعية بالوكالة
السيد أسعد هارون	:	وزيراً للصحة والإسعاف العام
السيد صلاح الدين البيطار	:	وزيراً للخارجية
السيد خليل الكلاس	:	وزيراً للاقتصاد الوطني

(١) نص قرار إلغاء المعاهدة المصرية - البريطانية في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ١٩ - المصدر نفسه.

السيد أسعد محاسن : وزيراً للمالية

السيد صالح عقيل : وزيراً للدولة

وفي ٨ كانون الثاني ١٩٥٧، سَمِّي السيد خالد العظم نائباً لرئيس الوزراء.
وقد استمرت هذه الوزارة سنة وشهرين وستة أيام، وأشرفت على مباحثات
الوحدة مع جمهورية مصر في ما سَمِّي بعدئذ بالجمهورية العربية المتحدة.

عام ١٩٥٧

لم يكن عام ١٩٥٧ أقل خطراً على سورية من سابقه عام ١٩٥٦، فقد اشتد
الضغط عليها من الخارج وكثرت المؤامرات في الداخل وتجاذبتها الأحداث
الجسام، مما سأوجهه في ما يلي:

- ١ - مشروع الرئيس الأمريكي أيزنهاور للسلام في الشرق الأوسط.
- ٢ - رفض الحكومة السورية للمبادئ التي قام عليها مشروع أيزنهاور.
- ٣ - الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية تعدان دول الشرق الأوسط بحمايتهما من
أي تدخل ناتج عن مشروع أيزنهاور.
- ٤ - تركيا تحشد جيوشها على الحدود السورية وتهدد بالعدوان عليها.
- ٥ - دول حلف بغداد تحذّر من تزايد الخطر الشيوعي في الشرق الأوسط.
- ٦ - مجلس الأمن الأمريكي الداخلي برئاسة الرئيس أيزنهاور يبحث الحالة في
سورية.

- ٧ - قطع من الأسطول السوفييتي تقوم بزيارة ميناء اللاذقية.
- ٨ - خالد العظم يزور موسكو ويعقد اتفاقاً للمساعدة الاقتصادية والفنية مع
الاتحاد السوفييتي.
- ٩ - الجانبان السوري والسوفييتي يعقدان اجتماعاً في دمشق لإقرار برنامج العمل
لخبراء الجانبين.
- ١٠ - حركة تبديلات وإقالات وتعيينات واسعة النطاق بين ضباط الجيش السوري
والدرك والشرطة والأمن، وتعيين العقيد عفيف البزري رئيساً للأركان العامة وترقيته
إلى رتبة لواء.
- ١١ - المؤامرة العراقية.
- ١٢ - المؤامرة الأمريكية.

- ١٣ - الرئيس عبد الناصر يصرّح أن مصر ستؤيد سورية دون تحفّظ.
- ١٤ - التقارب السوري - المصري بغية إقامة الوحدة بين البلدين.
- ١٥ - وفد من مجلس الأمة المصري يزور دمشق ويجتمع إلى أعضاء مجلس النواب السوري.
- ١٦ - الرئيس القوّتلي يقود السفينة السورية وسط هذه الأنواء والأمواج المتلاطمة ويوصلها إلى الوحدة مع مصر، وقد أفردت لمباحثات الوحدة ومحاضر جلساتها دراسة خاصة بها.
- ١٧ - زيارة الرئيس القوّتلي إلى باكستان.
- ١٨ - زيارة الرئيس القوّتلي إلى الهند وإلى السعودية.
- ١٩ - زيارة الرئيس القوّتلي إلى سويسرا للعلاج في زوريخ.
- ٢٠ - زيارات الرئيس القوّتلي إلى مصر.

الأمور الخاصة بي

- ١ - مرافقتي الرئيس القوّتلي في زيارته إلى باكستان والهند والسعودية ومصر.
- ٢ - زيارتي لليمن (مع الكتب المتبادلة بين الإمام أحمد والرئيسين الأتاسي والقوّتلي).
- ٣ - زواجي في حلب.
- ٤ - الدس عليّ قصد النيل من الرئيس القوّتلي.
- ٥ - مع الأنسة أم كلثوم.
- ٦ - تمثيل الرئيس القوّتلي في تأبين المجاهد الوطني محمد سعيد حيدر.

الحياة الأدبية والثقافية والفنية في دمشق في الخمسينات

- النادي العربي والمحاضرون فيه.
- الحلقة الاجتماعية لخريجي المعاهد العالية.
- الندوة الثقافية النسائية.
- الجمعية السورية للفنون.
- متدى الزهراء - السيدة زهراء العابد.
- متدى سكينه - السيدة ثريا الحافظ الرئيس.

التطور الاقتصادي والصناعي في سورية في العقد الذي سبق الوحدة

عام ١٩٥٧: لم يكن عام ١٩٥٧ مريحاً بالنسبة لسورية بشكل عام، وبالنسبة للرئيس القوتلي بشكل خاص، فالضغوط الخارجية تضخمت وأخذت أبعاداً خطيرة سواء بالنسبة للدول العظمى أو بالنسبة للتهديدات الخارجية والحشود التركية على الحدود السورية ومؤامرات حلف بغداد، وأخذت الدول الكبرى: الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، والاتحاد السوفييتي والصين الشعبية من جهة أخرى، تتصارع على من يسيطر على منطقة الشرق الأوسط، وعلى سورية بالذات.

فقد الرئيس الأمريكي أيزنهاور برنامجاً^(١) إلى الكونغرس في ٥ كانون الثاني ١٩٥٧ يطالب فيه بإطلاق يده، ومنحه سلطة حماية الشرق الأوسط من التدخل الشيوعي، كما طلب الموافقة على إنفاق مبلغ ٤٠٠ مليون دولار للمعونة الاقتصادية والعسكرية لدول المنطقة.

ووعد الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية «بحماية» دول الشرق الأوسط من أي اعتداء أو تدخل في شؤونها، ينتج عن مشروع الرئيس أيزنهاور الخاص بالشرق الأوسط.

وأعلنت الحكومة السورية رفضها للمبادئ التي قام عليها مشروع أيزنهاور موضحة أن ليس لأحد غير العرب حق ملء الفراغ في المنطقة^(٢).

وفي بغداد، حذر البلاغ المشترك الصادر إثر اجتماعات الدول الإسلامية الأربع الأعضاء في حلف بغداد: العراق وتركيا وإيران وباكستان، حذر من تزايد الخطر الشيوعي في الشرق الأوسط وضرورة المبادرة إلى اتخاذ خطة حاسمة تجاه الدعايات الهدامة.

واشتدت الضغوط الخارجية على سورية، ولا سيما من الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا التي حشدت قواتها على الحدود الشمالية لسورية، وأخذت طابع التهديد بالعدوان بدعوى أن سورية أصبحت يسارية الحكم والاتجاه نتيجة تحسن علاقاتها السياسية والاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي، وحصولها على بعض المساعدات العسكرية لتقوية جيشها.

(١) برنامج الرئيس أيزنهاور للسلام في الشرق الأوسط المقدم إلى الكونغرس، في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٢٠ -.

(٢) رفض الحكومة السورية للمبادئ التي قام عليها برنامج الرئيس أيزنهاور، في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٢١ -.

والذي أثار حفيظة الأميركيان اكتشاف المخابرات السورية للمؤامرة التي هيأتها المخابرات المركزية الأمريكية CIA لخلع الرئيس شكري القوتلي وإقامة نظام حكم موالي للغرب، وطرد ثلاثة دبلوماسيين أمريكيين في ١٢ آب ١٩٥٧^(١)، وإجراء حركة تبديلات وإقالات وتعيينات واسعة النطاق بين ضباط الجيش السوري والدرك والشرطة والأمن، حيث عيّن العقيد عفيف البزري رئيساً للأركان العامة ورفّع إلى رتبة لواء^(٢).

وبعد يومين، شجب الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور «حملة الافتراء» السورية، وأعلن أن السفير السوري في واشنطن (الدكتور فريد زيد الدين) شخص غير مرغوب فيه^(٣).

وعرضت الحالة في سورية على مجلس الأمن الأمريكي الداخلي برئاسة أيزنهاور، وقطع ماكميلان، رئيس الوزارة البريطانية، إجازته وعاد إلى لندن لبحث تطورات الحالة في سورية^(٤).

وفي ١٧ آب صدر مرسوم بإنهاء خدمات الضباط التالية أسماؤهم، في حركة التنقلات والتسريحات التي أشرت إليها: العمداء: طالب الداغستاني، بديع بشور، عمر القبانى، سهيل عشي، حسن العابد، هشام السمّان، عبد الرحمن شاويش وعبد الهادي الشامي. ومع أن هؤلاء الضباط لم يكونوا منتسبين إلى أي حزب أو جماعة سياسية، وكانوا من خيرة ضباط الجيش كفاءة وانضباطاً، إلا أن رئيس الأركان الجديد والفئة الحزبية الجديدة بين الضباط أحبوا أن يتخلصوا منهم.

في ١٨ آب، سافر الرئيس القوتلي إلى القاهرة للتباحث مع الرئيس عبد الناصر في التهديدات التركية والأمريكية، والحشود التركية على الحدود السورية والمؤامرة الأمريكية (وسأتي على تفصيلاتها فيما بعد)، وصرّح الرئيس عبد الناصر، عقب هذه الزيارة، أن مصر ستؤيد سورية دون تحفّظ أو شرط، وستضع جميع مواردها وإمكاناتها لنصرتها، كما أعلن بيان مصري - سوري مشترك أن البلدين وقّعا اتفاق وحدة اقتصادية بينهما.

(١) مجلة ميدل إيست جورنال، دوغلاس ليتل: العمل السري في الحرب الباردة: الولايات المتحدة وسورية.

(٢) مجلة الأبحاث، كانون الأول ١٩٥٧، ص ٤٨٩.

(٣) مجلة ميدل إيست جورنال، دوغلاس ليتل: العمل السري في الحرب الباردة: الولايات المتحدة وسورية.

(٤) مجلة الأبحاث، كانون الأول ١٩٥٧، ص ٤٨٩.

وصرّح الرئيس القوتلي بأن الظروف المحيطة بسورية حالياً حرجية، واتهم الاستعمار والصهيونية بالكيد لسورية وبتبنيّت أمر لها.

وقالت البرافدا السوفييتية الرسمية إن الغربيين يعدّون العدة لحرب جديدة، ستكون هذه المرة أمريكية وستوجّه ضد سورية.

وبدأت في إستنبول محادثات سياسية بين الملك فيصل (العراق) والملك حسين (الأردن) وجلال بايار، رئيس جمهورية تركيا، ولوي هندرسون، الخبير في وزارة الخارجية الأمريكية بشؤون الشرق الأوسط مبعوثاً خاصاً لإجراء محادثات مع دول حلف بغداد بخصوص الوضع في سورية.

وفي ٢٢ أيلول ١٩٥٧، استقبل الرئيس أيزنهاور الأمير فيصل ولي عهد المملكة العربية السعودية بحضور المستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية، وتناول البحث الوضع في سورية، وصرّح الأمير فيصل عقب ذلك أن سورية لا تشكّل خطراً في الشرق الأوسط، وقال إن الموقف في سورية قد صوّرتة الصحافة بأنه خطر جدّاً، ولكنني أعرف العكس^(١).

وفي ٢٥ أيلول، وصل إلى دمشق الملك سعود في طريق عودته إلى المملكة العربية السعودية، وجرى له استقبال حافل، وأجرى مباحثات مطولة مع الرئيس القوتلي أدلى عقبها ببيان تحدث فيه عن التضامن العربي ضد كل عدوان يقع على أي قطر عربي، وأن سورية لا تشكل أي خطر على جاراتها، وسياستها عربية، ثم غادر دمشق بعد يومين من زيارته، أي في ٢٧ أيلول^(٢).

وأذاعت فيما بعد المملكة العربية السعودية بياناً نفت فيه أنها قبلت مشروع أيزنهاور^(٣)، كما أنها لم تأخذ أي عون مالي من أية دولة، وبأنها لا ترى في موقفها هذا ما يكدر علاقاتها الودية بالولايات المتحدة.

وفي ١٠ تشرين الأول ١٩٥٧، أعلن نيكيثا خروتشوف أن العالم يحابه خطر حرب جديدة في الشرق الأوسط، واتهم وزير الخارجية لأمركية دالاس بتحريض تركيا على البدء بهذه الحرب عن طريق مهاجمة سورية.

وفي ١٣ تشرين الأول ١٩٥٧، نزلت إلى البر السوري في اللاذقية قوات مصرية

(١) مجلة الأبحاث، كانون الأول ١٩٥٧.

(٢) بيان الملك سعود في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٢٢ -.

(٣) بيان عدم قبول المملكة العربية السعودية مشروع أيزنهاور. في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٢٣ -.

لتعزيز دفاع سورية ضد أي اعتداء محتمل من تركيا أو إسرائيل، وذلك بموجب اتفاق القيادة الموحدة السورية المصرية.

وأعلن الملك حسين في ١٦ تشرين الأول «حرص الأردن الشديد على المحافظة على استقلال سورية، وأن أي اعتداء عسكري، من أية جهة كانت، على سورية الشقيقة يعتبر اعتداء على الدول العربية جميعها».

كما صرّح الدكتور شارل مالك وزير خارجية لبنان بأن لبنان سيقف صامداً إلى جانب سورية في حال وقوع اعتداء عليها.

وطلبت سورية من الجمعية العامة للأمم المتحدة بحث التهديدات الموجهة ضد أمنها وسلامتها على أثر الاحتشادات التركية على حدودها.

وقد وافقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة بالإجماع على دراسة الشكوى السورية حول الحشود التركية على حدودها، وامتنعت لبيريا عن التصويت.

وصرّحت مصادر سعودية بأن الملك سعود يقوم الآن بوساطة بين سورية وتركيا، وقد رحّبت تركيا والعراق بهذه الوساطة^(١)، ورفضتها سورية مفضلة اتخاذ قرار من الأمم المتحدة ضد تركيا.

الاتفاق الاقتصادي والفني بين سورية والاتحاد السوفياتي

في أوائل آب ١٩٥٧، سافر خالد العظم، وكان نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للدفاع، إلى كارلو فيفاري في تشيكوسلوفاكيا للعلاج، إلا أنه وبعد يومين غادرها إلى موسكو حيث أجرى مع زعماء الاتحاد السوفياتي مباحثات أدت إلى عقد اتفاق اقتصادي وفني بين البلدين.

وبعد عودته إلى دمشق جرى التوقيع في دمشق، باحتفال رسمي، على هذا الاتفاق الذي يقدّم بموجبه الاتحاد السوفياتي إلى سورية المساعدة الفنية والمالية بفائدة ٢,٥٪ لمدة ١٢ سنة^(٢).

هذا في المجال الخارجي والدولي والتهديدات الأمريكية والتركية وتصدي الاتحاد السوفيتي لها.

(١) المصدر نفسه، وساطة المملكة العربية السعودية بين سورية وتركيا، الوثيقة رقم - ٢٣ - ..

(٢) الاتفاق بصدد التعاون الاقتصادي والفني بين الجمهورية السورية واتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية، في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٢٤ - ..

أما في الداخل، فقد كشفت المخابرات السورية عن مؤامرتين لقلب نظام الحكم، أولاهما المؤامرة العراقية وثانيهما المؤامرة الأمريكية.

المؤامرات على سورية

١ - المؤامرة العراقية وحلف بغداد: وقد استقطبت هذه المؤامرة عدداً كبيراً من الضباط وشيوخ القبائل، وحتى من أعضاء الحزب الوطني القدامى، كان منهم محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل) وميخائيل ليان، بالإضافة إلى أعضاء من حزب الشعب (الدكتور عدنان الأتاسي)، ومن الحزب القومي السوري الاجتماعي (جورج عبد المسيح)، والحزب التعاوني (فيصل العسلي)، وغيرهم من النواب البارزين: الدكتور منير العجلاني، الدكتور سامي كباره، السيد حسن الأطرش، فرزت المملوك ونوري بن مهيد، وبعض الضباط: العقيد محمد صفا، المقدم محمد معروف، المقدم حسين الحكيم، النقيب عبدو وهبة والنقيب عز الدين الجراح، بالإضافة إلى العقيد صالح مهدي السامرائي الملحق العسكري العراقي في سورية.

وقد كشف أمر هذه المؤامرة، التي استغرقت تهيئتها من نيسان إلى تشرين الأول ١٩٥٦، النقيب برهان أدهم، وأحيل المتآمرون إلى المحاكمة، وبعد أن حكم على بعضهم بالإعدام، خُفّض الحكم إلى الأشغال الشاقة المؤبدّة بعد وساطات عربية. كانت المحكمة قد شكّلت برئاسة اللواء عفيف البزري وعضوية العقيد أمين الثفوري والعقيد محمد الجراح كنياب عام. وكان لهذه المؤامرة أثر سيء على الاستقرار في سورية.

٢ - المؤامرة الأمريكية: أما المؤامرة الأمريكية فقد حاكها «هوارد ستون»، موظف السفارة الأمريكية في دمشق، والذي كان عضواً في وكالة المخابرات الأمريكية CIA، بالاتفاق مع أديب الشيشكلي وإبراهيم الحسيني.

وقد وصف لي أحد الذين شاركوا في مراقبة المنزل الذي عقد فيه الاجتماع بين ستون وأديب الشيشكلي، والذي كان مطلعاً على المؤامرة، كالتالي:

«كانت هذه المؤامرة الأمريكية تنمّة للمؤامرة العراقية ولذات الهدف والأغراض، مع تجنب الأخطاء التي ارتكبت في المؤامرة السابقة، واعتمد على: نديم الجعفري وعبد الله الشيخ عطية وفرحان الجرمقاني وهشام العظم وعبد الكريم دباح الدندشي وخطار حمزة.

أعلموا نديم الجعفري أن يجلس في المقهى القريب من محطة الحجاز، وأن يضع أمامه وردة، فيأتيه شخص لا يعرفه ويضع أمامه مظروفاً فيه مبلغ

من المال. وفي الواقع جاءه في اليوم الثاني شخص لا يعرفه ووضع مظروفاً على الطاولة فيه ٧٥ ألف ليرة سورية، وكانوا قد أعطوا عبد الله الشيخ عطية ٣٥ ألف ليرة سورية.

جاء ستون ونديم الجعفري وعبد الله الشيخ عطية إلى شقة في الطابق العلوي من البناء الذي يقع خلف السفارة المصرية، فوجدوا أديب الشيشكلي وإبراهيم الحسيني، وكان مرتدياً لباس قسيس. تحدثوا عن ضرورة تغيير الأوضاع التي جعلت من سورية قاعدة شيوعية. واستمر الاجتماع من الثانية صباحاً حتى العاشرة صباحاً. واحتفظ ستون في الدار بعبد الله الشيخ عطية ونديم الجعفري حتى أمّنوا سفر الشيشكلي والحسيني خارج الحدود اللبنانية.

إلا أن عبد الله الشيخ عطية ونديم الجعفري كانا قد أبلغا الأركان والمكتب الثاني السياسي بالمؤامرة، فاتصل رئيس الأركان اللواء توفيق نظام الدين هاتفياً ببيت إبراهيم الحسيني في روما ليتأكد من وجوده أو عدمه، وليتأكد أنه دخل سورية، فردت زوجته أنه نائم ولا تستطيع إيقاظه. ثم أعاد الاتصال بعد أن قدّر أن المدة كافية لعودته إلى روما فوجده، واستدعاه إلى دمشق فلم يحضر، وعندما كشفت المؤامرة التجأ الحسيني إلى السعودية وشكل الحرس الوطني ثم توفي بحادث سيارة. أما الشيشكلي، فبعد أن شعر باكتشاف المؤامرة سافر إلى البرازيل حيث لحق به بعد مدة نواف غزالة، من جبل العرب، واغتاله هناك. أما عبد الله الشيخ عطية ونديم الجعفري فقد جلبا المبالغ التي قُدمت لهما إلى الأركان، وقَدَّمَاها لرئيس الشعبة الثانية قبل التنفيذ، وكانا يجهلان لدى دخولهما الدار أن الشيشكلي والحسيني موجودان فيها، وقد حصلنا على تقدير الأركان لموقفهما الوطني.

وطلبت وزارة الخارجية السورية إلى السفارة الأمريكية إخراج ستون من سورية باعتباره شخصاً غير مرغوب فيه *Persona Non Grata* مع موظفين آخرين، وردّت أمريكا أن طلبت إخراج السفير السوري (الدكتور فريد زين الدين) من أمريكا للأسباب نفسها...^(١)، وردت سورية بأن اعتبرت السفير الأمريكي جيمس موس شخصاً غير مرغوب فيه.

(١) تفاصيل المؤامرة الأمريكية في البيان الرسمي الصادر بتاريخ ١٢/٨/١٩٥٧، في قسم الوثائق، الوثيقة

وعندما تكونت القناعة لدى وزير الخارجية (الأميركي) دالاس بأن سورية توشك «أن تقع تحت سيطرة الشيوعية الدولية، وتصبح بلداً تابعاً يدور في فلك السوفييت» وافق على تطبيق نظرية أيزنهاور، وقد طلب بتاريخ ٢١ آب إلى الجنرال ناتان توينينغ رئيس هيئة الأركان المشتركة أن يحضر اجتماعاً طارئاً بعد ظهر ذلك اليوم في البيت الأبيض بشأن سورية وقال له:

«نحن نفكر في إمكانية القيام بعمل حاسم نوعاً ما، فاصطحب معك من نحتاجه في هذا الشأن».

ومع أن محضر ذلك الاجتماع بقي سراً، فإن مذكرات أيزنهاور قدّمت لنا عرضاً مقتضباً مزعجاً لما أسفر عنه الاجتماع... وأن الولايات المتحدة ستشجع تركيا والعراق على حشد قوات على طول الحدود مع سورية.

... إلا أن أيزنهاور تراجع شيئاً فشيئاً عن الخطة الاستفزازية التي كان قد أقرّها في آخر شهر آب، وكان حذرُهُ ناشئاً في أحد جوانبه من إدراكه المتزايد أن تركيا وحدها جادة فعلاً في حسم الموقف مع سورية...

وفي أوائل أيلول أطلق خروتشوف مذكرة، لا تزال في المحفوظات السرية، حذّر فيها، صراحة، الرئيس أيزنهاور من التدخل في سورية. وقد ادّعى فوستر دالاس أن الأزمة السورية قد أذنت «ببدء أزمة من أشد المخاطر بالنسبة لنا منذ الحرب الكورية»... ولم تمض على ذلك خمسة أيام حتى كان خروتشوف ينذر بأنه «إذا ما شرعت تركيا في أعمال حربية ضد سورية فإن ذلك يمكن أن يقود إلى عواقب بالغة الخطورة وبالنسبة لتركيا أيضاً»...

... تمت تهدئة عوامل القلق لدى تركيا، أما سورية فلم تهدأ، إذ كانت أمام بديلين كلاهما مر: إما الغزو التركي أو السيطرة السوفييتية، فاختارت بديلاً ثالثاً هو: الوحدة مع مصر^(١).

وسط هذه الأجواء المضطربة داخلياً وخارجياً، كان على الرئيس القوتلي أن يقود سورية إلى شاطئ الأمان ويحميها من المؤامرات الخارجية والداخلية، ويبرز وجه سورية الوضاء القوي ويفرض احترامها على الجميع، وقد نجح في ذلك النجاح كله، فوجهت له باكستان والهند دعوة لزيارتها، كما أن اتصالاته المستمرة مع

(١) ميدل إيست جورنال، بفلم دوغلاس ليتل: العمل السري في الحرب الباردة: الولايات المتحدة وسورية.

الملك سعود والرئيس جمال عبد الناصر والملك حسين والرئيس اللبناني فؤاد شهاب وحدثت مواقف هذه الدول وقوتها في دعم ومساندة سورية ضد أعدائها في الشمال والجنوب والشرق والغرب.

زيارة الباكستان: تلبية للدعوة التي وجهتها إليه حكومة الباكستان في السنة الماضية، قام الرئيس القوتلي، يرافقه وفد من كبار رجال الدولة، ومن الاقتصاديين والصناعيين بهذه الزيارة.

ضم الوفد المرافق للرئيس: زوجته الفاضلة وابنته الكبرى، ثم وزير الخارجية الأستاذ صلاح الدين البيطار وزوجته، والدكتور حسني سبيح، طبيب الرئيس الخاص، والدكتور نور الدين كحالة والدكتور حسني الصواف واللواء توفيق نظام الدين، رئيس الأركان، والسيد محمد سعيد الزعيم والسيد بدر الدين دياب والسيد فؤاد الشايب، مدير عام الإعلام والإذاعة والتلفزيون، والسفير مؤيد العظم والعقيد رياض الكيلاني وعبد الله الخاني.

وقد تحدد موعد السفر في الخامس من كانون الثاني ١٩٥٧.

وقبل السفر بيوم واحد، وصل من نيويورك الأستاذ أحمد الشقيري، وكان يشغل منصب المندوب الدائم لسورية لدى الأمم المتحدة، وقابل الرئيس.

وعلى أثر مقابلته استدعاني الرئيس وقال: ما رأيك في أن نضم الأستاذ الشقيري إلى الوفد؟. فقلت: إن وجوده معنا سيكون مفيداً جداً، وهكذا، فقد أعلمت السفارتين الباكستانية والهندية بانضمامه إلى بقية أعضاء الوفد المرافق للرئيس القوتلي.

خشيت من أن يستغل أحد أعضاء الوفد الصفة الرسمية للزيارة فيأخذ معه كمية من الذهب لبيعها في الهند أو الباكستان، ذلك أن أسعار الذهب في هذين البلدين كانت تزيد كثيراً عن أسعاره في سورية، فأعلمت جميع أعضاء الوفد أن يأتوا بحقائبهم إلى القصر ويفتحوها أمامي ثم نغلقها ونبعث بها إلى المطار. والذي دفعني إلى هذا، بعد أن استأذنت الرئيس، ما حدث لأحد الصحفيين اللبنانيين الذي قام في العام الماضي بزيارة إلى الهند واصطحب معه في حقيبته كمية من الذهب اكتشفته السلطات الهندية فصادرتة واعتقلت الصحفي، فجاء حموه - والد زوجته - وكان من المغتربين اللبنانيين المشهورين والموسرين في البرازيل، يتوسط فخامة الرئيس ليسعى لدى الحكومة الهندية لإطلاق سراحه، فكلّفني الرئيس بإجراء اللازم مع السلطات الهندية، حتى أطلق سراحه.

لم يكن لدينا من الطائرات ما يستطيع أن ينقلنا عبر هذه المسافة الطويلة من دمشق إلى كراتشي - عاصمة الباكستان آنئذ - فتوسطنا مع السفارة السعودية، فأعارتنا الحكومة السعودية طائرة من طراز كونفير نقلتنا في المرحلة الأولى إلى الرياض، حيث استقبلنا الملك سعود وأقام لنا حفلة عشاء في قصره الجديد، وبتنا تلك الليلة في الرياض، أي ليلة ٥ إلى ٦ كانون الثاني ١٩٥٧.

وفي اليوم الثاني، أي في ٦ كانون الثاني، أجرى الرئيس محادثات غير رسمية مع الملك سعود، لم أحضرها، وفي المساء دعانا الملك سعود إلى العشاء في الكلية العسكرية.

في صباح السابع من كانون الثاني، بعثت إلينا الحكومة الباكستانية بإحدى طائرات خطوطها المدنية، من طراز سوبر كونستاليشن، نقلتنا إلى الظهران ومنها إلى كراتشي. وكان علينا أن نرتدي في الطائرة ألبستنا الرسمية (البونجور) لأن الرئيس الباكستاني الجنرال إسكندر ميرزا وأعضاء حكومته سيستقبلوننا مرتدين ألبستهم الرسمية!...

وصلنا في الساعة الثالثة والرابع بعد الظهر، وجرى لنا استقبال رسمي وحللتنا في قصر الضيافة، وفي المساء أقام الجنرال ميرزا عشاء رسمياً على شرف الرئيس حضره أعضاء الوفد السوري المرافق لفخامته والسفير السوري في كراتشي السيد جواد المرباط، كما حضره رئيس الوزراء الباكستاني حسين سهروردي وأعضاء الحكومة الباكستانية والسفير الباكستاني بدمشق.

في الثامن من كانون الثاني، استقبل الرئيس صباحاً الشخصيات الباكستانية الرسمية، ثم أجرى مباحثات رسمية مع الجانب الباكستاني حضرها من الجانب السوري وزير الخارجية الأستاذ صلاح الدين البيطار والأستاذ أحمد الشقيري والسفير جواد المرباط، ولم أحضرها. وكان لوجود الأستاذ أحمد الشقيري في الوفد الرسمي فائدة كبرى لإتقانه اللغة الإنكليزية وقيامه بالترجمة في المباحثات وللخطب التي كان يلقيها الرئيس، وقد حمل عني عبئاً ثقيلاً، ذلك أنه كان يتوجب عليّ أن أشرف على جميع أمور المراسم والبرامج إلى جانب الترجمة وضبط الجلسات.

لم تكن سياستنا على وفاق مع السياسة الباكستانية، إذ إن باكستان كانت عضواً في حلف الستة CENTO المرتبط بحلف الأطلسي NATO وحلف جنوب شرق آسيا SEATO. وكانت هذه الأحلاف، التي أقامتها الولايات المتحدة الأمريكية لتحيط بها الاتحاد السوفياتي، مراكز استعمارية غربية، بينما كانت سياستنا تركز على أن الدفاع عن منطقتنا يجب أن تقوم به دول المنطقة محافظة في ذلك على

مصالحتها وعلى الحياد التام بين الكتلتين الكبيرتين، وهو ما عرف بمجموعة دول عدم الانحياز.

ومع ذلك فقد احترمت باكستان موقفنا وسياستنا، وهيأت للرئيس والوفد المرافق له عناية خاصة وتقديراً واحتراماً فائقين.

في المساء، أقام حسين سهروردي، رئيس وزراء باكستان، حفل عشاء في داره على شرف الرئيس والوفد المرافق له.

وفي التاسع من كانون الثاني، زار الرئيس والوفد المرافق كلية الطيران والبحرية، وجرى له غداء في دار الضيافة، وفي المساء أقيمت للرئيس حفلة ثقافية من الموسيقى والرقص الشعبي الفولكلوري.

وفي العاشر من كانون الثاني، قام الجنرال ميرزا بزيارة خاصة للرئيس، وفي المساء أقام فخامة الرئيس حفل عشاء على شرف الجنرال ميرزا في قصر الضيافة.

في الحادي عشر، توجهنا باكراً بالطائرة إلى مدينة بشاور في الشمال قرب الحدود الأفغانية، كما قمنا بزيارة ممر خيبر، وهو ممر بين الجبال الفاصلة بين باكستان وأفغانستان تقطنها قبائل البشتون شديداً المراس، ثم عدنا إلى بشاور لتناول طعام الغداء في نادي الضباط، ثم العشاء الرسمي الذي أقامه محافظ الشمال تكريماً للرئيس والوفد المرافق لفخامته.

في اليوم التالي، أي في ١٢ كانون الثاني، جرى عرض عسكري للرئيس اشتركت فيه جميع القوات البرية دون الطيران لرداءة الطقس.

وفي ١٣ كانون الثاني، قمنا بالسفر إلى لاهور - أجمل المدن الباكستانية وأرقاها - وقد أقامت لنا السلطات فيها حفلات ثقافية من رقص وموسيقى وعروض للطلاب والطالبات كانت على جانب كبير من الإتقان والجمال.

وبعد لاهور، استقلنا الطائرة الباكستانية إلى باكستان الشرقية - بنغلاديش الآن - واستغرقت الرحلة ست ساعات طيران، وتساءلنا كيف يمكن أن تقوم دول موحدة تفصل فيما بينها ٦ ساعات طيران ولا يربط بين قسميها سوى الدين الإسلامي؟ وقد قامت الهند - فيما بعد، عام ١٩٦٥ - بحرب مع باكستان وفصلت باكستان الشرقية عن باكستان، وأصبحت تعرف الآن بجمهورية بنغلاديش، وعاصمتها دكا.

جرى لنا في دكا استقبال حار وحافل، وفي المساء أقام لنا أمر المنطقة الشرقية حفل عشاء، وفي اليوم التالي قمنا بزيارة المدينة والمرفأ ومعمل الجوت الذي يشكل المصدر الرئيسي للدخل من تصدير الأكياس والحبال.

كانت زيارة باكستان ممتعة، وكانت العناية بالرئيس وبمرافقيه، رغم اختلاف سياسة البلدين، فائقة وحارة وودية، إذ إن الباكستانيين يكونون لسورية تقديرًا خاصاً وللرئيس القوتلي احتراماً كبيراً.

زيارة الهند: تلبية للدعوة التي وجهها البانديت نهرو إلى الرئيس القوتلي، قرر الرئيس القيام بهذه الزيارة عقب الزيارة التي قام بها إلى الباكستان.

بعث إلينا البانديت نهرو بطائرتة الخاصة الحديثة من طراز «فيسكاونت Viscount» إلى داكا، لتنقلنا إلى دلهي، وقد جرى لنا استقبال رسمي تحت المطر المنهمر، وحللنا في قصر الضيافة، قصر حيدر آباد.

بعد وصولنا إلى نيودلهي بقليل، طلب الأستاذ صلاح الدين البيطار إلى السفير السوري عمر أبي ريشة، الشاعر الملهم، أن يجمع له الصحفيين لأنه يريد أن يعقد مؤتمراً صحفياً، فجمع له من أمكن جمعه من رجال الصحافة والإعلام، وانبرى الأستاذ صلاح يهاجم الباكستان وسياستها ورجال حكومتها والأحلاف المرتبطة بها، وبلغ ذلك الرئيس فاستدعاه وقال له: يا أستاذ صلاح، إننا لم نهضم بعد الطعام الذي تناولناه في الباكستان، ألم تر العناية الفائقة التي أحاطونا بها، أما كان يجدر بك أن تنتظر يومين آخرين فتصل إلى دمشق وتقول ما تريد قوله هناك؟، ولم يجب الأستاذ صلاح، وشعر أنه تسرع بمهاجمة الباكستان وأنه أخطأ، وما كان له أن يعقد مثل هذا المؤتمر دون استئذان الرئيس.

وبعد وصولنا بقليل، جاء مدير المراسم الهندي يعلمنا أن رئيس الجمهورية راجندرا برازاد سيقوم مساء اليوم حفل عشاء على شرف الرئيس في القصر الجمهوري «راشتراباتي بهوان»، وسأل كل واحد من أعضاء الوفد ماذا يريد أن يتناول كطعام للعشاء، ذلك أن من الهنود من لا يأكل اللحم، ومنهم من يكتفي بالخضار أو يتناول الدجاج أو لحم السمك، وكان على كل واحد منا أن يختار أيضاً ما يريد أن يتناوله كيلا يهتجوا إن اعتذرنا عن تناول بعض المأكولات، وكان ذلك التفاتة كريمة منهم.

العشاء في القصر الجمهوري كان غاية في الأناقة والجمال، وأقول، بصدق: إنني حضرت، أثناء وجودي في القصر الجمهوري وبعده في وزارة الخارجية، عشاءات كثيرة في القصور الملكية والجمهورية في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا، إلا أنني لم أر مثل هذا الإتقان وهذه الأناقة.

كان طول المائدة أكثر من ثلاثين متراً وعرضها مترين، مغطاة بغطاء من الحرير الموشى بالذهب، تزينها الورود والأزاهير من أولها إلى آخرها، وكان أمام كل واحد من المدعوين قائمة الطعام الخاصة به، وهي تختلف عن قائمة جاره.

بعد أن جلسنا، دخل الخدم حفاة، كيلا يصدر لمشيئهم صوت، يحملون أطباق الطعام، وكان عددهم بعدد المدعوين، ووقف كل واحد منهم خلف المدعو المخصص به. وفي ثانية واحدة قدّموا جميعاً الأطباق إلى المدعوين ثم وقفوا خلفهم ينتظرون. وبعد أن انتهى المدعوون من تناول أول طبق، سحب الخدم، وبثانية واحدة، جميع الأطباق وخرجوا من البابين اللذين دخلوا منهما بنفس النظام والدقة، ثم عادوا بالأطباق الثانية وقدّموها، كما قدّموا الأطباق الأولى، وفي الوقت نفسه جميعاً. استغربت هذه الدقة وهذا النظام، فلاحظت أن عيون الخدم شاخصة إلى اللوحات أمامهم التي كانت تمثل صور نواب الملك الذين تعاقبوا على حكم الهند إبان سيطرة بريطانيا على الهند، وكانت هذه اللوحات ما زالت تزين جدران القاعة الكبرى التي كنا نتناول فيها طعام العشاء، إلا أنني لاحظت أن فوق كل لوحة ثلاث إشارات ضوئية تشبه الإشارات الضوئية لدى تقاطع الطرق: خضراء وبرتقالية وحمراء، كما لاحظت أن رئيس الخدم واقف في طرف القاعة يرصد المدعوين، وعندما ينتهوا من تناول الطعام يعطي الإشارة الضوئية للخدم فيسحبوا الأطباق من أمام المدعوين حتى ولو لم ينهوا تناول طعامهم. هذه الدقة وهذا التنظيم لم أشاهده في أي من قصور الملوك ورؤساء الجمهوريات، حتى ولا في الهند بعد نهرو. كان النور الأخضر يرمز إلى تقديم الأطباق، والنور البرتقالي التهيؤ والاستعداد، والنور الأحمر سحب الأطباق والانصراف بها.

في صباح اليوم الثاني، بدأت المباحثات بين الرئيس وبين جواهر لال نهرو. كان الأستاذ صلاح البيطار طلب من السفير السوري عمر أبي ريشة أن يخبر نهرو أن الدستور السوري لا يؤهل رئيس الجمهورية لإجراء مفاوضات سياسية، وأنه هو، كوزير للخارجية السورية، يحق له أن يجري مثل هذه المباحثات مع نهرو...!

كان جواب نهرو أنه كان قد دعا فخامة الرئيس لزيارة الهند ولم يدع صلاح البيطار الذي جاء بمعية الرئيس، فإن كان لديه ما يقوله فليطلب موعداً من وزير الخارجية الهندية ويبحث ما يريد بحثه معه، أما هو، أي نهرو، فلا يتباحث إلا مع الرئيس، وجاء جواب نهرو كصفعة للبيطار. ولم أعلم بذلك إلا بعد مدة طويلة، من المرحوم عمر أبي ريشة.

بعد المفاوضات، ذهب الرئيس والوفد المرافق لأداء صلاة الجمعة في «جامع مسجد»، وكان يغصن بالمصلين، و«جامع مسجد» هو أكبر جوامع الهند، وبعد صلاة الجمعة ذهب مع عائلته إلى دار نهرو لتناول طعام الغداء.

بعد الظهر، زار الرئيس والوفد المرافق مرصد «جنتر منتر» ومعهد العلوم الفيزيائية والزراعية، وفي المساء أقام الرئيس حفل عشاء على شرف رئيس الجمهورية الهندية ورئيس الوزراء نهرو في «فندق أشوكا» الشهير.

وقبل العشاء، تحلقنا حول الشاعر الكبير عمر أبي ريشة يلقي علينا، بطريقته الجذابة، قصيدته العصماء الحديثة: (كاجوراه) التي تعتبر أجمل ما نظم من الشعر، والتي يصف فيها معبد كاجوراه الشهير الذي تحلي جدرانها الخارجية تماثيل ترمز إلى العلاقات الجنسية، ومطلعها:

من منكما وهب الأمان لأخيه، أنت أم الزمان!
شقيت على أعتابك ال غارات وانتحرت هوان
وتمزقت أملاكها تاجاً وفضت صولجان!
وبقيت وحدك فوق هـ ذا الصخر وقفة عنفوان!
هذه القصيدة يجدر بكل واحد أن يطلع عليها ويحفظها، فهي من أجل القصائد الشعرية لحناً ووصفاً ومعنى.

وفي التاسع عشر من كانون الثاني، استمرت المباحثات السياسية بين الرئيس ورئيس الوزراء الهندي، جواهر لال نهرو، وحضرها من الجانب السوري: وزير الخارجية الأستاذ صلاح الدين البيطار والسفير السوري عمر أبو ريشة والأستاذ أحمد الشقيري، ومن الجانب الهندي: جواهر لال نهرو وابنته أنديرا غاندي ووزير خارجيته والسفير الهندي بدمشق شيشير كومار بانرجي.

كانت ابنة نهرو، أنديرا غاندي، تهيء لوالدها الأبحاث وأضيائها وتسجل ضبط الجلسات، وكان أبوها يعتمد كثيراً عليها رغم صغر سنها، ويهيؤها للمهام الصعبة التي كانت تنتظرها، وقد رافقتنا أنديرا في كل الجولات التي قمنا بها في الهند مما وثق علاقة الصداقة معها.

هذا، وصدر عقب المباحثات بيان مشترك دعا الدول الكبرى والأمم المتحدة إلى العمل على إنهاء الانقسامات والخصومات في الشرق الأوسط، وقال إن تأخر إسرائيل في الانسحاب من الأراضي المصرية يخلق أخطاراً جديدة.

هيا لنا البانديت نهرو برنامجاً حافلاً لزيارة الهند، والهند قارة واسعة تحتاج إلى أشهر لزيارتها، ومع ذلك فقد قمنا بزيارة أهم معالمها، ورافقنا نهرو وابنته، أنديرا غاندي، في جميع مراحل الزيارة: إلى نانغا وزيارة السد فيها، إلى أغرا وزيارة تاج محل وفاتح بور سكري، إلى عاصمة الجنوب بنغلور وإلى مايسور حيث قصر المهرابا فيه يفوق بجماله وضخامته وتزييناته قصر دلهي، وقد حللنا فيه وزرنا حدائقه المنسقة ليلاً، ثم إلى بونا وزيارة الكلية العسكرية فيها، وكان العميد فهمي سلطان يدرس فيها، ثم بومباي، العاصمة الاقتصادية والمالية للهند وأكبر مدنها، وقد حضرنا فيها العرض العسكري الضخم الذي أقيم بمناسبة العيد القومي، يوم ٢٦ كانون الثاني، كما أقام لنا القنصل الفخري السوري صبحي العجل حفل غداء كبير وأتيق في فندق تاج محل، أكبر فنادق المدينة، وفي المساء أقامت جمعية الصداقة العربية - الهندية حفلة عشاء أنيقة على شرف الرئيس.

إلا أن أهم ما شاهدنا في الهند، وفي بومباي بشكل خاص، هي المدينة الخاصة بالعلوم الذرية التي أنشأها الثري الصناعي المشهور تاتا، وكأنها ليست في الهند بل في بلد أمريكي، إذ يحيط بها جدار عالٍ ولا يدخلها إلا من يؤذن له بالدخول بعد موافقة المراجع المختصة. فيها مفاعل نووي هو الأول في آسيا، وفيها المخابر الفيزيائية والكيميائية، ودور سكن الموظفين والطلاب والعلماء وأماكن تسلياتهم، إذ لا يسمح لأي منهم بالخروج من هذه المدينة إلا بإذن خاص وبمرافقة خاصة ولغرض معين.

عندما جلنا في هذه المدينة، برفقة رئيس الوزراء جواهر لال نهرو وابنته، كان بادياً على نهرو الاعتزاز والفخر بما حققته الهند من تقدم علمي وتقني وعلى أعلى المستويات العالمية، وكان العلماء الذين رافقونا يشرحون لنا كيف أنهم تمكنوا من استعمال الذرة في الزراعة فأعطت قمحاً أكبر وأوفر من القمح العادي، وكذلك بالنسبة لبقية الحبوب والخضار والفواكه، وفي مجال الصناعة، أفادوا كثيراً من إخضاع بعض الصناعات للذرة. ثم دخلنا المفاعل النووي، بعد أن ارتدينا الألبسة والأقنعة الواقية، وخرجنا نقدر للهند هذه القفزة النوعية في مجال العلوم وفي استعمال الذرة للأغراض السلمية.

كانت زيارتنا للهند مفيدة ومثقة وهامة على جميع المستويات، وما زلت أذكر كل ساعة قضيناها فيها، وكل مشهد من مشاهدنا، وكل جلسة من جلساتها وكل كلمة من خطب الرئيس في كل موقف من المواقف. كان الأستاذ أحمد الشقيري، الذي كان من

المحاميين الفلسطينيين المعروفين والمشهود لهم في فن الخطابة، يبدأ بترجمة خطاب الرئيس ثم يتم الخطاب من عندياته، فلفت انتباهه إلى وجوب التقيد بما يقوله الرئيس دون زيادة، فلم يكن مسروراً والتزم بذلك. وأذكر أنه عندما توفي فيشنسكي، المندوب السوفياتي الدائم لدى الأمم المتحدة، وكان أشهر الخطباء وأقوى المندوبين في الأمم المتحدة، طلبت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى الأستاذ أحمد الشقيري - مندوب سورية - أن يؤننه. المعروف أن الشقيري، بعد أن ترك منصبه كمندوب دائم لسورية لدى الأمم المتحدة، انتخب رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية.

بعد أن انتهت زيارتنا إلى الهند، كان علينا العودة إلى دمشق، ولم يكن لدى سورية في ذلك الوقت سوى طائرتين من طراز داكوتا لا تتسعان إلا إلى عدد محدود من الركاب، ولا تطيران إلا لمسافات قريبة، فاقترح الأستاذ صلاح أن نطلب إلى باكستان إعارتنا إحدى طائراتها، فقال له الرئيس: أبعد الهجوم الشديد على باكستان الذي تفضلت به، تريد الآن أن تطلب إليهم أن يعيرونا إحدى طائراتهم؟! فحجل الأستاذ صلاح من نفسه، ثم قال لي الرئيس: اتصل بسفير السعودية ليأت إلى هنا. ففعلت، وطلب إليه أن يسعى لدى حكومته لإرسال إحدى طائراتها لتعيدنا إلى دمشق، وهكذا كان. فبعثت السعودية طائرة من طراز كونفير نقلتنا إلى الظهران فالدمام حيث قضينا ليلتنا، وفي اليوم التالي غادرنا الدمام إلى الظهران ومنها إلى دمشق.

إن الهند عالم قائم بذاته، لو أحببت سرد ما اطلعت عليه خلال هذه الزيارة لاستغرق ذلك مني وقتاً طويلاً ولملأت الصفحات الطوال، فحضرتها تعتبر من أقدم الحضارات العالمية وفلسفتها وعلومها كانت في أساس أكثر الحضارات والعلوم، ودياناتها الكثيرة المتعددة شملت جميع نواحي الحياة والفكر، وما أطلعنا عليه في هذه الزيارة السريعة كان مكثفاً وشاملاً وعميقاً.

وعندما عدت إلى الهند، بعد عشرين عاماً من هذه الزيارة كسفير لسورية، لم أستطع، خلال السنوات الثلاث التي قضيتها فيها، أن أطلع على جميع ما أطلعنا عليه خلال هذه الزيارة بمعية الرئيس، وبوجود البانديت جواهر لال نهرو، ولا يمكن لإنسان أن يحيط بما في هذا العالم من أمور، ولو أقام في الهند طيلة حياته.

عاد الرئيس إلى دمشق ليتابع اتصالاته مع رؤساء الدول العربية المجاورة والتداول معها في جميع القضايا التي تهم منطقتهما، كان يتصل تقريباً يومياً برؤساء جمهورية لبنان وشخصياته، ويتبادل مع الملك سعود ومع الرئيس عبد الناصر ومع الملك حسين الرسائل، يتذاكر معهم في الأمور السياسية الهامة، أو يدعو إلى اجتماع قمة معهم.

كنت أكتب له هذه الرسائل وأضربها على الآلة الكاتبة، ونبعث بها في الحقائق الدبلوماسية أو مع مراسل خاص إن كانت مستعجلة، وكان الرئيس يحتفظ بالنسخ الثانية لرسائله وبالرسائل الجوابية التي ترده من هؤلاء الرؤساء، وإن استطعنا الاطلاع عليها الآن فإنها ستشكل مرجعاً تاريخياً وثائقياً هاماً لتلك الفترة المضطربة من تاريخ الشرق الأوسط.

ونتيجة اتفاقية التضامن العربي، التي وقّعت في القاهرة بين سورية والسعودية ومصر، والقاضية بأن تدفع هذه الدول ١٢,٥ مليوناً من الجنيهات للأردن كمساعدة مالية تحل محل المساعدة البريطانية، صادق مجلس النواب الأردني بالإجماع، بتاريخ ٢٢ كانون الثاني ١٩٥٧، على هذه الاتفاقية، وأنهى بتاريخ ١٣ شباط من العام ذاته معاهدة الصداقة والتحالف المعقودة بين الأردن وبريطانيا عام ١٩٤٨، على أن تجلو القوات البريطانية عن قواعدها في الأردن في غضون ستة أشهر^(١).

ودعا الرئيس إلى اجتماع قمة مصغرة يعقد في القاهرة في الثالث والعشرين من شهر شباط ١٩٥٧، لبحث نتائج زيارة الملك سعود إلى واشنطن ولقائه الرئيس الأمريكي أيزنهاور^(٢)، ولشرح نتائج مباحثاته مع رؤساء الباكستان والهند، ولتدارس الوضع بعد إلغاء معاهدة الصداقة الأردنية - البريطانية، ولبحث إصرار إسرائيل على الاحتفاظ بغزة أو تدويلها وتدويل خليج العقبة.

وعقد الاجتماع الرباعي في موعده - أي في ٢٥ شباط ١٩٥٧ - إلا أنني لم أحضره ولم أسجل وقائعه، وتم الاكتفاء بما سجله الجانب المصري.

وعقب الاجتماع، سافر الرئيس إلى الإسكندرية، ورافقته، وزار المشفى عدة مرات لإجراء الفحوصات اللازمة للقرحة، وعدنا إلى دمشق في ٣٠/٢/١٩٥٧.

مع المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي: في الحادي عشر من أيار ١٩٥٧، زارنا المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي، وقابل الرئيس ثم أهداني الجزأين من كتابه عن التاريخ، موقعين منه، وهما الجزآن اللذان اختصر بهما كتبه الكثيرة عن دراسة التاريخ: A Study of History, by Arnold Toynbee، وكان ذلك هدية قيمة جداً

(١) نص البيان المشترك لإنهاء المعاهدة البريطانية - الأردنية المعقودة عام ١٩٤٨، في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٢٦ -.

(٢) البيان المشترك الصادر عقب المباحثات التي أجراها الملك سعود مع الرئيس الأمريكي أيزنهاور، في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٢٧ -.

بالنسبة لي ما زلت محتفظاً بها في مكتبي بعد قراءتهما، وفيهما قصة الحضارة العالمية من أول التاريخ إلى يومنا هذا، مع قصة الأديان والمعتقدات والاتجاهات السياسية في العالم.

زيارتي إلى اليمن: كان الإمام أحمد حميد الدين بعث برسالة إلى الرئيس هاشم الأتاسي^(١)، في عام ١٩٥٤ مع وزير ماليته، يطلب فيها العمل على تمديد الخط الحديدي الحجازي إلى اليمن، ليكون صلة وصل بين اليمن وسورية لأنه لا يثق، من الدول العربية، إلا بسورية، (حسب قوله)، كما يطلب بعض الموظفين السوريين لينظّموا له الإدارة والمالية في اليمن، إلا أن الرئيس الأتاسي لم يستطع تنفيذ هذه الرغبة.

ولما أعيد انتخاب الرئيس شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية، أعاد الإمام أحمد الطلب ذاته^(٢)، إلا أن الخط الحديدي الحجازي كان متوقفاً منذ الحرب العالمية الأولى عندما نسفه لورانس، وكانت المساعي تبذل، دون جدوى، مع الأردن والسعودية لإعادة تسييره وإصلاحه، إلا أن ذلك كان متعسراً.

أما بالنسبة لإرسال موظفين سوريين وخبراء في الإدارة إلى اليمن، فقد عرض عليّ الرئيس القوتلي - مازحاً عليّ ما أعتقد - أن أذهب، فاعتذرت. إلا أنه قرر إرسال وفد برئاسة وزير الخارجية الأستاذ صلاح البيطار إلى الإمام أحمد ليرى ما هي رغبة الإمام، وكيف يمكن تلبية حاجاته.

تشكّل الوفد برئاسة الأستاذ البيطار، وشمل في أعضائه السادة: الدكتور أسعد الخانجي أمين عام وزارة الخارجية، وأنور مريدن مدير عام رئاسة مجلس الوزراء، وحامد العامري المدير القانوني في رئاسة مجلس الوزراء، والدكتور أنور شوري من وزارة الصحة، والعقيد صلاح البزري (شقيق اللواء عفيف البزري، وكانت له صلات قوية مع اليمن)، وأحمد يونس من وزارة الزراعة، والدكتور يحيى الشماع (وكانت له صلات صحيّة وتجاريّة مع اليمن) ويوسف مزاحم من وزارة الداخلية، ومنّي، عبد الله الخاني.

(١) صورة عن الرسالة المرسلة من قبل إمام اليمن إلى فخامة الرئيس هاشم الأتاسي، في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٢٨ - ..

(٢) صور عن الرسائل المتبادلة بين إمام اليمن وفخامة الرئيس شكري القوتلي، في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٢٩ - ..

غادرنا دمشق في الساعة السابعة من صباح ٢٢ أيار ١٩٥٧ على الطائرة السورية من طراز داكوتا DC3، والتي لا تستوعب من الركاب سوى ثلاثين، ولا تستطيع التحليق لأكثر من ست ساعات.

بعد خمس ساعات من الطيران، وصلنا جدة حيث توقفنا للترؤد بالوقود، ثم تابعنا مسيرتنا باتجاه الحُدَيْدَة في اليمن. وبعد ثلاث ساعات من الطيران، شاهدت من نافذة الطائرة ما يشبه الجبل العالي، سألت قائد الطائرة عنه، وكان طياراً يونانياً ماهراً واسمه الكابتن باسيل، أجاب إنه ليس جبلاً بل عاصفة رملية، قلت: وماذا ستفعل؟، قال: إننا مضطرون للدخول فيها واجتيازها لأننا لا نستطيع العودة إلى جدة ولا الوصول إلى جيبوتي، فما لدينا من وقود لا يكفي. كانت لديّ آلة التصوير، فصورت العاصفة الرملية قبل الدخول فيها وأثناء وجودنا فيها.

وفي العاصفة، أخذت الطائرة تميل ذات اليمين وذات الشمال، وصارت تهتز كالريشة في مهب الريح، وأخذنا جميعنا نقرأ آية الكرسي والفتحة، ولم نجد أنفسنا إلا وهبطنا في أرض مطار الحديدية، والفضل في وصولنا بالسلامة كان يعود إلى مهارة الكابتن باسيل وإلى ما قرأناه من آيات!...

لجنة الاستقبال اليمنية، التي كان من المنتظر أن تستقبلنا، عادت أدراجها لأنها وجدت أنه لا يمكن لأي طائرة أن تهبط في تلك العاصفة، وبعد هبوطنا جاء بعض الموظفين اليمنيين واقتادونا إلى ما يسمى دار الضيافة، وكانت على سطح إحدى البنايات العالية، وقد جهّزوا لنا أربع غرف كان يجب علينا، وعددنا عشرون، أن نتقاسمها، ولم يكن فيها نوافذ، فكانت الطيور والحشرات تدخل إليها وتخرج، أما الدكتور أسعد الخانجي ففضل أن يبقى بلباسه الرسمي جالساً على كرسيه، ورفع رجله على كرسي آخر حتى لا تلسعه الصراصير والحشرات.

في اليوم التالي، كان علينا أن نغادر مرفأ الحديدية إلى العاصمة، وكانت آنئذٍ «تعز»، وهي تقع في الجبال، وكان الطقس فيها جميلاً، وكنا نعيش الفصول الأربعة في يوم واحد. فالصباح مشمس وجميل وكأننا في الصيف، وتلبد الغيوم ظهراً كأننا في فصل الخريف، ثم تهمر الأمطار وكأننا في الشتاء، ثم تصفو السماء ويطلع القمر بنوره الجميل مساءً وكأننا عدنا إلى الربيع.

زرنا في اليوم التالي مزارع الإمام، وفيها أشجار البن والشاي والقات أيضاً. وشجر القات لا يعلو أكثر من مترين عن سطح الأرض، وورقه الأخضر يحوي مادة

مخدّرة، «ويخزّن» اليمنيون القات في فمهم من بعد غداء الظهر إلى الليل ويمضعونه فيشعرون بالراحة. وانتقدنا أثناء وجودنا تعاطيهم لهذا المخدر فانتقدوا استعمال التبغ من قبل المدخنين، ولقائف التبغ (السيكارة) أشد ضرراً من القات.

بعد يومين من وصولنا، استقبلنا الإمام أحمد في قصر العرضي، وهو منزل متواضع؛ ومع أن الإمام كان مصاباً بمرض الباركنسون (أي الرجفان) إلا أن حديثه عن العلاقات العربية والعلاقة اليمنية - السورية كان في غاية الدقة، وحمل الأستاذ صلاح رسالة شكر شفوية إلى الرئيس القوتلي.

أمضينا أسبوعاً في تعز في بناء لم يكتمل كان من المفروض أن يكون داراً لاستقبال الضيوف، إلا أن الأحاديث المرححة بين أعضاء الوفد كانت تغطّي تلك النواقص.

بعد المقابلة، عاد الأستاذ صلاح بالطائرة السورية التي أقلّتنا، عاد إلى دمشق، وعندما كانت الطائرة فوق الأردن تعطلّ أحد محركيها فطلب الكابتن باسيل الهبوط في مطار عمّان، ولم يلبّ طلبه لأن مطار عمان لم يكن، آنئذٍ، مزوداً بالكهرباء لهبوط الطائرات ليلاً، واستمرّت الطائرة حتى وصلت دمشق، وفوق دمشق توقف المحرك الثاني، فهبطت الطائرة وكأنّها طائرة شراعية، وكانت تلك إحدى ميزات طائرة الداكوتا.

بعد تعز، سافرنا بالطائرة اليمنية إلى صنعاء حيث هبطت الطائرة، وكانت أيضاً من طراز داكوتا، هبطت في ملعب كرة القدم. أمضينا ليلة ثم عدنا منها إلى جدة ومنها إلى مكة المكرمة حيث اعتمرنا، ثم إلى المدينة المنورة حيث زرنا قبر الرسول المعظم، وعدنا بعدها إلى دمشق.

كانت رحلة ممتعة رغم النواقص، إلا أن إخواننا اليمنيين بذلوا الجهد الكافي لجعل إقامتنا في ديارهم ممتعة ومريحة.

سعي بعض السياسيين للنيل مني: أراد بعض السياسيين، ومنهم خالد العظم والشيخ معروف الدواليبي وصلاح البيطار وأكرم الحوراني، الإساءة إليّ والظعن بي، لا للنيل مني شخصياً ولكن للنيل من الرئيس شكري القوتلي، نظراً لأنني أعمل بمعيتة ولا أتصرف إلا بأمره، ولم تلبث الاتهامات التي كانت توجه إليّ أن ينكشف زيفها وتقلب عليهم، ولا مجال لذكرها الآن.

وكنّت، أثناء وجودي في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية، ألتزم بمنتهى الحذر في تصرفاتي وبأبعد حدود آداب الوظيفة وواجباتها، وأتجنّب الاتصال بأي شخص أو

جهة يمكن أن يفسر الاتصال بها كونه مسيئاً إلى منصبي أو إلى الرئيس، لأنني كنت أقدر حساسية منصبي وأخشى من الإساءة إلى فخامة الرئيس.

كما كنت أجتنب مواطن الزلل أو الاختلاط بمن فيه شبهة أو له غرض، وكانت أنشطتي الخارجية مقصورة على الأندية الثقافية أو الفنية، إذ كنت رئيساً للنادي العربي وللحلقة الاجتماعية لخريجي المعاهد العالية، ونائباً لرئيس الجمعية السورية للفنون التي عملت على تشجيع الرسّامين والنحاتين والفنانين عامة.

وكمثل على هذه الافتراءات، أورد في ما يلي حادثتين تدلان على طريقة الدس والوقعة التي تعرضت لها والتي لم يلبث أن تبين زيفها:

الأولى: جاء مرة معروف الدواليبي إلى الرئيس، وقال له إن حزب الشعب عاتب عليه لأن عبد الله الخاني حضر يوم الجمعة بتاريخ كذا صلاة الظهر والجمعة في جامع دارياً، وقام بعد الصلاة وخطب داعياً إلى انتخاب صديقه مظهر الشريجي مرشح الحزب الوطني ضد مرشح حزب الشعب الشيخ أبو الخير القهوجي.

ويقول إخواننا أعضاء حزب الشعب أن الخاني ما قام بذلك إلا بتوجيه منكم. فقال له الرئيس: إنني لا أعلم أن عبد الله متدين ويصلي، فإن هداه الله فالحمد لله، ومع ذلك سأحقق في الموضوع.

ثم استدعى الأمين العام فؤاد الحلبي وقال للدواليبي: أعد على مسامعه ما ذكرته لي. فأعاد ما كان ذكره للرئيس، فسأله فؤاد الحلبي: ومتى كان ذلك؟ قال: منذ ثلاثة أسابيع. ففكر الحلبي ملياً، ثم قال: ولكن عبد الله الخاني لم يكن في دمشق في ذلك اليوم بل كان في لبنان، وقد أوفده فخامة الرئيس ليمثله في تنصيب البطريك المعوشي في بكركي، فكيف يمكن أن يكون في داريا وفي بكركي في الوقت نفسه؟ فأوقع في يد الدواليبي، وقال له الرئيس: ألا تستحون من دسائسكم وافتراءاتكم؟ وانسحب الدواليبي مختزياً.

الثانية: طلب إليّ الرئيس مرة أن أنزل إلى وزير الخارجية صلاح البيطار لأنه يريد أن يعتذر لي، سألت الرئيس عن سبب الاعتذار، قال: انزل إليه فقط. نزلت إلى وزارة الخارجية فاستقبلني البيطار ببشاشة مصطنعة وبابتسامة صفراء وقال: تفضّل، ماذا تريد أن تشرب؟ قهوة أم شاي؟، قلت: لا أشرب هذا ولا ذاك، إنما جئت تنفيذاً لأمر من فخامة الرئيس، فماذا تريد مني؟، قال: لا شيء إنما أحببت أن أراك وأن نتناول القهوة معاً. قلت: بل هنالك شيء آخر. قال: لا شيء... لا شيء، وأصرّ على أن نتناول القهوة معاً، فاعتذرت وخرجت.

وعلمت فيما بعد أنه قال للرئيس إن التفتلات التي أجرتها قيادة الجيش السوري - وكانت سرّية جداً - قد وصلت إلى السفارة الأمريكية، وإنني قد اطلعت عليها ونقلتها إلى السفارة. ولم يكن لي أن أطلع على هذه التفتلات التي لم تخرج من دائرة وزارة الدفاع، كما أنه لم تكن لي أية معرفة بموظفي السفارة الأمريكية ولا علاقة بالسفارة. وبعد التحقيق تبين أن المستشار السياسي لصالح البيطار آنذ هو الذي اطلع عليها عندما وردت إلى وزير الخارجية، فنقلها إلى السفارة الأمريكية، ولم تأت هذه التفتلات أصلاً إلى القصر.

البانديت نهرو في دمشق

في ١٤ حزيران، مرّ بدمشق البانديت جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند في طريقه إلى الولايات المتحدة، فأقام له الرئيس القوتلي مأدبة عشاء في القصر الجمهوري. ورداً على الكلمة الترحيبية التي ألقاها الرئيس بعد العشاء، رد البانديت نهرو مؤكداً قوة الروابط التاريخية التي تربط بين الهند والبلاد العربية عامة وسورية خاصة، وعندما تحدّث عن سياسة الهند الخارجية وتمسكها بمبادئ الحياد أعلن أنه يفضل استعمال تعبير: «عدم الانحياز» مكان التعبير السابق «الحياد الإيجابي» ليشمل مجموعة الدول التي ارتبطت بمبادئ مؤتمر باندونج.

وقد كلّفني الرئيس بمرافقته، أثناء وجوده في دمشق، وأذكر أنني جلبت له في صباح اليوم التالي، أي يوم مغادرته، وردة حمراء، ذلك أنه كان يضع كل يوم وردة حمراء في عروة سترته دلالة على تفاؤله وأناقته، فسرّ لذلك.

وقد أعجبت به كشخصية فذة، وبهدوئه وسعة اطلاعه وقلة كلامه إلا في ما يجب قوله، ودقة ملاحظته - والمعروف عنه أنه هو الذي هيأ استقلال الهند - وقرّر الرئيس إطلاق اسم جواهر لال نهرو على الشارع الممتد من ساحة الأمويين إلى جبل قاسيون في دمشق، تخليداً للصدقة الهندية - السورية.

مع الأنسة أم كلثوم

في النصف الثاني من حزيران ١٩٥٧، جاءت الأنسة أم كلثوم إلى دمشق لتحيي بعض حفلات الغناء، وقد لاقت هذه الحفلات إقبالاً منقطع النظير - ولا عجب - فالأنسة أم كلثوم حدث هام في تاريخ الغناء العربي.

وقد قرر الرئيس القوتلي منحها وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة، ذلك لأنها تبرّعت بمجموع ريع حفلاتها إلى المجهود الحربي السوري، أي إلى الجيش السوري.

وفي نهاية الحفلات، وبتاريخ ١٨ حزيران، أقام لها السفير المصري بدمشق محمود رياض حفلة استقبال في دار السفارة المصرية، خلف جامع الروضة، وكلفني الرئيس أن أقُلدها هذا الوسام مع الشاح.

وقد شكرتني بكلمات رقيقة، وكلفتني أن أنقل شكرها إلى فخامة الرئيس. قلت لها مازحاً: لقد أصبحنا زملاء، لأنني أحمل وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى وأنت تحمِلينه الآن من الدرجة الممتازة. فقالت: «نحن النساء نمتاز «حبة» عن الرجال».

لم تكن أم كلثوم مجرد مغنية تحصل على الشهرة في زمانها ثم لا تلبث هذه الشهرة أن تخبو وتنطفئ بزوالها، كانت أم كلثوم حدثاً هاماً في تاريخ الغناء والموسيقى، ليس في مصر فحسب وإنما في العالم العربي قاطبة، ومن مشرقه إلى مغربه الذي وحّده بحبه لها وتقديره لعبقريتها.

كانت ذات شخصية قوية جذابة، وفكر متّقد، وذكاء حاد ومعرفة واسعة بالأحداث، إلى جانب الروح المرحّة التي يتحلّى بها المصريون عامة.

في حفلة السفير المصري محمود رياض، تقديراً لها ولمكانتها، كان المدعوون يتزاحمون للقرب منها وسماع حديثها أو إحدى النكات التي تطلقها، أو حتى التمتع برؤيتها.

شبهوها في مصر بأهرامات الجيزة التي عاشت على مدى العصور، وبقيت أم كلثوم ماثلة بأغانيها وألحانها في عقول الناس وقلوبهم على مدى الأزمان حتى بعد رحيلها، ولا أدلّ على ذلك من المسلسل التلفزيوني الذي تعرضه جميع محطات التلفزيون العربية، والذي يتسابق الناس لرؤيته.

لقد كان لي الحظ أن كلفني الرئيس بتقليدها وشاح الاستحقاق السوري في هذه الحفلة نيابة عنه.

الرئيس القوتلي في سويسرا

في تموز اشتد ألم المعدة عند الرئيس نتيجة القرحة، فقرر السفر إلى سويسرا لاستشارة طبيبه، ولم أرافقه بل رافقته عائلته. وفي زوريخ دخل مشفى الكانتون Hopital Cantonal، وراجع طبيبه البروفسور لوفلور Dr. Professeur Lefleur الذي قدّم له العلاج اللازم، وعاد إلى دمشق بعد أسبوع.

الزواج

في بداية العام الدراسي ١٩٥٦، حضرت إلى دمشق من حلب لتدرس في معهد دوحة الأدب الأنسة أمل إبراهيم باشا. كان معهد دوحة الأدب مشهوراً في سورية على أنه أفضل معاهد التدريس للإناث، نظراً للإدارة الممتازة التي كانت تشرف عليه، ولمستوى الأساتذة فيه، وللتنتائج العالية التي تحصل عليها طالباته في شهادة البكالوريا.

كانت تشرف عليه جمعية دوحة الأدب التي كانت ترأسها المربية الفاضلة عادلة بيهم الجزائري، رئيسة الاتحاد النسائي بدمشق، وتدير المعهد ابنتها القديرة الأنسة أمل الجزائري.

كان والد أمل السيد ناظم إبراهيم باشا، الذي تقلد مناصب عالية في القضاء بمدينة حلب كان آخرها منصب النائب العام، معروفاً باستقامته وغزيره معرفته بالقانون وبحزمه في الدفاع عن الحق العام، وكان خالها الدكتور ناظم القدسي، رئيس مجلس النواب لمدة طويلة ثم رئيس الجمهورية، أشهر من أن يعرف، وكان أخوها، الدكتور نهاد والدكتور نجدت، من أصدقائي من أيام الدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت.

أثناء دراستها في معهد دوحة الأدب، امتازت أمل بسمو أخلاقها وحسن تصرفها وحبها للخير. كانت تطلب إلي العناية ببعض أذنان المدرسة الذين يحتاجون لعناية طبية أو مادية، أو ببعض خادمت المدرسة ممن يحتجن لمساعدة. كان اتجاهها إنسانياً وخيراً منذ الصغر، تعطف على الفقراء ممن هم حولها في المدرسة، وما كان يسعني إلا أن أستجيب لطلباتها الإنسانية، مما عمق معرفتي بها وبأخلاقها سيما وأن مديرة مدرستها، الأنسة أمل الجزائري، كانت تمتدحها وتثني على أخلاقها وتصرفاتها في المعهد مع أساتذتها وزميلاتها الطالبات ومع صغار موظفي المعهد.

ذهبت وأخي الكبير بهجت إلى حلب في ١٧ أيار من عام ١٩٥٧، لطلب يدها من والدها الكريم، ولم يكن يعرفني قبل ذلك، وبعد سؤاله عني والتحري عن أخلاقي وأوضاعي وافق، رغم أنه كان يفضل أن تتزوج ابنته من شاب من حلب وليس من دمشق لتكون قريبة منهم وتحت نظرهم.

حدّدنا، بالاتفاق معهم، موعد الزواج في الثالث من تشرين الأول القادم، وكان يوم الخميس، وكانوا يتفاءلون بالتاريخ الذي يقع قبل منتصف الشهر القمري.

في أواخر شهر أيلول ١٩٥٧ جاء من حلب وفد من كبار الصناعيين والزراعيين والتجار لمقابلة الرئيس القوتلي. قالوا له إن دمشق حصلت على المعرض الدولي لديها مما يعطيها مركزاً دولياً وينشطها سياحياً واقتصادياً وإعلامياً، أما حلب، وهي عاصمة الشمال الاقتصادية، فلا تنعم بمثل هذه التظاهرة الهامة، لذلك قرر هؤلاء إقامة مهرجان للقطن في حلب يكون بمثابة معرض لزراعته وغزله ونسيجه، ويسعدهم لو يتفضل الرئيس بافتتاح هذه السوق، وقد حددوا لافتتاحها يوم ٣ تشرين الأول القادم، فوافق الرئيس على الذهاب إلى حلب نظراً لمكانة عاصمة الشمال ولمركزها المرموق في الصناعة والزراعة والتجارة، ولضرورة كسب أهل الشمال وعدم إهمالهم.

عندما علمت بذلك، عرضت على الرئيس، نظراً لوجوده في حلب يوم زواجي، أن يتفضل بحضور حفلة عقد قراني التي ستكون في أضيّق الحدود، فوافق وقال بعد الانتهاء من حفلة افتتاح السوق والمهرجان في مكتب حلب، سيعود إلى دار المحافظ حيث يقيم، ثم يأتي بمفرده إلى دار السيد ناظم إبراهيم باشا، فشكرته على تفضله بالموافقة على الحضور.

بعد أن حجزت جميع غرف فندق بارون الشهير بحلب، لنزول إخوتي فيه، علمت أن أكثر أعضاء الحكومة ورئيس الأركان وكبار الضباط وبعض رؤساء البعثات الدبلوماسية، سيأتون من دمشق لحضور هذا الاحتفال الكبير الذي يعطي حلب المكانة اللائقة بها، فكان عليّ أن أجد أماكن غير فندق بارون لإخوتي، وأن أنظم نزول كبار الشخصيات القادمة من دمشق فيه. وضعت كل وزيرين في غرفة، وكل سفيرين في غرفة أخرى، ما عدا السيدين صبري العسلي رئيس الوزراء وخالد العظم نائب رئيس الوزراء وزير الدفاع، فقد خصّصت لكل منهما غرفة خاصة به، ذلك أن عدد غرف الفندق كانت محدودة. وعوضاً عن أن أعطني بنفسني وأتعبني لحفلي أمضيت النهار بتهيئة نزول الشخصيات الحكومية والدبلوماسية في الفندق وتسهيل إقامتهم.

كنت رجوت آل خطيبي أن تكون حفلة عقد القرن والزواج في آن واحد، وأن يكون عدد المدعوين محدوداً قدر الإمكان.

في الثالث من تشرين الأول، حضر فخامة الرئيس الاحتفال في المكتبة الوطنية بحلب، وتبارى الخطباء والشعراء بمديح الرئيس والإشادة بجهاده وجهوده وحرصه على إعطاء حلب وأهل شمال سورية المكانة اللائقة المرموقة، وبينان قيمة سوق

القطن في حلب والمهرجان الذي سيعقب الاحتفال، وعوضاً عن أن تنتهي الحفلة في الساعة السادسة مساءً، امتدت إلى الثامنة نظراً لكثرة الخطباء.

كان المفروض أن يعود الرئيس إلى دار الضيافة في دار المحافظ ومنها إلى دار ناظم بك منفرداً، إلا أنه أوعز إلى المرافق أن يوجه الموكب إلى دار ناظم إبراهيم باشا مباشرة حيث كنا بانتظاره. وهكذا جاء الموكب بكامل هيئته من وزراء وسفراء وضباط إلى دار ناظم بك التي غصت بهم على سعتها وسعة الحديقة الكبيرة المحيطة بها، إذ كان يربو عدد القادمين على الخمسمائة، وكان على آل إبراهيم باشا أن يتداركوا، وبسرعة فائقة، المشروبات والبوظة وعلب الملابس اللازمة لجميع هؤلاء المدعوين.

واستقبل فخامة الرئيس لدى وصوله بالهتاف والتصفيق، وتجمهر الناس حول الدار، وكاد «العريس» أن يضيع في غمرة الزحام، وأوشك أن يغرق في أمواج الجماهير لولا أن جاء الدكتور نهاد، وكان وكيلاً لشقيقته أمل، فأنقذني وسحبني إلى داخل الغرفة التي جلس فيها الرئيس وأعضاء الحكومة ورئيس مجلس النواب الدكتور ناظم القدسي خال العروس، ورشدي الكيخيا، زعيم حزب الشعب وزعماء حلب ورئيس الأركان وكبار الضباط وبعض رؤساء البعثات الدبلوماسية الذين رافقوا الموكب. وقد تم عقد قراني بحضورهم.

كنت أريد أن تتم الحفلة بأضياف الحدود، أي بما لا يتجاوز الخمسين مدعوً، وإذا بها تتم بحضور أكثر من خمسمائة.

وإذا أراد الله تكريم عبد من عباده هياً له المناسبة والفرصة:

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ [سورة الفجر، الآية: ١٥].

فلله الحمد والشكر.

تأبين محمد سعيد حيدر: بتاريخ ٢٧ تشرين الأول ١٩٥٧، وبمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة المجاهد الوطني محمد سعيد حيدر (الليثاني الأصل من بعلبك)، أقامت له الحكومة حفل تأبين في مدرسة المحسنية في منطقة الخراب في شارع مدحت باشا، وقد كلّفني الرئيس أن أمثله في حفلة التأبين هذه، التي جمعت إلى جانب أعضاء الحكومة والأحزاب، كبار رجال المجاهدين من الوطنيين.

لم تكن هنالك مشكلة في تمثيل الرئيس في هذه الحفلة، كما مثّلته في حفلات أخرى كثيرة، كحفلة تنصيب البطريق المعوشي في لبنان وحضور عدد من الحفلات في دمشق التي كانت توضع تحت رعايته، لولا وجود فخامة الرئيس الأسبق هاشم

بك الأتاسي في هذه الحفلة، وهو من كنت أجله واحترمه وأخدم بمعيته في القصر الجمهوري والذي يتمتع بتقدير واحترام الجميع. بحكم تمثيلي لرئيس الجمهورية كان عليّ أن أتقدم عليه، وكان منظمو الحفل قد وضعوا لي مقعداً متميزاً ومتقدماً على الحضور.

شعرت بحرج في تقدّمي عليه، وعندما دخلت وقف الجميع، فتقدمت من هاشم بك، صافحته وسحبت كرسيه إلى جانب مقعدي ليجلس إلى جانبي، فلقي ذلك استحساناً وتقديراً من الجميع.

وعندما انتهى الحفل، أخذت بيده ومشينا سوية إلى الباب، ثم ودعته واستقلّيت سيارة المراسم وانصرفت، ولم أشعر بحرج في أي حفل مثلما شعرت به في هذه الحفلة.

العمل من أجل الوحدة: الوحدة العربية هي هدف كل عربي بشكل عام وكل عربي سوري بشكل خاص. فالأحزاب السورية على اختلاف مشاربها تضع العمل من أجل الوحدة العربية كأول هدف من أهدافها، والزعماء السوريون يبذلون الجهد في سبيل تحقيقها، أما الرئيس شكري القوتلي فقد عمل لها منذ نعومة أظفاره، ومنذ أن كان في الكلية الملكية في الآستانة (إستنبول) مع زملائه الطلاب من العراق ولبنان وفلسطين، وكانوا جميعاً ينتمون إلى بلد واحد هو سورية قبل تقسيمها أثناء الحرب العالمية الأولى.

وتحقّقت أول وحدة، بعد أن استقلّت سورية في عهد الملك فيصل الأول.

ثم تابع الرئيس شكري القوتلي جهاده ضد المستعمر الفرنسي طيلة فترة الانتداب بين الحريين العالميتين، وبعد أن استقلت سورية بفضل جهاد المخلصين من أبنائها، وكان في طليعتهم. فاجأته الحرب في فلسطين ثم الانقلابات المتكررة، ولما عاد إلى دمشق وأعيد انتخابه لرئاسة الجمهورية، للمرة الثالثة في ١٨ آب ١٩٥٥، عمل جدياً في سبيل تحقيق هذه الوحدة، فقدّم مشروعه لاتحاد الدول العربية إلى اجتماع القمة، الذي عقد في القاهرة في آذار ١٩٥٦ (وقد أشرت إليه في حينه).

وعندما تشكّلت وزارة السيد صبري العسلي في ١٤ حزيران ١٩٥٦، أدلى ببيان عقب حصوله على الثقة بأنه سيشكّل لجنة لبحث إقامة الوحدة الاتحادية مع مصر^(١)، وبدأ العمل الجدي في سبيل تحقيقها، وقام فخامة الرئيس بزيارات متكررة إلى القاهرة لبلورتها.

(١) بيان السيد صبري العسلي في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ١٣ - ..

وفي ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧، حضر من مصر وفد من مجلس الأمة المصري برئاسة أنور السادات، وعقد مع مجلس النواب السوري جلسة مشتركة تم خلالها تبادل الخطب والبيانات المؤدية إلى وحدة القطرين: مصر وسورية^(١).

ومنذ كانون الثاني ١٩٥٨ بدأت اجتماعات مجلس الوزراء برئاسة فخامة الرئيس في القصر الجمهوري، وحضور رئيس مجلس النواب ورئيس الأركان العامة ورؤساء الشعب في الأركان العامة، لبحث الخطوات التنفيذية لتحقيق هذه الوحدة. وقد أفردت لذلك كتاباً خاصاً سردت فيه جميع مراحل تهيئة وتنفيذ هذه الوحدة.

عام ١٩٥٨

يعتبر عام ١٩٥٨ عام الوحدة الذي تحققت فيه آمال العرب وتجسدت فيه أهدافهم، وكما وصف صبري العسلي، رئيس الوزراء السوري، هذا الحدث الهام في تاريخ العرب بأنه «ليلة القدر» فقد سُمّاها الرئيس أيضاً ليلة القدر، ذلك أنه بذل حياته وماله وجهده في سبيل تحقيق الوحدة العربية، وقد تحققت أول وحدة على يديه. وإن لم تكن النتائج كما كان يريد، إلا أن تحقيق الوحدة بين سورية ومصر في هذا العصر وفي هذه الظروف كان إنجازاً رائعاً وفريداً أدهش الأصدقاء والأعداء على حد سواء.

ولن أدخل في تفاصيل هذا الحدث الهام في تاريخ سورية ومصر، ومنطقة الشرق الأوسط، لأنني سأترك ذلك إلى كتاب يشمل جميع مراحل التهيئة والتنفيذ «لليلة القدر هذه».

على أنه لا بد من الإشارة إلى أنه في بداية هذا العام، أي في ٩ كانون الثاني، زار دمشق أعضاء المؤتمر الآسيوي - الأفريقي، وأقام لهم الرئيس حفلة شاي في القصر الجمهوري.

كما زار دمشق في ١٩ كانون الثاني الرئيس أحمد سوكارنو رئيس جمهورية أندونيسيا، وأقام له الرئيس حفل عشاء في القصر، وسافر في صباح اليوم التالي إلى باكستان في طريق عودته إلى أندونيسيا. وكان، قبل مجيئه، قد زار القاهرة وتباحث مع الرئيس جمال عبد الناصر حول دعم حركة عدم الانحياز.

(١) البيان المشترك للمجلسين في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٣٠ -.

وقد عملت، بعد العشاء وطيلة ما تبقى من الليل، مع أمينه العام على وضع البيان المشترك ليعلن في صباح ٢٠ كانون الثاني، قبل سفره من دمشق. وزار دمشق أيضاً في ٢١ كانون الثاني الأمير محمد البدر، ولي عهد المملكة المتوكلية اليمنية، فأقام له الرئيس حفل عشاء في القصر، وأجرى معه مباحثات شملت الاتصالات التي أجرتها سورية مع مصر في سبيل الوحدة، وحمله رسالة إلى جلالة والده الإمام أحمد أطلعه فيها على المراحل التي توصلت إليها أبحاث الوحدة، وأنها ستكون مفتوحة لسائر الدول العربية لتقوم بخدمة القضايا العربية عامة^(١).

الحركة الثقافية والفنية في دمشق في الخمسينات

على الرغم من عدم الاستقرار السياسي في سورية، نتيجة الانقلابات المتكررة، فإن الحركة الثقافية والفنية لم تحبّ ولم تتأثر، بل، على العكس من ذلك، كانت ناشطة. ففي المجال الثقافي، تأسست ندوتان ثقافيتان إلى جانب الأندية القائمة منذ عقود من الزمن، مثل النادي العربي والندوة الثقافية النسائية ومدرج الجامعة السورية. تأسست ندوة الزهراء وكانت رئيستها السيدة زهراء العابد زوجة محمد علي العابد، أول رئيس للجمهورية في سورية، وقام بعدها منتدى سكيّنة برئاسة السيدة ثريا الحافظ الرئيس، وكان أساتذة الجامعة في دمشق وأدباؤها وشعراؤها يترددون على هذه الأندية ليحاضروا فيها.

وأذكر ممن حاضر في النادي العربي:

السيدة أمينة السعيد، في ٢١/٤/١٩٥٣، عن «مشاكل الشباب». والدكتور محمد حسين هيكل (باشا)، في ٣٠/٤/١٩٥٣، عن «أثر الحركات الفكرية في بناء الأمم». والزعيم المغربي علاء الفاسي، في ٣/٥/١٩٥٣، عن «مكانة المغرب من العالم العربي».

والسيدة ليلى صباغ، في ٧/٣/١٩٥٥، عن الشاعر والفيلسوف الهندي طاغور.

وعميد الأدب العربي طه حسين، في ٣٠/٤/١٩٥٥.

وأحمد الشقيري، في ٤/٤/١٩٥٦.

وفؤاد صروف (لبناني)، في ٧/٥/١٩٥٦.

(١) صورة عن الرسالة في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٣١ - ..

وصلاح الدين الطرزي، في ١٩٥٦/٦/٥، عن «الدبلوماسية بين الماضي والحاضر».

والأدبية الهندية المعروفة كمالاتا ديفي، في ١٩٥٦/٦/١١، عن «الهند والعالم العربي».

هذا إلى جانب الأساتذة السوريين، مثل جورج حداد «السوريون المغتربون ومكانتهم في التاريخ»، والدكتور فاخر عاقل، والدكتور نظم الموصلي، والدكتور نور الدين حاطوم، والدكتور عزت مريدن، والدكتورة جوليت عويشق، والدكتور فريد زين الدين، وغيرهم كثيرون.

أما النشاط الموسيقي فكانت له حفلات عديدة سواء في الأندية السورية أو في السفارات الأجنبية، وكنت أقدم في الإذاعة برنامجاً أسبوعياً عن تحليل المقطوعات الموسيقية العالمية، وعن حياة وأعمال كبار الموسيقيين.

وفي مجال الرسم الزيتي والفوتوغرافي، أسسنا الجمعية السورية للفنون، التي أخذت مقرّاً لها في بناء شوري، في منتصف شارع الجلاء (مطعم الريف الآن)، وذلك لحماية الفنانين وتشجيعهم والأخذ بيدهم، وقد أقمنا لهم العديد من المعارض، كما كانت تلقى في مقر الجمعية المحاضرات المختارة عن الفنانين العالميين.

ولو أردت أن أفيض في ذكر هذه الأنشطة الثقافية والفنية، خلال هذه الحقبة من الزمن، لمألت الصحائف الكثيرة، ولكنني أكتفي بما أوردت.

النشاط الفني: بالإضافة إلى النشاط الثقافي الذي أشرنا إليه، ازدهرت الفنون في سورية بشكل واسع، لا سيما بعد افتتاح معرض دمشق الدولي سنة ١٩٥٤، إذ كان مسرح المعرض يستقطب العديد من أفضل الفرق الفنية العالمية، وقد ذكرنا الفرقة السمفونية النمساوية التي قدمت حفلات على مسرح المعرض وحفلة إضافية في قصر العظم. وعرضت الولايات المتحدة السينيراما، وكانت حدثاً جديداً، إذ قدمت فيها مقطوعة من أوبرا عائدة للموسيقار الإيطالي فيردي، وقدمت أيضاً، في السنين التالية، فرقة الرقص على الجليد والمياه الراقصة، وقدم الاتحاد السوفياتي فرقة الباليه الشهيرة (بولشوي)، وفرقة الباليه الملكية اللندنية، والفرقة المصرية الاستعراضية الغنائية، وفرقة الأكروبات الصينية، وفرقة بيلار لوبز الإسبانية، وفرق كركلا اللبنانية، والسيرك الملكي الهندي، وفرقة موسكو للتزلج على الجليد، ولاتيرنا ماجيكا... وتبارت الدول بتقديم أفضل ما لديها من فرق فنية.

أما الغناء العربي فقد كانت نجمته الدائمة فيروز مع فرقته، بالإضافة إلى سميرة توفيق ووديع الصافي ونصري شمس الدين وصباح فخري ونجاح سلام ومحمد سلمان، وغيرهم كثيرون...

وبتشجيع من الجمعية السورية للفنون، أقيمت معارض كثيرة للرسم الزيتي لفنانين سوريين وعرب وأجانب، ومعارض للصور الضوئية الملونة إلى جانب المحاضرات عن الفن والموسيقى والنحت، وعرفت الفنون في هذا العقد من الخمسينات تقدماً ملحوظاً.

التطور الاقتصادي والصناعي في سورية في العقد الذي سبق الوحدة

لم يتأثر الاقتصاد السوري سلباً بالأزمات الحكومية الكثيرة، ولا بالانقلابات المتعددة، بل كان نموه متسارعاً وصاعداً، ويعود السبب في ذلك إلى أمرين رئيسيين هما: نشاط المواطن السوري وكفاءته، وثروة سورية الطبيعية.

بالنسبة لكفاءة المواطن السوري، ذكر لي مرة سفير اليونان في بروكسل أنهم في اليونان، يقولون إن كل يوناني يوازي بنشاطه وفهمه وكفاءته اثنين من اليهود، وإن كل لبناني يوازي اثنين من اليونانيين، وإن كل سوري يوازي اثنين من اللبنانيين.

وقد لاحظنا أن في لبنان عدداً من مدراء المصارف السوريين الناجحين، ومدراء الشركات التجارية الرئيسية، مما يؤكد هذا القول المأثور.

أما عن ثروة سورية الطبيعية، فالثروة الزراعية والحيوانية والتجارية كانت تفيض بكثير عن عدد السكان المحدود والذي ارتفع بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ من ثلاثة ملايين إلى أربعة ملايين مواطن، بينما تتسع سورية إلى أكثر من خمسة أضعاف هذا العدد.

وإلى جانب الثروة الزراعية والحيوانية والتجارية، تم إنشاء عدد كبير من الصناعات، بعضها يعتمد على الزراعة كالسكر والنسيج والكونسروة، وبعضها يعتمد على الصناعات اليدوية المعدة للاستهلاك المحلي أو للتصدير السياحي.

وسأورد في ما يلي جدولاً للنمو الاقتصادي منذ فجر الاستقلال، أي ١٩٤٦، حتى الوحدة بين القطرين السوري والمصري.

ويرينا هذا الجدول أن مجمل قيمة الإنتاج الصناعي الآلي (بالأسعار الجارية في وقته) قد ارتفع من حوالي ٨٠ مليون ليرة سورية عام ١٩٤٦، إلى ٢٣٥ مليوناً سنة ١٩٥٦، أي ما يوازي ثلاثة أمثال.

جدول الإنتاج الصناعي السوري^(١)

بملايين الليرات

نوع الإنتاج	وحدة الإنتاج	معدل الإنتاج ١٩٤٧	معدل الإنتاج ١٩٥٦
إنتاج الغزل والنسيج - قطناً وحريراً -	آلاف الأطنان	٦	٣٠
الألبسة	ملايين الأمتار	٧٢	١٠٧
المأكولات	آلاف الأطنان	٢١	٦١
المشروبات الروحية	آلاف الأطنان	١١,٥٦	١٣,٨٦
الإسمنت	آلاف الأطنان	٥٣	٢٤٣
الكهرباء	ملايين كيلوات	٧٨	١٤٦

ويتبين من هذا الجدول أن صناعتي الغزل والنسيج، والإسمنت قد توسعتا بشكل ملحوظ وذلك نتيجة التوسع في زراعة القطن، وكانت نوعيته ممتازة، وتوسّع البناء والعمران في جميع المدن والقرى السورية.

أما الصناعات الأخرى فقد شملت الزجاج والأحذية والكبريت والصابون وغيرها من الصناعات الخفيفة، وارتفع عدد الشركات الصناعية المساهمة من ٧ مؤسسات عام ١٩٤٦ إلى ٤١ مؤسسة عام ١٩٥٦. أما مؤسسات الغزل والنسيج فقد بلغ عددها ١١٢ مؤسسة عام ١٩٥٧، منها ثمان مئتي مؤسسة كبيرة وحديثة، وبلغ عدد مؤسسات الصابون ٥٣، منها ٥ فقط كبيرة وحديثة.

وإلى جانبها صناعات محصور إنتاجها بوحدة صناعية واحدة (مونوبول)، كالدخان والسكر. ومن الصناعات التي ازدهرت، صناعة النسيج الصوفي (الجوخ) وكان ذا نوعية ممتازة توازي نوعية الجوخ الإنكليزي، إذ كان هنالك اتفاق مشترك ورقابة على الإنتاج.

وشجع النظام الحر والحماية الجمركية هذه الصناعات على النمو، إذ شملت إجراءات الحماية، التعرفة الجمركية وقوائم الحظر، كما كان الإعفاء الجمركي

(١) الأستاذ سمير مقدسي: Syria: The Public Sector and Economic Growth 1946-1957، دراسة خاصة غير منشورة.

لبعض أنواع الأجهزة والماكينات المستوردة، وإعفاء الشركات الصناعية لمدة ست سنوات (عام ١٩٥٢) من ضريبتى العقارات والتمتع، بالإضافة إلى إعفاء الادخار حتى ١٠٪ من الأرباح السنوية من ضريبة الدخل في حال توظيفها في توسيع مجالات العمل والإنتاج، كان ذلك العامل الأساسي في تنمية الصناعة في سورية، يضاف إلى ذلك عامل ارتفاع الدخل لدى الأفراد وزيادة القوة الشرائية لديهم، وفتح باب التصدير ولا سيّما إلى العراق ودول الخليج.

ومع ذلك فقد بقي الدخل المتأتي من القطاع الصناعي (١٢٪) أدنى بكثير من الدخل المتأتي من قطاع الزراعة (٤٧٪) ودون الدخل المتأتي من التجارة (١٧٪). وهكذا نرى أن سورية بلد زراعي بالدرجة الأولى، وحتى الصناعة، فقد اعتمدت إلى حد بعيد على نمو القطاع الزراعي وعلى نمو القوة الشرائية في القطاع الزراعي، إلا أن الصناعة فتحت الباب أمام العمالة الوطنية، إذ قُدِّر عدد العمال الصناعيين سنة ١٩٥٩ بنحو مائة ألف عامل.

وعلى الرغم من كل هذه التقلبات السياسية، فقد حافظ النقد السوري، بالنسبة للعملات الصعبة، على قوّته، إذ بقي تبادل الليرة السورية مع الدولار الأمريكي، رغم قوّته وقبل هبوطه، (٢,٢٠ ليرة سورية = ١ دولار أمريكي) أي ليرتان وعشرون قرشاً مقابل الدولار الأمريكي، وفي هذا دلالة على قوّة الاقتصاد السوري وثباته.

خاتمة الكتاب

هذه الفترة التي أمضيت في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية، وقد امتدت زهاء عشر سنوات، كانت فترة تحولات وانقلابات ومؤامرات وعدم استقرار. السبب في ذلك يعود، بالدرجة الأولى، إلى وجود العدو الصهيوني في فلسطين وإخفاق الحكومات المتعاقبة في سورية، وكذلك إخفاق الدول العربية في كبح جماحه والحد من تسلطه وعدوانه، في الوقت الذي وقفت الدول الغربية قاطبة معه، تمده بالمال والسلاح والدعم السياسي اللامتناهي، من جهة، ثم، ومن جهة أخرى، تفرق كلمة العرب، وانشغال حكوماتهم بمشاكلهم الداخلية ومع جيرانهم.

كانت سورية، وما زالت، أكثر الدول العربية حساسية بالنسبة لهذا الوضع، ذلك أن العدو الصهيوني يقف على حدودها الجنوبية، ويهدد دوماً باغتصاب الأراضي وسلب المياه والشرائط الطبيعية والتوسع في فلسطين وفي الدول المجاورة، ولا سيما سورية، ما وسعه ذلك. لذا كانت سورية أكثر الدول العربية تأثراً بما يجري في فلسطين وعلى حدودها الجنوبية، وكانت جميع الحكومات السورية، التي تعاقبت منذ الاستقلال حتى الوحدة، تضع في أولى اهتماماتها وبرامجها، تحرير فلسطين وإقامة الوحدة العربية التي تقضي على العدو وتعيد للعرب أمجادهم.

كنت في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية أراقب عن كثب تغير الرؤساء، وتقلب الحكومات التي ما كانت تدوم في غالبيتها أكثر من بضعة أشهر، ولا تتعدى السنين، رغم أن التغيير ما كان يشمل إلا عدداً محدوداً من الشخصيات الحكومية ومن المستوزرين، إلا أنني كنت المراقب عن قرب لهذه الأحداث مسجلاً وقائعها، مصوراً أحداثها ومتمتعاً بثقة رؤسائي، ولا سيما فخامة الرئيس هاشم الأتاسي وفخامة الرئيس شكري القوتلي، وكنت أجلّهما واحترمهما وأخدمهما بإخلاص، كما أقوم بأعباء وظيفتي بكل أمانة وغيرة مما أكسبني هذه الثقة، وكان العمل بمعيتهم مدرسة لي بالوطنية والحرية والديموقراطية، وإحقاق الحق واحترام

القانون والعمل لمصلحة الشعب بنزاهة وتجرد، بالإضافة إلى السمو فوق الخلافات الشخصية والتسامح، وإيثار المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، وعفة اليد والكرم والصبر وتحمل النقد والأزمات وخدمة المحتاجين والعطف على الفقير. إن ما تعلمته منهما من تضحية ومعرفة بالناس يفوق كل ما تعلمته قبل العمل بمعيتهما.

وإذا أحببت أن أصف مزاياهما، وما قدماه من خدمات وتضحيات في سبيل استقلال سورية ورفعتهما وعزتها، فلن أستطيع أن أوفيهما حقهما مهما بلغت من حسن الوصف ودقة التعبير وبلاغة الكلمة، وحسبي ما ذكره الدكتور ناظم القدسي، رئيس مجلس النواب، في الحفلة التي أقامها، في حدائق مجلس النواب، تكريماً لفخامة الرئيس هاشم الأتاسي، بمناسبة انتهاء ولايته كرئيس للجمهورية، وقد أوردت الخطاب بكامله في حينه.

أما بالنسبة لفخامة الرئيس شكري القوتلي، فقد كانت حياته جهاداً في سبيل الحرية، ونضالاً من أجل استقلال سورية والبلاد العربية، وبذلاً وعطاء وتضحية لتحقيق الوحدة العربية. بذل في سبيل هذه المثل كل ما يملك، وسطر صفحات سورية المشرقة بدمه قبل أن يكتبها بقلمه. كانت أسعد أيامه يوم حققت سورية استقلالها دون أي قيد أو شرط، كما كانت أجمل ساعاته عندما أعلن قيام الوحدة بين القطرين العربيين الشقيقين مصر وسورية. وكانت أتعب أيامه وأكثرها حسرة وإيلاماً عندما انهزمت سورية أمام العدو الصهيوني، وفقدت أعز قطعة من أرضها والقلعة الحصينة التي تحميها، فمات ألماً وحسرة وضيقةً وكمداً...

وحسبي أيضاً ما قاله عنه الأستاذ أكرم الحوراني، رئيس مجلس النواب، على ما كان بينهما من خلاف في وجهات النظر، وذلك في الجلسة الأولى للدورة الاستثنائية السابعة لمجلس النواب، يوم الأربعاء ١٥ رجب ١٣٧٧ الموافق للخامس من شباط ١٩٥٨، حين قال:

«حمداً لله وشكراً، أن تكون هذه الحكومة وأعضاء هذا المجلس عاملين وشاهدين لهذه الجلسة التاريخية، وأن يكون رائدنا الرئيس شكري القوتلي، وهو من زكت نفسه التضحية، وملاً قلبه الإيمان، وتوَّجت هامه سلسلة الأمجاد السياسية. حمل آمالنا في الحرية والكرامة والاستقلال والجلاء، وجاء اليوم ليحمل أمنيتنا في تحقيق وحدتنا، فاللهم اشهد أنه قد حقق الرسالة وأدى الأمانة، فله تقدير الوطن ومشارف المجد وهامات الخلود».

ووجه أعضاء مجلس النواب كافة، في هذه المناسبة وهذا اليوم، رسالة إلى رئيس المجلس وقّعوها جميعهم، أقتبس منها بعض ما ورد فيها:

«... وإن مجلس النواب، يرى من واجبه في هذه اللحظة المباركة، أن يسجل بالفخر والاعتزاز الموقف المشرف للرئيسين المؤمنين العظميين شكري القوتلي وجمال عبد الناصر، وجهدهما الميمون الذي حقق للأمة العربية أمنية قدّمت في سبيلها تضحيات ودماء، وكانت آخر رؤيا أطبقت عليها أعين الشهداء.

إن المثل الرائع الذي ضربه فخامة السيد شكري القوتلي بصدق جهاده، وعميق إيمانه، وعظيم إثاره، سيظل الهدى الذي تهتدي به أجيال الأمة العربية...»^(١).

لا شك أن من يعمل في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية يطّلع على جميع أمور الدولة أو على أكثرها، كما يتعرّف على أهم الشخصيات السورية والعربية والعالمية، وفي هذه المعرفة وهذا الاطلاع ثروة كبيرة من العلم والمعلومات، من الخبرة ومن حسن الإدارة، ومن التنظيم والدقة في العمل ومن تحمل المسؤولية وحسن أدائها.

لا أقول إنني اكتسبت كل هذه الأمور نتيجة وجودي الذي قارب العشر سنوات في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية، قريباً من جميع الرؤساء، إلا أنني اكتسبت الكثير من المعرفة التي ساعدتني في مناصبي ووظائفي المستقبلية، سواء في وزارة الخارجية أو حتى في المحاكم الدولية.

كما أن دراساتي السابقة لوظيفتي هيأتني للإفادة مما اطلعت عليه من أحداث وما سجلته من وقائع، أضعها بكل أمانة وصدق، تحت تصرف القارئ، كما أرفقت ببحثي هذا بعض الصور التي تشير إلى عدد من الشخصيات العربية والعالمية التي قامت بزيارة إلى سورية، وإن لم أتعرض إلى الأبحاث التي أجروها مع المسؤولين السوريين، إلا أن هذه الزيارات تدل على عمق الصلات بين هذه الدول وبين سورية.

هذه فترة هامة من تاريخ سورية أحببت أن أسجلها كما اطلعت عليها، وكما ذكرت في مطلع هذا الفصل، وإن لم تكن هذه المعلومات التي ذكرت شاملة بعمق لجميع الأحداث، إلا أنها صورة واقعية وصادقة لها.

في أبحاثي التالية، سأتي على ذكر الدراسات والمذكرات التي وردت في محاضر

(١) صورة الرسالة في قسم الوثائق، الوثيقة رقم - ٣٢ - ..

جلسات مجلس الوزراء ومجلس النواب التي هيأت للوحدة مع الشقيقة مصر في ما سمي «بالجمهورية العربية المتحدة»، ولماذا تحولت من دولة لاتحاد الدول العربية إلى دولة وحدة مع مصر، وقد أفردت لها بحثاً خاصاً بينت فيه الوحدة العربية في فكر شكري القوتلي.

كما سأورد مشاهداتي ودراساتي وعلاقتي وما اطلعت عليه، أو قمت به أثناء عملي في وزارة الخارجية وفي البعثات الدبلوماسية السورية، أو أثناء قيام الجمهورية العربية المتحدة، وقد أفردت لها بحثاً خاصاً بها.

أما العمل في المحاكم الدولية: محكمة العدل الدولية في لاهاي، والمحكمة الدولية للتحكيم التابعة لغرفة التجارة الدولية في باريس، والمحكمة الدستورية لاتحاد البوسنة والهرسك في ساراييفو، والمجلس الدولي للتحكيم في مجال الرياضة في لوزان بسويسرا، فيستحق بحثاً مستقلاً ودراسة خاصة به، أرجو أن أوفق في إنجاز هذه المهمة.

والله الموفق وعلى الله الاتكال.

قسم الوثائق

الوثائق

رقم الوثيقة	الموضوع
١ -	الحدود السورية، الدكتور ياسين زكريا - خط الحدود مع فلسطين التي رسمتها اتفاقية سايكس - بيكو في ١٦/٥/١٩١٦، ثم خط الهدنة في ٢٠/٧/١٩٤٩، ثم حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ قبل العدوان الإسرائيلي.
٢ -	بعض مواد دستور ٥ أيلول ١٩٥٠، المتعلقة بصلاحيات رئيس الجمهورية.
٣ -	ميثاق الدفاع المشترك بين مصر وسورية.
٤ -	رسالة عزاء إلى آل المرحوم فؤاد الحلبي.
٥ -	تقرير مشروع جونستون والمشاريع الأخرى للاستفادة من مجاري المياه في المنطقة. (المشاريع المقترحة لإنماء حوض الأردن).
٦ -	مشروع القوتلي لاتحاد الدول العربية.
٧ -	البيان الختامي لمؤتمر الأقطاب الثلاثة.
٨ -	صورة براءة الوسام المصري من الطبقة الرابعة.
٩ -	نص الاتفاقية السورية الأردنية.
١٠ -	صورة براءة الوسام الأردني.
١١ -	البيان المشترك السوري السوفياتي.
١٢ -	صورة براءة الاستحقاق المصري، الوشاح، الطبقة الأولى.
١٣ -	نص بيان الاتحاد الفدرالي السوري المصري.
١٤ -	نص قرار تأميم قناة السويس.
١٥ -	نص بيان مؤتمر لندن الثلاثي في ١٦ آب ١٩٥٦.
١٦ -	برنامج الرئيس في موسكو، وعن حفلة السفير.
١٧ -	قرار إعلان حالة الطوارئ في سورية.

رقم الوثيقة	الموضوع
١٨ -	نص البيان الختامي لمؤتمر بيروت.
١٩ -	نص قرار إلغاء المعاهدة المصرية - البريطانية.
٢٠ -	برنامج الرئيس أيزنهاور للسلم في الشرق الأوسط المقدم إلى الكونغرس.
٢١ -	رفض الحكومة السورية للمبادئ التي قام عليها برنامج الرئيس أيزنهاور.
٢٢ -	بيان الملك سعود.
٢٣ -	بيان عدم قبول المملكة العربية السعودية مشروع أيزنهاور، ووساطة المملكة بين سوريا وتركيا.
٢٤ -	الاتفاق بصدد التعاون الاقتصادي والفني بين الجمهورية السورية واتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية.
٢٥ -	تفاصيل المؤامرة الأمريكية في البيان الرسمي الصادر بتاريخ ١٢/٨/١٩٥٧.
٢٦ -	نص البيان المشترك لإنهاء المعاهدة البريطانية الأردنية المعقودة عام ١٩٤٨.
٢٧ -	البيان المشترك الصادر عقب المباحثات التي أجراها الملك سعود مع الرئيس الأمريكي أيزنهاور.
٢٨ -	صورة عن الرسالة المرسلّة من قِبَل إمام اليمن إلى فخامة الرئيس هاشم الأتاسي.
٢٩ -	صور عن الرسائل المتبادلة بين إمام اليمن وفخامة الرئيس شكري القوتلي.
٣٠ -	البيان المشترك للمجلسين السوري والمصري.
٣١ -	صورة عن الرسالة من فخامة الرئيس إلى الإمام أحمد.
٣٢ -	صورة عن الرسالة التي وجهها أعضاء مجلس النواب إلى رئيس المجلس.

الوثيقة رقم ١

كيف نشأت الحدود السورية الفلسطينية، وخط ٤ حزيران ١٩٦٧ مع إسرائيل؟

إن النصوص الدولية النازمة للحدود السورية الفلسطينية هي:

١ - اتفاقية ١٩٢٠/١٢/٢٣ (المواد ١ - ٢ - ٥).

٢ - اتفاقية ١٩٢٢/٢/٣ (بوليت - نيو كومب) التي خططت الحدود.

٣ - بروتوكول ١٩٢٣/٣/٧، الذي أبرم اتفاقية تخطيط الحدود.

٤ - اتفاقية حسن الجوار ١٩٢٦/٢/٢ (المادة ٨).

وهذه بعض الإيضاحات حول الاتفاقيات الأربع المذكورة:

لقد حددت اتفاقية ١٩٢٠/١٢/٢٣ الحدود بصورة عامة جداً بين البلاد الواقعة تحت الانتدابين الفرنسي والإنكليزي، فوصفت الحدود في المادة الأولى فيما يتعلق بسورية ولبنان من جهة، وفلسطين من جهة ثانية، من سمخ إلى رأس الناقورة كما يلي:

«وفي سمخ تعين الحدود بشكل يسمح لكلا الطرفين الساميين المتعاقدين من إنشاء وتأسيس مرفأ ومحطة سكة حديدية، ومن الحصول على منفذ حر إلى بحيرة طبريا.

وفي الغرب، يمتد خط الحدود من سمخ ماراً في بحيرة طبريا إلى قسم وادي المسعدية، ثم يتبع هذا النهر في عكس جهة مجراه، ثم يتبع وادي جرابا إلى مصدره...». أي أن الحدود تمر بنصف بحيرة طبريا، وعلى طول نهر الأردن.

ونصت المادة الثانية، من الاتفاقية المذكورة، على تأليف لجنة خلال الأشهر الثلاثة التي تلي توقيع الاتفاقية، مهمتها تخطيط الحدود المذكورة في المادة الأولى، بينما نصت المادة الخامسة على تسهيلات عديدة منحها الحكومة الفرنسية للحكومة البريطانية فيما يتعلق بإنشاء سكة حديدية على الحدود لقاء مراعاة شروط اتفاق سان ريمو البريطاني حول النفط فيما يتعلق بمنفعة فرنسا، المنصوص عليه في المادة السادسة.

تألفت لجنة التخطيط المذكورة وأنهت أعمالها بتاريخ ١٩٢٢/٢/٣، ونشأت الحدود بموجب اتفاقية جرى توقيعها بالتاريخ نفسه. وبتاريخ ١٩٢٣/٣/٧ جرى في باريس تبادل كتب بمضمون واحد بين الحكومتين الفرنسية والإنكليزية، واعتبرت هذه

الكتب كإبرام لاتفاقية تخطيط الحدود، وأصبحت الاتفاقية المذكورة سارية المفعول اعتباراً من تاريخ ١٠/٣/١٩٢٣، وجرى تسجيلها في عصبة الأمم في جنيف بتاريخ ٦/٢/١٩٢٤.

ونشرت الحكومة البريطانية نص الاتفاقية بكتاب أبيض بتاريخ ٢٣/٧/١٩٢٣.

وبتاريخ ٢/٢/١٩٢٦، جرى توقيع معاهدة صداقة وحسن جوار في القدس بين البلدين، ونصت المادة الثامنة منها على جعل مسؤولية صيانة الدعامات التي تحمل أرقاماً فردية على عاتق سورية (ولبنان)، والتي تحمل أرقاماً زوجية على عاتق فلسطين.

ويبلغ طول الحدود السورية الفلسطينية (٧٠) كيلومتراً، وهي تؤلف ٣,١٪ من طول الحدود السورية.

لكي نستطيع دراسة الاتفاقيات المذكورة، لا بد لنا من الرجوع إلى الوضع العام في المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة، هذا الوضع الذي كان السبب المباشر لتحديد الحدود بالشكل الذي جرى.

فمن الناحية السياسية: كانت هذه المنطقة مقسّمة، في مشاريع الحلفاء، إلى مناطق نفوذ فرنسية وإنكليزية وإلى موطن قومي لليهود، بينما كان العرب يعتقدون بأنهم تخلصوا من الحكم العثماني ليؤلفوا دولة عربية مستقلة، بالاتفاق مع إنكلترا وفقاً لاتفاق حسين مكماهون، وللتأكيدات التي أخذوها من الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى (التصريح الإنكليزي للسوريين السبعة، المؤرخ في ١٦/٦/١٩١٨ - التصريح الفرنسي الإنكليزي، المؤرخ في ٨/١١/١٩١٨) فكان هناك ثلاث اتفاقيات متناقضة:

اتفاق حسين مكماهون: كتب متبادلة عامي ١٩١٥ - ١٩١٦ تضمن وعد إنكلترا واستعدادها للاعتراف بدولة عربية مستقلة ضمن الحدود التي وضعها العرب، باستثناء مناطق مرسين وأضنة والساحل السوري.

واتفاق سايكس بيكو: المؤرخ في ١٦/٥/١٩١٦ الجاري بين فرنسا وإنكلترا والذي قُسمت بموجبه منطقة الشرق الأوسط إلى خمسة مناطق: المنطقتين آ، ب حيث تعهّد الحلفاء بإقامة دولة أو دول عربية تحت النفوذ الفرنسي (آ) والنفوذ الإنكليزي (ب) - المنطقة السمرات الدولية تتضمن فلسطين حيث تقرر أن يجري الاتفاق بشأنها مع بقية الدول الحليفة ومندوبين عن العرب.

- المنطقة الزرقاء، فرنسية تتضمن الساحل السوري، المنطقة الحمراء، إنكليزية تتضمن قسماً من العراق.

وعد بلفور: المؤرخ ١٩١٧/١١/٢ بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

أما من الناحية العسكرية: فكانت سورية مقسمة إلى ثلاث مناطق عسكرية بموجب قرار القائد العام للقوات الحليفة الجنرال اللامي المؤرخ في ١٠/٢٢/١٩١٨، وهذه المناطق هي:

المنطقة الجنوبية: وتتضمن فلسطين، وهي محتلة من قبل الإنكليز، وكانت الحدود الشمالية لهذه المنطقة، حدود اتفاقية سايكس بيكو.

المنطقة الشمالية: وهي المنطقة الزرقاء في اتفاقية سايكس بيكو، تتضمن الساحل السوري ابتداءً من كليكية لغاية رأس النافورة، محتلة من قبل الفرنسيين والإنكليز، وقد جرى إحلال الجنود الفرنسيين محل الإنكليز في هذه المنطقة، بموجب اتفاق عسكري جرى التوقيع عليه بين الطرفين بتاريخ ١٥/٩/١٩١٩.

المنطقة الشرقية: وتضم ما تبقى من سورية، أي المدن الأربعة الداخلية والمنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن والصحراء السورية.

في هذا الجو من الاتفاقيات السياسية التي تناقض بعضها، والاحتلال العسكري، والأحداث السياسية الهامة التي تلتها (إعلان استقلال سورية ٨ آذار ١٩٢٠ - الاتفاق على البترول بين فرنسا وإنكلترا في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ - اتفاق سان ريمو بين الحلفاء وتوزيع الانتداب بينهم بتاريخ ٢٥ نيسان ١٩٢٠ - معركة ميسلون ودخول الفرنسيين لدمشق في ٢٥ تموز ١٩٢٠)، في هذا الجو المضطرب طالبت إنكلترا، خلافاً لاتفاقية سايكس بيكو، أن تكون فلسطين (التي كان مقرراً لها أن تكون دولية) والموصل (الواقع ضمن المنطقة العربية «آ» تحت النفوذ الفرنسي)، ضمن المناطق التابعة لها، ووافقت فرنسا على ذلك بعد أن جرى الاتفاق على البترول بين الدولتين، وجرى تحديد الحدود بين المناطق التابعة للانتدابين الفرنسي والإنكليزي بموجب الاتفاقية الموقعة في باريس بتاريخ ٢٣/١٢/١٩٢٠.

لقد أصرت إنكلترا، في ذلك الحين، على أن تكون فلسطين ضمن المنطقة الواقعة تحت نفوذها، وعملت في اجتماع سان ريمو على أن تكون هي الدولة المنتدبة على فلسطين، لكي تستطيع تنفيذ الوعد الذي كانت قد قطعت على نفسها تجاه اليهود بتأمين إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وكانت تعمل على تأمين أكبر

المكاسب الممكنة لليهود لتمكينهم بعد حين من إنشاء الدولة اليهودية التي يحلمون بها، وكان اليهود بالطبع يحلمون بالدولة اليهودية المترامية الأطراف، إلا أنهم كانوا يطالبون، من الناحية الرسمية، بالدولة المذكورة بالتوراة (كما يقولون)، الممتدة من «دان إلى بئر السبع». وبئر السبع هذه موجودة ضمن فلسطين التي أصبحت تحت الانتداب الإنكليزي، أما «دان» فقد جرى خلاف شديد حول تحديد موقعها غربي بانياس، وهذا ما يفسر خط الحدود المذكورة في اتفاقية ١٩٢٠/١٢/٢٣. لقد كان اتفاق سايكس بيكو يترك حوض الحولة بكامله ضمن الأراضي الواقعة تحت النفوذ الفرنسي؛ وكانت الحدود الشمالية لفلسطين الدولية، في اتفاقية سايكس بيكو، هي خط يذهب من رأس الناقورة شرقاً لمسافة عشرين كيلومتراً تقريباً، ثم ينحدر جنوباً باتجاه بحيرة طبرية فيقطعها من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي تاركاً في المنطقة الواقعة تحت النفوذ الفرنسي مدينة صفد ونصف بحيرة طبريا. ونظراً لمطالبة الإنكليز بـ (دان) تحت تأثير اليهود، جاءت اتفاقية ١٩٢٠/١٢/٢٣ فجعلت الخط الذاهب من الناقورة يسير شمالاً لاستيعاب جميع منطقة الحولة، مازاً بـ (دان) بالقرب من بانياس ثم بالقرب من القنيطرة، ثم ينحدر هذا الخط جنوباً فيقطع بحيرة طبريا من الشمال إلى الجنوب، تاركاً لكل من المنطقتين الفرنسية والإنكليزية نصف البحيرة.

وبعد إقرار هذا المبدأ، مبدأ الوصول لـ «دان» في اتفاقية ١٩٢٠/١٢/٢٣، جاء التطبيق العملي لهذه الاتفاقية والتخطيط على الأرض، ومن الغريب أن هذا التخطيط جاء مختلفاً تمام الاختلاف عما تم عليه الاتفاق، لتأمين أكبر فائدة ممكنة للوطن القومي اليهودي، وقد تجاهل الطرفان كافة المبادئ الحقوقية التي تنظم عادة طريقة تخطيط الحدود، هذا بالإضافة إلى إلحاق بحيرة طبريا بكاملها بفلسطين، وهذا ما جاء في الاتفاقيات المذكورة من الأمور الغريبة:

(١) تنص مبادئ الحقوق الدولية أنه عندما يكون نهر كبير في منطقة الحدود بين دولتين، يعتبر هذا النهر الحد الفاصل بين هاتين الدولتين، وتمر الحدود وفقاً لمجرى النهر (التالويغ)، ولم يُحترم هذا المبدأ بالنسبة للحدود السورية الفلسطينية، بل مرت الحدود بموجب اتفاقية التخطيط المذكور على بعد (٤٠٠) متر شرقي نهر الأردن ثم على بعد (٥٠) متراً شرقي فرع الأردن الشرقي حتى مصبه في بحيرة طبريا، أي أنه لم يترك لسورية لا ضفة نهر الأردن ولا ضفة روافده، بل مرت الحدود على بعد ٥٠ متراً شرقاً للرافد الشرقي لنهر الأردن وبصورة موازية له.

٢) من المبادئ المعروفة والمقررة في الحقوق الدولية، أنه عندما تقع بحيرة في منطقة الحدود أن يمر خط الحدود في نصف هذه البحيرة ويقسمها بين الدولتين، وقد نصت على ذلك، بالنسبة لبحيرة طبرية، اتفاقية سايكس بيكو واتفاقية ١٢/٢٣/١٩٢٠، إلا أن اتفاقية التخطيط تجاهلت المبادئ الحقوقية والاتفاقية الأصلية السابقة وجعلت البحيرة بكاملها ضمن الأراضي الفلسطينية، ولم تكتف بذلك بل جعلت الحد يسير على بعد عشرة أمتار من شط البحيرة، على الأرض، وهذا أغرب تخطيط للحدود، أي أن يكون لإحدى الدولتين كافة شواطئ البحيرة (وللطرف الآخر حق النظر إليها!).

٣) من المبادئ الرئيسية الهامة، التي تنظم الحدود الدولية أو أي حدود، أن تكون هذه الحدود ثابتة لها ركانز وعلامات مثبتة في الأرض، وهذا المبدأ البديهي غير مطبق بالنسبة للحدود السورية الفلسطينية، فقد نصت الاتفاقية أنه بعد العلامة «٦٠» تتبع الحدود فوق الأرض خطاً موازياً لضفة بحيرة طبريا، وعلى بعد عشرة أمتار منها، تابعة التقلبات الناجمة عن ارتفاع المياه من جراء إنشاء سد فوق الأردن جنوب بحيرة طبريا، أي أنه في حال إنشاء سد في جنوبي بحيرة طبريا ترتفع المياه بطبيعة الحال من جراء السد، وفي هذه الحالة يمكن أن تغطي المياه مسافة العشرة أمتار المذكورة، وربما كان هذا المثال الوحيد في العالم للحدود المتنقلة المترجمة إلى الوراء، ولم يرد بالطبع أي نص يشير إلى تقدم الحدود ضمن الأراضي الفلسطينية للمحافظة على هذه المسافة في حال انخفاض المياه لحادث طبيعي، أو أي سبب من الأسباب.

نظراً لهذه المخالفات لأبسط قواعد الحقوق الدولية فيما يتعلق بتخطيط الحدود، خشي المتعاقدان من انتقادات لجنة الانتداب في جمعية الأمم، فلم يعرضا الاتفاقية المذكورة عليها، كما يتوجب عليهما، بل اكتفيا بتسجيلها لدى الأمانة العامة بتاريخ ١٩٢٤/٢/٦.

يقول أحد الكتاب الإنكليز بطريقة فكاهية إن «الأرلندي مكماهون وعد العربي حسين بأن تصبح الجزيرة العربية والعراق وسورية دولاً عربية مستقلة، وإن الإنكليزي سايكس وعد الفرنسي بيكو بأن تكون سورية الشمالية فرنسية، وإن الأسكتلندي بلفور وعد اليهودي وايزمان بأن يكون وطن قومي يهودي في سورية الجنوبية، وقد جرى تنفيذ الوعدين الأخيرين، لذلك تعذر تنفيذ الوعد الأول».

لقد جرى تنفيذ الوعدين الأخيرين وتطبيقهما بأسوأ ما يمكن أن يكون تنفيذ، بالنسبة للعرب:

لم يكتف فقط بإنشاء وطن قومي لليهود، بل أعطى هذا الوطن منذ ١٩٢٢ كافة الإمكانيات للتوسيع والازدهار، بينما كان يمكن تنفيذه وفقاً للاتفاقيات السابقة والحدود السابقة لسنجق القدس أو حتى لحدود فلسطين الدولية، كما حددتها اتفاقية سايكس بيكو. لقد ألحق منطقة الحولة بكاملها بفلسطين لتأمين المياه اللازمة لهذا الوطن القومي من جهة، ولتكون رأس جسر ضمن الأراضي السورية واللبنانية من جهة أخرى، وألحقت بحيرة طبريا بكاملها بفلسطين، كما ألحقت بفلسطين أيضاً منطقة الحمة الواقعة شرقي نهر الأردن لإعطاء اليهود رأس جسر بين سورية والأردن، وألحق النقب بكامله بفلسطين لإيصال اليهود إلى خليج العقبة والبحر الأحمر وإعطائهم المجال الحيوي للانطلاق إلى آسيا وأفريقيا.

وبعد ربع قرن من فرض هذه الحدود غير المعقولة على سورية، جرى تقسيم فلسطين من قبل الأمم المتحدة، وأعلن اليهود إقامة دولة إسرائيل، ودخلت جيوش الدول العربية المجاورة إلى فلسطين في أول حرب تحريرية خاضها العرب عام ١٩٤٨، واستطاعت سورية، رغم افتقار جيشها للأسلحة والذخائر ووفرتها لدى اليهود، استطاعت ببطولة أبنائها تحرير واستعادة بعض المناطق من أراضيها المغتصبة (استشهد فيها ضباط أصدقاء لي زملاء في الدراسة الثانوية)، وصُحِّحت بعض أخطاء اتفاقية عام ١٩٢٣ التي كانت مخالفة لكل القوانين الدولية في تحديد الحدود.

وجرت بعد ذلك اتفاقيات هدنة بين الدول العربية، التي شاركت بالحرب، وإسرائيل، وكانت سورية آخر من وقَّع اتفاقية هدنة مع إسرائيل، بتاريخ ٢٠/٧/١٩٤٩.

وبموجب هذه الاتفاقية:

أصبحت المنطقة غرب مدينة بانياس وجنوب بحيرة الحولة (المجففة)، ومنطقة الحمة في الجنوب مع المنطقة غربها، المجاورة لجنوب بحيرة طبريا، ضمن سوريا، ومنزوعة السلاح.

وأصبحت الحدود نهر الأردن، وشاطئ بحيرة طبريا في شمال البحيرة، وليس على بعد ١٠ أمتار منها.

أما المنطقة في القسم الأوسط في بحيرة طبريا فبقيت ضمن إسرائيل، ومنزوعة السلاح.

وبتاريخ ٤ حزيران ١٩٦٧ جرى العدوان الإسرائيلي على سورية.

وخلال الفترة بين ٢٠/٧/١٩٤٩ و٤ حزيران ١٩٦٧ اعتدت إسرائيل على عدة مناطق منزوعة السلاح، وأجرت بعض التعديلات على حدود اتفاقية الهدنة. وأصبحت حدود ٤ حزيران تختلف بعض الشيء عن حدود اتفاقية الهدنة في بعض المناطق منزوعة السلاح، وبصورة خاصة غرب منطقة الحمة وجنوب بحيرة الحولة (المجففة).

ولكن الشيء الهام أن سورية بقيت على الشاطئ الشمالي لبحيرة طبريا، وعلى مجرى نهر الأردن وفي منطقة الحمة.

هذه التعديلات على حدود اتفاقية الهدنة لا يزيل الشرعية القانونية، وتبقى حدودها من الناحية القانونية، مع بعض التعديلات الجارية عليها، هي المرجع القانوني للحدود.

ويمكن تعريف خط ٤ حزيران ١٩٦٧ أنه حدود اتفاقية الهدنة مع بعض التعديلات عليه.

وفي جميع الأحوال، سواء اعتبر هذا الخط مستقلاً، أو خطأً معدلاً لاتفاقية الهدنة، فالنتيجة واحدة، لأن الشيء الهام في خط ٤ حزيران هو أننا استعدنا حقنا بالوصول إلى المياه، مياه بحيرة طبريا، ومياه نهر الأردن ومنطقة الحمة، وفقاً للحقوق الدولية.

٢٠٠٠/٢/٣

د. ياسين زكريا

مدير سابق متقاعد للشؤون القانونية

في وزارة الخارجية السورية عام ١٩٦٢

الحدود السورية الإسرائيلية

الحدود الدولية (خارطة رقم VII):

اتفاقية بوليت - نيوكومب: الموقعة بين الانتدابين الفرنسي والبريطاني بتاريخ ٣/٢/١٩٢٢، المصدقة بموجب البروتوكول الموقع في باريس بتاريخ ٧/٣/١٩٢٣، الذي سجل في عصبة الأمم بتاريخ ٦/٢/١٩٢٤.

بموجب هذه الاتفاقية

- في القسم الشمالي، تمر الحدود على بعد ٥٠ متراً شرق الرافد الشرقي لنهر الأردن.

- شمال بحيرة طبريا، تمر الحدود على خط موازٍ على الأرض يبعد عشرة أمتار شرقاً عن البحيرة.

ونصت الاتفاقية أنه في حال ارتفاع مياه البحيرة تتراجع الحدود للمحافظة على مسافة العشرة أمتار (أي حدود متنقلة، وهذا مخالف للقانون الدولي، لأن الحدود تكون دائماً دائمة وثابتة)، ولا تذكر الاتفاقية هل تتقدم الحدود غرباً إذا انخفضت مياه البحيرة.

حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ (خارطة رقم IX):

هي حدود اتفاقية الهدنة، الموقعة بين سورية وإسرائيل بتاريخ ٢٠/٧/١٩٤٩ مع بعض التعديلات عليها.

وهي الوضع القائم للمنطقة بذلك التاريخ نتيجة اتفاقية الهدنة مع بعض التعديلات عليها، وإذا كانت قد جرت عملياً بعض التعديلات البسيطة (غير المعترف عليها) على حدود اتفاقية الهدنة، فهذا لا يزيل عنها الشرعية القانونية بأنها اتفاقية دولية معترف عليها ومسجلة في الأمم المتحدة.

بموجب هذه الاتفاقية

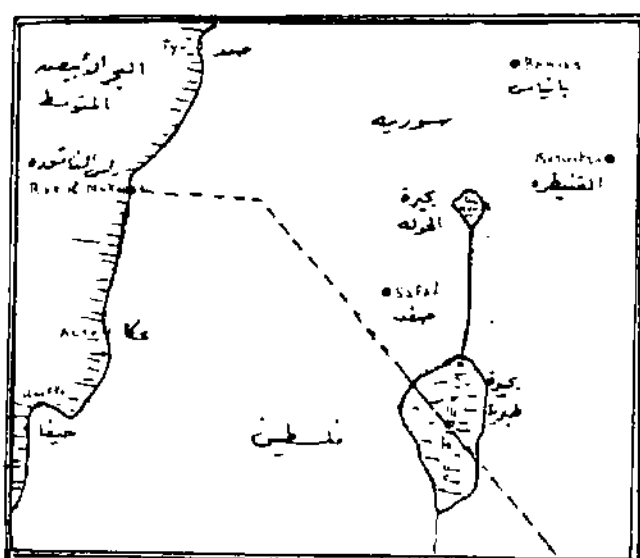
أصبحت الحدود في القسم الشمالي نهر الأردن (وليس رافده الشرقي)، وأصبحت الحدود في الجنوب على شاطئ بحيرة طبريا.

وأصبحت الحمة وقسم من المنطقة شرقي بحيرة طبرية، وقسم من المنطقة جنوب بحيرة الحولة، والمنطقة المحيطة غرباً بمدينة بانياس، منضمة إلى سورية ومنزوعة السلاح، بينما القسم الأوسط من شاطئ بحيرة طبريا منضم إلى إسرائيل ومنزوع السلاح أيضاً.

والشيء الأهم في هذه الحدود أنها صححت الخطأ السابق المخالف للقوانين الدولية في رسم الحدود بين دولتين، أي أن الحدود يجب أن تمر وفقاً لأعمق خط في مجرى النهر «تالويغ» في حال وجود نهر، وعلى نصف البحيرة في حال وجود بحيرة، وليس على بعد أمتار عنها، ويجب أن تكون ثابتة وليس متنقلة.

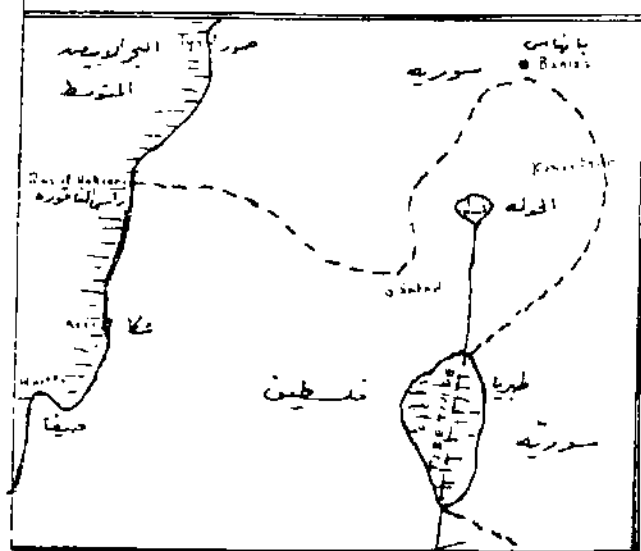
د. ياسين زكريا

من أطروحتي: الحدود السورية، أيار ١٩٥٠ باريز.



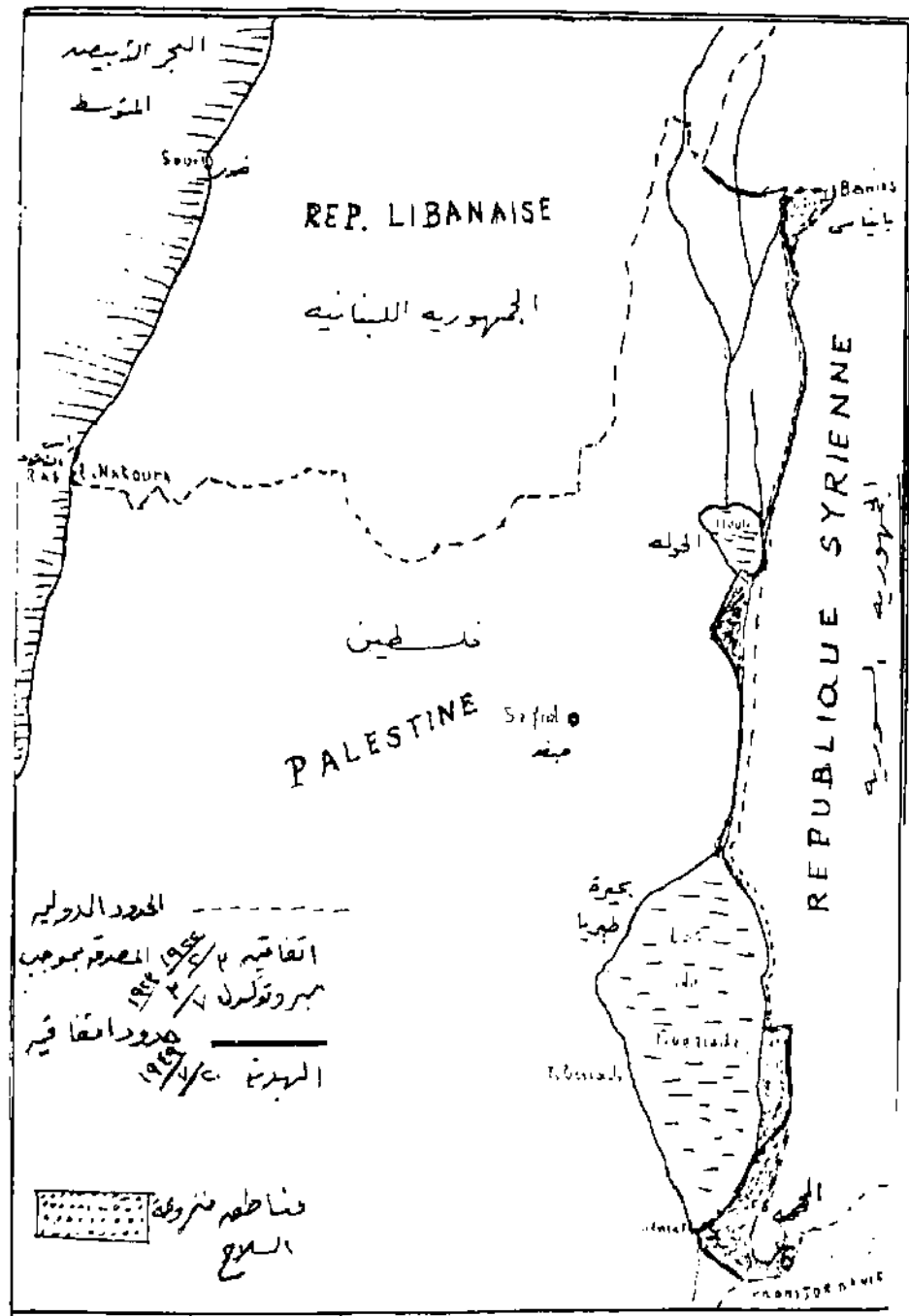
CARTE I
La Frontière Syro -
Libanaise d'après
l'accord Sykes Picot

حدود اتفاقية
سايكس - بيكو
١٩١٦/٥/١٦



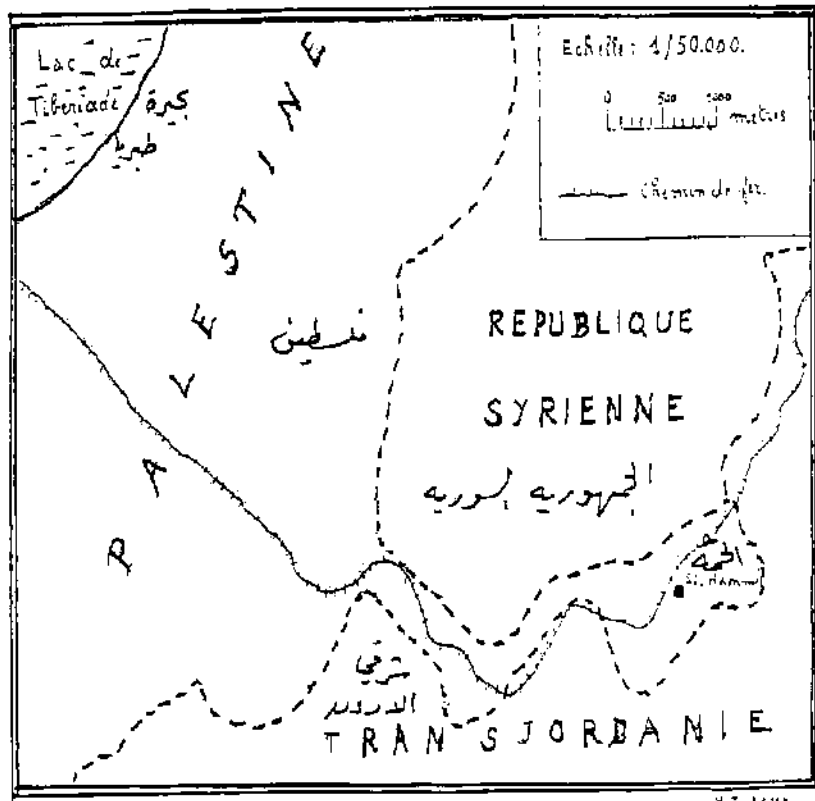
CARTE II
La Frontière Syro -
Libanaise d'après
l'accord du 23 dec 1920

حدود اتفاقية
١٩٢٠/١٢/٢٣



Ligne de démarcation d'armistice syro-palestine
(20 juillet 1949)

منطقة النجعة



سنة ١٩٤٨ تم فصل سورية عن الأردن طوله ٤ كم. م. وعرضه
 يتراوح بين ٤٠٠ إلى ٦٠٠ متر ، أعطى إلى فلسطين عام ١٩٤٩
 ليدخل الوطن العربي إلى مياه النجعة بناء على طلب اليهود
 حررت سورية عام ١٩٤٨ وبقي ضحلة لغاية ٤ حزيران ١٩٦٧
 حينه اضلته إسرائيل

الوثيقة رقم ٢

بعض مواد دستور ٥ أيلول ١٩٥٠ المتعلقة بصلاحيات رئيس الجمهورية

المادة ٧٨:

لرئيس الجمهورية أن يدعو مجلس الوزراء لعقد اجتماع برئاسته، ويأمر بتنظيم محضر الجلسة وحفظه.

المادة ٧٩:

كل ما يصدر عن رئيس الجمهورية، من مراسيم وصكوك ورسائل تتصل بأمر الدول، يوقعه رئيس الوزراء والوزير المختص، ما خلا مرسوم تسمية رئيس الوزراء أو قبول استقالته.

المادة ٨٠:

يوقع رئيس الجمهورية مراسيم تعيين القضاة والموظفين الذين ينص القانون على تعيينهم بمرسوم، ويوقع أيضاً المراسيم التنظيمية والمراسيم الأخرى التي ترفع إليه وفقاً لأحكام القانون.

المادة ٨١:

١ - إذا لم يوقع رئيس الجمهورية المراسيم خلال عشرة أيام من رفعها إليه، أو لم يحلها ضمن المدة نفسها إلى المحكمة العليا لمخالفتها الدستور أو القانون، ينشرها رئيس مجلس الوزراء وتعتبر نافذة (*).

٢ - إذا لم تبت المحكمة العليا في المراسيم المحالة إليها خلال عشرة أيام منذ وصولها إليها، ينشرها رئيس مجلس الوزراء وتعتبر نافذة.

٣ - يستثنى من ذلك مرسوم حل مجلس النواب الذي يحق لرئيس الجمهورية رفضه بدون ذكر الأسباب، وكذلك مراسيم تصديق أحكام الإعدام.

(*) هذه المادة سلبت رئيس الجمهورية صلاحية إبداء الرأي حتى في المراسيم المخالفة لرأيه، أو التي يرى فيها ضرراً للمصلحة العامة.

الوثيقة رقم - ٣ -

ميثاق الدفاع المشترك بين مصر وسوريا

الأهرام، تاريخ ١٠ نوفمبر، رقم ٢٥١٨٢

إن حكومتى سوريا ومصر، توطيداً لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية، وتوكيداً لإخلاص الدول المتعاقدة لهذه المبادئ،

ورغبة منهما في زيادة تقوية وتوثيق التعاون العسكري حرصاً على استقلال بلادهما، ومحافظة على سلامتهما وإيماناً منهما بأن إقامة نظام أمن مشترك فيما بينهما يعتبر عاملاً رئيسياً في تأمين سلامة واستقلال كل منهما، وتحقيقاً لأمانيهما في الدفاع المشترك عن كيانهما، وصيانة الأمن والسلام وفقاً لمبادئ ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة وأهدافهما،

وإعمالاً لما نصت عليه الفقرة الأولى من المادة التاسعة من ميثاق جامعة الدول العربية، قد اتفقتا على عقد اتفاقية لهذه الغاية، وأنابتا عنهما المفوضين الآتية أسماؤهم:

عن حكومة الجمهورية السورية: معالي السيد رشاد برمدا، وزير الدفاع الوطني.
عن حكومة جمهورية مصر: سيادة الأميرالاي محمود رياض، سفير مصر في سوريا.

اللذين، بعد تبادل وثائق التفويض التي تخولهما سلطة كاملة، التي وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل، قد اتفقا على ما يأتي:

المادة الأولى:

تؤكد الدولتان المتعاقدتان حرصهما على دوام الأمن والسلام، واستقرارهما وعزمهما على فض جميع منازعاتهما الدولية بالطرق السلمية.

المادة الثانية:

تعتبر الدولتان المتعاقدتان كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة منهما أو قواتهما اعتداء عليهما، ولذلك فإنهما، عملاً بحق الدفاع الشرعي الفردي والجماعي عن كيانهما، تلتزمان بأن تبادر كل منهما إلى معونة الدولة المعتدى عليها، وبأن تتخذ على الفور جميع التدابير، وتستخدم جميع ما لديها من وسائل بما في ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما.

وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية، والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة، يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء وبما اتخذ في صدره من تدابير وإجراءات.

وتتعهد الدولتان المتعاقدتان ألا تعقد أي منهما صلحاً منفرداً مع المعتدي، أو أي اتفاق معه دون موافقة الدولة الأخرى.

المادة الثالثة:

تتشاور الدولتان المتعاقدتان فيما بينهما، بناءً على طلب إحدهما، كلما توترت واضطربت العلاقات الدولية بشكل خطير يؤثر في سلامة أراضي أية واحدة منهما أو استقلالها، وفي حالة خطر حرب داهم أو قيام مفاجئة يُخشى خطرها، تبادر الدولتان المتعاقدتان على الفور إلى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف.

المادة الرابعة:

أما عند وقوع اعتداء مفاجيء على حدود أو قوات إحدى الدولتين المتعاقدتين، فبالإضافة إلى الإجراءات العسكرية التي تتخذ لمواجهة هذا العدوان، تقرر الدولتان فوراً الإجراءات التي تضع خطط هذه الاتفاقية موضع التنفيذ.

المادة الخامسة:

تنفيذاً لأغراض هذه الاتفاقية، قررت الدولتان المتعاقدتان إنشاء الجهاز التالي:

- مجلس أعلى،
- مجلس حربي،
- قيادة مشتركة.

المادة السادسة:

(١) يتكون المجلس الأعلى من وزراء الخارجية والحربية (الدفاع) للدولتين المتعاقدتين، وهو المرجع الرسمي للقائد العام للقيادة المشتركة، الذي يتلقى منه جميع التوجيهات العليا الخاصة بالسياسة العسكرية، ويختص المجلس الأعلى بتعيين القائد العام وتنحيته.

(٢) يضع المجلس الأعلى، بناءً على اقتراح المجلس الحربي، تعليمات القيادة المشتركة واختصاصاتها ومهامها، وهو المختص بالتعديلات التي تدخل عليها بناءً على اقتراح المجلس الحربي.

- (٣) يختص المجلس الأعلى بالنظر في التوصيات والقرارات التي يصدرها المجلس الحربي مما هو خارج من اختصاص رؤساء الأركان.
- (٤) يصدر المجلس الأعلى اللوائح التي تنظم اجتماعه وأعمال المجلس الحربي.

المادة السابعة:

- (١) يتألف المجلس الحربي من رئيس هيئة أركان حرب الجيش المصري، ورئيس الأركان العامة للجيش السوري، وهو الهيئة الاستشارية للمجلس الأعلى، ويختص بتقديم التوصيات والتوجيهات فيما يتعلق بالخطط الحربية وبجميع الأعمال والمهام الموكولة للقيادة المشتركة.
- (٢) يصدر المجلس الحربي توصياته عن الصناعات الحربية والمواصلات اللازمة للأغراض العسكرية، وعن تنسيقها وتوجيهها لخدمة القوات الحربية، وعن كل ما يتعلق بها في الدولتين المتعاقبتين.
- (٣) يدرس المجلس الحربي البرامج الموضوعية من قبل القيادة المشتركة لتدريب وتنظيم وتسليح وتجهيز القوات الموضوعية تحت قيادتها، كما يدرس إمكانيات تطبيقها على جميع جيوش الدولتين المتعاقبتين، ويتخذ الإجراءات الكفيلة لتحقيقها، ويرفع للمجلس الأعلى ما يرى رفعه لإقراره.
- (٤) لهذا المجلس هيئة عسكرية دائمة تقوم بجميع الدراسات والتحضيرات للمواضيع والقضايا التي تعرض عليها، وينظم المجلس أعمال هذه الهيئة بلائحة يضعها لهذا الغرض كما يضع ميزانيتها.

المادة الثامنة:

- (١) تشمل القيادة المشتركة:
- أ - القائد العام.
- ب - هيئة أركان حرب.
- ج - الوحدات التي يتقرر وضعها لتأمين القيادة المشتركة وإدارة أعمالها.
- تمارس هذه القيادة عملها وقت السلم والحرب، وهي ذات صفة دائمة.
- (٢) يتولى القائد العام قيادة القوات التي توضع تحت إمرته، وهو مسؤول أمام المجلس الأعلى.

(٣) يختص القائد العام بما يلي:

أ - وضع وتطبيق برامج تدريب وتنظيم، وتسليح وتجهيز القوات التي تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت إمرته بحيث تصبح قوة موحدة، وتقديم تلك البرامج إلى المجلس الحربي لتحقيقها أو رفعها إلى المجلس الأعلى لإقرارها.

ب - إعداد وتنفيذ الخطط الدفاعية المشتركة لمواجهة جميع الاحتمالات المتوقعة من أي اعتداء مسلح يمكن أن يقع على إحدى الدولتين أو على قواتهما، ويعتمد في إعداد هذه الخطط على ما يضعه المجلس الأعلى من قرارات وتوجيهات.

ج - توزيع القوات التي تضعها الدولتان المتعاقدتان تحت إمرته في السلم والحرب، وفقاً للخطط الدفاعية المشتركة.

د - وضع ميزانية القيادة المشتركة وتقديمها إلى المجلس الحربي لدراستها، ثم إقرارها نهائياً من قبل المجلس الأعلى.

(٤) يكون تعيين وتنحية معاوني الرئيسين للقائد العام بمعرفة المجلس الحربي بالاتفاق مع القائد العام، أما باقي هيئة القيادة، فإنها تعين بالاتفاق بين القائد العام ورئيس هيئة أركان الجيش المعني.

المادة التاسعة:

(١) تضع الدولتان المتعاقدتان تحت تصرف القيادة المشتركة:

أ - في حالة السلم: القوات التي يرى المجلس الحربي، بالاتفاق مع القائد العام، ضرورة وضعها تحت إمرته وذلك بعد موافقة المجلس الأعلى.

ب - في حالة الحرب: جميع القوات الضاربة التي تملكها كل من الدولتين.

ج - تعتبر القوات المتمركزة على الحدود الفلسطينية داخلية جميعه تحت إمرة القائد العام.

(٢) يحدد المجلس الحربي، بناء على اقتراح القائد العام، المنشآت والقواعد الضرورية لتحقيق الخطط وأسبقيتها إنشائها.

المادة العاشرة:

(١) ينشأ صندوق مشترك تساهم فيه الدولتان المتعاقدتان للإنفاق منه على تحقيق الأغراض التالية:

أ - نفقات القيادة المشتركة، وتكون مناصفة بين الدولتين.
ب - المنشآت العسكرية المنوه عنها في المادة التاسعة فقرة (٢) بنسبة:
٣٥٪ الجمهورية السورية.

٦٥٪ جمهورية مصر.

(٢) تدفع كل من الدولتين المتعاقدتين الرواتب والتعويضات للعسكريين والمدنيين الذين تبعث بهم للعمل في القيادة المشتركة والمجلس الحربي واللجان الأخرى، وفق أنظمتها المالية الخاصة بها.

المادة الحادية عشرة:

ليس في أحكام هذه المعاهدة ما يمس أو ما يقصد به أن يمس، بأي حال من الأحوال، الحقوق والالتزامات المترتبة، أو التي قد تترتب على كل من الدولتين المتعاقدتين بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة أو المسؤوليات التي يضطلع بها مجلس الأمن للمحافظة على السلام والأمن الدولي.

المادة الثانية عشرة:

مدة هذه المعاهدة خمس سنوات تتجدد من تلقاء نفسها لمدة خمس سنوات أخرى، وهكذا.. ولأي دولة من الدولتين المتعاقدتين أن تنسحب منها بعد إبلاغ الدولة الأخرى كتابة برغبتها في ذلك قبل سنة من تاريخ انتهاء أي من المدد المذكورة سابقاً.

المادة الثالثة عشرة:

يصدّق على هذه الاتفاقية وفق الأوضاع الدستورية المرعية في كل من الدولتين المتعاقدتين، ويتم تبادل وثائق التصديق في وزارة الخارجية السورية في دمشق خلال مدة أقصاها ثلاثون يوماً من تاريخ توقيع هذه الاتفاقية، وتعتبر هذه الاتفاقية نافذة فور تبادل وثائق التصديق.

حررت هذه الاتفاقية في دمشق، بتاريخ الرابع من ربيع الأول عام ١٣٧٥ للهجرة الموافق في العشرين من تشرين الأول عام ١٩٥٥، من نسختين تسلّم كل طرف واحدة منها.

الوثيقة رقم ٤

(الرسالة الموجهة من فخامة الرئيس شكوري القوتلي من جنيف، حيث يستشفى ويستجم، إلى السيد عبد الله الخاني مكلفاً إياه بنقل تعازيه القلبية إلى آل الحلبي بمناسبة وفاة المرحوم فؤاد الحلبي، معبراً فيها عن عميق ألمه لوفاته ومقدراً الجهود التي بذلها في سبيل خدمة وطنه).

الأخ الكريم حفظه الله

تحياتي وأشواقي ورجائي إليه تعالى أن تكونوا بخير وصحة وعافية وبعد، فإني أهتلك بسلامة الوصول إلى دمشق وأرجو أن تكونوا براحة وهناء.

جاءني اليوم أحد الأصدقاء من الوطن الحبيب، وعلمت منه بوفاة الحبيب الغالي الأخ فؤاد الحلبي، فوقع هذا النبأ المفجع وقع الصاعقة على أذني وكان له الأثر البالغ في نفسي، وذرفت الدمع السخي لهذا النبأ الأليم، لما كان يتحلى به من خلق كريم ونبل وشمم وإباء وشهامة، وما كان يتصف به من ذكاء وصدق ووفاء وعزم ومضاء ووطنية صادقة، ولما لم أجد من يقوم بتقديم تعزيتي الصادقة إلى عائلته وأولاده، ويذرف الدمع على هذه الخسارة المؤلمة غيرك، لذلك فإني أثرتك راجياً أن تقدم لعائلته المفجوعة به مشاركتي لهم بهذا المصاب الفادح، وأن تقدم لهم خالص العزاء. ألهمهم الله الصبر الجميل وأثابهم الأجر العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون. رحمه الله عدد ما قدم لوطنه من صحة وتضحية، وبقدر ما كان يحمل بين جنبيه من حب لبلاده وتفاخر بمجدها وعظمتها، وجعل الله روحه الطاهرة في علبين بين الشهداء الأحرار الخالدين والأولياء الصالحين الصادقين. ولك مني العزاء الصادق، حفظك المولى وتولاك بأحسن رعايته والسلام.

جنيف ٣٠ أيار سنة ١٩٦٤

الأخ الكريم حفظه الله

تحياتي وأستأخركم رجائي اليه تعالى أنه تكونوا تجد راحة وعافية بعد طاني الصنف
بسهولة الوصول الى راحة واجبر ان تكونوا براحة وهدوء .
جاءني اليوم احد الاصدقاء من الوطن الحبيب دخلت منه بوفرة الحبيب الطاني الاخ
نوار الحبيبي ففتح هذا الباب المجمع وقع الصداقة على اذني وكان له الاثر الطيب
في نفسي رزقته الدرع السخي لهذا النور الابرار لما كان يحكي به من حله كريم ومن
رسمه واما دروسه وما كان يصف به من زكاه وصدق ووفاء وعزم ومنا ودرسته
صانته . طالع اجد مديونم بتقديم تعريتي الصداقة الى عالمته راووده ويدرف
الدمع على هذا الفارة المؤلفة خيرك لذيت طاني آمنت راجيا ان تقدم لعائلته
المشرفة به مشاركة لهم بهذا الصواب الطاهر فانه تقدم لهم خالص العزاء الرحيم
الله العبر الطيب واما بهم اوفر العظم واما لله واما اليه راجعون . رحمه الله
بعد ما تقدم لوطنه من صحة ونصيحة وتقدر ما كان يحسن به حبيبته من حب لبلاده
وتعاضد مجدها وتضيقه برضى الله بدمه الطاهرة في عيسى به الشكر والاحترام
الى ابدية والى ابدية ارضائيه الصادق . ريت في العزاء الصادقة حفظك اللطيف
وتوكل ما تدر من اياته واسلم

رحمة

تحياتك . ١٠ ايار ١٩٦٦



الرسالة الموجهة من رئاسة اللجنة الأولمبية
مدينتي حيث يستضيف ريجيم الى السيد
عبدالله الذي مكلفا اياه بتلقي تعازيه الطيبة
الى آله الخليل بمناسبة وفاة المرحوم نوار الحبيبي
معتبرا في ذلك عهد جمعية آلله لوفاته ومقدرا الجهد
الذي بذله في سبيل خدمة وطنه .

الوثيقة رقم ٥

المشاريع المقترحة لإنماء حوض الأردن

١- مقدمة

إن مصدر مياه نهر الأردن هو ذلك الوادي الكبير الذي يمتد من جبال طوروس شمالاً حتى خليج العقبة في الأردن جنوباً، تغذيه مياه الأمطار المتجمعة شتاءً بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية، والتي ينبع منها عدة أنهار صغيرة وكبيرة كالليطاني والعاصي والأردن.

وأما الينابيع الرئيسية التي تشكل نهر الأردن فهي ثلاثة: نهرا الدان والبنياس، اللذان ينبعان من سفوح جبل الشيخ الشرقية في سوريا، ونهر الحاصباني الذي ينبع من سفحه الغربي في لبنان. وتجري هذه الأنهار الثلاثة في أرض منبعها، ثم تتحد معاً في إسرائيل شمالي بحيرة الحولة مؤلفة نهر الأردن. ويجتاز النهر أرضاً مستنقعة قبل أن يصب في البحيرة المذكورة التي تعلو ٦٨ متراً عن سطح البحر، ثم يخرج منها إلى بحيرة طبرية (بحر الجليل) التي تنخفض ٢١٢ متراً عن سطح البحر، وعلى بضعة كيلومترات جنوبي بحيرة طبرية ينضم إليه اليرموك. وأما مياه اليرموك فهي سورية أردنية، وتجري في منطقة سورية أردنية أيضاً باستثناء مسافة خمسة عشر كيلومتراً حيث تشكل الحدود الفاصلة بين الأردن والمنطقة الحرام أولاً، وبين الأردن وإسرائيل ثانياً.

وبعد أن يخرج الأردن من بحيرة طبرية يشق طريقه في وادٍ سحيق عرضه نحو خمسة عشر كيلومتراً، يعرف بالغور. والمسافة بين بحيرة طبرية والبحر الميت (الذي ينخفض ٣٩٢ متراً عن سطح البحر) مائة وخمسون كيلومتراً، ولكن طول النهر في مسيره المتعرج في الغور يبلغ نحو ثلاثة أمثال ذلك، يقطع ثلثها في إسرائيل.

وتقدر غزارة مياه النهر ١٨٨٠ مليون متر مكعب سنوياً، مقسمة كما يلي:

٣١٦٠ م	نهر الحاصباني
٣٢٦٠ م	نهر الدان
٣١٦٠ م	نهر البانياسي
٣٤٢٠ م	نهر اليرموك عند مقارن
٣٤٣٠ م	نهر المنطقة المائية الإسرائيلية
	نهر المنطقة المائية الأردنية -
٣٤٥٠ م	السورية والواديان
٣١٨٨٠ م	المجموع

ويتبخر من هذا المجموع ٣٦٢ م من بحيرة الحولة، و ٣٣٠٠ م من بحيرة طبرية. ويستخدم حالياً ٣٢٧٠ م، وعليه يتبقى نحو ١٢٥٠ م سنوياً.

إن حوض الأردن ليس بذي بال كنظام للري، إذا ما قابلناه مع أحواض الأنهر الكبيرة في المناطق العربية، فغزارة مياه حوض الأردن - اليرموك السنوية توازي غزارة ثمانية أيام فقط من مياه النيل عند أسوان، أو ثمانية عشر يوماً من دجلة عند بغداد.

٢ - استعراض المشاريع

أ - مشروع لودرملك: لقد وُضعت مشاريع عديدة لضبط هذه المياه والاستفادة منها، ومن أقدمها التصميم الذي اقترحه ولتر لودرملك لحوض الأردن - اليرموك في كتابه «فلسطين أرض الميعاد»، يقول: «بينما كنت أراقب أرض فلسطين من الطائرة، تطلعت إلى ذلك الشق العظيم، غور الأردن، ينخفض إلى ١٣٠٠ قدم تحت سطح البحر ويقع على مرمى حجر من بحر المتوسط، عندئذٍ تحققت أن هذا الفارق في العلو يقدم لنا فرصة رائعة لمشروع توليد قوى عظيمة» (ص ١٦٩).

إن المشروع الذي تمخض به لودرملك كان يقضي بخلق سلطة عليا لوادي الأردن، تستثمر كل قطرة من الأردن واليرموك للري والكهرباء. «وللتعويض عن خسارة بحر الميت من قطع مياه الأردن العذبة عنه»، يمكن رفعه بمياه المتوسط (ص ١٧١). وأما القوى الكهربائية التي تولد والأرض التي تحضّر للزراعة عندئذٍ، تكفي لإسكان «أربعة ملايين يهودي يهاجرون من أوروبا، بالإضافة إلى المليون والثمانماية

ألف نسمة من السكان العرب واليهود في فلسطين وشرقي الأردن» (ص ١٦٩).
أما المشاكل السياسية المعقدة التي قد تنجم عن هذه الهجرة الجماعية، فقد
صرف لودرملك النظر عنها إجمالاً على أساس أنه «إذا لم يرق للأفراد العرب
الإقامة في بلد صناعي يمكنهم النزوح إلى وادي دجلة والفرات الخصيب حيث
يجدون أرضاً كافية تتسع لعدد غفير من المهاجرين» (ص ١٧٨)، إلا أن مشكلة
اللاجئين الفلسطينيين اليوم دليل واضح على أن لودرملك قد أضل في تشخيص
النتائج السياسية لمشروعه.

لقد أعد مشروع لودرملك أساساً اقتصادياً للهجرة اليهودية الجماعية إلى فلسطين
والذي من أجله ناضلت الصهيونية مستميتة؛ إذ حاول أن يظهر أن إسكان اليهود في
فلسطين، على نطاق واسع، أمر عملي من الناحية الاقتصادية، يبرره أن المهاجرين
اليهود سيقطنون أرضاً بكرأ لم تستثمر قط، ستعمر بهم وتزدهر.
إلا أن الحاجة الملحة لاستثمار وادي الأردن - اليرموك لم تقم إلا بعد أن قامت
إسرائيل في عام ١٩٤٨، وما ترتب عنها من ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين،
وبعد أن برزت مشكلة اللاجئين العرب والضغط المتزايد على الأراضي في الأردن.
جميع هذه الأسباب جعلت استثمار وادي الأردن - اليرموك أمراً ضرورياً.

مشاريع استثمار وادي الأردن

التكاليف (مليون دولار)	مساحة الأراضي المروية (بالهكتار)			كمية المياه المستغلة (مليون متر مكعب)			اسم المشروع
	المجموع	إسرائيل	البلاد العربية	المجموع	إسرائيل	البلاد العربية	
٤٩	٤٤,٠٠٠	—	٤٤,٠٠٠	٥٨٧	—	٥٨٧	مشروع بنجر تموز ١٩٥٢ (Bunger)
١٢١	٩٣,٦٠٠	٤١,٦٠٠	٥٢,٦٠٠	١,٢١٣	٣٩٤	٨١٩	مشروع إدارة وادي تنسي آب ١٩٥٣ (TVA Plan)
	٧٧,٨٠٠	٢٣,٤٠٠	٦٤,٤٠٠	١,٤٢٩	٢٨٧	١,١٤٢	المشروع العربي آذار ١٩٥٤
١٧٠	٥١,٤٠٠	—	٥١,٤٠٠	٧٦٠	—	٧٦٠	مشروع باكر - هارزا تموز ١٩٥٥ (Baker-Harza)
	٧٦,٦٠٠	٦٧,٦٠٠	—	٥٤٠	٥٤٠	—	مشروع السنوات السبع الإسرائيلي تشرين الأول ١٩٥٣
	٢٥٩,٨٠٠	١٧٩,٠٠٠	٨٠,٨٠٠	٢,٣٤٦	١,٣٩٠	١,٠٥٦	مشروع كوتون الإسرائيلي أيار ١٩٥٤ (Cotton Plan)
				١,٣٠٥	٤٢٧	٨٧٨	مشروع جونسون المعدل آب ١٩٥٥

يلاحظ أن مشروع كوتون الإسرائيلي يشمل مياه الليطاني أيضاً.

ب - مشروع بنجر: ففي أول تموز عام ١٩٥٢، قدّمت البعثة الأميركية للمساعدة الفنية في الأردن (النقطة الرابعة) مشروعاً عملياً إلى مجلس الإنماء الأردني، يرمي إلى استثمار مياه نهر الأردن - اليرموك أعدّه ملز بنجر، الخبير المائي في النقطة الرابعة.

ومما جاء في مقدمة مشروع بنجر ما يلي:

«وعدا الاعتبار الفنية والطوبوغرافية، فالاقترح الحاضر لاستثمار وادي الأردن، الذي قدّمه السيد بنجر من النقطة الرابعة، مدفوع برغبة رسم مشروع يحقق مطلبين مهمين معاً: الأول، أن يهدف الاقتراح لاستثمار أقصى حد ممكن من وادي الأردن من دون أن يؤدي إلى محادثات دولية قد يصعب إجراؤها في الوقت الحاضر. والثاني، أن يشمل تصميماً مرناً يمكن أن ينسجم بسهولة مع أي تصميم آخر مقبل لاستخدام بحيرة طبريا».

ويقترح المشروع بناء سد في مقارن، على اليرموك الأعلى، مع خزان سعته ٥٠٠م^٣ (ارتفاعه ١٣٠ متراً) وخزانات أخرى صغيرة لضبط مياه السواهد الموسمية بين اليرموك الأعلى والبحر الميت. ومن العدسية، على اليرموك الأسفل، تبنى قناة تنفرع إلى أقسام الغور داخل المنطقة الأردنية.

وأما مساحة الأراضي التي يرونها هذا المشروع فتقدر بنحو ٤٤,٠٠٠ هكتار، والقوى المولدة بنحو ٣٠,٠٠٠ كيلوات قوة ثابتة.

وتقدر تكاليف المشروع الإجمالية بـ ٤٩ مليون دولار، منها مليون ونصف للدراسة الأولية.

وما أن أعلن هذا المشروع حتى أبدت هيئة إغاثة اللاجئين رغبةً في المساهمة بالتحويل، وقصدها من ذلك واضح، فهو إسكان اللاجئين العرب على أرض تصلح للزراعة. فمن ٨٦٨,٠٠٠ لاجئ مسجّل في كانون الثاني سنة ١٩٥٣ حوالي ٤٧٣,٠٠٠ يقطنون في الأردن. وفي آذار وكانون الأول سنة ١٩٥٣ وافقت هيئة إغاثة اللاجئين على تخصيص ٤٠ مليون دولار لغاية تموز سنة ١٩٥٤ لاستثمار موارد مياه اليرموك، وفعلاً في ٢٤ حزيران سنة ١٩٥٣ كلفت مؤسستين هندسيتين، ميكيل بيكر المساهمة، وشركة هرزا للهندسة لوضع الدراسات الأولية، وقد وزعت نفقات هذه الدراسات بين النقطة الرابعة وهيئة إغاثة اللاجئين ومجلس الإنماء الأردني.

ولإيجاد أساس قانوني لمشروع بنجر، عُقدت «اتفاقية بين كل من الحكومة السورية والأردنية لاستثمار مياه الأردن - اليرموك»، في الرابع من حزيران سنة ١٩٥٣.

وقد تم الاتفاق على أن تتكفل كل من سوريا والأردن بالاستفادة التامة من روافد مياه اليرموك، ويشمل المشروع بناء سد وخزان يتسع لخزن ٣٠٠ م^٣ عند مقارن، وإنشاء وحدة كهربائية تحته وأخرى عند العدسية مع إنشاءات أخرى غيرها.

هذا، واحتفظت سوريا لنفسها حق الإفادة للري من روافد المياه قبل مصبها في مجرى اليرموك الرئيسي، واتفق أن تنال سوريا ٧٥٪ من القوى الكهربائية المنتجة من سد مقارن، وأن تدفع ٥٪ من تكاليف الإنشاءات، وأما التكاليف الأخرى المتبقية والمنافع قد خصت بها الأردن. ثم تألفت هيئة إدارية مشتركة.

غير أن هذا المشروع الذي لاقى استحساناً كبيراً وضع على رف النسيان، ويشاع أن التأثير الصهيوني في دوائر واشنطن هو المسؤول الأول عما حدث، الأمر الذي أثار مخاوف العرب وشدد إيمانهم بأن الحكومة الأميركية لن ترحب بأي مشروع يقدمه الجانب العربي لاستثمار موارد الأردن مهما يكن صالحاً، إن عملياً أو فنياً. وإشاعات كهذه، بالإضافة إلى شكوك العرب في سياسة أميركا الخارجية في الشرق الأوسط، ظهرت جلياً في الاستقبال العدائي الذي استقبل به المبعوث جونستون في البلاد العربية.

ج - مشروع جونستون: وفي هذه الأثناء قدمت إدارة وادي تنسي، بناء على طلب هيئة إغاثة اللاجئين، مشروعاً موحداً لاستثمار مصادر مياه منطقة وادي الأردن، أعدته مؤسسة هندسية أميركية تحت إشراف إدارة تنسي نفسها، وفي آب ١٩٥٣ أعلن المشروع.

وقد كتب لسلي كارفر، المدير العام لهيئة إغاثة اللاجئين، في مقدمة المشروع يقول: «ومن أجل اعتبارات هندسية بحتة، رغب إلى هيئة إدارة وادي تنسي صرف النظر عن الحدود السياسية وتحضير تقرير واف يشير إلى المنهج الأجدي للاستفادة من كافة الموارد المائية، وإلى أقصى حدود الاستفادة لما فيه خير المنطقة بكاملها. وبلاستجابة إلى هذه الرغبة جاء في التقرير» أن المشروع يرمي، بالمعنى العام وبغض النظر عن الحدود السياسية، إلى وضع مخطط واسع جريء لاستثمار مجرى لموارد مياه وادي الأردن بالتشديد على الري أولاً، وعلى إنتاج القوى الكهربائية ثانياً.

وفي ما يلي الخطوط الرئيسية للمشروع: يقام سد في لبنان لضبط مجرى نهر الحاصباني ومحطة توليد عند تل حي في إسرائيل، ويبنى سد آخر عند مقارن في اليرموك الأعلى، والعلو الأولي لهذا السد، الذي سيبنى مبدئياً لتوليد القوى الكهربائية، ثمانية وخمسون متراً. وبما أن هذا القسم من المشروع يتطلب نفقات كبيرة «لم يدرج في جدول أعمال المرحلة الأولى من التصميم الكبير»، لكن إذا بررت الأبحاث إجراء كهذا فيصار إلى زيادة علو السد إلى خمسة وتسعين متراً يتسع لخزن ستة وخمسين مليون متر مكعب. وينشأ على اليرموك الأسفل عند العدسية محطة كهربائية تولد ٣٨ ألف كيلوات، كما ويبنى قنال تحويلي من نفس المكان تحوّل مياه اليرموك إلى بحيرة طبرية التي تستخدم خزاناً رئيسياً لحوض الأردن - اليرموك، الأمر الذي يستلزم زيادة مترين إلى الحد الأعلى لمستوى البحيرة، وبناء قنوات للري تجري جنوباً على جانبي الأردن. وفي التصميم مشروع لتخفيف بحيرة الحولة.

ويأمل مشروع إدارة وادي تنسي إرواء ٩٣٠٠٠ هكتار من الأراضي تتطلب ١٢١٣ مليون م^٣ من المياه، منها ٧٧٤ م^٣ لإرواء ٤١٦٠٠ هكتار في الأردن، و٣٩٤ م^٣ لإرواء ٤٩٠٠ هكتار في إسرائيل، والباقي تستخدمه سوريا وقدره ٤٥ م^٣ يروي ٣٠٠٠ هكتار. وأما القوة الكهربائية فتبلغ ٦٥٠٠٠ كيلوات عدا سد مقارن الذي سوف لا يبنى في المرحلة الأولى من المشروع، وتقدر التكاليف الإجمالية بمائة وخمسة وثلاثين مليون دولار^(١)، منها أربعون مليوناً للقوى الكهربائية، وخمسة وتسعون مليوناً للري. وتبلغ تكاليف الإنشاء للهكتار الواحد ١١٩٠ دولاراً في تلال الجليل ومنطقة الحولة، و٨٦٠ دولاراً في وادي الأردن الأسفل.

وبعد شهرين من إعلان هيئة إغاثة اللاجئين لمشروع إدارة وادي تنسي، وصل إلى الشرق الأوسط مبعوث الرئيس أيزونهاور الخاص للتوسط بين الدول العربية وإسرائيل لقبول تنفيذ المشروع (الذي أصبح يعرف بمشروع جونستون). هذا وقد فهم، دون أدنى ريبة، أن أميركا على أتم استعداد لتمويل المشروع فور اتفاق الطرفين.

أما نوايا أميركا في تبني مشروع هيئة وادي تنسي، فجلية.

(١) هذا يشمل كلفة إنشاء سد مقارن لعلو ٩٥ متراً. وفي حالة ثبوت عدم صلاح رفعه إلى هذا الحد ينشأ إلى علو ٥٦ متراً فقط، وعندئذ تقل الكلفة بمقدار أربعة عشر مليوناً.

أولاً: إن تقسيم المياه سلمياً بين الدول العربية وإسرائيل يزيل عقبة كبيرة من حدة التوتر السياسي في الشرق الأوسط.

ثانياً: إن الاستثمار الموحد لوادي الأردن على أساس إقليمي يقتضي خلق هيئة مشتركة يتعاون فيها العرب واليهود معاً، وتعاون مشترك بين الاثنين، لا سيما في مشروع حيوي كهذا، يكون أساساً وثيقاً لتعاون مقبل، وإقراراً سلمياً نهائياً للمشكلة الفلسطينية.

ثالثاً: إن المشروع يخلق عملاً لعدد عديد من اللاجئين الفلسطينيين، ويعدّ الأرض لإسكان نحو ثلث اللاجئين في الأردن، وهذا بلا شك يشكل خطوة لحل مشكلة اللاجئين.

رابعاً: يمكن أن يعتبر مشروع جونستون جزءاً من برنامج المساعدة الأميركية. ولا اعتبارات سياسية عدة، لم يكن العرب على استعداد ليشتركوا في أي مشروع يفرضي إلى التعاون مع إسرائيل، والذي قد يؤدي، ضمناً، إلى الاعتراف بدولة لا يزالون وإياها في حالة حرب، وكل ما استطاع جونستون إنجازه في مدار زيارته هو أن حصل على وعد من الدول العربية أن يتدارسوا القضية فيما بينهم دراسة وافية، ثم يوافقونه بوجهات نظرهم.

د - المشروع الإسرائيلي: وفي هذه الأثناء (تشرين الأول سنة ١٩٥٣) أعلنت حكومة إسرائيل عن مشروع السنوات السبع للإنماء، والذي يقضي بزيادة ١٣١,٠٠٠ هكتار إلى أراضي الري في نهاية سنة ١٩٥٦^(١). ولإنجاز هذا الهدف يلزم ٩٢٠ م^٣ يؤمن منها ٥٤٠ م^٣ من نهر الأردن تحوّل من نقطة جنوب جسر بنات يعقوب بين بحيرة الحولة وبحيرة طبرية، ثم تضخ من هناك لتغذي خزان سهل بطوف بواسطة قوة مولدة من محطة شمالي بحيرة طبرية، ثم ينقل الماء من خزان سهل بطوف إلى الفالوجة في شمال النقب بواسطة أنابيب قطرها تسعة أقدام، ومن الفالوجة يمد أنبوبان من الإسمنت، قطر كل منهما ستة أقدام ونصف، تنقل الماء إلى النقب. وبموجب مشروع إسرائيل يقلل اندفاع المياه الخارجة من بحيرة طبرية إلى ٦٠ م^٣ سنوياً، ولا يشمل الاستفادة من مياه اليرموك في مراحله الأولية.

(١) أعلن مشروع إسرائيل للمياه والري للسنتين ١٩٥٤ - ١٩٦٠ في ٢٧ أكتوبر سنة ١٩٥٣ في القدس، أثناء انعقاد مؤتمر رجال المال والأعمال الإسرائيليين، ومشروع الري هو واحد من مشاريع السنوات السبع. راجع الكشف والمشاريع «التي قدمت إلى مؤتمر القدس» في وزارة المالية - مطبعة الحكومة، القدس، سنة ١٩٥٣.

وعندما قدم المبعوث جونستون، في زيارته الثانية إلى الشرق الأوسط في شباط سنة ١٩٥٤، أوضح كلا الطرفين - العرب واليهود - وجهات نظرهما. وقد عينت جامعة الدول العربية لجنة من الخبراء لدرس المشروع، واقتراح مشروع معاكس ينسجم مع موقف الدول العربية العام بخصوص مشكلة فلسطين، وعليه أعدت لجنة الخبراء المشروع وأعلنته في آذار سنة ١٩٥٤، وعرف «بالمشروع العربي». وعلاوة على المشروع العربي المذكور أعد مكتب فلسطين بصورة مستقلة، في تموز سنة ١٩٥٤، «تقريراً مسهباً عن استثمار موارد مياه منطقة الأردن» ونشر على أمل أن يلقي ضوءاً على الحقائق الأساسية التي ينطوي عليها «مشروع جونستون».

هـ - المشروع العربي : وأما المشروع العربي فيرفض من الأساس معالجة لا تعنى بالحدود السياسية للمنطقة. «فمشروع استثمار مياه هذه الأنهار ينبغي أن يبنى على الاعتبار بين هذه البلدان، ويمد بالري جميع الأراضي القاحلة الواقعة حول ينابيع وأودية هذه الأنهار ضمن حدود كل بلد من هذه البلدان.

وأما التوصيات المرفقة بالمشروع العربي فترمي لحزن مياه اليرموك في الأردن وذلك بإنشاء سدين، الواحد بسعة مجموعها ٤٠٠ م^٣ يبنى عند مقارن أو وادي خالد في مجرى النهر الأعلى، والآخر، أصغر من الأول، بسعة ١٠٠ م^٣ يبنى عند العديسة في مهبط، كما وينشأ محطتان للتوليد في نفس النقطتين. وقد خصصت البلاد العربية من مياه الأردن - اليرموك ٨٨٢ م^٣ سنوياً و ١٦٥ م^٣ لإسرائيل، هذا عدا مياه الآبار الجارية والأودية التي تقدر بـ ٢٨٢ م^٣ سنوياً، يخصص منها ٣٦٠ م^٣ إلى البلاد العربية و ١١٢ م^٣ إلى إسرائيل.

والمشروع العربي، الذي أعد تحت ظروف القاهرة، ليس هو إلا عبارة عن وجهة نظر العرب بخصوص استثمار مياه وادي الأردن وينابيعه، وهو بهذا يرسم الخطوط الرئيسية لمنهاج هو بنصه مقبول لدى الدول العربية، كما ويترك مجالاً لتحريات أوسع لوضع مشروع مفصل للاستثمار.

و - مشروع باكر - هرزا : وقد كان مشروع باكر - هرزا، الذي أعلن في تموز سنة ١٩٥٥، مفصلاً فعلاً.

وأبرز خطوط مشروع باكر - هرزا هي :

١ - إقامة سد خزان في مقارن على نهر اليرموك يخدم جميع متطلبات الري المشتركة، كضبط الفيضان وتأمين القوة والمياه في حالة الطوارئ، أي المياه المتيسرة للري في حالة استرداد المياه وتقطعها من بحيرة طبرية. فالري وحده يتطلب

إنشاء خزان يتسع لـ ٤٧م^٣ (ارتفاع ٩١ متراً) إذا تحول الفائض من اليرموك أو أعيد ضبطه في بحيرة طبرية. وخزانات إضافية ينبغي إنشاؤها أيضاً للأمان أولاً، ولتمد التنظيم أو الانضباط الضروري لتوليد قوى ثابتة. ويتطلب الحد الأعلى لإنتاج قوة ثابتة بناء سد ارتفاعه ١٥٨ متراً، وعند هذا المستوى يمكن استخدام الخزان للأمان في حالة الطوارئ ولتأمين عدد كافٍ ومستمر للري في سنة متوسطة الأمطار.

غير أن المشروع يذهب إلى أن أفضل شروط الاستفادة وأوفاه وأوفرها لا تحقق إلا بدمج اليرموك مع بحيرة طبرية، وخزن ما يفيض من مياهه عن الحاجات المتقدمة فيها، فبحيرة طبرية هي الخزان الطبيعي الوحيد في المنطقة التي تستطيع أن تقدم أقل كلفة للخزن.

٢ - إقامة سد تحويلي على نهر اليرموك عند العدسية لتحويل الفائض من النهر إلى بحيرة طبرية، ولتحويل مجرى اليرموك إلى قنال شرقي الغور، وإعادة تنظيم السائب الصاعد من خزان مقارن.

٣ - قنال للفيضات تمتد من نهر اليرموك عند العدسية إلى بحيرة طبرية توصل الفائض من المياه إلى الخزان، ويكون الحد الأعلى لاستطاعة هذه القنال ٧٠م^٣ في الثانية، مما يستلزم تعديلات على أوضاع الضوابط القائمة، وعلى حوافي بحيرة طبرية تمكن من استخدام البحيرة خزاناً للتنظيم.

٤ - مجموعة قنوات تتفرع من العدسية ومن طبرية، وهذا يشمل قناة مساعدة تمتد من بحيرة طبرية إلى قناة شرقي الغور الرئيسية، تمده بالمياه في حالة انقطاع نهري الأردن واليرموك، ويكون لهذه القناة استطاعة ٢٠م^٣ في الثانية، كما تشمل أيضاً قناة توصيل رئيسية تمتد على طول الغور الشرقي، تبدأ باستطاعة ٢٠م^٣ في الثانية في بدء الأعمال، ثم تزداد في مراحل الاستثمار النهائية إلى ٣٦م^٣ في الثانية. هذا ويبنى (سيفون) عبر الوادي من قناة شرقي الغور الرئيسية ليسد مرتفعات غربي الغور بالمياه باستطاعة ١٥٠٦ أمتار مكعبة في الثانية، كما ويشمل قناة الغور الغربي ومتفرعاتها.

٥ - محطة ضخ تستخدم لري ١٠٤٠٠٠ دونم من الأراضي التي لا يمكن ريها بالسيح.

٦ - إنشاء مجموعة من القنوات الجانبية والمجارير لإرواء الأراضي وتجفيف المترسخ من المياه في المزارع الفردية.

٧ - برنامج لإنماء المزارع وكيف الأراضي في الوادي ويعدها للزراعة والسقي.

٨ - ممتلكات عامة تشمل البنيات الدائمة والمعدات، وكافة التسهيلات اللازمة لتشغيل وصيانة المشروع.

وقد قدرت تكاليف بناء المشروع بمائة وتسعة ملايين دولاراً، يضاف إليها ثمانية ملايين دولاراً فائدة المال أثناء الإنشاء، واستهلاك الدين لمائة سنة على معدل فائدة ٢ ١/٢ بالمائة، تقضي بتوظيف ٣,١٩٢,٠٠٠ دولار سنوياً. وأما تكاليف التشغيل والصيانة والتبديل فتقدر بـ ٩٤٠,٠٠٠ دولار. وعليه، يكون مجموع تكاليف الري ٤,١٣٢,٠٠٠ دولار سنوياً.

وقدّرت الأموال التي توظف للقوى في السد وحده بنحو ٣٠,٥٦٠,٠٠٠ دولار، يضاف إليها نحو ٢١ مليون دولار لإنشاء مراكز التوليد وتجهيزها بكافة معدات التوليد والنقل.

ز - مشروع كوتون الإسرائيلي: وأما ردة الفعل في إسرائيل فكانت تختلف بالكلية، وما ورد في مقدمة مشروع هيئة إدارة وادي تنسي عن «المنهج الأجدى للاستفادة من كافة الموارد المائية، وإلى أقصى حدود الاستفادة، لما فيه خير المنطقة» فقد أخذ بقيمته العينية، ورُفض المشروع لا لأنه أهمل الحدود السياسية بل لأنه لم يهملها قليلاً. فإذا كان حقاً يراد الاستفادة من الموارد المائية إلى أقصى حدود الاستفادة ولخير المنطقة، فينبغي إذاً وضع مخطط إقليمي أوسع يشمل مياه اللبثاني: وذهبت إسرائيل إلى أبعد من هذا، فوضعت مخططاً يشمل كل الموارد المائية المتيسرة في المنطقة. وفي أيار سنة ١٩٥٤ قدّم وزير الزراعة إلى رئيس الوزراء المشروع المعروف بمشروع «كوتون الإسرائيلي للري».

ويروي مشروع كوتون ٢,٥٩٨,٠٠٠ دونماً من الأراضي، منها ١,٧٩٠,٠٠٠ دونماً في إسرائيل يروها ١٢٩٠ م³ سنوياً من مياه اللبثاني ومنطقة المياه الأردنية. وأما تكاليف المشروع في إسرائيل فتبلغ ٥٩٧,٥ مليون دولار، يخصص منها مبلغ ٤٥٠,٦ مليون دولار للري.

وتشمل خطوط المشروع الأساسية:

١ - تحويل ينابيع الأردن إلى شمالي إسرائيل حيث تخزن في خزان سهل بطّوف.

٢ - تحويل مياه اليرموك إلى بحيرة طبرية التي تستخدم خزاناً يمد وادي الأردن الأسفل بمياه السبح.

٣ - تحويل أكثر من نصف مياه الليطاني إلى إسرائيل لخزنها في خزان سهل بطوف لإرواء جنوبي إسرائيل.

٤ - إنشاء سبع عشرة محطة توليد استطاعة مجموعها ٢٦٦,٥٠٠ كيلوات.

٣ - أوجه الخلاف

باستطاعتنا الآن تلخيص النقاط الأساسية التي أثارها الحكومات العربية وإسرائيل -.. فإن العرب يريدون:

١ - ألا يؤدي التطور المشترك لمشروع وادي الأردن، بأي صورة من الصور، إلى عرقلة المطالب العربية بالنسبة لمشكلة فلسطين كلها، وألا ينطوي على أي نتائج من شأنها اعتراف الدول العربية بإسرائيل.

٢ - ألا تسقط الحدود السياسية من الحساب، عند وضع خطة للاستفادة من مياه الأردن واليرموك، ولذلك لا يقبل من الوجهة السياسية استغلال بحيرة طبرية كخزان لمياه اليرموك.

٣ - ما دام نهر اليرموك كله واقعاً ضمن الأراضي العربية، فإنه يجب إهمال أي طلب تتقدم به إسرائيل للاستفادة من مياه ذلك النهر، أضف إلى ذلك أن تقسيم المياه، كما هو مقترح في مشروع وادي تنسي (المعروف الآن بمشروع جونستون)، ليس تقسيماً عادلاً لأنه يعطي إسرائيل حصة كبيرة جداً منه.

٤ - وافقت الدول العربية على أن استغلال مياه الأردن واليرموك ينبغي أن يكون مقصوراً على الحوض وحده، وألا تحول المياه لري الأراضي الخارجة عن نطاقه. وقالت الدول العربية بهذا الصدد إنه إذا سمح بإجراء تحويل من هذا النوع، فإنه يكون مستحيلاً عندئذ توزيع مياه الأردن على أساس حاجة الفرقاء المعنيين إليها.

أما النقاط الأساسية التي أثارها الحكومة الإسرائيلية ضد مشروع وادي تنسي فكانت ما يلي:

١ - إنها رفضت فكرة حصر استغلال المياه داخل الحوض، وقد فضّلت على ذلك الاستفادة من مياه النهر داخل الحوض، إذا اتبع في ذلك مشروع واسع لاستغلال المياه على نطاق إقليمي، مما يستتبع تحويل أجزاء من مياه الليطاني إلى إسرائيل، مع إقامة مشروع لتوليد الكهرباء من مياه البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت معاً. ورأت إسرائيل في ذلك مشروعاً أكثر جدوى وإنتاجاً.

٢ - لذلك رأت إسرائيل أن بالاستطاعة الاستفادة من مشروع وادي تنسي على أساس إقليمي شامل إذا شمل مياه الليطاني معه، وقالت إنه بالنظر للمساحة المحدودة من الأراضي الصالحة للري في لبنان، فإن الاستفادة الكاملة من مياه النهر في لبنان غير ممكنة، أما إذا حوّلت الكميات الزائدة من تلك المياه إلى حوض الأردن فإنه يمكن عندئذ لكل من الأردن وإسرائيل أن تستفيد منه استفادة فعالة من دون أن يؤثر ذلك مطلقاً في إمكانيات الإنماء الزراعي في جنوب لبنان. ويمكن من الجهة الأخرى، توليد طاقة كهربائية أقوى بكثير من الطاقة الحالية، مما يؤدي إلى منفعة كل من لبنان والأردن وإسرائيل معاً.

٣ - إن نسبة المياه المخصصة لإسرائيل من النهر تقل كثيراً عن أي نسبة معقولة. وادعت إسرائيل بهذا الصدد أن كمية المياه المخصصة للأردن هي كمية كبيرة، وقالت إن منطقة الغور في الأردن لا تستطيع أن تستوعب استيعاباً ناجعاً أكثر من خمسمئة مليون متر مكعب من المياه سنوياً، مما يعني ضياع حوالي الثلاثمئة مليون متر مكعب هباء، في كل عام، إن لم يعن إيقاع الأذى بالفعل في الأرض، بأكوام الملح الكبيرة التي تتجمع نتيجة لذلك على سطح التربة.

وقد جرت المفاوضات حول هذه النقاط بصورة غير مباشرة مع السفير أريك جونسون، الذي عمل كوسيط في هذه المهمة بين الدول العربية وإسرائيل، وكانت النقاط الرئيسية التي ثار حولها البحث هي إدماج الليطاني داخل المجموعة الإقليمية للأنهر، وتوزيع كميات الماء، واستغلال بحيرة طبرية كخزان طبيعي لليرموك، وحصر المياه داخل الحوض للاستفادة منها.

مياه الليطاني: يبدو جلياً أن الاستفادة من مياه الليطاني في إسرائيل أمر غير وارد بتاتاً، غير أن إسرائيل أبرزت مشروعاً اشتمل الليطاني، وأثارت هذه النقطة بالفعل في أثناء سير المفاوضات. فقد قال شاريت، رئيس حكومة إسرائيل، لجونسون في الثامن والعشرين من حزيران ١٩٥٤. «إن حكومة إسرائيل تصر على وجهة نظرها القائلة إنه ليس بالإمكان الوصول إلى حل حول مشكلة توزيع المياه بشكل يضمن الاستفادة منها إلى أبعد الحدود، إلا باستغلال مياه نهر الليطاني»، وكان من الطبيعي أن يجيب جونسون على ذلك بأنه «ما دام نهر الليطاني يجري بكليته داخل حدود لبنان، فإن الاستفادة لا تنطوي على أي مشكلة دولية».

ولكن، ترى، هل تجهل الحكومة الإسرائيلية الصعاب التي تعترض الاستفادة من مياه الليطاني في إسرائيل لتحقيق مشروع كوتون؟ الواقع أن هذا الاحتمال بعيد عن

المنطق، بل، على النقيض من ذلك، يعتقد أن مشروع كوتون لم يظهر إلا لتعزيز موقف إسرائيل في المطالبة بمياه الأردن واليرموك، واستدراك عطف الرأي العام العالمي على إسرائيل وكأنها السبّاقة في مضمار التقدم الاقتصادي في الشرق الأوسط.

توزيع المياه: إن روافد نهر الأردن الأربعة الرئيسية كلها مسارب دولية للماء، فهي تنبع جميعها في الأراضي العربية، ومن ثم تسيل مستمرة في جريانها إلى الأراضي الإسرائيلية أو إنها تصب فيها، وهكذا تكون نتيجة إنماء وادي الأردن المباشرة إثارة المشاكل في القانون الدولي.

وعلى الرغم من عدم وضوح نصوص القانون الدولي، حول موضوع الاستفادة الاقتصادية من مصادر المياه في الأنهر الواقعة في النطاق الدولي، فإن رجال القانون الدولي يجمعون الرأي على الحد من سيادة أي دولة على مجاري المياه، إذا كانت تلك السيادة تحتل بالنتيجة إيذاء الدول الأخرى المعنية، ويقول أوبنهايمر في هذا الصدد:

«إن من قواعد القانون الدولي ألا يسمح لأي دولة بتغيير الأوضاع الطبيعية لأراضيها بشكل يسيء إلى الأوضاع الطبيعية لأراضي دولة مجاورة، ولذلك لا يكتفى بالحيولة دون أي دولة وقيامها بإيقاف نهر ما أو تحويل مجراه، إذا كان يجري من أراضي تلك الدولة إلى أراضي دولة مجاورة، بل يجب اعتبار استغلال مياه ذلك النهر... كأمر يسبب خطراً على الدولة المجاورة...».

وتقول المادة الثالثة من تصريح اتفاق مدريد «إنه لا يمكن تحويل الصفة الحيوية المفيدة في جدول ما تحويلاً أساسياً عندما يبلغ ذلك جدول الأراضي القائمة في الجوار...».

إن المبادئ المتبعة في توزيع المياه بين البلدان المتخاصمة تقوم على توزيع تلك المياه بينها بالعدل والقسطاس، وليست المشكلة على كل حال في إيجاد المبدأ الصحيح الذي يطبق في مثل هذه الحالة، بل المشكلة في عملية التطبيق نفسها.

فقد رأت الدول العربية أن تطبيق هذا المبدأ يجب أن يستبعد نهر اليرموك من عملية توزيع المياه. ولما كانت إسرائيل لا تملك من الأراضي المجاورة لليرموك إلا الشيء القليل، فإن مطالباتها بمياهه عديمة الأهمية ويجب إهمالها، وينبغي إذن قصر التوزيع بين الدول العربية وإسرائيل على مياه نهر الأردن وحده. وقد احتفظت الدول العربية لنفسها في مشروعها من مياه الأردن واليرموك البالغة ١٠٤٧ م^٣، ٨٨٢ مليوناً غير مبقية لإسرائيل منها سوى ١٦٥ مليوناً.

غير أن مشروع بيكر - هرزا الرئيسي قد أدخل بعض التعديل على المشروع العربي من حيث توزيع الماء، فهو يقول بأن الأردن يحتاج إلى سبعمئة وثمانين مليون متر مكعب من المياه سنوياً، وإنه بالاستطاعة تأمين ٣٧٨ مليون متر مكعب منها من نهر اليرموك، كما يمكن تأمين ٢٢٧ مليوناً أخرى من الأودية والينابيع، ويمكن تأمين المئة والخمسة والخمسين مليوناً الباقية من نهر الأردن. وهكذا، على الرغم من الاستثثار الكلي بنهر اليرموك، والسماح لإسرائيل بكمية محدودة منه في مثلث اليرموك الداخل في إسرائيل، فإن الأردن أضاف مطالباً بمئة وخمسة وخمسين مليون متر مكعب من مجرى الأردن الرئيسي، وهذا يعني الإبقاء على حوالي ٣٧٥ مليون متر مكعب سنوياً لإسرائيل، شريطة ألا تستفيد سورية ولبنان بصورة متزايدة من منابع النهر الثلاثة الرئيسية.

وقد أنكرت حكومة إسرائيل على الدول العربية حقها الخالص في مياه اليرموك، وزعمت أن حقوقها هي في تلك المياه تتركز على أربعة أسباب.

أولاً: إن نهر اليرموك يجاور الأراضي الإسرائيلية لمسافة تسعة كيلومترات، مما يجعل لإسرائيل حقاً فيه.

ثانياً: إن اليرموك جزء من حوض نهري ينبغي أن يعتبر كله كمجرى مائي واحد ويعامل كوحدة.

ثالثاً: إن صك الامتياز الذي تملكه شركة كهرباء فلسطين، وهي الشركة الإسرائيلية في الوقت الحاضر، يمنح تلك الشركة حق الاستفادة من مياه اليرموك.

ورابعاً: إن خطة الحكومة الأردنية للاستفادة من اليرموك تتطلب بناء سد على حدود إسرائيل.

وقد أبدت إسرائيل أن توزيع المياه ينبغي أن يسري مفعوله على شبكة الأنهر كلها، وعلى هذا الأساس يصبح تحويل كمية خمسمئة وأربعين مليون متر مكعب من الماء إلى إسرائيل من نهر الأردن حقاً شرعياً لها وعادلاً. وزعمت إسرائيل، علاوة على ذلك، أن كمية المياه المخصصة للأردن هي ضائعة وتزيد عن حاجته، وإن الأردن لا يحتاج إلى أكثر من حوالي خمسمئة مليون متر مكعب للري، وعلى أي حال طالبت إسرائيل بجميع مياه نهر الأردن تقريباً تاركة اليرموك لسورية والأردن.

ويلاحظ أن مثلث اليرموك - وهو كل ما تشترك في ملكيته إسرائيل من منطقة النهر - يعطي إسرائيل حصّة ضئيلة جداً من مياه النهر. أما فيما يتعلق بالامتياز الممنوح لشركة كهرباء فلسطين فإن أقصى ما يقتضيه القانون الدولي في هذه الحالة

هو حق الشركة في التعويض، فالامتياز الآن غير منسجم مع مصالح الأردن الوطنية. ولما كانت هنالك سوابق في القانون الدولي يمكن بموجبها مصادرة أملاك العدو، فإن الانجاء يبدو الآن نحو وضع اليد على هذه الممتلكات.

فإذا نظرنا إلى المشروعين الإسرائيلي، وإلى مشروع بيكر - هرزا نجد أن شقة الخلاف حول توزيع المياه تضيق حتى لتكاد تنحصر في أمر توزيع حوالي مئة وخمسين مليون متر مكعب لا غير، وقد أمل السفير جونستون أن يصل إلى تسوية ما لهذه النقطة خلال رحلته الأخيرة إلى الشرق الأوسط، إلا أن الخلاف بين الطرفين لا يزال، على ما يبدو ورغم تفاؤله، واسعاً جداً، وإنه لم يكن بالاستطاعة الوصول إلى حل وسط يرضى عنه الطرفان، ولذلك فالخلاف لا يزال قائماً حتى الآن.

وغني عن القول إن توزيع المياه على أساس المتطلبات القومية أمر غير مقبول، خاصة في حالة تلك البلدان التي هي بحالة حرب. والواقع أن فكرة الحاجة الاقتصادية القائمة على أساس وطني غير ذات قيمة للأغراض الدولية.

استعمال مياه الحوض وخزن المياه: يلاحظ أن مشروع وادي تنسي ليس إلا محاولة لاستغلال مياه نهري الأردن واليرموك استغلالاً أكثر ما يكون فاعلية داخل حوض النهر، وقد أجمع واصفوه هذا المشروع، الذي طلب إليهم إغفال أمر الحدود السياسية عند وصفه، على قصر الاستفادة من المياه على الحوض نفسه، جاعلين بذلك الاستفادة من المياه أكثر ما تكون بالسيح، وغير عامدين إلى استخدام المضخات إلا حيث كان لا مناص من ذلك. أما إذا سمح بسحب المياه إلى خارج الحوض، فإن توزيع المياه على أساس الحاجة الإنتاجية لا يصبح أمراً صعباً فحسب، بل غير ممكن من الوجهة العملية.

والواضح، مع ذلك، أنه لا المقياس الإنتاجي ولا اعتبار التكاليف يصلح أساساً لتوزيع المياه بين الدول العربية وإسرائيل، فإن مثل تلك الاعتبارات تكون واردة فقط في الحالات السياسية العادية، وهذا يعني أن القول القائل بأن مشروع خزن مياه اليرموك في بحيرة طبرية أجدى من مشروع بناء سد على نهر اليرموك، بسبب قلة تكاليف المشروع الأول بالنسبة إلى الثاني، هو قول غير معقول، لأن الواقع في حالة قيام وضع من هذا النوع بين بلدين، تفصل بينهما حالة الحرب، هو أن الاعتبارات السياسية الناشئة عن تحقيق أي مشروع مشترك تأتي في المرحلة الأولى من مراحل الأهمية في البحث.

فإذا أقرت هذه النظرية يصبح اعتراض العرب على سحب المياه من الحوض إلى

إسرائيل اعتراضاً وجيهاً. ولما كان توزيع المياه سيجري على أساس مختلف كل الاختلاف - مع تقدير الحالة السياسية القائمة - فإن العرب لن يكونوا في حاجة إلى تقييد إسرائيل في استخدام المياه المخصصة لها. والواقع أن إسرائيل تقوم بالفعل بتنفيذ مشروعاتها الرامية إلى سحب مياه الأردن إلى خارج الحوض، وقد تم العمل في بعض الإنشاءات المؤدية إلى تحقيق ذلك، ويكون موقف العرب في تلك الحال هو التجاوز عن نقطة الخلاف هذه، شريطة أن تسحب إسرائيل المياه حصتها وحدها فقط.

ويمكن توجيه هذه الانتقادات نفسها ضد مشروع خزن مياه اليرموك في بحيرة طبرية، فإن مشروع وادي تنسي الأساسي لم ينص على خزن أي من المياه على اليرموك، بل نص على إقامة سد يبلغ ارتفاعه سبعة وخمسين متراً في المقارن لتوليد الطاقة الكهربائية، وقد اعترضت الدول العربية بشدة على هذا الإجراء ونادت بإنشاء سد على اليرموك يستطيع اختزان مياه النهر بأكملها، وذلك يستلزم إنشاء سد يبلغ ارتفاعه مئة وسبعة وأربعين متراً يخزن أربعة وستين مليون متر مكعب من الماء.

وإلى جانب السبب الأساسي الناشئ عن مشكلة فلسطين، رفض العرب مشروع جونسون بصورة رئيسية للسبب التالي، فقد رأوا أن الميزات التي ذكرت عن بحيرة طبرية كمخزان للماء لا تركز على قواعد متينة من الناحية الفنية، ولكن العرب لم يدعوا مجالاً إلى الشك في أن هذه الاعتبارات الفنية ثانوية في أهميتها إذا هي قيست بالاعتبارات السياسية، فإن وجود مخارج بحيرة طبرية كلها داخل إسرائيل، وما ينتج عن ذلك من حجب المياه عن العرب حجباً فورياً، قد أدى بالمشروع إلى الفشل من الناحية السياسية، ولم يجد العرب طريقة للرقابة، سواء أكانت دولية أم غير دولية، تضمن لهم ضماناً كافياً لعدم لجوء إسرائيل إلى اتخاذ مثل تلك الخطوة تحت ضغط النزاع السياسي والعسكري، مما يمكنها من إخضاع الأردن إلى ضغط سياسي واقتصادي شديد، ولم يكن بالاستطاعة نكران وجود مثل هذا الخطر الدائم فيما لو قبلت الدول العربية بمشروع جونسون.

ولا ريب في أن هذا الاعتبار كان في طليعة الأسباب التي اركزت عليها وجهة النظر العربية حول الموضوع، مضافاً إليه عدد من الآراء الأخرى تدعم رفض العرب للمشروع، من ذلك أن ملوحة بحيرة طبرية تبلغ ٣٠٠ ج. م مقابل ثمانين ج. م في اليرموك. فإذا خزنت مياه اليرموك في بحيرة طبرية نتج عن ذلك زيادة في ملوحة الماء الذي يحتاج إليه الأردن لري أراضيه، ثم هناك قضية التبخر من بحيرة طبرية وهي تقدر بـ ٣٠٠ مليون متر مكعب في العام.

ولا يسعنا رغم ذلك إلا الاعتراف بأن الأسباب الفنية التي قدمتها الحكومات العربية لرفض مشروع جونستون غير قوية جداً، فمع أن ملوحة المياه اللازمة للري تزيد إذا استخدمت بحيرة طبرية كخزان طبيعي، إلا أن الاستقصاء الزراعي الذي جرى في العراق تحت ظروف مماثلة إلى حد بعيد لظروف وادي الأردن، قد أظهر أن الإنتاج الزراعي ممكن حتى إذا بلغت الملوحة سبعة م.م.

يضاف إلى ذلك، أن مشروع جونستون يزيد تبخر مياه بحيرة طبرية بمعدل سبعة ملايين متر مكعب فقط في العام. ونحن نخلص من ذلك إذن إلى القول: إن رفض العرب لمشروع جونستون هو رفض سياسي بأجمعه تقريباً، ولا داعي أو مبرر لدعمه بالحجج العلمية. إن العنصر السياسي هو العنصر الأساسي ويكفي لتبرير رفض المشروع.

وأخيراً، بعد مفاوضات طويلة وافق جونستون على إنشاء سد يخزن ٣٠٠ مليون متر مكعب (وارتفاعه مئة وستة وعشرون متراً)، أما ما يتبقى من مياه اليرموك فإنه يحول إلى بحيرة طبرية. غير أن هذا الحل الوسط أيضاً لم يحظ من العرب بالقبول، إذ أصروا على اختزان جميع مياه نهر اليرموك في الأراضي العربية.

أما موقف إسرائيل بالنسبة للاستفادة من بحيرة طبرية كخزان طبيعي، فقد جاء متفقاً مع وجهة النظر العربية ولكن لأسباب مختلفة. فإن مشروع السبع السنوات للإنشاء في إسرائيل، يرمي إلى سحب مياه نهر الأردن إلى سهل البطوف وخزنها هناك لري الأراضي الواقعة خارج حوض الأردن - اليرموك، غير أن إسرائيل لم ترفض خزن مياه اليرموك في بحيرة طبرية، خاصة وأن الدراسات الهندسية التي قامت بها لم تؤد إلى نتيجة حاسمة فيما يتعلق بمشكلة تسرب المياه من خزان سهل البطوف.

عدنان محوق

الوثيقة رقم ٦

نص مشروع القوتلي للدول العربية المتحدة

إن فكرة الوحدة العربية أصبحت نشيداً ينشده العرب في مختلف ديارهم، ويردد نغمته كل لسان وكل صحيفة وكل منبر، وهذه الفكرة الأصلية هي العلاج الوحيد لتقوية مركز العرب وتحسين حالهم، وتأمين تبوئهم المركز اللائق بهم وبأمجادهم، ولقد أصبحت الضرورة تقضي بأن تنقلب هذه الفكرة إلى تنفيذ، وهذا الكلام إلى عمل.

ولئن كنا لا نطمح الآن وفي المرحلة الأولى إلى قيام - الدولة العربية الموحدة - التي هي الغاية المثلى أو قيام - الدولة العربية المتحدة - فإننا نعمل على الأقل لقيام - الدول العربية المتحدة - التي تتنازل الدول العربية في نطاقها، وفي سبيل الكيان العربي العام، عن جزء من سيادتها، فتتحد في الشؤون العسكرية والخارجية والاقتصادية مع احتفاظ كل منها بنظام الحكم الذي تريده، وبالاستقلال الداخلي الذي يمكنها من ممارسة مختلف شؤونها الداخلية تشريعاً وتنفيذاً. إن في هذا مسaire كبرى لواقع العرب، والأخذ الكلي بالاعتبارات الكثيرة في مختلف البلاد العربية، وفيه أيضاً حل لمختلف المشكلات العربية المعقدة، التي كانت وما تزال تقف في طريق التوافق العربي، واستجابة للشعور القومي العام الذي يشتد يوماً بعد يوم بضرورة قيام جبهة عربية متحدة سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

ويساعد المشروع على إزالة ما بين أقطار العرب وشعوبهم من حواجز مصطنعة، ويعود بالعرب إلى ثقتهم بأنفسهم، فيثقل وزنهم الدولي ويدعمهم في حل قضاياهم المعلقة إلى أبعد حد حلاً كريماً، ويفتح السبيل إلى تكاملهم السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي والدفاعي.

البند بعقد ميثاق بين دول الاتحاد: ويرى مشروع فخامة الرئيس القوتلي أن يباشر فوراً بعقد ميثاق يتضمن:

- الاتفاق على الاتحاد في الشؤون الخارجية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والمواصلات العامة، ويتمثل ذلك في منظمات اتحادية تشريعية وتنفيذية.

- وضع دستور للاتحاد يبين فيه مركز الاتحاد، وتحدد فيه المقاصد والحقوق والواجبات والمنظمات الاتحادية التنفيذية والتشريعية، وذلك من قبل جمعية تأسيسية

تتألف من أعضاء منتخبين من المجالس العامة الرسمية القائمة في كل دولة، حسب نظامها، بنسبة يُتفق عليها عند قبول فكرة مشروع الاتحاد.

- المبادرة إلى إبرام الميثاق وفقاً للطرق الدستورية وأسلوب الحكم القائم في كل دولة في مدة لا تتجاوز الشهرين. ويتوخى مشروع فخامة الرئيس القوتلي السرعة فينصّ على ضرورة انتخاب المجلس التأسيسي خلال مدة لا تتجاوز شهرين من إبرام الميثاق، واجتماعه في مدة أسبوعين من انتخابه برئاسة أكبر الأعضاء سناً، فيختار مكتبه ويضع لائحته الداخلية، ويباشر مهمته التي يجب أن ينتهي منها في مدة لا تزيد عن ستة أشهر.

ولا بد، في سبيل التنظيم والسرعة، من إنشاء أمانة عامة للاتحاد لملاحقة تنفيذ الميثاق وإتمام خطواته تنتهي مهمتها حينما تقوم الإدارة الاتحادية الدستورية.

إبرام الدستور الاتحادي وإعادة النظر في الدساتير: ثم يقترح المشروع أن يتم إبرام الدستور الاتحادي من قبل الدول الموقعة على الميثاق، وتعديل دساتيرها وفقاً له، وإعلان قبوله في مدة لا تتجاوز شهرين، وبذلك يغدو الاتحاد في حيّز التحقيق، وتتم تباعاً الخطوات التنفيذية لملاحقة جهاز الأمانة العامة، من انتخابات المجلس التشريعي الاتحادي، وتشكيل المجلس التنفيذي، ومحكمة العدل العليا، والقيادة العامة، وفقاً لنصوص الدستور الاتحادي.

الباب مفتوح للانضمام للاتحاد: وينص المشروع على أن الباب يبقى مفتوحاً لانضمام أية دولة أو كيان عربي يتأخر عن الانضمام، أو ينشأ نتيجة للتحرر من الاستعمار.

تأليف مجلس مفوضين لمباشرة وضع الدستور: ويرى المشروع، تسهياً لمباشرة العمل، أنه عندما تتفق الدول العربية المتحدة، وتوافق على الميثاق، يجري تعيين مفوضين عن كل دولة متحدة للبت بالنصوص نهائياً وتوقيعها، وتشكيل الأمانة العامة ووضع نظام ميزانية.

وقد يكون من المفيد تكليف مجلس المفوضين بوضع مشروع دستور للاتحاد بين يدي الجمعية التأسيسية، وإن هذا يكون أدعى إلى التطابق والتفاهم على مدى الاتحاد وحدوده وشرائطه ومنظّماته.

المبادئ العامة لدستور الدول العربية المتحدة

ثم يأتي القسم الثالث من المشروع وهو يتناول الدستور المقترح، وفي ما يلي مواده الهامة:

أولاً - يشمل الاتحاد الشؤون التالية

أ - القوات العسكرية: البرية والبحرية والجوية، تكون متحدة القيادة والنظام والإدارة، تشرف عليها هيئة قيادة اتحادية واحدة، ووزارة دفاع اتحادية واحدة.

ب - الاتحاد السياسي: يشمل التمثيل الخارجي والسياسة الخارجية والمعاهدات الخارجية، وتشرف على هذه الشؤون وزارة خارجية واحدة.

ج - الاتحاد الاقتصادي: يعني وحدة الجمارك والنقد إدارة وتنظيماً، وتوجيه السياسة الاقتصادية الخارجية، وتنسيق السياسة المتصلة بالتجارة والصناعة الخارجية، وتوحيد التشريع بصورة تكفل لأرباب التجارة والصناعة والمهنة في البلاد والدول المتحدة شروطاً متكافئة، وتشرف على هذه الشؤون وزارة اتحادية باسم وزارة المال والاقتصاد.

د - وحدة البرق والبريد والهاتف والطيران المدني والملاحة المدنية والمخطوط الحديدية والموانئ والمطارات والطرق المشتركة، نظماً وإدارة، وتشرف على هذه الشؤون وزارة اتحادية باسم وزارة المواصلات.

هـ - وحدة النظم والمناهج والخطط الثقافية العامة، توخياً لتوطيد الانسجام القومي والفكري والأدبي والاجتماعي العام في الشعوب العربية، وتشرف على هذه الشؤون وزارة معارف اتحادية.

و - وحدة القوانين الجزائية والمدنية، ويشرف على ذلك وزارة تشريع اتحادية.

ثانياً - رعايا دول الاتحاد

ثم يتناول القسم الثاني من المبادئ العامة النص على مواد المشروع من الناحية الرعوية الاتحادية، فيقول:

إن لرعايا الدولة المتحدة جنسية اتحادية تخولهم حق التنقل والإقامة والنشاط والعمل في أية دولة من دولة الاتحاد، بدون قيد وعلى قدم المساواة مع رعايا تلك الدولة، ويحتفظون في الوقت نفسه بجنسيتهم الأصلية التي تخولهم الحقوق الانتخابية والمدنية في دولهم، ويسر لمن أراد منهم تبديل جنسيته بجنسية الدولة التي يقيم فيها إذا مر عليه فيها، مقيماً وعاملاً، سنتان، وحينئذٍ يستطيع أن يمارس الحقوق الانتخابية في الدولة التي يتجنس بجنسيتها، وينقطع حقه بذلك في دولته الأولى.

وتنص إحدى مواد هذا القسم على حرية التنقل والعمل، وتبادل المصنوعات والغلات بين الدول المتحدة.

ثالثاً - جهاز الاتحاد

ينص المشروع على تأليف المجلس التنفيذي من رئيس، ومن وزراء الاقتصاد والخارجية والدفاع والمواصلات والمعارف والتشريع العام.

ويكون رئيس المجلس التنفيذي هو رئيس الاتحاد، ومدة رئاسته سنتان ومهمته:

أ - تمثيل الدول المتحدة.

ب - قبول سفراء الدول الأجنبية.

ج - إيفاد السفراء والبعثات السياسية.

د - إبرام المعاهدات والاتفاقات والقوانين الاتحادية وإعلان نفاذها.

هـ - إدارة جلسات المجلس التنفيذي.

وتتناوب الدول المتحدة رئاسة الاتحاد حسب ترتيب الحروف الهجائية، ويختار المجلس التشريعي الاتحادي الرئيس من بين ثلاثة مرشحين ترشحهم الدولة صاحبة النوبة.

مهام وزراء الاتحاد

أ - يصرّف كل وزير شؤون وزارته، وفق اللائحة الداخلية التي يضعها المجلس التنفيذي لسير أعماله، ووفق القوانين النافذة.

ب - النظر في مشاريع القوانين والاتفاقات والمعاهدات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وتعيين الممثلين السياسيين عائد إلى المجلس التنفيذي.

ج - المجلس التنفيذي متضامن في المسؤولية السياسية العامة، وكل وزير مسؤول عن أعمال وزارته الخاصة.

موازنة الاتحاد

تتألف موارد الجهاز الاتحادي مما يدخل في نطاق الاتحاد من شؤون، ولا تدخل المواد التي تمتاز بها بعض الدول عن غيرها في نطاق موازنة الاتحاد.

المجلس التشريعي

يتألف المجلس التشريعي من أعضاء منتخبين من قبل مجالس الأمة القائمة في كل دولة، أو ما يقوم مقامها حسب نظام الدول المتحدة، ومن أعضاء مختارين من

قبل حكومة كل دولة، بنسبة يتفق عليها بين دول الاتحاد عند إقرار فكرة المشروع. وتكون مدة المجلس التشريعي أربع سنوات، ويعقد دورتين في كل سنة، واحدة في الخريف، وأخرى في الربيع، وهو يضع لائحته. وللمجلس التنفيذي الحق أن يدعو المجلس التشريعي لاجتماع طارئ إذا اقتضت ذلك المصلحة والظروف، ولربيع أعضاء المجلس التشريعي حق طلب ذلك أيضاً، ومثل هذا الحق لدولتين من دول الاتحاد، على أن يكون الطلب محتوياً المشاريع والأسباب الداعية.

محكمة العدل الاتحادية

تتألف هذه المحكمة بنسبة عضوين على الأقل، وأربعة على الأكثر لكل دولة، وينتخب أعضاؤها من قبل المجلس التشريعي بأكثريته العددية من بين مرشحين بقدر ثلاثة أضعافهم، ترشحهم الدول بالتساوي العددي، ولا يشترط أن يكون المرشحون من رعايا الدولة المرشحة.

وينتخب المجلس التشريعي رئيس المحكمة أيضاً من بين مرشحين ترشح كل دولة واحداً، وإذا ما شغل مكان في المحكمة يملأ بنفس الطريقة أيضاً. رئيس وأعضاء المحكمة لا يعزلون، ويعتزلون الخدمة بالاستقالة أو ببلوغ سن السبعين.

مهمة محكمة العدل الاتحادية

أ - حل الخلافات التي تقوم بين الدول العربية المتحدة في مختلف الشؤون التي لا يمكن حلها بالمحادثات الثنائية، وبطلب من إحدى الدول المختلفة أو من رئيس الاتحاد.

ب - النظر في قرارات إدانة رئيس المجلس التنفيذي وأعضائه الصادرة من المجلس التشريعي، وإصدار قرار فيها.

ج - النظر في دستورية أي تشريع أو قانون أو نظام أو قرار أو أمر صادر من المجلس التشريعي أو المجلس التنفيذي، وإصدار قرار في ذلك بناء على طلب إحدى دول الاتحاد.

د - النظر في أي شكوى يتقدم بها أحد رعايا الدول المتحدة، من أية دولة، في حالة وقوع ضرر عليه بسبب مخالفته للدستور والقوانين والقرارات والأنظمة الاتحادية، أو احتمال وقوع ضرر عليه، وإصدار قرار بذلك.

و - النظر في أي خلاف يحدث بين المجلس التنفيذي وإحدى الدول المتحدة إذا طلب ذلك المجلس والدولة المعنية، وإصدار قرار بذلك.
ز - تفسير ميثاق الاتحاد ومواد الدستور، إذا طلب ذلك المجلس التنفيذي أو إحدى الدول المتحدة.

القيادة الاتحادية

أ - تنشأ قيادة عسكرية عامة اتحادية للإشراف على تنظيم وحركة الجيش العربي الاتحادي.
ب - تكون القيادة أو الرئاسة لهذه القيادة في وقت السلم كما في وقت الحرب لأكبر الدول جيشاً في العمليات الحربية.
ج - المجلس التنفيذي يعين القائد العام من بين ثلاثة مرشحين ترشحهم الدولة التي ينبغي أن يكون منها.
د - القيادة العامة الاتحادية مرتبطة بوزارة الدفاع الاتحادية من نواحي التمويل والتموين والتنظيم والتجهيز.
هـ - يشترك في القيادة العامة ضباط أركان وغير أركان من سائر الدول، بنسبة عدد جيش كل دولة، في وقت السلم وفي وقت الحرب، إلا إذا قرر المجلس التنفيذي خلاف ذلك وفقاً لما يراه متمشياً مع المصلحة العامة.
و - القوات الحربية في الدول المتحدة في وقت السلم والحرب هي بمثابة قطعات جيش واحد نظاماً، وإدارة وحركة وقيادة.

راية الاتحاد

ويقترح المشروع أن يكون للاتحاد راية مؤلفة من ثلاثة ألوان أفقية: الأخضر فالأبيض فالأسود، وفي الأبيض نجمة خماسية حمراء بعدد الدول.
وتحتفظ كل دولة بنظام حكمها الداخلي الذي ترغب فيه، وباستقلالها الداخلي تشريعاً وتنفيذاً في كل ما لا يدخل في نطاق الاتحاد من حيث التشريع والتنفيذ.
ويحظر على حكومات الدول المتحدة ومجالسها النيابية وضع أي قانون أو اتخاذ أي قرار يتناقض مع الدستور الاتحادي والقوانين والقرارات الاتحادية، وحينما يكون هناك تباين بين أي قانون أو قرار في دولة من الدول، وبين دستور الاتحاد وقوانينه وقراراته فإن هذه هي التي تكون نافذة في الدول المتحدة بما فيها تلك الدولة.

الوثيقة رقم ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان مشترك

في الظروف الخطيرة التي تحيط بالبلاد العربية وتهدد سلامتها، رأينا أن نجتمع لبحث الأمر من جميع نواحيه، ونستكمل بذلك المشاورات التي دارت من قبل بين حكوماتنا، ونختتمها بما نجده ضرورياً من القرارات.

ولقد تم اجتماعنا في القاهرة في الفترة ما بين يوم الثلاثاء الموافق ٦ من مارس سنة ١٩٥٦، وبين الأحد الموافق ١٢ من مارس سنة ١٩٥٦.

والتقت آراؤنا عند تفاهم كامل في كل ما عرض للبحث أمامنا، واستطعنا بذلك أن نجمع إرادتنا على خطة كاملة نواجه بها كافة الاحتمالات والمفاجآت.

ولقد تمت محادثاتنا في جو من الصداقة الوطيدة، التي يدعمها التفاهم المتبادل بيننا، ويربطها إيماننا الواحد الواثق بفكرة العروبة والثقة التي لا حد لها في مستقبل الأمة العربية.

وشد من عزمنا وقوى روحنا ما لاحظناه بارتياح من زيادة الوعي الوطني في الأمة العربية، وإننا لنتظر بإعجاب واطمئنان، إلى الدور العظيم الذي أصبح الرأي العام العربي يقوم به في توجيه الحوادث ببقطة مستنيرة وشجاعة حكيمة. ولقد بحثنا الموقف في الشرق الأوسط من جميع وجوهه ونواحيه، واتفق رأينا على أن العمل للسلام وتحقيقه، والمحافظة عليه إنما يقوم بالتعاون الصادق بين الدول، على أساس من الاستقلال والمساواة التامة بينها جميعاً، وعلى احترام حقوق الإنسان، والتزام أحكام ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه، وإننا لنؤمن بأن السلام الحقيقي الذي تتطلع إليه شعوبنا وشعوب العالم لن يسود ما لم تصبح هذه الأسس مصدر الإلهام في تصرف كل دولة إزاء غيرها من الدول، وبذلك تخف حدة التوتر الناشئ من تدخل بعضها في الشؤون الداخلية للبعض الآخر، والضغط عليها بمختلف الوسائل والأساليب، وإننا لنعلن عزمنا على تجنب الأمة العربية ضرر الحرب الباردة، والبعد بها عن منازعاتها والتزام عدم الانحياز تجاهها، محافظة بذلك على مصالحها الأصيلة.

كذلك نعلن أن الدفاع عن العالم العربي يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية على هدى أمنها الحقيقي، وخارج نطاق الأحلاف الأجنبية، التي تحاول استخدام التنظيمات الدفاعية لخدمة المصالح الذاتية لأية دولة من الدول الكبرى، مضحية في سبيل ذلك بالقضايا والأمان العربي الخالصة ووحدتها أمتنا.

ولقد كانت قضية فلسطين موضع اهتمامنا البالغ، وإننا لنؤكد تمسكنا بحقوق عرب فلسطين كاملة، وإنه ليطيب لنا في هذه المناسبة أن نؤكد تمسكنا بالمبادئ التي أعلنها مؤتمر الدول الأفريقية الآسيوية في باندونغ، واعتبارها الطريق الذي تسير عليه سياستنا في المحيط الدولي.

القرارات

اجتمع في القاهرة، في الفترة بين ٢٣ رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ٦ مارس سنة ١٩٥٦، إلى ٢٩ رجب سنة ١٣٧٥ الموافق ١٢ مارس سنة ١٩٥٦:

حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود.

وصاحب الفخامة السيد شكري القوتلي.

والسيد الرئيس جمال عبد الناصر.

وقد عقد هذا المؤتمر عدة اجتماعات، عكف فيها الرؤساء على دراسة الموقف بالشرق الأوسط على ضوء ما ورد ببيانهم من مبادئ وأسس، وانتهوا إلى قرارات محددة بشأن كل ما عرض أمامهم من مشاكل، وفي ما يلي بعضها:

أولاً - تم وضع خطة شاملة لتدعيم الأمن العربي، والعمل على حفظ كيان الأمة العربية، والدفاع عنها ضد أخطار العدوان الصهيوني، والسيطرة الأجنبية التي تحول دون استتباب السلام والاستقرار في تلك المنطقة، وتخلق حالة من التهديد والتوتر.

ثانياً - تم وضع خطة شاملة لتنسيق خطط الدفاع العربي لمواجهة أي عدوان قد يقع ضد أية دولة عربية من قبل إسرائيل، التي دأبت على سلوك سياسة عدوانية تنكر مبادئ الحق والقانون، وتتجاهل قرارات الأمم المتحدة.

ثالثاً - تم وضع خطة شاملة لمواجهة موقف بعض الدول التي تسمح بتجنيد رجالها للخدمة العسكرية في القوات الإسرائيلية.

رابعاً - تم الاتفاق على مواجهة الموقف الذي يقتضيه أمن الدول العربية، تجاه إمداد إسرائيل بالأسلحة التي تساعد على التمادي في العدوان.

خامساً - تم وضع خطة شاملة لمواجهة المحاولات التي تبذل عن طريق حلف بغداد، للضغط على البلاد العربية، وتعريض الأمن العربي للخطر وتفرقة الصف العربي، في الوقت الذي تجد فيه البلاد العربية نفسها أشد ما تكون حاجة إلى وحدة متماسكة في الجهود والاتجاهات.

سادساً - تم الاتفاق على التأييد الكامل للأردن، ومساندته ضد أي ضغط أجنبي أو أي عدوان صهيوني، مما يكفل للشعب الأردني الباسل تحقيق غايته، وقد اتصل المؤتمر بحضرة صاحب الجلالة الملك حسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، لإبلاغه ذلك وتأييد ما سبق الإعراب عنه، عن الاستعداد الثام الأكيد لمعاونة الأردن والوقوف إلى جانبه.

سابعاً - وضع المؤتمر خطة شاملة تهدف إلى توثيق روابط الكيان العربي، وتنمية التعاون بين الدول العربية في أوسع نطاق، من أجل تحقيق الأهداف العربية الخالصة. كما بحث المؤتمر وسائل تحقيق الوحدة العربية التي يؤمن الرؤساء الثلاثة إيماناً لا يتزعزع بأنها السياج المنيع للبلاد العربية الذي يضمن استقلالها، ويكفل لها أسباب استكمال نهضتها.

ثامناً - وضع المؤتمر خطة شاملة لتنسيق السياسة السعودية المصرية السورية، من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية، بحيث يكون، نتيجة هذا التنسيق الشامل، تعبئة جميع القوى وتوجيهها الوجهة التي تحقق المصلحة العليا للأمة العربية.

تاسعاً - وضع المؤتمر خطة لمواجهة مشكلة الاحتلال البريطاني لواحة البوريمي وإمارة عُمان، ورسم الوسائل التي تؤدي إلى إنهاء هذا النزاع على نحو يحفظ لهذه المناطق عروبتها، ويحول دون الانتقاص من سيادتها وحقوقها.

عاشراً - رأى المؤتمر، بعد بحث مستفيض للوضع الراهن في شمال أفريقيا، أن السياسة الفرنسية التي تمعن في انتهاك حقوق شعوب شمال أفريقيا، تهدد السلم تهديداً خطيراً في تلك المنطقة، وعلى فرنسا أن تعترف بحقوق شعوب شمال أفريقيا في الاستقلال، طبقاً لميثاق الأمم المتحدة ومبدأ حق تقرير المصير لكل الشعوب.

حادي عشر - رأى المؤتمر، بعد بحث القضايا العربية، أن يعمل بكل الوسائل حتى تحل هذه القضايا حلاً عادلاً، يحفظ للعرب سيادتهم وحقوقهم.

الميثاق القومي

اجتمع ممثلو الأحزاب والكتل النيابية، وتدارسوا أوضاع البلاد الخارجية والداخلية والظروف الدقيقة التي تكتنفها وما يحيق بها من خطر داهم، فرأوا أن الواجب القومي والمصلحة الوطنية تفرض عليهم الاتفاق على هذا الميثاق القومي.

١ - في السياسة الخارجية والداخلية

أولاً - مقاومة الاستعمار والصهيونية وإسرائيل، وذلك:

أ - بعدم الاعتراف باغتصاب فلسطين بمقاومة الصلح مع إسرائيل، وإحكام مقاطعتها ومقاومة مشاريعها التوسعية وكل سياسة تؤدي إلى ذلك.

ب - بمناهضة الأحلاف العسكرية الأجنبية، وكل سياسة تتجه في هذا السبيل.

ج - بانتهاج سياسة الحياد الإيجابي بين المعسكرين الغربي والشرقي، ودعم مقررات باندونغ.

ثانياً - تحرير البلاد العربية وتوحيدها، وذلك:

أ - بتوسيع الاتفاق الثنائي مع مصر بعقد اتفاق بين الطرفين في الشؤون الاقتصادية والسياسية والثقافية، ليصبح هذا الاتفاق نواة للوحدة العربية الشاملة.

ب - بالسعي لتوثيق ميثاق الجامعة العربية باتجاه سياسة الاستقلال والوحدة.

ج - بدعم الجيش العربي الأردني عن طريق تقديم المساعدة المالية له.

د - بدعم نضال المغرب العربي في سبيل تحرير هذا الشطر الخطير من وطننا العربي تحريراً كاملاً.

جمهورية مصر

من الرئيس جمال عبد الناصر

إلى السيد عبد الحافظ ، رئيس الحكومة المصرية
سوريا

تعزيز الصداقة ، وتوثيق الصلة ، وتيسير روابط
التعاون . فتمتذركم الجمهورية السورية العربية ،

وإننا نأمل من الحكومة السورية

تعزيز الصلة بين الجمهورية السورية العربية ، والجمهورية السورية العربية ،
سنة ١٩٥٥ ، في ١٠ من شهر ربيع الثاني ،

وزير الخارجية السوري



الوثيقة رقم ٩

نص الاتفاقية الأردنية السورية

«عقد صاحب الجلالة الملك حسين الأول، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، وصاحب الفخامة السيد شكري القوتلي، رئيس الجمهورية السورية، خلال زيارة فخامته الرسمية للأردن، عدة اجتماعات اشترك فيها أصحاب الدولة رئيساً وزارتي سوريا والأردن ووزير خارجيته، وتداولوا فيها مختلف المسائل التي تهم العالم العربي بشكل عام والمملكة الأردنية الهاشمية وسوريا بشكل خاص. وقد جرى البحث في جو تسوده روح المودة والتفاهم والأخوة الصادقة التي تربط بين القطرين الشقيقين، وأكدوا المبادئ القومية التي تضمنها البيان المشترك الذي صدر في دمشق خلال زيارة صاحب الجلالة الملك حسين الأول المعظم في ١٠ نيسان ١٩٥٦، تلك المبادئ التي تتفق مع واقع الأمة العربية وتتجاوب مع آمالها وأمانيتها. وقد تم الاتفاق على ما يلي:

- ١ - إقرار اتفاقية عسكرية لمواجهة الخطر الجاثم على الحدود، باعتبار أن هذا الأمر أهم ما يقلق أفكار المسؤولين، تتضمن التوحيد الفعلي للجهود الحربية بين الجيشين الشقيقين عن طريق مجلس حربي وهيئة عمليات مشتركة.
- ٢ - رفع درجة التمثيل السياسي بين البلدين إلى درجة سفارة.
- ٣ - إلغاء إجراءات السفر بين البلدين بالجوازات، والاكتفاء بالوثائق التي تثبت الشخصية.
- ٤ - حل قضية الترانزيت، ولا سيما تسهيل نقل الفوسفات على ضوء المصلحة القومية العامة دون النظر للأمور المادية.
- ٥ - البحث في أمر تنفيذ قرار مجلس جامعة الدول العربية بشأن مساهمة سوريا بمشروع البوتاس، والتوقيع على عقده التأسيسي.
- ٦ - إقرار مبدأ الوحدة الاقتصادية والوحدة الجمركية بين البلدين برفع الحواجز الجمركية بينهما، والاتفاق على دراسة هذه الأمور من قبل لجنة فنية مشتركة تجتمع على الفور لوضع الأسس اللازمة لتنفيذ هذا المبدأ.
- ٧ - إعادة لجنة اليرموك المشتركة إلى العمل لمتابعة مهمتها.
- ٨ - التوسع في إفراح المجال أمام الطلبة الأردنيين للانتساب إلى مختلف كليات الجامعة السورية.

نحن الحسين بن علي بن أبي طالب من آل محمد وآل آل محمد

نقدّر بلا وصفات الحمى التي (نصف من سائر) التي رويها في
نقدّمنا روح الله استقلال من العزيمة (التي) والذين بهذا النص
البركة من قبلنا الذين لا ينزلون

صدر عن قضاة الجمار في عمارة في اليوم (الذي) من شهر ربيع
سنة (التي) في عمارة في عمارة في عمارة في عمارة في عمارة
سنة (التي) في عمارة في عمارة في عمارة في عمارة في عمارة

أبراهيم بن محمد بن أبي بكر

عن

نوح بن محمد بن أبي بكر

الوثيقة رقم ١١

نص البيان المشترك السوفياتي - السوري

«بين ٢٢ و ٢٥ حزيران ١٩٥٦، زار دمشق، بناءً على دعوة من حكومة الجمهورية السورية، وزير الشؤون الخارجية للاتحاد السوفياتي. وقد تمت خلال هذه الفترة محادثات جرت بحضور واطلاع صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية، واشترك فيها، من الجانب السوري دولة رئيس مجلس الوزراء السيد صبري العلي، ومعالي وزير الخارجية السيد صلاح الدين البيطار.

ومن الجانب السوفياتي معالي السيد د. ت. شيبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي، وسفير الاتحاد السوفياتي في سوريا السيد س. س. تمتشينا، ورئيس قسم الشرقيين الأوسط والأدنى في وزارة الخارجية السوفياتية السيد زائتسيف.

وأثناء هذه المحادثات، التي تمت في جو من الود والصداقة، جرى تبادل الآراء الوافية حول العلاقات السوفياتية - السورية، وبعض الشؤون والقضايا الدولية التي تهم سوريا والاتحاد السوفياتي، وقد أبدى الجانبان السوفياتي والسوري ارتياحهما التام لاتفاق وجهتي نظرهما في جميع المسائل التي دخلت في نطاق أبحاثهما، ويؤكدان أن إنماء العلاقات الحسنة القائمة حالياً بين سوريا والاتحاد السوفياتي من شأنه أن يؤدي إلى توطيد الصداقة الدائمة بين البلدين، وإلى المساهمة الفعالة في تدعيم الأمن والسلام العالميين، وقد عبّر الجانبان عن تمنياتهما ورغبتهما في استمرار تطور ونمو التعاون الاقتصادي، ووجدا أن من المرغوب فيه عقد اتفاق للتعاون الثقافي بين سوريا والاتحاد السوفياتي.

وخلال المحادثات، أكد الجانبان أن العلاقات والصلات الودية بين الجمهورية السورية وجمهوريات الاتحاد السوفياتي تقوم على أسس ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، والمبادئ المقررة في مؤتمر باندونغ التي يتمشى عليها أكثر دول العالم في علاقاتها بعضها ببعض، ويؤكد الجانبان رغبتهما الصادقة في استقرار التعاون لصالح السلم العالمي وتعزيزه، مؤمنين أن جهودهما وجهود الدول الأخرى، المحبة والمتحمسة للسلام، ستساعد في المستقبل على تخفيف التوتر الدولي، ودعم السلم العالمي.

وقد قدّم وزير خارجية جمهوريات الاتحاد السوفياتي، المسيو د. ت. شيبيلوف إلى فخامة رئيس الجمهورية السورية دعوة من السيد ك. فوروشيلوف، رئيس ديوان مجلس السوفياتي الأعلى، لزيارة الاتحاد السوفياتي ضيفاً على مجلس السوفيات الأعلى في الوقت والموعد الذي يراه فخامته مناسباً، وقد قبل فخامة الرئيس شكري القوتلي هذه الدعوة بالشكر».

وكانت المحادثات قد انتهت بعد الاجتماع الأخير الذي عقد بين التاسعة والنصف والحادية عشرة والنصف من قبل ظهر أمس، وبحث فيه القضايا الاقتصادية. وقد ضم الجانب السوري وزير الخارجية ووزير الاقتصاد، وأمناء المال والاقتصاد والأشغال والمواصلات وحاكم المصرف المركزي. وقد عرضت خلال الاجتماع جميع تفاصيل مشروعات الإنماء السورية بما فيها مشاريع توسيع المرافئ ومستودعات الحبوب والري والمصافي، وتوسيع الاتفاق التجاري، وقد وعد الجانب السوفياتي بدرس هذه القضايا مع حكومته لبيان وجهة نظرها، وإمكانية تمويلها هذه المشاريع دون قيد أو شرط.

نص البيان المشترك السوفياتي - المصري

صدر هنا (في القاهرة) مساء اليوم البيان المصري الروسي المشترك التالي:
«بناء على دعوة حكومة جمهورية مصر، زار مسيو شيبيلوف، وزير خارجية الاتحاد السوفياتي، مصر في الفترة بين ١٦ و ٢٢ حزيران ١٩٥٦.

وقد أجريت خلال تلك الفترة محادثات في القاهرة بين الرئيس جمال عبد الناصر والمسيو شيبيلوف اشترك فيها من الجانب المصري كل من الدكتور محمود فوزي، وزير الخارجية، وقائد الجناح علي صبري، مدير مكتب الرئيس؛ ومن الجانب السوفياتي المسيو كيسيليف سفير الاتحاد السوفياتي في مصر، والمسيو فيتشيف رئيس قسم الشرقين الأدنى والأوسط في وزارة الخارجية السوفياتية.

وقد تمت محادثات شاملة في جو من الصداقة والود، حيث تبادل الجانبان الآراء حول العلاقات المصرية - السوفياتية وبعض المشاكل الدولية الهامة التي تهم كلا الجانبين.

ويبدي الرئيس جمال عبد الناصر والمسيو شيبيلوف، وزير خارجية الاتحاد السوفياتي، ارتياحهما لاتفاق وجهتي نظرهما اتفاقاً كاملاً في المسائل التي تناولها البحث أثناء هذه المباحثات.

كما يقران أن إنماء العلاقات المصرية - السوفياتية في كافة الميادين، من سياسية واقتصادية وثقافية، يتفق مع مصلحة الشعبين المصري والسوفياتي، ويساهم مساهمة فعالة في تدعيم الأمن والسلام.

وقد أكد الجانبان من جديد خلال هذه المحادثات أن العلاقات الودية تقوم بين جمهورية مصر وبين الاتحاد السوفياتي على أساس مبادئ ميثاق الأمم المتحدة والمبادئ التي أقرها مؤتمر باندونغ.

ويعرب الجانبان عن أملهما في استقرار التعاون على النحو الذي يساهم في دعم السلام العالمي، وعن إيمانهما بأن جهودهما وجهود الدول الأخرى التي تستوحي الرغبة الأكيدة في السلام، سوف تساعد على تخفيف التوتر الدولي ودعم السلام العالمي».

جمهورية مصر

رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر

السيد عبد الحفيظ كبرى القاضي ، السيد محمد القصر المحمدي

سوريا

فريقه محمد صفاء ، وحليل محمد صفاء ، فرمندا

وسم الله خفاف من الطبقة الأولى ،

والمنابسة من البهارة ليندنا بركة .

محمد القصر المحمدي البهارة في اليوم الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٠
وتمت في يوم الاثنين من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٠ .



الوثيقة رقم ١٣

رئيس مجلس الوزراء السيد صبري العسلي: دولة الرئيس، حضرات الزملاء الأكارم. أحب أن أعلم مجلسكم الكريم أن مجلس الوزراء قد اتخذ قراراً بإجماع آرائه بتفويض لجنة وزارية لإجراء التفاوض فيما بين سوريا وبين مصر الشقيقة، ولإجراء هذه المفاوضات توصلاً لاتحاد فيدرالي بيننا وبينها، وأرجو الله العلي القدير أن يوفقنا في هذه الخطوة المباركة حتى إذا تمت أمكن أن نقدم إلى مجلسكم الكريم المشروع اللازم لإقراره من قبلكم، هذا وإن ما كان يدغدغ أحاسيسنا وأفئدتنا، نرجو أن يحقق في القريب العاجل بحيث يضحى حقيقة ملموسة بالنسبة إلى هذا الاتحاد بين البلدين، وأحب أن أعلن أن هذا الاتحاد سيبقى مفتوحاً لجميع البلاد العربية المتحررة (تصفيق).

الرئيس: الكلمة للسيد رشاد برمدا.

السيد رشاد برمدا: سيدي الرئيس. إن حزب الشعب الذي وضع نصب عينيه، منذ اليوم الأول من تشكيله، أمنية غالية، وهي الوحدة العربية، إن هذا الحزب يهنئ الحكومة المحترمة وبارك لها هذه الخطوة التي أقدمت عليها، وإنه يرجو من الله العلي القدير أن يوفق الحكومة في هذه الخطوة بحيث تقيم دعائم اتحاد عربي بين جميع الدول العربية التي تؤهلها أوضاعها للانضمام إلى هذا الاتحاد، وأن توفق الحكومة في هذه الخطوة التي يؤيدها الشعب السوري.

الوثيقة رقم ١٤

نص قرار تأميم قناة السويس

باسم الأمة، يقرر رئيس الجمهورية:

مادة أولى - تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية وتنقل للدولة بجميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات، وتحل جميع اللجان العليا واللجان القائمة على إدارتها، ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكون من أسهم وحصص بقيمتها المقدرة عند صدور هذا القانون، ويتم التعويض بعد استلام الدولة لجميع مهمات الشركة.

مادة ثانية - يتولى إدارة مرفق المرور لقناة السويس هيئة مستقلة تكون لها الشخصية الاعتبارية وتلحق بوزارة التجارة، وسيصدر بتشكيلها قرار من رئيس الجمهورية.

ومع عدم الإخلال برقابة ديوان المحاسبة يكون للهيئة ميزانية مستقلة، وتبدأ في أول تموز وتنتهي في آخر حزيران كل عام، وتبدأ ميزانيتها من تاريخ العمل بهذا القانون.

مادة ٣ - تجمد أموال الشركة المؤممة من جمهورية مصر والخارج، ويحظر على البنوك والهيئات والأفراد التصرف بتلك الأموال بأي وجه من الوجه.

مادة ٤ - تحتفظ الهيئة بجميع موظفي الشركة المؤممة، ولا يجوز لأي منهم ترك عمله إلا بإذن من الهيئة المنصوص عليها في المادة الثانية.

الوثيقة رقم ١٥

نص بيان مؤتمر لندن الثلاثي

لندن ٣ - ١. ب - أصدرت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا البيان المشترك الآتي نصه:

أولاً - لقد أخذت هذه الدول علماً بالتصرف الأخير الذي أقدمت عليه مصر، سواء أكان في محاولتها التأميم أم في وضع اليد على الأرصدة، وتحمل مسؤوليات الشركة العالمية لقناة السويس. لقد تأسست هذه الشركة في مصر عام ١٨٥٦ لشق قناة السويس والانتهاء من ذلك عام ١٨٦٨. ولقد كان طابع الشركة المالية لقناة السويس طابعاً دولياً على الدوام، من حيث حملة أسهمها ومديروها وموظفيها الإداريون، ومن حيث مسؤوليتها في ضمان العمل الفعال لقناة السويس كمر دولي. ففي عام ١٨٨٨ اتفقت جميع الدول الكبرى، التي كانت مهتمة بالدرجة الأولى، بالصفة الدولية للقناة وبإبقائها حرة مفتوحة دون أي تفريق، على عقد معاهدة القسطنطينية، مما أوجد ضماناً لجميع دول العالم بأن الصفة الدولية التي تتميز بها القناة ستستمر دوماً، بصرف النظر عن انتهاء امتياز الشركة العالمية لقناة السويس.

وبما أن مصر اعترفت في شهر تشرين الأول من عام ١٩٥٤ بأن قناة السويس «هي ممر مائي له أهميته الدولية من النواحي الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية»، ثم جددت عزمها على المحافظة على معاهدة عام ١٨٨٨، لذلك ...

ثانياً - إن الدول الموقعة على هذا البلاغ لا تجادل في حق مصر في الاستمتاع وممارسة جميع الصلاحيات التي تتمتع بها دولة مستقلة وذات سيادة، بما في ذلك الحق المعترف به بوجه عام وتحت شروط معينة، بتأميم الأرصدة التي لا أثر لها في المصلحة الدولية والتي تقع تحت سلطتها السياسية، بيد أن التصرف الحالي ينطوي على ما هو أبعد من تصرف بسيط في التأميم.

إنه ينطوي على وضع يد بشكل تعسفي وإفرادي من جانب إحدى الدول على وكالة دولية لها مسؤوليتها في المحافظة على قناة السويس، وفي إدارتها بشكل يؤدي إلى تمكين جميع الدول الموقعة على، والمستفيدة من، معاهدة ١٨٨٨ من الارتياح في الاستعمال الفعلي لممر مائي، يعتمد عليه اقتصاد وأمن وتجارة قسم كبير من

العالم. إن وضع اليد هذا لهو أخطر تصرف من نوعه، لأنه تم بشكل صريح من أجل تمكين حكومة مصر من استخدام القناة لأهداف وطنية بحيث تعتمد عليها الحكومة المصرية وليس من أجل هدف دولي يركز على معاهدة عام ١٨٨٨.

وبالإضافة إلى ذلك فإنها تستنكر إقدام حكومة مصر، نتيجة لوضع يدها على القناة، على تجاهل الحقوق الإنسانية الأساسية بإجبار موظفي شركة قناة السويس على الاستمرار في العمل تحت التهديد بالسجن.

ثالثاً - إنها تعتبر أن التصرف الذي أقدمت عليه حكومة مصر، مع احترام جميع الظروف التي رافقته، يهدد حرية وأمن القناة كما ضمنتها معاهدة عام ١٨٨٨، وهذا ما يجعل من الضروري اتخاذ الخطوات التالية من أجل الضمان لجميع الأطراف الموقعة على هذه المعاهدة، ولجميع الدول التي استفادت من القناة استمرار الإفادة ذاتها.

رابعاً - إنها تعتبر أن الخطوات اللازمة التي يجب اتخاذها من أجل توفير تدابير إدارية تحت إشراف جهاز دولي يعين لضمان استمرار الأعمال في القناة، كما ضمنتها معاهدة التاسع والعشرين من تشرين الأول عام ١٨٨٨، بالإضافة إلى مصالح مصر الشرعية.

خامساً - لهذا، فإن هذه الدول تقترح، من أجل الوصول إلى هذا الهدف، عقد مؤتمر يضم الدول الموقعة على المعاهدة والدول الأخرى التي لها اهتمام كبير باستخدام القناة، والدعوات إلى هذا المؤتمر، الذي سيعقد في لندن في السادس عشر من آب عام ١٩٥٦، ستوجهها حكومة المملكة المتحدة إلى الحكومات المسماة في الملحق المربوط بهذا البلاغ.

وحكومتا فرنسا والولايات المتحدة على استعداد للاشتراك في المؤتمر.

**UN DOCUMENTAIRE SOVIETIQUE SUR LE SEJOUR
DU PRESIDENT DE LA SYRIE EN URSS**

Un nouveau documentaire en couleurs intitulé «Le président de la Syrie en URSS» est projeté sur les écrans soviétiques. Il relate le séjour de M. Choukri Kouatli en Union Soviétique. Les premières scènes sont consacrées aux contacts du président avec les soviétiques, en route vers Moscou. Des rencontres chaleureuses et cordiales ont eu lieu à Simferopol et à Kiev, capitale de l'Ukraine. Un accueil extrêmement cordial a été réservé à M. Choukri Kouatli par les moscovites qui ont salué en sa personne le représentant des peuples de l'Orient arabe qui combattent fermement pour leur liberté et leur indépendance.

Une des scènes a été filmée au Grand Théâtre à Moscou où M. Choukri Kouatli, sa suite et les dirigeants soviétiques étaient venus pour assister à une représentation du ballet «Le lac aux cygnes». L'assistance entière a ovationné le président de la Syrie. C'était au moment où la Grande-Bretagne, La France et Israël commençaient leur intervention contre l'Egypte et l'ovation à M. Choukri Kouatli a été une manifestation convaincante des sentiments d'amitié et de sympathie que les soviétiques nourrissent à l'égard des peuples des pays arabes. Le président de la Syrie a apporté une contribution appréciable à la lutte de ces peuples pour se libérer du joug du colonialisme.

On voit à l'écran les pourparlers qui ont été engagés entre le président et les dirigeants de l'Etat soviétique, les réceptions données en l'honneur de la délégation syrienne, ainsi que le départ de M. Choukri Kouatli.

Le speaker cité un proverbe arabe selon lequel il faut trouver un compagnon lorsqu'on entreprend un voyage et un voisin lorsqu'on construit une maison. Aussi c'est avec émotion qu'on entend le speaker soviétique à la fin du film: «en bâtissant et en défendant

l'édifice de leur indépendance, les peuples de tous les pays de l'Orient arabe peuvent considérer le peuple soviétique comme leur ami et compagnon de route fidèle».

«Pravda» du 3 Novembre 1956

RECEPTION A L'AMBASSADE DE LA REPUBLIQUE DE SYRIE

Jamal E. D. Farra, ambassadeur de la République de Syrie en URSS, a donné le 2 Novembre une grande réception en l'honneur de Choukri Kouatli, président de la République de Syrie en visite officielle à Moscou.

Avec le président de Syrie à la réception assistaient Madame Bahira Kouatli et sa fille Houda; Rachad Djabri, ministre de l'agriculture; Salah Ed-Din Bitar, ministre des affaires étrangères; Abdoul Hassib Raslan, ministre de la défense; Fouad Halabi, secrétaire général de la chancellerie du président; Izzat Traboulsi, chef de la banque centrale; Fouad Chaeb, directeur général de la direction d'information et de propagande; Feissal Dalati, chef de section du MAE de Syrie, et d'autres hôtes syriens.

A la réception assistaient également K. E. Vorochilov, président du présidium du soviet suprême de l'URSS, et Madame; N. A. Boulganine, L. M. Kaganovitch, A. I. Mikoïan, V. M. Molotov, M. Z. Sabourov, G. K. Joukov, D. T. Chépilov, N. M. Chvernîk; M. P. Tarassov, I. S. Koditsa, A. Sarjev, vice-présidents du présidium du soviet suprême de l'URSS; Z. N. Nouriev, membre du présidium du soviet suprême de l'URSS; A. F. Gorkine, secrétaire du présidium du soviet suprême de l'URSS; des maréchaux de l'Union Soviétique, des généraux et des amiraux, des ministres suppléants; S. S. Nemtchina, ambassadeur de l'URSS en Syrie; de hauts fonctionnaires du présidium du soviet suprême de l'URSS, du conseil des ministres de l'URSS, du ministère des affaires étrangères de l'URSS, du ministère du commerce extérieur, du ministère de la culture de l'URSS, du ministère de la défense de l'URSS, de la direction centrale pour les

relations économiques, des travailleurs de la science et de la culture, des représentants du clergé, des journalistes soviétiques et étrangers.

Parmi les hôtes, à la réception assistaient les chefs des représentations diplomatiques accrédités en URSS, des fonctionnaires des ambassades et de légations.

Les hymnes de l'URSS et de la République de Syrie ont été joués avant le commencement de la réception.

La réception s'est déroulée dans un climat amical et cordial.

الوثيقة رقم ١٧

قرار رقم (١)

بناءً على أحكام المادة ٣٠ من الدستور

وعلى أحكام المواد ٢ و ٣ من المرسوم التشريعي رقم ٤٥ تاريخ ١٩٥٦/٣/٤

١ - لقد اجتمع مجلس الدفاع الوطني، وبعد المداولة في الظروف الحاضرة قد قرر إعلان الطوارئ والتعبئة اعتباراً من ١٩٥٦/١٠/٣١ الساعة صفر وحتى إشعار آخر.

٢ - يبلغ هذا القرار من يلزم لتنفيذ أحكامه.

دمشق - ٢٦ ربيع الأول ١٣٧٦ الموافق في ١٩٥٦/١٠/٣١.

وزير الأشغال العامة والمواصلات :	مجد الدين الجابري
وزير الدولة :	محمد العايش
رئيس مجلس الوزراء :	صبري العسلي
رئيس الجمهورية بالنيابة :	ناظم القدسي
وزير الزراعة :	أحمد قنبر
وزير المعارف :	عبد الوهاب حومد
وزير الداخلية :	أحمد قنبر
وزير الصحة والإسعاف العام :	عبد الباقي نظام الدين
وزير الدفاع الوطني :	محمد العايش
وزير الاقتصاد الوطني :	خليل الكلاس
وزير الخارجية :	خليل الكلاس
وزير العدل :	مصطفى الزرقا
رئيس الأركان العامة :	توفيق نظام الدين

تداول رقم (١)

بناءً على أحكام المادة ٣٠ من الدستور

وعلى أحكام المواد ٢ و ٢٥ من الرسم التشريعي رقم ٥٠ بتاريخ ١٩٥٦/٣/٢

المطعون والمصنف

١- لقد اجتمع مجلس الدفاع الوطني وحدد الدائرة في الظروف العارضة ند تير اعلان حالة الطوارئ والمخاطر

الجمهورية انصاراً من ١٩٥٦/١٠/٣١ الساعة صفر وحتى انصار آخر

٢- يبلغ هذا القرار من يلزم تنفيذ احكامه

تسليمه لرئيسه

دقيق لـ ٢٦ ربيع الاول ١٣٧٦ الموافق في ١٩٥٦/١٠/٣١

رئيس المجلس

رئيس الجمعية بالنيابة

رئيس مجلس الوزراء

ميرزا محمد

وزير الدولة

ميرزا محمد

وزير الاشغال العامة والمواصلات

ميرزا محمد

وزير الصحة والاسكان

عبدالله بن محمد

وزير الداخلية

احمد بن محمد

وزير المعارف

عبدالله بن محمد

وزير الزمامسة

احمد بن محمد

وزير العدل

عبدالله بن محمد

وزير الخارجية

محمد بن محمد

وزير الاقتصاد الوطني

حسن بن محمد

وزير الدفاع الوطني

ميرزا محمد

رئيس الاركان العامة

محمد بن محمد

الوثيقة رقم ١٨

النص الرسمي للبيان المشترك

في العاشر والحادي عشر من ربيع الثاني ١٣٧٦ الموافق الثالث عشر والرابع عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦، اجتمع في بيروت، بناءً على دعوة فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية:

صاحب الجلالة الملك حسين، ملك المملكة الأردنية الهاشمية.

صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز، ملك المملكة العربية السعودية.

سيادة الرئيس عبد الفتاح محمد المغربي، رئيس مجلس السيادة في السودان.

صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي، رئيس جمهورية سوريا.

صاحب الجلالة الملك فيصل، ملك المملكة العراقية.

صاحب الفخامة السيد كميل شمعون، رئيس الجمهورية اللبنانية.

صاحب الدولة السيد مصطفى بن حليم، رئيس مجلس وزراء ليبيا، نيابة عن ملكها.

السيد عبد الحميد غالب، سفير مصر في بيروت، نيابة عن سيادة رئيس الجمهورية المصرية.

وصاحب السمو الملكي الأمير سيف الإسلام محمد البدر، ولي عهد المملكة المتوكلية اليمنية، نيابة عن ملكها.

وذلك لدرس الموقف الناجم عن العدوان الذي أقدمت عليه بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر وقطاع غزة، وللاتفاق على ما يجب عمله لمناصرة مصر في دفاعها المجيد عن سلامة أراضيها وسيادتها، معتبرين أن هذا العدوان على مصر هو عدوان على البلاد العربية جميعاً يقتضي توحيد السياسة والجهود، حرصاً على المصلحة العربية المشتركة.

وقد استعرض المجتمعون بارتياح التدابير التي اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في القرارات الصادرة بأغلبية ساحقة، في ٢ و ٤ و ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦، وقدرُوا مجهود الدول المحبة للسلام التي ساهمت في إصدار القرارات المذكورة،

القاضية بوقف القتال، وسحب القوات المعتدية فوراً من الأراضي المصرية والعودة إلى ما وراء خطوط الهدنة.

وقد أجمع الرأي على ما يلي:

١ - ضرورة تنفيذ قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة المذكورة أعلاه. وإذا رفضت بريطانيا وفرنسا الامتثال لقرارات الأمم المتحدة وامتنعتا عن سحب قواتهما من الأراضي المصرية فوراً وبدون قيد ولا شرط، وكذلك إذا خالفت إسرائيل قرارات الأمم المتحدة وامتنعت عن سحب قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة دون قيد ولا شرط، وإذا تسبب عن موقف أي من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل تأزم جديد من شأنه أن يؤدي إلى استئناف الأعمال العسكرية، اعتبرت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل مسؤولة بالتضامن عن استمرار الاعتداء، وحيثُ تباشر كل من الدول الممثلة في هذا المؤتمر فوراً فيما خصها، وعملاً بحق الدفاع المشروع عن النفس تطبيق أحكام المادة الحادية والأربعين من ميثاق الأمم المتحدة، واتخاذ التدابير الفعالة التي تسمح بها أقصى إمكانياتها، وفقاً لالتزاماتها بمقتضى المادة الثانية من معاهدة الدفاع المشترك العربي.

٢ - الحرص على فصل قضية قناة السويس عن الظروف التي رافقت الاعتداء على مصر، واعتبارها قضية مستقلة قائمة بذاتها، والعمل على حلها حلاً يتفق مع مقتضيات سيادة مصر وكرامتها، وذلك في نطاق الأمم المتحدة، وبمفاوضات تجري بين الفرقاء المعنيين بعيداً عن أي مظهر من مظاهر الضغط والتدخل والإكراه، وعلى أساس معاهدة ١٨٨٨، والمبادئ الستة التي أقرها مجلس الأمن في ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٥٦.

٣ - تأييد مطالب الشعب الجزائري في نضاله حتى يحقق أمانه القومية في الاستقلال والسيادة.

وإن المجتمعين يتوجهون بتهنئة الأخوة الصديقة والتقدير والإعجاب إلى سيادة رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر، وإلى القوات المصرية المسلحة وإلى شعب مصر، مكبرين وطنيتهم وتفانيهم في الدفاع عن سلامة مصر وسيادتها، وعن القومية العربية وكرامة شعوبها وعزتها.

بيروت في ١٥ - ١١ - ١٩٥٦

الملحق رقم ٣

مؤتمر اصحاب الجلالة والفضامة ملوك العرب ورؤسائهم

(بيروت في ١٢/١١/١٩٥٦)

مقترحات عامة

يمكن تقسيم المقترحات إلى قسمين:

- القسم الأول، يتناول التدابير التي يجب تطبيقها فوراً.

- القسم الثاني، يتناول التدابير الطويلة الأمد.

القسم الأول: التدابير المعجلة

١ - سحب القوات البريطانية والفرنسية من الأراضي المصرية فوراً وبدون أي قيد أو شرط، خاصة وأن طلائع القوات الدولية قد وصلت إلى مصر.

٢ - سحب القوات الإسرائيلية فوراً، وبدون أي قيد أو شرط من شبه جزيرة سيناء ومن قطاع غزة إلى ما وراء خطوط الهدنة المرسومة في عام ١٩٤٩.

٣ - فصل قضية القناة عن الظروف التي رافقت الاعتداء على مصر، واعتبارها قضية مستقلة قائمة بذاتها، والسعي إلى حلها حلاً يتفق مع مقتضيات سيادة مصر وكرامتها، في نطاق الأمم المتحدة وبمفاوضات سلمية بين الفرقاء المعنيين، شرط ألا يحيط هذه المفاوضات أي مظهر من مظاهر الإكراه، وأن تجري على أساس معاهدة ١٨٨٨ والمبادئ الستة التي أقرها مجلس الأمن في ١٣/١٠/١٩٥٦.

٤ - سحب القوات الدولية في أقرب وقت ممكن، وحالما تطلب مصر ذلك.

٥ - بحث التدابير التي يجب اتخاذها فيما إذا تمتعت إسرائيل عن سحب قواتها إلى ما وراء خطوط الهدنة.

٦ - بحث التدابير التي يجب اتخاذها فيما لو تمتعت بريطانيا وفرنسا عن سحب قواتهما فوراً، على ما ورد في الفقرة الأولى من هذه المذكرة.

٧ - بحث المساعدة التي طلبتها مصر وفقاً للمذكرة التي بلغت برقية إلى الدول العربية والدول الصديقة.

القسم الثاني: التدابير الطويلة الأمد

١ - التدابير السياسية

(أ) - توحيد أهداف السياسة الخارجية للدول العربية في جميع القضايا التي تعتبر حيوية.

(ب) - إعطاء الأولوية المطلقة للالتزامات الناجمة عن ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الضمان الجماعي، وواجب التضامن والأخوة بين الشعوب العربية، بالنسبة لأي التزام آخر تنص عليه المواثيق المعقودة بين بعض الدول العربية ودول غير عربية.

(ج) - درس المساعدات التي يجب أن تقدّم للمملكة الأردنية الهاشمية لكي تتمكن من القيام بالالتزامات المشار إليها في الفقرتين السابقتين على الوجه الأكمل، وذلك بالنسبة لوضعها الجغرافي في خط النار الأول، ولأنها تمثل عنصراً أساسياً في صد الاعتداء الإسرائيلي، والبت في أمر هذه المساعدات بصورة نهائية.

(د) - بحث القضية الفلسطينية من جميع نواحيها.

٢ - التدابير العسكرية

(أ) - تأليف هيئة موحدة لأركان الحرب، تكون مهمتها وضع التصاميم التي تهدف إلى تعزيز الجيوش العربية وزيادة قوتها وفعاليتها، ووضع الخطط التي يمكن اتباعها في ظروف الحرب أيّاً كانت الجهة التي يأتي منها العدوان.

(ب) - تكليف كل حكومة من الحكومات العربية بصورة جازمة، وبصيغة التحديد، تأليف أكبر قوة عسكرية تسمح بها إمكانياتها المالية والعسكرية، من مشاة ومدفعية وطيران وبحرية، على أن تكتمل هذه القوات في المدة التي تحددها الهيئة الموحدة لأركان الحرب.

الوثيقة رقم ١٩

قرار إلغاء الاتفاق المعقود بين حكومة الجمهورية المصرية

وبين المملكة المتحدة في ١٩ كانون الأول ١٩٥٤

قرار من رئيس الجمهورية

باسم الأمة،

رئيس الجمهورية،

بعد الاطلاع على الاتفاق المعقود بين حكومة جمهورية مصر وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال إيرلنده، الموقع عليه بالقاهرة في ١٩ كانون الأول ١٩٥٤.

وعلى قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادرة في ٢ و ٤ و ٥ و ٧ من تشرين الثاني ١٩٥٦، والمتعلقة بالاعتداء البريطاني - الفرنسي - الإسرائيلي على الأراضي المصرية، وعلى ما ارتآه مجلس الدولة، ونظراً لأن هذا الاعتداء يعتبر نقضاً للاتفاق المذكور من جانب بريطانيا، وبناء على ما عرضه وزير الخارجية.

قرر

مادة أولى: يثبت أن حكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال إيرلنده بتدبيرها الاعتداء وباعتدائها فعلاً على الأراضي المصرية مشتركة قواتها مع القوات الفرنسية والإسرائيلية وبمحااولاتها غزو منطقة قناة السويس ابتداء من يوم ٣١ تشرين الأول ١٩٥٦، قد تصرفت على أساس أن الاتفاق الذي عقده مع حكومة جمهورية مصر بالقاهرة في ١٩ كانون الأول ١٩٥٤ كأن لم يكن، ويثبت كذلك انقضاء هذا الاتفاق بالاعتداء المذكور من تاريخ حصوله.

مادة ثانية: يلغى بناء على ذلك القانون رقم ٦٣٧ لسنة ١٩٥٤ بالموافقة على الاتفاق المذكور وملحقاته والخطابات المتبادلة الملحقة به والمحضر المتفق عليه، كما يلغى قرار مجلس الوزراء في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٤ بإصدار الاتفاق المذكور وملحقاته المشار إليها.

مادة ثالثة: على الوزراء كل فيما يخصه تنفيذ هذا القرار.

أول كانون الثاني ١٩٥٧

جمال عبد الناصر حسين

الوثيقة رقم ٢٠

برنامج الرئيس أيزنهاور للشّلم مقترحات للتعاون الأميركي في الشرق الأوسط

نص الرسالة التي ألقاها الرئيس دوايت د. أيزنهاور أمام الكونغرس الأميركي بمجلسيه، في جلسته الخاصة التي عقدها يوم السبت في الخامس من كانون الثاني ١٩٥٧، حول مشروعه الخاص بالشرق الأوسط.

إلى مجلس الكونغرس في الولايات المتحدة.

اسمحوا لي أولاً أن أعبر لكم عن تقديري العميق لإعطائكم إياي، على حساب بعض الانزعاج لأنفسكم، هذه الفرصة المبكرة للتحديث إليكم في موضوع أعده ذا أهمية خطيرة لبلادنا.

ففي رسالتي الاتحادية المقبلة سأستعرض الحالة الدولية بصورة مجملة فهناك آمال عالمية يمكننا الاستبشار بها، كما توجد مسؤوليات عالمية يجب علينا تحملها كي نتأكد من ضمان الحرية، بما في ذلك حريتنا.

ولكن يوجد في الشرق الأوسط حالة خاصة أشعر أنه من الضروري عرضها أمامكم الآن.

وقبل أن نشرع في ذلك من المفيد أن نتذكر أن هدفنا الوطني في القضايا الدولية يبقى السلام، سلام عالمي مبني على العدالة، ويجب أن يشمل مثل هذا السلام جميع المناطق وجميع الشعوب في العالم، إذا كنا نريده سلاماً دائماً، فلا توجد أية دولة كبيرة أو صغيرة نرفض أن نتفاوض معها بحسن نية متبادلة، وبصبر وتصميم من أجل تأمين تفاهم أفضل بيننا. ومن هذا التفاهم يجب أن تنبثق - كما ستنبثق حتماً - الثقة والائتمان، وهما العنصران الضروريان لأي برنامج من أجل السلام، ولأي تصميم من أجل رفع عبء التسلح المالي الثقيل عن كواهلنا. وفي سبيل التوصل إلى تحقيق هذه الأهداف تعمل حكومتنا بلا كلل، يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر وسنة بعد سنة، ولكن، وحتى نحرز درجة من النجاح تتوج مجهوداتنا التي ستضمن لجميع الأمم وجوداً سلمياً، يجب علينا، في صالح السلام نفسه، أن نبقي متيقظين وأقوياء.

١ - لقد وصل الشرق الأوسط فجأة إلى فترة حاسمة من تاريخه الطويل الهام. فلعدة سنوات مضت كانت دول كثيرة من دول تلك المنطقة لا تحكم نفسها بنفسها، وكانت دول أخرى تتمتع بسلطة هامة في المنطقة، كما كانت سلامة المنطقة مبنية إلى حد بعيد على قوة تلك الدول. ولكن منذ نهاية الحرب العالمية الأولى بدأ التطور المستمر نحو الحكم الذاتي والاستقلال. وقد رُحِّبَت الولايات المتحدة بهذا التطور وشجعته، فبالدنا تؤيد، بدون تحفُّظ، السيادة والاستقلال التامين لكل دولة من دول الشرق الأوسط.

وعلى العموم، كان هذا التطور نحو الاستقلال عملية سلمية، ولكن الاضطرابات اجتاحت المنطقة تكراراً. فالتيارات المتعاكسة من عدم ثقة وخوف أدت إلى درجة عالية من عدم الاستقرار في قسم كبير من الشرق الأوسط، ومؤخراً قامت حركات عداثية اشتركت فيها دول أوروبية غربية كان لها في السابق الكثير من النفوذ في المنطقة، كما أن الهجوم الكبير نسبياً الذي قامت به إسرائيل في تشرين الأول قد أدى إلى زيادة الخلافات الأساسية بين تلك الدولة وبين جاراتها العربيات، فازداد عدم الاستقرار السابق كما استغلته الشيوعية العالمية في بعض الأحيان.

٢ - لقد سعى حكام روسيا منذ زمن طويل للسيطرة على الشرق الأوسط، وينطبق هذا القول على القياصرة انطباقه على البلاشفة، وليست أسباب ذلك بعيدة عن البصر، فهي لا تؤثر على سلامة روسيا، إذ لا يحاول أحد أن يستعمل الشرق الأوسط قاعدة للعدوان على روسيا، كما أن الولايات المتحدة لم تفكر في ذلك أبداً في أية لحظة.

ليس للاتحاد السوفياتي ولا لاية دولة أخرى في العالم، ما تخشاه من الولايات المتحدة في الشرق الأوسط طالما لا يعتمد حكامها أنفسهم إلى المبادأة بالعدوان. أقول هذا مخلصاً وبصورة قاطعة.

ورغبة روسيا نفسها في السيطرة على الشرق الأوسط ليست منبعثة من اهتمامها الاقتصادي بهذه المنطقة، فروسيا لا تستخدم قناة السويس ولا تعتمد عليها اعتماداً كبيراً. ففي سنة ١٩٥٥ لم تزد نسبة البواخر السوفياتية عن ثلاثة أرباع الواحد بالمئة من المجموع، والسوفيات ليسوا بحاجة لموارد النفط التي تعد الثروة الطبيعية الرئيسية في المنطقة، ولا يستطيعون إيجاد الأسواق لموارد النفط هذه، بل الواقع هو أن الاتحاد السوفياتي في مقدمة مصدري منتجات النفط.

إن سبب اهتمام روسيا بالشرق الأوسط ما هو إلا اهتمام سياسي عسكري. وإذا أخذنا بعين الاعتبار هدفها المعلوم لبلشفة العالم، فمن السهل أن نفهم رغبتها بالسيطرة على الشرق الأوسط. لقد كانت هذه المنطقة دائماً ملتقى طرق قارات نصف الكرة الشرقي، وعن طريق قناة السويس تستطيع شعوب آسيا وأوروبا المتاجرة مع بعضها البعض، وهو أمر لا بد منه إذا كانت هذه الدول تريد الاحتفاظ باقتصاديات مزدهرة ثابتة، فالشرق الأوسط بمثابة البوابة بين آسيا وأوروبا وأفريقيا.

وتتضمن منطقة الشرق الأوسط ثلثي رصيد كميات الزيت المعروفة في العالم، وهي تزود عدة شعوب أوروبية وآسيوية وأفريقية باحتياجاتها من النفط، وشعوب أوروبا، بصورة خاصة، تعتمد على هذا المصدر، ولهذا الاعتماد صلة بالنقل وبالإنتاج، وقد ثبتت هذه الظاهرة بوضوح منذ إغلاق قناة السويس وبعض أنابيب الزيت، وقد يمكن، إذا اقتضى الأمر، إيجاد وسائل أخرى من وسائل المواصلات، بل إنه يمكن إيجاد مصادر أخرى للقوة، ولكن ذلك يستغرق بعض الوقت.

وكل هذه القضايا تظهر بشدة أهمية الشرق الأوسط الكبرى، فإذا خسرت دول تلك المنطقة استقلالها، وإذا وقعت تحت سيطرة قوة مناهضة للحرية يكون ذلك بمثابة مأساة للمنطقة نفسها، ولعدد كبير من الدول الحرة الأخرى التي يشرف اقتصادها على الاختناق، فتتعرض أوروبا الغربية للخطر كما لو لم يكن مشروع مارشال ولا منظمة خلف الأطلسي، وتتعرض الدول الحرة في آسيا وأفريقيا أيضاً إلى خطر جدي، كما وتخسر دول الشرق الأوسط الأسواق التي يعتمد عليها اقتصادها، وسيكون لكل ذلك أسوأ التأثير، إن لم نقل تأثير الكارثة على حياة أمتنا الاقتصادية وعلى مستقبلنا السياسي.

وهناك عوامل أخرى تسمو فوق الاعتبارات المادية. فالشرق الأوسط مهبط الأديان الثلاثة الكبرى، الإسلام والمسيحية واليهودية. فمكة المكرمة والقدس الشريف ليست فقط أمكنة على الخارطة، فهما ترمزان إلى ديانتين تقولان بسمو الروح عن المادة، وبكرامة الفرد وبحقوقه التي لا يمكن لطاغية أن يحرمه منها بأي حق، ومن غير المقبول أن تقع الأمكنة المقدسة في الشرق الأوسط تحت حكم منجد الإلحاد المادي.

وتحاول الشيوعية الدولية أن تخبي أهدافها وأطماعها وراء قناع من النوايا الحسنة، وبواسطة عروض سطحية مغرية من المساعدات السياسية والاقتصادية والعسكرية. ولكن على كل دولة حرة حكيمة يحاول السوفيات إغراءها، عليها بموجب أصول الحكمة الأولية، أن تنظر إلى ما وراء القناع.

لنذكر أستونيا ولتفيا ولتوانيا، ففي سنة ١٩٣٩ دخل الاتحاد السوفياتي في مفاوضات تعاون متبادل مع هذه الدول التي كانت في ذلك الوقت دولاً حرة، وأعلن وزير الخارجية السوفياتية مخاطباً الاجتماع الخامس فوق العادة لمجلس السوفيات الأعلى، في تشرين الأول عام ١٩٣٩، أعلن رسمياً وعلى الجمهور: «إننا نقف بدقة إلى جانب المحافظة على هذه المواثيق على أساس التبادل التام. إننا نعلن أن كل الكلام غير المعقول الذي يحكى عن «سفينة» دول البلطيق ليس إلا من صالح أعدائنا المشتركين، ومن صالح جميع أعداء السوفيات الذين يشيرون المشاكل».

ومع ذلك، ففي عام ١٩٤٠ أرغمت كل من أستونيا ولاتفيا ولتوانيا على الاندماج بالاتحاد السوفياتي، واستمرت السيطرة السوفياتية على الدول التابعة من بلدان أوروبا الشرقية قائمة عنوة بالرغم من وعود رسمية بخلاف ذلك قُطعت أثناء الحرب العالمية الثانية.

وجاء موت ستالين يحمل الأمل بأن هذا الطراز من العمل سيتغير، وقرأنا العهد الذي قطعه الاتحاد السوفياتي على نفسه في معاهدة وارسو عام ١٩٥٥ بأن روسيا ستتبع، في البلدان التابعة، مبادئ الاحترام المتبادل حيال استقلالها وسيادتها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، ولكن ما لبثنا أن رأينا أخيراً كيف أخضعت هنغاريا بالقوة المسلحة، وكان من جراء المأساة الهنغارية أن هبطت درجة احترام الوعود السوفياتية والإيمان بها إلى منخفض جديد. إن الشيوعية الدولية تحتاج وتهدف إلى نجاح ملحوظ.

ولهذا، فلدينا هذه الحقائق البسيطة والتي لا تقبل الجدل:

١ - إن الشرق الأوسط، الذي كان دائماً مطمح أنظار روسيا، قد زادت أهميته لدى الشيوعية الدولية.

٢ - يستمر الحكام السوفيات في إثبات أنهم لا يتورعون عن استخدام أية وسيلة لتحقيق أغراضهم.

٣ - إن شعوب الشرق الأوسط الحرة بحاجة إلى، وغالبيتها تريد، قوة إضافية لضمان استقلالها.

٤ - إن أفكارنا تتجه بطبيعة الحال إلى الأمم المتحدة كحامية للدول الصغرى، فهي بحكم ميثاقها المسؤولة الأولى عن حفظ السلام والأمن الدوليين، وقد أعطت بلادنا الأمم المتحدة تأييدها الكامل فيما يتعلق بالقناتل في المجر ومصر، وقد

استطاعت الأمم المتحدة أن تتوصل لوقف إطلاق النار وسحب القوات المعتدية من مصر لأنها كانت تتعامل مع حكومات وشعوب تَكُنُّ احتراماً أكيداً لآراء الجنس البشري كما تنعكس في الجمعية العامة للأمم المتحدة.

ولكن في حالة هنغاريا كان الوضع مختلفاً، فقد نقض الاتحاد السوفياتي قرار مجلس الأمن الذي يطلب سحب القوات السوفياتية المسلحة من هنغاريا، وأظهر عدم مبالاة بتوصيات، حتى وباستنكار موقف الجمعية العامة لهيئة الأمم، فيامكان هيئة الأمم أن تكون دائماً أداة مساعدة، ولكن ليس بالإمكان أن تكون الحامية الكلية للحرية عندما يتعلق الأمر بمطامع الاتحاد السوفياتي.

٥ - ومن جرّاء جميع هذه الحالات، التي وضعتها أمامكم، تترتب على الولايات المتحدة مسؤولية كبرى. لقد أبدينا، بشكل لا يسمح بالشك لأحد، تفانينا في سبيل المبدأ القائل إن القوة لن تستعمل دولياً من أجل أي هدف عدواني، وإن استقلال وكرامة دول الشرق الأوسط يجب ألا يمتهنا، فقليلاً في التاريخ ما وضع تفاني دولة في سبيل المبدأ موضع الامتحان الصعب الذي وضعنا فيه في الأسابيع الأخيرة.

ويوجد في الشرق الأوسط، كما يوجد في غيره اعتراف عام بأن الولايات المتحدة لا تسعى للسيطرة اقتصادياً أو سياسياً على أي شعب آخر، والذي نريده ونحرص عليه هو جو من الحرية العالمية وليس العبودية. ومن ناحية أخرى فالكثير من دول الشرق الأوسط، إن لم تكن كلها، تشعر بالخطر الناجم عن الشيوعية العالمية، وترحب بتعاون أوثق مع الولايات المتحدة من أجل تحقيقها أهداف الأمم المتحدة الرامية إلى الاستقلال والاقتصاد السليم والنمو الروحي.

فإذا كان للشرق الأوسط أن يستمر في دوره الجغرافي الذي يرمي إلى توحيد الشرق والغرب بدلاً من إبعاده الواحد عن الآخر، وإذا كانت مرافقه الطبيعية الواسعة لتخدم شعوب الشرق لأوسط وغيرها من الشعوب، وإذا كانت حضاراته ودياناته وأماكنه المقدسة لتحفظ من أجل رفع معنويات الشعوب، لذلك يجب على الولايات المتحدة أن تبرهن بوضوح أسطع عن استعدادها لتأييد استقلال دول المنطقة المحبة للسلام.

في مثل هذه الظروف، أرى من الضروري التطلع إلى تعاون الكونغرس، إذ بهذا التعاون فقط نستطيع إعطاء التأكيد المطلوب لمنع العدوان وتعزيز الثقة والشجاعة في نفوس هؤلاء الأوفياء للحرية، وهكذا يحال دون وقوع سلسلة من الحوادث التي قد تهدد العالم الحر كله تهديداً خطيراً.

لقد صدرت تصريحات عدة عن مسؤولين في الولايات المتحدة بخصوص الشرق الأوسط. فهناك التصريح الثلاثي الصادر في ٢٥ أيار سنة ١٩٥٠ الذي ألحق بتأكيد الرئيس الصادر في ٣١ تشرين الأول سنة ١٩٥٠ الموجه إلى ملك المملكة العربية السعودية، وهنالك التصريح الصادر عن رئاسة الولايات المتحدة في ٩ نيسان سنة ١٩٥٦ بأن أميركا ستعارض، ضمن الوسائل الدستورية، أي اعتداء في المنطقة. وهنالك أيضاً تصريحنا الصادر في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٥٦ بأن تهديد سلامة أراضي أو استقلال كل من إيران والعراق وباكستان وتركيا تنظر إليه الحكومة الأميركية نظرة بالغة الخطورة.

ومع ذلك فإن ضعف الحالة الحاضرة، وازدياد خطر الشيوعية الدولية يقنعنا بأن سياسة الولايات المتحدة الأساسية يجب أن يعبر عنها الآن عمل مشترك بين الكونغرس والرئيس، وفضلاً عن ذلك فإن قرارنا المشترك يجب أن يوضح أن كلمائنا - إذا اقتضى الأمر - سيدعمها العمل أيضاً.

٦ - ليس بجديد على الرئيس والكونغرس أن يشتركا معاً في الاعتراف بأن سلامة الدول الحرة الأخرى القومية متصلة اتصالاً مباشراً بأمنا نحن.

لقد تعاوننا على إيجاد وتأييد نظام الأمن للأمم المتحدة، فدعماً لنظام الأمن المشترك للأمم المتحدة بعقد سلسلة من الاتفاقات الدفاعية؛ ولدينا اليوم معاهدات مع ٤٢ دولة أخرى ترى أن أمنها وسلامة بلادها متصلين بآمن وسلامة بلادنا، وساهمنا في اتخاذ عمل حاسم فيما يختص باليونان وتركيا وتايوان.

وهكذا، فإن الولايات المتحدة، عن طريق العمل المشترك بين الرئيس والكونغرس أو - في حالة المعاهدات - مجلس الشيوخ، قد أبدت في مناطق مهددة كثيرة، نيتها بتأييد الحكومات الحرة والمستقلة، والسلام، ضد أي تهديد خارجي، وخاصة تهديد الشيوعية الدولية، وبهذا نكون قد أسهمنا في المحافظة على السلام والأمن خلال فترة شديدة الخطورة. ومن الضروري أن توضح الولايات المتحدة الآن، بواسطة عمل مشترك بين الرئيس والكونغرس، تصميمنا على مساعدة تلك الدول التي تريد مساعدتنا في الشرق الأوسط.

وسينطوي الإجراء الذي أقترح اتخاذه على النواحي التالية:

أولاً - وقبل كل شيء، يسمح للولايات المتحدة بالتعاون مع أية دولة أو فريق من الدول في منطقة الشرق الأوسط الهامة، ومساعدة هذه الدول على تنمية قوتها الاقتصادية الموجهة للمحافظة على استقلالها القومي.

ثانياً - يأذن هذا الإجراء لرئيس الولايات المتحدة بعقد اتفاقات للمساعدة والتعاون العسكري مع أية دولة، أو مجموعة من الدول ترغب في مثل هذه المساعدة.

ثالثاً - يسمح هذا الإجراء بأن تشتمل مثل هذه المساعدة، وذلك التعاون على استخدام قوات الولايات المتحدة المسلحة لضمان سلامة أراضي الدول التي تطلب مثل هذه المساعدة، وحماية استقلالها السياسي ضد أي عدوان مسلح من قبل أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية.

ويجب أن تتفق هذه الإجراءات مع التزامات المعاهدات التي ترتبط بها الولايات المتحدة، بما في ذلك ميثاق هيئة الأمم المتحدة وأي عمل، أو توصيات تقوم أو توصي بها هيئة الأمم. وتكون كذلك، في حال وقوع هجوم مسلح، عرضة للسلطة العليا التي يتمتع بها مجلس الأمن بموجب ميثاق هيئة الأمم.

وابعاً - يخوّل هذا الاقتراح الرئيس سلطة استعمال المبالغ، الموجودة بموجب قانون الأمن المتبادل المعدل الذي صدر عام ١٩٥٤، من أجل الأهداف العسكرية الدفاعية، والأهداف الاقتصادية، بقطع النظر عن العوائق الحالية.

فالتشريع المطلوب الآن يجب ألا يشتمل على السماح بفتح اعتمادات جديدة، لأنني أعتقد بأنه نظراً للأوضاع الراهنة التي أشرت إليها، فإن الاعتمادات الموجودة حالياً كافية للقسم الباقي من السنة المالية، التي تنتهي في ٣٠ حزيران، ولكنني سأحاول في تشريع مقبل الحصول على الموافقة بصرف مبلغ مئتي مليون دولار سنوياً في كل من السنتين الماليين لعامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩، ليستعمل حسب ما تقتضيه الحاجة في المنطقة، بالإضافة إلى برامج الأمن المتبادل الأخرى في المنطقة التي سيوافق عليها الكونغرس فيما بعد.

٧ - وهذا البرنامج سوف لا يحل جميع مشاكل الشرق الأوسط، كما وإنه لن يمثل جميع سياساتنا المتعلقة بالمنطقة. فهناك قضايا فلسطين، والعلاقات بين إسرائيل والدول العربية، ومستقبل اللاجئين العرب، وهناك أيضاً قضية الوضع المقبل لقناة السويس، وقد زادت الشيوعية العالمية هذه المشاكل صعوبة، ولكنها موجودة بقطع النظر عن ذلك الخطر. وليس المقصود من هذا التشريع الذي أقرحه معالجة هذه المشاكل مباشرة، فالأمم المتحدة تهتم بنشاط بجميع هذه القضايا، ونحن نعطي الأمم المتحدة تأييدنا. لقد أوضحت الولايات المتحدة، في الخطاب الذي ألقاه ناظر

الخارجية الأميركية السيد دالز، في ٢٦ آب سنة ١٩٥٥، بأننا مستعدون لعمل الكثير من أجل مساعدة هيئة الأمم في حل المشاكل الأساسية في فلسطين.

فالتشريع المقترح يقصد منه، أولاً، معالجة إمكانية العدوان الشيوعي المباشر، وغير المباشر. فهناك ضرورة قصوى لمداواة افتقار المنطقة إلى القوة، ليس بواسطة القوات الأجنبية، بل عن طريق زيادة حيوية وأمن دول المنطقة المستقلة.

فالتجارب تظهر أن العدوان غير المباشر قلما يكتب له النجاح حيث توجد القوة الداخلية الكافية لصد العدوان المباشر، وحيث يوجد لدى الحكومة قوات أمن موالية، وحيث الأوضاع الاقتصادية لا تجعل الشيوعية تبدو بديلاً مشوقاً. فالبرنامج الذي أقترح يعالج نواحي هذه القضية الثلاث، أي قضية العدوان غير المباشر.

إنني آمل وأعتقد أنه إذا أعلننا هدفنا، كما ورد في التشريع المقترح، فإن هذه الحقيقة بحد ذاتها ستوقف أي عدوان يجري التفكير به، ونكون قد ملأنا قلوب الوطنيين الذين نذروا أنفسهم لاستقلال بلدانهم سروراً وغبطة، وبذلك لا يشعرون بأنهم يقفون وحدهم أمام تهديد دولة عظمى. وأرى لزاماً عليّ أن أضيف بأن الشعور بالوطنية في هذه المنطقة شعور قوي جداً. وبالحقيقة، وفي بعض الأحيان، يحول الخوف الشعور الوطني الصادق إلى تعصب، ويقربه من قبول الإغراء الخارجي الذي تحيق به الأخطار، ولكن إذا أمكن إبعاد ذلك الخوف يصبح الجو أكثر ملائمة للتوصل إلى الأهداف الوطنية السامية.

وكما سبق وأشارت، من الضروري لنا أن نساهم في تقوية تلك الدول، أو مجموعات الدول، اقتصادياً، تلك الدول التي لها حكومات تسعى بصراحة وإخلاص للمحافظة على استقلالها، ولمقاومة الأعمال الهدامة، فمثل هذه الإجراءات تقدّم أعظم الضمانات ضد الغزو الشيوعي، والكلام وحده لا يكفي.

دعوني أعود مرة أخرى إلى السلطة المطلوبة لاستخدام قوات الولايات المتحدة المسلحة للمساعدة في الدفاع عن سلامة أراضي، واستقلال أية دولة من دول المنطقة السياسي ضد عدوان شيوعي مسلح، فمثل هذه السلطة لن تستعمل إلا بطلب من الدولة المعتدى عليها، وعدا عن ذلك فإن أملي العميق هو ألا نحتاج أبداً إلى استعمالها.

وليس ألزم لضمان هذا الأمر من أن تكون سياستنا الخاصة بالدفاع عن هذه المنطقة مقررّة ومعلنة فوراً وبوضوح، وبذا تكون الأمم المتحدة، وجميع الدول الصديقة، بل والدول غير الصديقة أيضاً على علم بموافقتنا.

فإذا نشأت، على عكس ما أتوقع، حالة تستدعي التطبيق العسكري للسياسة التي أطلب من الكونغرس الاشتراك معي في إعلانها، فإنني سأكون حينئذٍ على اتصال مستمر بالكونغرس إذا كان منعقدًا، ساعة بعد ساعة، وإن لم يكن الكونغرس منعقدًا، وكانت الحالة بالغة الخطورة، فإنني أبادر فوراً بدعوة الكونغرس إلى دورة استثنائية.

إن أخطر ما ينطوي عليه الوضع الراهن - كما هو الحال غالباً - أن يسيء بعض الطغاة الطموحين تقدير الموقف. فإن قَدَر الشيوعيون المتعطشون للقوة والسيطرة، سواء خطأ أو صواباً، أن وسائل الشرق الأوسط الدفاعية غير وافية، فقد يغريهم ذلك باللجوء إلى الهجوم العسكري المكشوف، الأمر الذي سيؤدي إلى سلسلة من الحوادث التي لا بد وأن تؤدي إلى اشتراك الولايات المتحدة في الأعمال العسكرية. وإنني مقتنع بأن أفضل ضمان ضد هذا استعدادنا للتعاون كلياً، وبكل ما نملك، مع أصدقائنا في الشرق الأوسط بما يتفق وأهداف الأمم المتحدة ومبادئها، وفي نيتي إرسال لجنة خاصة إلى الشرق الأوسط لتوضيح ما نحن على استعداد للتعاون مع دوله، به.

إن السياسة التي بينتها تنطوي على أعباء معينة، بل وعلى مجازفات للولايات المتحدة. أما أولئك الذين «يطمعون» بالمنطقة فلن يعجبهم الاقتراح، غير أن الأميركيين، قبل نشوء هذه الحالة، قد رأوا مصالح أمتنا الحيوية، والحرية الإنسانية، معرضة للخطر، فكان عزمهم وثباتهم متكافئين مع الأزمة، بالرغم من التشويه المعادي لكلماتنا ودوافعنا وأعمالنا.

والحق أن توضيحات الشعب الأميركي من أجل قضية الحرية كانت، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، تقاس بملايين الدولارات، والألوف من أرواح شبابنا الغالية، ويجب أن لا نتجاهل هذه التوضيحات التي حفظت لمناطق كبيرة في العالم حريتها، ونلقي بها جانباً.

ففي تلك الحقب الماضية الحاسمة تساعد الرئيس والكونغرس - بقطع النظر عن الاعتبارات الحزبية - من أجل خدمة مصالح الولايات المتحدة الحيوية، ومصالح العام الحر.

لقد جاء الوقت مرة أخرى لأن نظهر وحدتنا الوطنية في تأييد الحرية، ولنظهر احترامنا العميق لحقوق واستقلال كل دولة مهما كانت كبيرة أو مهما كانت صغيرة.

إننا لا نسعى إلى استعمال القوة بل للحصول على السلام. ومن أجل هذا الهدف وجب علينا الآن أن نكرس كل قوانا، كل تصميمنا وحتى أنفسنا.

البيان المشترك السوفياتي - الصيني

حول قضايا الشرق الأوسط في ١٨ كانون الثاني ١٩٥٧

أقام في الاتحاد السوفياتي، بين ٧ و ١١ وبين ١٧ و ١٩ كانون الثاني ١٩٥٧، الوفد الحكومي للجمهورية الشعبية الصينية، القادم في زيارة ودية بناء على دعوة من حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية برئاسة شو إن لاي، رئيس مجلس الوزراء ووزير خارجية الجمهورية الشعبية الصينية. وقد قام الوفد الحكومي للجمهورية الشعبية الصينية والشخصيات المرافقة له، خلال إقامتهم في الاتحاد السوفياتي، بزيارة موسكو وأركوتسك وأومسك وطشقند، وتعرفوا إلى العديد من المؤسسات الصناعية والكولخوزات والمدارس وسواها.

وقد جرى، خلال هذه الإقامة، تبادل في وجهات النظر بين الوفدين الحكوميين للاتحاد السوفياتي والجمهورية الشعبية الصينية بصدد قضايا هامة تتعلق بالوضع الدولي، وبصدد القضايا المتعلقة بتوطيد أواصر التعاون الودي بين البلدان الاشتراكية بصورة مطردة، وبتعزيز هذه الأواصر، والقضايا المتعلقة بتطوير التعاون الودي تطويراً مستمراً بين الاتحاد السوفياتي والجمهورية الشعبية الصينية.

وقد اشترك في المباحثات من الجانب السوفياتي ن. ا. بولغانين رئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفياتي، ون. س. خروشوف عضو ديوان رئاسة السوفيات الأعلى للاتحاد السوفياتي والأمين الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي، وا. ا. ميكويان النائب الأول لرئيس مجلس وزراء الاتحاد السوفياتي، ود. ت. شيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي، وب. ف. يودين السفير فوق العادة والمطلق الصلاحية للاتحاد السوفياتي في الجمهورية الشعبية الصينية. وحضر المحادثات من الجانب السوفياتي: فيدورنكو نائب وزير خارجية الاتحاد السوفياتي، ول. ف. إيليتشيف عضو هيئة وزارة الخارجية، وا. ف. كوديوكوف رئيس دائرة الشرق الأقصى في وزارة خارجية الاتحاد السوفياتي.

الوثيقة رقم ٢١

بيان من الحكومة السورية

١٩٥٧/١/١٠

أطلعت الحكومة السورية على بيان الرئيس الأمريكي الموجه إلى الكونغرس يوم ١٩٥٧/١/٥، وهي إذ ترحب بما ورد فيه من دعم الولايات المتحدة الأمريكية بدون تحفظ للسيادة الكاملة والاستقلال للأمم الشرق الأوسط، ترى من الواجب تبيان ما يلي:

أولاً - ترفض الحكومة السورية النظرية القائلة بأن وجود مصالح اقتصادية لدولة، أو لمجموعة من الدول في إحدى مناطق العالم، يبيح لها الحق بالتدخل في شؤون هذه المنطقة للحفاظ على تلك المصالح، إذ إن هذه النظرية تخالف بصراحة مبدأ احترام السيادة، هذا المبدأ الذي يجب اتخاذه أساساً لعلاقات الدول فيما بينها والذي قام عليه ميثاق الأمم المتحدة.

ثانياً - ترى الحكومة السورية أن نظرية الفراغ هي نظرية مصطنعة يتذرع بها الاستعمار لتبرير تدخله وسيطرته، وأن الحكومة لترفض هذه النظرية رفضاً قاطعاً، إذ لا فراغ في منطقة الشرق الأوسط بعد أن حصلت دوله على حريتها واستقلالها، كما أن الدول العربية هي وحدها صاحبة الحق الطبيعي في الدفاع عن استقلالها ووحدتها أراضيها، وفي ممارسة سيادتها الكاملة دون أي سيطرة أو نفوذ أجنبي.

ثالثاً - إن الوقائع التاريخية البعيدة والقريبة الحدود، والتي ما زالت ماثلة في أذهان العالم بأسره، تثبت بشكل قاطع أنه لا أثر لوجود خطر الشيوعية في بلادنا يهدد سلامتها واستقلالها وحريتها، بل إن الوقائع الثابتة لتؤكد أن الاضطراب في الوطن العربي واحتمال العدوان عليه ليس لهما من سبب، ولا يتأتيان إلا من الاستعمار والصهيونية، ولعل متتبع هذه الحوادث يرد مبدأها إلى تاريخ طويل حيث ينتهي إلى إنشاء إسرائيل في قلب الوطن العربي.

وقد تأيدت مطامع الاستعمار والصهيونية بشكل سافر في تضافر هذين الخطرين بالعدوان الأخير على مصر.

ومن المؤسف أن يغفل الرئيس أيزنهاور الإشارة إلى هذا الحادث الدولي الهام،

والذي وقفت منها أمريكا نفسها ورئيسها موقفاً يدعو إلى التقدير، وأن توصف الدول المعتدية بأنها حكومات وشعوب تحترم بشكل لائق آراء بني البشر.

إن الحكومة السورية إذ تشير إلى خطورة بيان الرئيس أيزنهاور لتعلن عن اعتقادها الراسخ بأن مهمة الحفاظ على الأمن، والسلام في الشرق الأوسط منوطة بأهل هذه المنطقة الذين لهم الحق بالدفاع عن أنفسهم تجاه كل خطر يهددهم أياً كان مصدره.

الوثيقة رقم ٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان من الخير أن أتمكن من زيارة سورية الشقيقة، هذه الزيارة الشخصية لمشاهدة معرضها السنوي، وزيارة فخامة رئيس جمهوريتها، وحكومتها، وشعبها الكريم الذي تربطنا به أوثق الروابط الأخوية، في وقت انتشرت فيه الإشاعات والأقاويل القاتمة، مما أوجد القلق والتحسب لدى إخواننا السوريين خاصة والعرب في مختلف أقطارهم عامة.

وإني أرغب، في هذه المناسبة، أن أصرح بدون لبس أو إبهام وبإخلاص، عرفني به إخواني السوريون خاصة والعرب عامة، من أنني أشجب كل اعتداء على سورية وعلى أي قطر عربي من أي كان، وسأقاوم مع إخواني السوريين والعرب أي اعتداء يقع عليهم وعلى استقلالهم أبداً كان مصدره، كما أنني أجمل أي عربي أن يمد يده للتجاوز على أي عربي آخر، فقوانا العربية العامة، بعون الله وتوفيقه، مشتركة للدفاع عن كيان المجموعة العربية أمام الخطر المحدق بها، ومصالحتنا مشتركة في الذود عن حريتنا واستقلال بلادنا جميعاً، وإن كل عدوان يقع على أي منا سينتقل بالتالي منه إلى العدوان على غيره، وقوتنا بالدفاع عن حياضنا لا تكفل إلا بتضامننا جميعاً.

وإني متأكد مما شعرت به، ولمسته في إقامتي القصيرة في هذا البلد الشقيق من أن سورية العربية لا يمكن بأي حال أن تشكل خطراً على أي من جيرانها، ولا يعقل أن يتجه التفكير هذا الاتجاه، فسياستها العربية مستندة إلى أحكام ميثاق الجامعة العربية، وعلاقاتها بالدول العربية مستمدة منه، ومن أحكام معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي، وسياستها حيال الدول الأخرى مستمدة من أحكام ميثاق الأمم المتحدة، وقد لمست فيها الرغبة الخالصة للتعاون مع جميع جاراتها. وفقنا الله لحفظ وطننا العربي، ورفع شأن قوميتنا، وإعزاز وضعنا، وحفظ كياننا بين الأمم.

الوثيقة رقم ٢٣

لم يكذ جلالته الملك سعود بوصول بيروت في زيارة رسمية للبنان حتى أعلن وقوف المملكة العربية السعودية موقف التأيد الكامل لسورية في معركتها القومية، واستعدادها التام لمجابهة كل تعدد يقع على سورية يداً واحدة وعزيمة متكاتفه، ولم يتردد جلالته في التأكيد في كل مناسبة بأن خطاب مندوب المملكة العربية السعودية في هيئة الأمم المتحدة السيد أحمد الشقيري، كان وفق تعليمات جلالته، وإيمانه بعدالة القضية التي تتعرض من أجلها سورية للعدس والعدوان.

وزاد على ذلك أن سفير المملكة العربية السعودية في القاهرة أعلن بأن دولته قد رفضت مبدأ أيزنهاور، تكديماً لما أشيع، من قبل، من أن جلالته الملك قد وافق عليه، كما أن وزارة الخارجية السورية تلقت عدة برقيات من سفارتنا في واشنطن تشيد بالموقف القومي الذي تتفقه المملكة العربية السعودية ودور الملك في تهدئة الحال.

وكان من أثر هذا كله أن أرسلت الحكومة السورية وفداً إلى بيروت مؤلفاً من السيد خليل الكلاس، وزير الخارجية بالوكالة، والسيد فؤاد الحلبي، الأمين العام لرئاسة الجمهورية، للترحيب بجلالة الملك سعود وشكره أجزل الشكر على موقفه القومي النبيل وتأييده المطلق لسورية، كما دعا الوفد جلالته لزيارة سورية بالشكل المناسب الذي يراه، لتتمكن سورية من إطلاع جلالته على حقيقة عواطفها التي تكنها له وجميل شكرها على ما يبديه نحوها من أخوة واهتمام.

وكان جلالته الملك ما يزال في زيارته الرسمية للبنان، وبناءً على تكرار تصريحات جلالته ومواقفه في الذود عن سورية، فقد توجه وفد آخر إلى بيروت مؤلف من السيد فؤاد الحلبي الأمين العام لرئاسة الجمهورية، والدكتور صلاح الدين الطوزي الأمين العام لوزارة الخارجية السورية، لشكر جلالته ثانية ودعوته لزيارة سورية، وكان أن صادف قبل يومين من تاريخ هذه المقابلة وصول القوات المصرية إلى ميناء اللاذقية، فحضر السفير السعودي في دمشق لمقابلة فخامة الرئيس وسأله عن موضوع وصول القوات المصرية، والسبب الذي دعا الحكومة السورية إلى إخفاء هذا النبأ عن جلالته الملك السعودي، فأبلغه فخامة الرئيس أن الموضوع لا يستدعي انشغال بال جلالته الملك، لأن حقيقة الأمر أن الجيش السوري مرتبط مع الجيش المصري بقيادة مشتركة. وكان على رئيس الأركان السوري، إثر تعيينه، أن يتعرف إلى القائد العام للقوات المشتركة اللواء عبد الحكيم عامر للتباحث معه حول القضايا

العسكرية التي تهتم الجيشين. وقد توجه رئيس الأركان إلى القاهرة وعرض على القائد العام أنباء التحشدات التركية التي بدأت ترد عن الحدود السورية، وتفاقم الخطر من جراء المناورات العسكرية التي يقوم بها الجيش التركي، فقررت القيادة المشتركة إيفاد بعثة عسكرية تتألف من رجال فنيين مدربين وخبراء متمرنين على استعمال الأسلحة التشيكية والروسية الجديدة لتدريب رجال الجيش السوري، والاستغناء - بوجود هذه الأيدي العربية - عن الاحتياج إلى استبقاء بعض الخبراء السوفييت في القطعات السورية.

وأضاف فخامة الرئيس قوله بأن سورية ترحب بأية قوة عربية تقدم سورية لنصرتها ومؤازرتها في هذه الآونة العصيبة من حياتها، فإذا كان جلالة الملك يرغب بإيفاد بعض القوات السعودية إلى سورية، فإن سورية ستكون في غاية الامتنان والتقدير في هذا الظرف الذي تتضاfer فيه القوى الاستعمارية لإخراج سورية وزجها في معركة باغية لا تريدها، فحمل السفير السعودي هذه الرسالة إلى جلالة الملك في بيروت، كما أن الوفد السوري الذي قابل جلالته حدثه عن هذه القضية وأعطاه جميع الإيضاحات اللازمة، فسرّ جلالته بهذا الإيضاح وأبدى كامل انشراحه.

وكانت هذه المواقف النبيلة التي وقفها جلالة الملك إيداناً ببدء العمل على إعادة العلاقات السورية السعودية إلى ما كانت عليه، وإيجاد أوثق التعاون بين البلدين الشقيقين في جميع الحقول السياسية والعسكرية. وكان من جملة العوامل التي دفعت إلى الاطمئنان والتفاؤل دعوة جلالة الملك عدداً من ضباط الجيش السوري للذهاب إلى الرياض، والبحث مع جلالته في شؤون عسكرية عدة، كان يراد منها إيجاد قيادة مشتركة تربط جيوش المملكة العربية السعودية ومصر وسورية بقائد واحد، وقد حدد اليوم التالي ليوم عودة جلالة الملك إلى الرياض، وهو يوم السبت، موعداً لسفر الوفد العسكري السوري لمقابلة جلالة الملك، ولكن سفر جلالته تأخر إلى يوم الأحد مما اضطر الوفد العسكري لتأجيل سفره إلى صباح الإثنين.

ففي هذا الجو الأخوي الذي كان يسيطر على العلاقات السورية السعودية، وبهذا التجاوب الذي كان يسود الطرفين، شعوباً وحكومات وجيوشاً، جاء السفير السعودي، أثناء وجود جلالة الملك في بيروت، يحمل معه مفكرة إلى فخامة رئيس الجمهورية (الوثيقة رقم ١).

فلم يكن من فخامة الرئيس إلا أن طلب إلى السفير السعودي أن يذهب إلى رئيس مجلس الوزراء ويعرض عليه المفكرة، فاطلع رئيس الوزراء وبعض أعضاء

الحكومة عليها، وطلب فخامة الرئيس أيضاً منهم أن يكتبوا إلى جلالة الملك جواباً على مفكرته هذه، وكان هذا في مساء الخميس ١٧ / ١٠ / ١٩٥٧، فقال رئيس الوزراء لفخامته إن الليلة ليلة جمعة ومن الصعب أن نجتمع الوزراء، ولعل أكثرهم يسافر خارج مدينة دمشق، ومع ذلك فقد أخذ المفكرة ليكتب جواباً لها، وفي ساعة متأخرة من الليل اتصل فخامته بالأمين العام لرئاسة الجمهورية وطلب إليه التوجه إلى دار السيد خالد العظم، حيث كان يجتمع رئيس الوزراء ووزير الدفاع بالوكالة ووزير الخارجية بالوكالة، وسلمه مسودة كتاب، وقال له: إن الحكومة ترى من الأفضل ألا ترسله بنفسها، ولكن أن يقوم فخامة الرئيس بأخذ هذا الجواب وإرسال مضمون ما جاء فيه بما يتفق مع تقديره ويكون باعثاً لرضاه وميوله (...)^(١) فيما يتعلق بالأوضاع القائمة على الحدود.

وبرغم أن فخامة الرئيس كان ما يزال معتكفاً في بيته، منذ أربعة أيام لوعكة ألمت به، فقد وعدهم بأن يرسل هذا الكتاب. وكان أن أملى فخامته بعض النقاط على الأمين العام لرئاسة الجمهورية، وطلب إليه أن يطلع رئيس الوزراء على هذه النقاط التي عدلت على الكتاب، والتي تضمنت الموضوع مع المحافظة على جوهر الكتاب. وكان السفير السعودي يتعجل السفر صباح يوم الجمعة إلى بيروت لمقابلة جلالة الملك، فحاول الأمين العام الاتصال برئيس الوزراء لإطلاعه على تلك النقاط فلم يتمكن من ذلك، فاضطر لإنهاء صيغة الكتاب وتسليمه إلى السفير السعودي، ولعلم فخامة الرئيس بالروح التي يتحلى بها الملك، وبالعقلية التي تتفق كل الاتفاق مع الرغبة في إزالة مخاوف الأتراك، كما طلب رئيس جمهوريتهم من الملك، ونفي كل كلمة يمكن أن تتخذ ذريعة فيما بعد لجمع سورية مع تركيا، أي ما يسمى في الأيام الأخيرة بالوساطة (الوثيقة رقم ٢).

وهكذا ذهب السفير إلى بيروت يحمل معه هذا الكتاب، وكان جلالة الملك قد عزم على السفر إلى الرياض يوم السبت، ولكنه أجله إلى الأحد، وبهذا تأجل سفر وفد الأركان العامة إلى الإثنين للاجتماع بالملك، وهو الاجتماع الذي كان يراد منه البحث في توحيد القيادة وتوثيق الروابط بين الجيشين السوري والسعودي، وقدم قوى سعودية إلى الحدود للاشتراك في الدفاع عن سيادة سورية.

وبعد ظهر الأحد، قدم السفير السعودي إلى دار فخامة الرئيس يبلغه تحيات الملك، وينبئه بأنه سافر صباح اليوم، ويعلمه بأن الملك اتفق مع الأتراك على أن يرسلوا إليه رسولاً لإطلاعه على وجهة نظرهم فيما يتعلق بالحالة على الحدود،

(١) يوجد نقص في الأصل بقدر يعثر كلمات.

وأضاف بأن جلالة الملك يرغب في أن ترسل الحكومة السورية - إذا أمكن - موظفاً من موظفيها في وزارة الخارجية لتحيط الملك علماً بظروف القضية وملابساتها، ووجهة نظر الحكومة السورية منها، وإن الملك يخشى أن ينفرد المندوب التركي، وهو وزير الدعاية والأنباء، بإبداء ملاحظاته وآرائه، وقد يكون فيها شيء من التضليل والمغالطة وأمور مخالفة للواقع. وبما أن وفد الأركان العسكري سيسافر صبيحة الغد إلى الرياض، فمن المناسب أن يسافر معهم مندوب وزارة الخارجية. فأجاب فخامة الرئيس بأن جلالة الملك محيط كل الإحاطة بموقف الحكومة السورية، ولذا فليس هناك من حاجة لإيفاد أي موظف كان، ومع ذلك فيإمكان السفير بحث الموضوع مع وزير الخارجية الذي سيقابله دون شك. وقد أبلغ فخامة الرئيس ما جرى بينه وبين السفير السعودي إلى وزير الخارجية بالوكالة تلفونياً، وقد علم فخامته بعد ذلك أن الوزير أبلغ السفير أنه لا يرى مانعاً من إرسال مندوب من قبل الحكومة وأنه ذاهب إلى مجلس الوزراء لعرض الأمر عليه. وبعد عرض الأمر على المجلس لم ير المجلس لزوماً لإرسال أحد، وعلى أثر ذلك أصدرت الحكومة السورية بلاغاً تنفي فيه هذه الوساطة، هذا نصه:

وفي الساعة العاشرة من مساء الأحد زار الرئيس في بيته - وكان ما يزال معتكفاً بسبب وعكته - كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية بالوكالة ووزير الأشغال العامة ورئيس الأركان، وأطلعوا فخامته على نص نبأ صدر في لندن ونشرته إحدى الصحف السورية بشكل ملحق.

وأراد رئيس الوزراء أن يستفهم عن موضوع هذه الوساطة التي قبلت بها سورية، فنفي فخامة الرئيس هذه الفكرة نفياً قاطعاً وقال إن الكتاب الذي أرسل إلى الملك، والذي هيأته الحكومة نفسها بعد أن أدخلت عليه بعض التعديلات التي تتفق مع عقلية الملك، وبعد أن، استبعدت بعض الكلمات التي قد يكون لها صدى غير مستحب عند جلالتة، وأطلعهم على الكتاب الذي تبين أن لا أثر فيه لما يسمّى بالوساطة. فقال رئيس الوزراء إن الحكومة ستنتفي في بيان رسمي موضوع الوساطة، كما جاء في النبأ الذي أذيع، فما كان من فخامته ألا أن وافق على ذلك كل الموافقة لأن الحقيقة كانت تختلف أشد الاختلاف عن الشكل الذي ظهر فيه الخبر.

وفي مساء الإثنين، أذاع راديو مكة بلاغاً يقول فيه: إن جلالة الملك قبل فكرة الوساطة التي بعث بها رئيس الجمهورية في كتابه، فاضطرت الحكومة، بعد هذا البلاغ، إلى نشر بيانها صبيحة الثلاثاء.

كما أن الحكومة إثر ذلك سطّرت كتاباً للملك، بعث به رئيس الجمهورية برقياً، وأعقبه بكتابة هذا الكتاب، وتسلمه رسول خاص في السفارة لإيصاله إلى الملك (الوثيقة رقم ٣).

وفضلاً عن ذلك فقد سعى فخامة الرئيس للاتصال تلفونياً بالملك مساء يوم الخميس ٢٤/١٠/١٩٥٧ فلم تيسر له أسباب الاتصال، وأجل ذلك إلى صباح اليوم التالي بعد أن أبرق إليه برقية (وثيقة رقم ٤).

وفي صباح الجمعة، اتصل فخامته بالملك وجرى بينهما حديث مقطوع، بالنظر لتشوش الخط الهاتفي، قال فيه الملك: إنه أرسل كتاباً يرجو أن يكون فيه الخير إن شاء الله، وفيه يوضح كل شيء لفخامته، وأعقب فخامة الرئيس هذه المكالمة ببرقية إلى جلالة الملك (الوثيقة رقم ٥).

وفي الساعة الثامنة من مساء الجمعة ٢٥/١٠/١٩٥٧، جاء السفير السعودي وسلّم فخامة الرئيس كتاب الملك، وكان عند فخامته آنذاك رئيس الوزراء السيد صبري العسلي ففُض الكتاب بحضورهما (الوثيقة رقم ٦).

وعلى أثر استلام الكتاب، وبالرغم لما فيه من صراحة ووضوح، فقد أبرق فخامة الرئيس إلى الملك ببرقية أخرى رغبة منه في زحزحة الملك عن موقفه في قضية الوساطة، وهذا نصها:

ظهر هذا اليوم، بعثت لجلالتكم برقية مستعجلة أوضحت فيها ما نحن فيه من شدة في هيئة الأمم المتحدة، وإن عدم سحب الوساطة أو إلغائها فيه ضرر بالغ لسورية ولل قضية العربية جمعاء، وناشدتكم (....)^(١) أن تعيدوا النظر في الموقف، وتعملوا على ما يزيل الغمّة عن ما يراد بسورية من سوء، وأن تعلنوا الآن بما أن سورية أعلنت ضرورة عدم استمرارها وتمسكنا بالوساطة فإننا نعلن إلغائها، ونزيد بالتالي إرسال لجنة تحقيق دولية تشرف على الحالة في الحدود السورية التركية، وفي ذلك دفع أذى وخروج من مأزق، وإننا نناشدكم بأعز ما عندكم لتأمين ذلك بأسرع ما يمكن.

نرجو من جلالتكم سرعة تظميننا ولكم الشكر.

(١) يوجد نقص في الأصل يقدر بعشر كلمات.

الوثيقة رقم ٢٤

اتفاق بصدد التعاون الاقتصادي والفني بين الجمهورية السورية واتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية

إن حكومة الجمهورية السورية وحكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية، بناءً على العلاقات الودية القائمة بين سورية والاتحاد السوفياتي. ورغبة منهما في تنمية التعاون الاقتصادي والفني بين البلدين على أساس المساواة والمنافع الاقتصادية المتبادلة، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، وعلى الاحترام التام للكرامة القومية ولسيادة كل من البلدين. ووفقاً للبلاغ السوري - السوفياتي المشترك الصادر في موسكو بتاريخ ٥ آب ١٩٥٧، فقد اتفقتا على ما يلي:

مادة ١ - إن حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية، بقصد المساهمة في الإنماء الاقتصادي السوري، وتلبية لرغبات حكومة الجمهورية السورية، مستعدة للتعاون مع الحكومة السورية في مجال إنشاء الخطوط الحديدية، ومراكز توليد الكهرباء المائية والحرارية، وأجهزة الري وشبكاته، وري المراعي لتربية المواشي، وبناء الجسور للطرق الصالحة للسيارات، ومعمل للسجاد الآزوتي، وتنظيم مختبر زراعي للبحوث العلمية، وكذلك في القيام بأعمال التنقيب الجيولوجي لاكتشاف موارد سورية الطبيعية وتقديرها، وبصورة خاصة من النفط والمعادن والمواد الأولية اللازمة للصناعة الكيماوية، وموارد الطاقة المائية.

إن قائمة المشاريع والأعمال، التي ستقدم المؤسسات السوفياتية معونتها الفنية بشأنها إلى مؤسسات الدولة السورية، مدرجة في ملحق بهذا الاتفاق يؤلف جزءاً منه لا يتجزأ.

مادة ٢ - بقصد تحقيق التعاون المنوّه عنه في المادة (١) من هذا الاتفاق، تنفذ حكومة الاتحاد السوفياتي بواسطة المؤسسات السوفياتية، الدراسات والتصاميم وأعمال التنقيب، وتسلم إلى سورية المواد التي تفتقر إليها، والتجهيزات والآلات اللازمة لتنفيذ الأعمال، وتحقيق المشاريع المعدّة في ملحق هذا الاتفاق. وتقدم الحكومة السوفياتية كذلك المعونة الفنية من قبل خبراءها لإقامة المشاريع

المذكورة أعلاه، والمشورة فيها، والمراقبة من قبل المصممين، وتركيب التجهيزات، وضبطها ووضع هذه المشاريع بحالة العمل، وذلك لتنفيذ أعمال التنقيب الجيولوجي الملحوظة في هذا الاتفاق.

وتقدم المؤسسات السوفياتية، علاوة على ذلك، إذا رغب الفريق السوري، المعونة في مجال إعداد الفنيين السوريين الذين سيعملون في المشاريع التي ستجري إقامتها بمعونة الاتحاد السوفياتي.

مادة ٣ - تقدم حكومة الاتحاد السوفياتي، عن طريق مؤسساتها، إلى الحكومة السورية الوثائق الفنية والمعلومات اللازمة لتنظيم صنع منتجات المشاريع المقامة بمعونة الاتحاد السوفياتي، بموجب هذا الاتفاق، ويكون التنازل عن هذه الوثائق والمعلومات المذكورة مجاناً، ولا يدفع الفريق السوري إلا النفقات الفعلية التي تتحملها المؤسسات السوفياتية لهيئة هذه الوثائق وتسليمها، ولا تستخدم الوثائق والمعلومات المسلمة إلا لصنع المنتجات المذكورة في أراضي الجمهورية السورية، ولا يجوز تسليمها إلى أي شخص أجنبي، طبعي أو اعتباري.

مادة ٤ - تتولى الحكومة السورية إقامة المشاريع المذكورة في المادة (١) من هذا الاتفاق، وتأخذ على عاتقها النفقات الناجمة عنها. ومن المتفق عليه في تنظيم جميع الأعمال وتقديم اليد العاملة والمواد والأدوات المحلية اللازمة يجري من قبل المؤسسات الإدارية للحكومة السورية.

وتضع الحكومة السورية تحت تصرف المؤسسات السوفياتية جميع المعلومات الأولية اللازمة لهيئة وثائق التصاميم العائدة للمشاريع الملحوظة في هذا الاتفاق.

مادة ٥ - تمنح حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية لحكومة الجمهورية السورية الاعتماد اللازم لدفع نفقات الأعمال والدراسات والتحريات، وتهيئة التصاميم التي تقوم بها المؤسسات السوفياتية، ولتقديم الاتحاد السوفياتي إلى سورية المواد والتجهيزات اللازمة للمشاريع التي ستقام بمعونة الاتحاد السوفياتي، ولنفقات سفر الخبراء السوفيات من الاتحاد السوفياتي إلى سورية ومنها إلى الاتحاد السوفياتي، هؤلاء الخبراء الذين سيوفدون لتقديم المعونة الفنية وفقاً لهذا الاتفاق، وكذلك لنفقات تدريب الاختصاصيين السوريين صناعياً وفنياً في الاتحاد السوفياتي.

يمنح الاعتماد، المنوّه به أعلاه، بالروبل (روبل واحد يعادل ١٦٨,٢٢٢ غراماً من الذهب النقي) بفائدة سنوية قدرها ٢,٥٪ مع الحق في استعماله خلال سبع سنوات.

مادة ٦ - تسدد الحكومة السورية أجزاء الاعتماد الممنوح، بموجب المادة (٥) من هذا الاتفاق والمستعملة فعلاً في كل سنة، خلال ١٢ سنة على أقساط سنوية متساوية، ابتداء من السنة التي تلي سنة استعمال كل جزء من أجزاء هذا الاعتماد. يعتبر تاريخ استعمال الاعتماد: من أجل دفع ثمن التجهيزات - تاريخ بوليصة الشحن، ومن أجل أعمال التصاميم والأعمال الأخرى - تاريخ تقديم الفاتورة المتعلقة بهذه الأعمال. تحسب فائدة كل جزء من أجزاء الاعتماد ابتداء من تاريخ استعمال هذا الجزء، وتسدد الفائدة خلال الربع الأول من السنة التي تلي سنة سريان هذه الفائدة.

مادة ٧ - تسدّد حكومة الجمهورية السورية الاعتماد وتدفع الفوائد المستحقة، إمّا بتسليم الاتحاد السوفياتي بضائع سورية، وإمّا بقطع قابل للتحويل بحرية، على أساس اتفاق يعقد بين مصرف سورية المركزي ومصرف الدولة السوفياتي.

يتفق الطرفان، قبل بدء كل سنة من سنوات تسديد الاعتماد ودفع الفوائد المستحقة بثلاثة أشهر، على قائمة البضائع التي ستسلم، في كل سنة من سني التقويم، وكميتها وأسعارها ومهل تسليمها.

إذا توجّب تسديد الاعتماد ودفع الفوائد المستحقة بقطع قابل للتحويل بحرية، فإن هذا القطع يحوّل إلى روبلات على أساس تعادل هذا القطع مع الروبل يوم الدفع.

مادة ٨ - لتسجيل استعمال الاعتماد الممنوح بموجب هذا الاتفاق وتسديده، ولتسديد الفوائد المستحقة، يفتح كل من مصرف سورية المركزي ومصرف الدولة للاتحاد السوفياتي حسابات متقابلة للا اعتمادات بالروبل، ويحددان، باتفاق مشترك بينهما، الترتيب الفني لتسوية الحسابات المنوّه بها في هذا الاتفاق وأساليب تنفيذ العمليات الحسابية المتعلقة بها.

مادة ٩ - تدفع الحكومة السورية نفقات الفريق السوفياتي اللازمة لتأمين إقامة الخبراء السوفيات، الموفدين بموجب هذا الاتفاق، وتنقلاتهم في الأراضي السورية، وذلك بقيد المبالغ المحددة في العقود بالليرة السورية في حساب خاص، يفتح من قبل مصرف سورية المركزي لدى مصرف الدولة للاتحاد السوفياتي، لصالح المؤسسات السوفياتية، ويمكن استعمال المبلغ المقيّد في هذا الحساب لتغطية النفقات الجارية للمؤسسات السوفياتية في سورية، وللغايات الأخرى.

مادة ١٠ - إن تنفيذ أعمال الدراسات والتحريات والتصاميم، وتسليم سورية

المواد والتجهيزات والآلات، وإرسال الخبراء السوفيات إلى سورية، وتقديم الخدمات الأخرى من قبل الفريق السوفياتي، المنصوص عليها في هذا الاتفاق، يجري بموجب عقود يتفق عليها بين المؤسسات السورية والسوفياتية المختصة المفوضة لهذه الغاية من حكومتها.

تحدد في هذه العقود، بصورة خاصة، الأحجام، المهل، الأسعار، الضمانات وغيرها من الشروط المفصلة المتعلقة بتنفيذ أعمال الدراسات والتحريات ووضع التصاميم، وتسليم المواد والتجهيزات والآلات وتقديم الخدمات الأخرى وفقاً لأحكام هذا الاتفاق. تحدد أسعار المواد والتجهيزات التي سيسلمها الاتحاد السوفياتي إلى سورية ضمن حدود الاعتماد على أساس مستوى أسعار السوق العالمية.

١١ - يرم هذا الاتفاق من قبل كل من الفريقين المتعاقدين بأقصى ما يمكن من السرعة وفقاً لتشريعه، ويصبح نافذاً بتاريخ تبادل واثق الإبرام الذي سيجري في موسكو.

حرر في دمشق في ٢٨ تشرين الأول سنة ١٩٥٧ على نسختين أصليتين، كل منهما باللغتين العربية والروسية للعمل بهما على السواء.

بتفويض من حكومة الجمهورية السورية

بتفويض من حكومة اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية

ملحق

بالاتفاق المتعلق بالتعاون الاقتصادي والفني بين الجمهورية السورية واتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية، والموقع في تشرين الأول ١٩٥٧

قائمة

بالمشاريع والأعمال التي ستقدم المؤسسات السوفياتية من أجلها المعونة الفنية لمؤسسات الدولة السورية.

١ - إعداد مخطط الاستفادة من نهر الفرات لتوليد الطاقة الكهربائية وتنظيم الملاحة وري الأراضي، مع القيام بالأعمال اللازمة من دراسة وبحوث، بما في ذلك إعداد الخرائط الطبوغرافية.

٢ - السد ومركز مائي لتوليد الكهرباء على الفرات، واستطاعة الحصّة الأولى منه ١٠٠ ألف كيلووات تقريباً، وخط نقل الطاقة الكهربائية حتى حلب

- أعمال الدراسة والبحوث.

- إعداد التصميم.

- تقديم المواد والتجهيزات.

٣ - مركز مائي لتوليد الكهرباء في حوض نهر اليرموك باستطاعة تقارب ٣ آلاف كيلووات

- أعمال الدراسة والبحوث.

- إعداد التصميم.

- تقديم المواد والتجهيزات الفنية.

٤ - مركز مائي لتوليد الكهرباء في منطقة بحيرة حمص، باستطاعة تقارب ٣ آلاف كيلووات:

- أعمال الدراسة والبحوث.

- إعداد التصميم.

- تقديم المواد والتجهيزات الفنية.

٥ - سدود ومراكز مائية لتوليد الكهرباء على نهر العاصي.

- إعداد مصوّرات التنفيذ على أساس التصميم الفنية الموجودة حالياً لمركزي الكهرباء المائتين في الرستن ومحرّدة.

- تقديم التجهيزات الفنية وتجهيزات الإنشاء والمواد لتشبيد مركزي الكهرباء المائتين «الرستن» و«محرّدة».

- تقديم تجهيزات الإنشاء والمواد لتشبيد سدود الرستن ومحرّدة والعشارنة.

٦ - إعداد مخطط الاستفادة من النهر الكبير لتوليد الكهرباء، مع القيام بأعمال البحوث اللازمة.

٧ - مركزان بخاريان لتوليد الكهرباء، استطاعة كل منهما ١٥ ألف كيلووات، في دمشق وحلب.

- أعمال التصميم والبحوث.

- تقديم المواد والتجهيزات.

٨ - إعداد مخطط الاستفادة من الثروة المائية ومن أراضي حوض نهر الخابور، مع القيام بالأعمال اللازمة للبحوث والدراسات، بما في ذلك إعداد الخرائط الطبوغرافية.

٩ - إعداد مخطط الاستفادة من الموارد المائية لنهر العاصي، مع الأخذ بعين الاعتبار للتصاميم الموجودة لمراكز توليد الكهرباء وأجهزة وشبكات الري، وكذلك تقديم تجهيزات الإنشاء لري ٧٠ ألف هكتار من الأراضي.

١٠ - الحصة الأولى من تجهيزات وشبكات الري للأنهار الآتية: الفرات والكبير وبردي، وذلك لري مساحة من الأراضي تبلغ ١٢٠ ألف هكتار تقريباً.

- أعمال البحوث والتصميم.

- تقديم تجهيزات الإنشاء ومواده.

١١ - إرواء أراضي المراعي للماشية.

- التنقيب الجيوفيزيائي عن مسالك المياه على مساحات لا تقل عن ٤٠ ألف كيلومتر مربع.

- عمليات الحفر للسير ولاستثمار الماء، مجموع الأعمال المحفورة ١٢ ألف متر.

- تقديم قساطل الإكساء، والتجهيزات الكاملة للحفر ولنضح الماء.

١٢ - خط حديدي اعتباراً من الخط الموجود حالياً (حمص - عكار) إلى الساحل السوري حتى مرفأ اللاذقية بطول تقريبي قدره ١٥٠ كم.

- أعمال الدراسة.

- إعداد التصميم.

- تقديم المواد وتجهيزات الإنشاء والتجهيزات الفنية (بما في ذلك الأدوات المتحركة للحصة الأولى).

١٣ - الجسور على الطرق الصالحة للسيارات.

- إعادة بناء جسر على الفرات بالقرب من الرقة.

- إعادة بناء جسر على الفرات بالقرب من دير الزور.

- إنشاء جسرين على الخابور بالقرب من تل حلب وشداده.

- إصلاح جسر الخابور بالقرب من صور.
- أعمال الدراسة.
- إعداد التصاميم.
- تقديم أجهزة الإنشاء ومواده.
- ١٤ - إنجاز أعمال التنقيب والتحري عن البترول.
- إعداد المصوّر الثقلي لمساحة لا تتعدى ٥٠ ألف كم^٢ بمقياس ١:٢٠٠,٠٠٠ مع تفصيل القطاعات التي يكشف التحري عن الأمل بها.
- التنقيب الاهتزازي (سيسميك) للقطاعات ذات الأمل المكتشفة، على أن لا يزيد الحجم الكلي للأعمال عن ٢٠٠٠ كيلومتر طولي (بروفيل).
- حفر عدد من الآبار في المنطقة الشمالية الشرقية من سورية، حتى ١٨ بئراً بالطريقة الدورانية للتنقيب والتحري، يتراوح عمق كل منها بين ١٥٠٠ و ٣٠٠٠ متر، في الطبقات التي أعدت مصوّراتها، على أن لا يزيد مجموع الأعماق على ٣٦ ألف متر.
- تقديم التجهيزات والآلات والمواد.
- ١٥ - إنجاز أعمال التنقيب والتحري عن فلزات الحديد والمانغنيز والكروم والأميانت:
- إعداد المصوّرات الثقليّة لمساحة لا تزيد على ٥٠٠ كم مربع بمقياس ١:٣٥,٠٠٠ مع تفاصيل القطاعات ذات الأمل المكتشفة.
- الخارطة الجيولوجية لمساحة ٣٥ كم مربع بمقياس ١:١٠,٠٠٠.
- الأعمال المنجمية وأعمال الحفر لتقدير أهمية المناجم المكتشفة.
- تقديم التجهيزات والآلات والمواد.
- ١٦ - إعداد الخارطة الجيولوجية لسورية بمقياس ١:٢٠٠,٠٠٠ وبمقياس ١:٥٠,٠٠٠ لمساحة قدرها ٣٠,٠٠٠ كم^٢.
- ١٧ - معمل للسماذ الآزوتي طاقته ٦٠ طناً من الأمونياك في اليوم (أي حوالي ٤٤,٠٠٠ طن من نترات الأمونيوم في العام).
- أعمال الدراسة والبحوث.
- إعداد التصاميم.

- تقديم التجهيزات والمواد.

١٨ - مختبر زراعي للبحوث العلمية.

- إعداد التصميم.

- تقديم التجهيزات والأجهزة.

١٩ - إعداد التصميم وتقديم التجهيزات والمواد لمستودع النفط في اللاذقية، بالاستفادة من المستودعات الموجودة والتي يبلغ سعتها ٣,٢٥,٠٠٠ م.

تقرير عن مهمة وفد الإنماء الاقتصادي

إلى موسكو

عملاً بالمرسوم رقم ٢٣٨٠ وتاريخ ١٩٥٧/٩/٤، تشكل وفد برناستي وعضوية عضوي مؤسسة الإنماء الاقتصادي: السيدين وجيه السمان وعبد الباسط الخطيب وانضم إلينا المقدم الطيار السيد نجاح حروفش موفداً من وزارة الدفاع الوطني، ومهمة هذا الوفد هي السفر إلى موسكو للتحادث مع المسؤولين في الاتحاد السوفيتي حول قضايا التعاون الاقتصادي والفني، التي نص عليها البلاغ المشترك الصادر في موسكو بتاريخ ١٦ آب ١٩٥٧.

والغاية من هذه المباحثة هي إعطاء ممثلي حكومة الاتحاد السوفيتي المعلومات الأساسية اللازمة عن المشاريع، التي أشير إليها في البلاغ المشترك، وبيان رغبات الجانب السوري بصورة واضحة حتى تتمكن الحكومة السوفيتية من القيام، على أحسن وجه، بتأليف وفدها الاقتصادي الفني طبق حاجات سورية، وللاتفاق على موعد مجيء هذا الوفد وكيفية قيامه بمهمته، وكذلك لإعطاء الجانب السوفيتي فكرة إجمالية عن كلف المشاريع التي يرغب بمساهمتها في تحقيقها من الوجهتين الفنية والمالية، وأخيراً للاشتراك مع الجانب السوفيتي في تهيئة مشروع العقد الذي سينظم هذه المساعدة الفنية والاقتصادية.

وقد جاء سفر وفدنا مستعجلاً جداً - بناء على رغبة الحكومة - بقصد وضع مقررات البلاغ المشترك موضع التنفيذ بدون إبطاء. ولم يكن قد تم تعيين الأعضاء الأولين من مؤسسة الإنماء إلا منذ ثلاثة أيام فقط، لذلك قمنا، على جناح السرعة، بجمع المعلومات الأساسية التي لا غنى عنها، عن جميع المشاريع التي يراد أن تساهم في تحقيقها حكومة الاتحاد السوفيتي، وسافرنا إلى موسكو عن طريق براغ

فوصلنا إليها مساء الأربعاء في ٢٨ آب، وفي صباح اليوم التالي (الخميس ٢٩ آب) بدأنا المفاوضات مع ممثلي الحكومة السوفيتية.

كان الجانب السوفيتي المفاوض برئاسة السيد برفوخين، رئيس لجنة العلاقات الخارجية الاقتصادية لدى مجلس الوزراء، يؤازره نائباه السيدان: نيكيتين وماليتين وعدد هام من كبار الخبراء الفنيين، بينهم وزير الجيولوجيا وحماية الثروات الطبيعية السيد أنتروبوف، ونائب وزير الزراعة السيد راسولوف، وكذلك خبراء ماليون وإداريون.

وقد اشترك معنا في جميع المحادثات - بناءً على طلبي - سفير سورية المفوض لدى حكومة الاتحاد السوفيتي السيد جمال الفراء، نظراً للفائدة الكبيرة التي نجنيها من اطلاعه على هذه المحادثات، لوجوده الدائم في موسكو وسهولة توصّله إلى رجال الحكم هنالك.

وبالرغم من أن رحلتنا كانت مفاجئة ومستعجلة جداً، ومن أنه لم تسمح لنا الظروف الزمنية قبل السفر بتهيئة إضبارات مستندية للمشاريع التي طرحنا أمر تحقيقها على الجانب السوفيتي، هذه الإضبارات التي يفترض حكماً بأنه لا يجوز التباحث في مشروع من المشاريع ولا التفكير بتحقيقه بدونها، فقد هيأنا فيما بيننا، وفي الأوقات التي اختلسناها أثناء السفر والطعام والراحة، الخطوط الرئيسية لكل مشروع من هذه المشاريع، وبعض التقديرات عن كلفته وعن أهميته، فكنّا طوال وقت المفاوضات على استعداد لإجابة المفاوضين السوفيتيين على الأسئلة التي ألقوها علينا، مما جعلهم يطمئنون إلى أننا مزودون بجميع المعلومات اللازمة عن مشاريعنا، وأن الأرقام التي نقدّمها لهم لها مدلولات فعلية وحقيقية. ونورد فيما يلي قائمة المشاريع التي تباحثنا فيها:

١ - الخارطة الجيولوجية.

٢ - التحديد والتحرير.

٣ - أ - التنقيب عن الثروات المعدنية.

ب - البترول والغازات.

٤ - المواصلات:

- دراسة السكك الحديدية والطرق، فيما يتعلق بشمال سورية بصورة خاصة، وسورية كلها عامة.

٥ - دراسة شاملة لمصادر القوى المائية، لتوليد الكهرباء أو الري أو الملاحة النهرية.

٦ - إنشاء مخبر مستوفي الشروط لدراسة أنواع التربة الزراعية في أنحاء سورية، والخبراء اللازمين له.

٧ - تربية المواشي وإيجاد المراعي والملاجئ اللازمة لها.

٨ - الكشف عن موارد المياه الجوفية.

٩ - إمكانية الاستفادة من منابع الطاقة الأخرى كالشمس والهواء والغاز.

١٠ - الصناعات:

- الأسمدة.

- المواد الكيماوية الرئيسية اللازمة للصناعة.

- الورق والكرتون.

١١ - تنظيم الإحصاء العام.

استمرت المفاوضات حتى ظهر الثلاثاء ٣ أيلول، وتم وضع البلاغ المشترك بعد الظهر أثناء ذهابنا إلى المطار للعودة إلى سورية.

بدأ الكلام بتوطئة عن مهمة الوفد، وانتقلنا إلى البحث بصورة عامة عن المشاريع الصناعية والزراعية السورية، وعن حاجة البلاد إلى شبكة من طرق المواصلات تكون منطقية ومنسجمة، يكمل بعضها بعضاً حتى تؤلف كلاً متناسقاً يفي بحاجات النقل التي يقتضيها تزايد المنتجات الزراعية والصناعية في الحاضر وفي المستقبل.

ثم انتقلنا إلى البحث في استثمار الموارد الطبيعية والتنقيب عن الثروة المعدنية المدفونة في الأرض، وضرورة إنجاز المصوّر الجيولوجي الكامل لسورية، وإنهاء أعمال التحديد والتحرير في مدة معقولة حتى يتسنى استصلاح الأراضي واستثمارها. وبحث بعد ذلك في الصناعات الجديدة التي يرغب في إيجادها (من زراعية وصناعية) كمعامل الأسمدة والورق وصب الحديد، واستحصال المواد الكيماوية الأساسية.

وانتهى البحث بالكلام عن الإحصاء العام، والري، وتوليد الكهرباء، وإنشاء المطارات، واستثمار الغاز الطبيعي.

وبينا للجانب السوفيتي أننا نرغب في إنجاز القسم الهام من هذه الأعمال خلال

خمسـة أعوام، تتلوهـا خمسـة أعوام أخرى لإنجاز ما يتبقى منها، وقدرنا، بصورة تقريبية، كلفة مشروع السنوات الخمس الأول بـ ٣٠٠ مليون دولار.

واستعرضنا بعدها هذه المشاريع بشيء من التفصيل، كل مشروع مع الخبراء المختصين به، وبسبب حضور وزير الجيولوجيا بدأنا بمناقشة قضية المصوّر الجيولوجي الكامل للقطر السوري، والبحث في عدد الورشات التي سيقوم بعضها بإعداده، بينما يقوم الآخرون بالدراسات الجيوفيزيائية والبترولية والتنقيب عن المعادن، وأتفق على أن يكون عدد خبراء الجيولوجيا والأراضي في البعثة الفنية الأولى المسافرة إلى سورية ثلاثة، واتفق على أن يتم إنجاز الأعمال الطبوغرافية في خلال مدة إنجاز الأعمال المتقدمة الذكر.

ثم انتقلنا إلى البحث في مشاريع الري وتوليد الكهرباء، بحضور وكيل وزير الزراعة، فقدّمنا مشروع الغاب بأجزائه، ثم مشاريع سدود الفرات والخابور، ثم النهر الكبير واليرموك، وبّينا لهم بصورة خاصة مساحات الأراضي التي يُنتظر إرواؤها بفضل هذه المشاريع، وأن إنجازها ينبغي أن يحصل وفق برنامج وترتيب منطقي.

ثم تكلمنا عن محطات توليد الكهرباء المائية والبخارية، وتقدير استطاعاتها وإنتاجها السنوي.

وتم الاتفاق على أن يكون بين الخبراء السوفييت ثلاثة لهذا القسم: واحد للري، وواحد لتوليد الكهرباء، والثالث للاستفادة من الأراضي.

وبحث بعد ذلك بالمواصلات الأرضية والنهرية والجوية، فدرست خريطة سورية بطرقها الحالية وسككها الحديدية ومناطق الإنتاج فيها، وجرى الكلام عن ضرورة القيام بدراسة شاملة لشبكة من المواصلات تحقّق على مراحل وتكون مكّمة لبعضها بعضاً.

واتفق على أن يكون في عداد الخبراء السوفييت الاختصاصي الكبير بالجسور لديم السيد كرياتسوف، ليدرس الجسور التي ستقام على الفرات والخابور، وستشمل هذه الدراسة إصلاح جسر الرقة الحالي.

وتكلمنا عن المطار الدولي المراد إنشاؤه، وعن ضرورة تجهيزه بأحدث الأجهزة التي تستعمل الآن وفي الأعوام المقبلة، في أحدث المطارات ليكون قادراً على استقبال الطائرات من أي نوع كانت.

ثم بحثنا في تشييد مستودعات الحبوب في مراكز الإنتاج، ومسألة إيجاد المراعي

لتربية المواشي في المناطق نصف الصحراوية، وعمل الملاحي وتخزين الكلال لها،
لنستطيع سورية أن تحصل على كفايتها من المواشي.

وبينا بأن المياه السطحية في بلادنا غير كافية لإرواء جميع الأراضي الزراعية التي
لدينا، ولذلك فلا بد من التعويض عن نقصها باستثمار المياه الجوفية، فينبغي
التحري عن هذه المياه، وحفر الآبار للاستفادة منها.

وانتقلنا بعدئذ إلى الكلام عن المعامل الكيماوية لصنع الأسمدة والمواد الكيماوية
الرئيسية، مستفيدين من المواد الأولية الموجودة عندنا أو في الأقطار المجاورة،
وإنشاء مخبر لتحليل التربة، وضرورة التوصل إلى استثمار جميع الأراضي القابلة
للزراعة في سورية.

وتكلمنا عن صناعة الورق، ورغبتنا في معرفة إمكانية صنعه من المواد الأولية
التي لدينا، وهي خشب الحور، قشر بذر القطن، التبن، القنب وغيره، وعن تشييد
معمل لصنع الحديد والفولاذ من الحديد العتيق الذي نكتفي الآن بتصديره.

وكذلك عن تنظيم مؤسسة للإحصاء العام على أحدث الأساليب.

وتكلمنا أخيراً في قضية التنقيب عن البترول، ولم نتناول بالبحث قضية الاستثمار
عن قصد، وكل ما اتفقنا عليه هو أن تعطينا دراساتهم فكرة صحيحة عن وجود
البترول وأمكانته، لكي تتمكن الحكومة السورية من وضع خطة للاستثمار بحرية
كاملة.

بعد الانتهاء من دراسة هذه المشاريع مع الخبراء المختصين بها، انتقلنا إلى
البحث عن تأليف بعثة الخبراء السوفيت، وبينا وجهة نظرنا في اختصاصاتهم وفي
موعد سفرهم إلى سورية، فجرى الاتفاق على أن يكون عددهم حوالي اثني عشر
خبيراً يرافقهم ثلاثة أو أربعة مترجمين.

واتفقنا على أن يصل الوفد إلى دمشق بعد عودتنا إليها بمدة أسبوع (أي حوالي
الخامس عشر من أيلول) ليتسنى لنا، بعد العودة السريعة، أن نهين كل ما يلزم لإقامة
الوفد وتنقله، وحصوله على المعلومات التي يحتاج إليها.

ثم خصصت جلستان لدراسة مشروع الاتفاقية ومناقشته، فوجدنا من الضروري
أن نقوم بأنفسنا بإعداد مشروع جديد، ناقشنا بعدها مع الجانب السوفيتي، فوافق
على أغلب مواده، وبقيت بعض النقاط لتناقش في دمشق بعد أن يقوم وفد الخبراء
بدراساته في سورية، وتوضح له جميع النواحي المتعلقة بالمساعدة الفنية

والاقتصادية، هذا مع العلم بأن الملاحظات التي قدّمناها ولم يبت بها تتعلق بمبلغ المعونة الإجمالي ومواعيد التسديد، وقد وُعدنا بأن تؤخذ ملاحظتنا بعين الاعتبار لأنها لا تخالف المبادئ التي اتفق عليها.

وقبل أن نغادر وزارة التجارة الخارجية للمرة الأخيرة، قابلنا السيد برفوخين رئيس لجنة العلاقات الخارجية الاقتصادية، مودعين، فأخبرنا أن الحكومة السوفيتية قد قررت أن تعهد برئاسة وفدها الفني المسافر إلى سورية إلى السيد نيكيتين، نائبه، وهو الذي ترأس فعلاً المباحثات التي جرت معنا، وهو من أكبر خبراء الاتحاد السوفيتي في قضايا التخطيط .

نرفق مع هذا التقرير الوثائق الآتية:

- ١ - تقريراً خاصاً بشأن القرض.
- ٢ - صورة البلاغ المشترك من المحادثات الاقتصادية.
- ٣ - صورة مشروع العقد المقدم من الجانب السوفيتي.
- ٤ - صورة مشروع التعديل المقدم من الجانب السوري.

دمشق في ١٠/٩/١٩٥٧

رئيس مؤسسة الإنماء الاقتصادي

بلاغ

في الفترة الواقعة بين ٢٨ آب و ٣ أيلول ١٩٥٧، حضر إلى موسكو وفد سوري برئاسة السيد حسن جباره، رئيس مؤسسة الإنماء الاقتصادي في سورية.

وجرت خلال هذه المدة محادثات بين الوفد السوري وبين لجنة الدولة للعلاقات الاقتصادية الخارجية لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي، اشترك فيها خبراء الطرفين، ونوقشت بعض المسائل المتعلقة بالتعاون في الأمور التي أشار إليها البلاغ السوفيتي السوري، المؤرخ في ١٦ آب الماضي، وهي التعاون في إنشاء السكك الحديدية والطرق ومشاريع الري وبناء مراكز لتوليد الكهرباء وإقامة مشاريع صناعية وغيرها، وكذلك في أعمال التنقيب الجيولوجي.

اشترك في هذه المحادثات، من الجانب السوري، رئيس مؤسسة الإنماء الاقتصادي في سورية السيد حسن جباره وعضوا المؤسسة السيدان وجيه السمان وعبدالباسط الخطيب، والمقدم الطيار نجاح حروفش، وسفير الجمهورية السورية

ومندوبها فوق العادة في الاتحاد السوفيتي السيد جمال الفراء، ومن الجانب السوفيتي رئيس لجنة الدولة للعلاقات الاقتصادية الخارجية لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفيتي السيد برفوخين، ونائبا رئيس لجنة الدولة السيدان نيكتين وماليتين، ووزير الجيولوجيا وحماية الثروات الطبيعية في الاتحاد السوفيتي السيد أنتروبوف، ونائب وزير الزراعة في الاتحاد السوفيتي السيد راسولوف.

واتفق الطرفان على أن يتم في سورية التنسيق النهائي للمسائل التي بحثت، وأن يوقع اتفاق نهائي للتعاون الاقتصادي والفني. ولهذه الغاية سيتوجه قريباً إلى سورية وفد اقتصادي سوفيتي يشترك فيه خبراء الاقتصاد الوطني المختصون في المواضيع المبحوثة، وقد نوقشت في خلال المحادثات قائمة هؤلاء الخبراء، وسيترأس هذا الوفد نائب رئيس لجنة الدولة للعلاقات الاقتصادية الخارجية لدى مجلس الوزراء، السيد ب. ف. نيكتين.

وقد دارت المحادثات في موسكو بروح الود والعلاقات الطيبة والتفاهم التام المتبادل من الجانبين.

الوثيقة رقم ٢٥

البيان الرسمي الصادر بتاريخ

١٩٥٧/٨/١٢

والمتضمن تفاصيل المؤامرة الأمريكية على سورية

لم يرق للاستعمار الأمريكي أن تظل سورية حرة طليقة بما حقته من خطوات موفقة في حياتها الاستقلالية، فسعت الولايات المتحدة مرات عديدة إلى قلب نظام الحكم في سورية ليحل محله حكم يستند إلى حراب الأجنبي ومساعدته، فينكل بأفراد الشعب ويكيد لهم ويمتص خيرات أراضيهم.

على أن هذه المؤامرات فشلت كلها، بفضل وعي الرأي العام السوري وبقظة الشعب الباسل، وصدرت أحكام القضاء السوري، في آخر هذه المؤامرات، على عدد من أصحاب النفوس الدنيئة الذين باعوا بلادهم إلى المستعمر، ولكن الدوائر الاستعمارية الأمريكية لم تقنع بالهزيمة، وتابعت دون توقف حملتها المغرضة على سورية، وأحاطتها بجو من التشويش والتمويه، ولم تتوان عن إعلان موقفها هذا عن طريق التصريحات الرسمية والصحافة.

وكانت هذه الأوساط تهاجم باستمرار الأوضاع في سورية، مبدية عدم رضاها عنها، عاملة على الاتصال بالعملاء والمأجورين والخونة لنشر الأخبار الكاذبة، وترويج الإشاعات الملفقة التي يقصد منها الإساءة إلى سمعة سورية، وتهيئة الجو الدولي لعدوان ممكن ضدها.

وكان أن أرسلوا أمهر خبرائهم في التآمر، وهو المدعو هوارد ستون، وقد سبق لستون هذا أن حاك مؤامرة ضد سلامة السودان، ونظم مؤامرة أخرى للنيل من أمني الشعب الإيراني، وكان من وراء الانقلاب الذي قامت به الولايات المتحدة في غواتيمالا.

وقد تسلم ستون إدارة دفة التآمر، فأحيط علماً بجميع ما يحتاج إليه من معلومات عن الأوضاع في سورية، وطلب لعملاء الاستعمار بوضع خدماتهم تحت تصرفه. وقد سارعت السفارة الأمريكية فجندت لخبرها موظفيها وسياراتها ومنازل موظفيها وإمكاناتها المالية الضخمة.

وبدأ نشاط الخبير بإجراء اتصالات واسعة النطاق شملت أولاً عصابة القوميين الخوثة، ثم تجاوزتها إلى محاولات متتابعة للاحتكاك بضباط الجيش السوري.

وجرت فعلاً اتصالات كثيرة مع عدد من الضباط السوريين، كما عقدت اجتماعات متتابعة، على أن الضباط السوريين الشرفاء لم يقفوا بفتح المستعمر المتآمر، فبلغوا المراجع المختصة عن تفاصيل المؤامرة، وتابعوا اتصالاتهم بالمتآمرين ليكشفوا عما خفي من الأمر.

وتأكد لهم أن من أهداف المؤامرة تبديل الأوضاع في سورية، ومتابعة المؤامرات الواحدة تلو الأخرى، إلى أن تنجح إحداها، وقد عرض المتآمرون على الضباط الشرفاء مبالغ طائلة من الأموال، سألهم هؤلاء حالاً إلى المراجع المختصة، وأعطيت التعليمات للضباط بالعمل على معرفة رؤوس العصابة وقادة المؤامرة.

وسارت الاتصالات خطوات جديدة إلى الأمام، وتظاهر الضباط بقبولهم التام للنظريات المعروضة عليهم، ومنها القبول بإسرائيل، والاعتراف بوجود الخطر الشيوعي.

وأجل الاجتماع بقيادة المؤامرة عدة مرات، وكانت الغاية من هذا التأجيل الاحتياط ضد إمكان اتخاذ إجراءات تكشف أشخاص المؤامرة.

ثم تم الاتفاق على موعد الاجتماع مع قادة المؤامرة في اجتماع عام، ولكن ذلك لم يلبث أن بطل، وتقرر أن يجري الاجتماع بالضباط منفردين، وقد سبق أحد الاجتماعات ٤٥ دقيقة زيادة في الحيلة.

وكان الأمريكيون يفسرون هذه التبدلات في المواعيد بقولهم بأن وقت زعماء الحركة ضيق جداً وثمين، وأنهم لا يستطيعون أن يضحوا بدقيقة واحدة بلا سبب.

ولم تأل السلطات العسكرية جهداً، في كل مراحل المؤامرة، لاتخاذ الاحتياطات اللازمة لاكتشاف تفاصيل ما يدور في الخفاء، وإلقاء القبض على المتآمرين في الوقت المناسب.

وقد أرفقت هذه السلطات الضباط بمدني عهدت إليه بمهمة الترجمة، وكان من المنتظر من هذا المدني أن يخبر المسؤولين بأي تبديل يطرأ على موعد ومكان الاجتماع، وتم أخيراً الاتفاق على موعد للاجتماع بزعماء المؤامرة مساء يوم الأحد الواقع في الحادي عشر من شهر آب الجاري.

وطلب من أحد الضباط الشرفاء أن يقصد مكاناً معيناً في شارع الروضة، فذهب

الضابط إلى المكان المذكور في الوقت المحدد وبرفقته المدني، فوجد سيارة من طراز فورد تحمل رقم ٧١٧٥ ويملكها أمريكي، وقد قاد السيارة ستون بنفسه، وتعمّد التجول في شوارع المدينة مدة نصف ساعة، ثم توقفت السيارة فجأة أمام منزل في شارع أبي رمانة ظهر، فيما بعد، أنه يعود لأحد موظفي السفارة الأمريكية. وقد طلب من الضابط أن يهبط من السيارة واحتجز المدني فيها، ولم يسمح له بمغادرتها إلا بعد انتهاء الاجتماع.

دخل الضابط المنزل، وهو منزل علم فيما بعد أنه يخص أحد الأمريكيين، ثم أدخل الضابط إلى غرفة منفردة، وبعد مرور دقيقة فوجئ بدخول العقيد إبراهيم الحسيني، الملقب العسكري في السفارة السورية في روما، وكان يحمل في يده قبعة من القش تحتوي على لحية وشاربين مستعارة.

وقد بادر الضابط العقيد بالتحية العسكرية، وعانقه العقيد الحسيني، وبادره بحديث خلاصته أنه اتفق مع السلطات الأمريكية المختصة على الحصول على معونة مالية لسورية تتراوح بين ٣٠٠ - ٤٠٠ مليون دولار، وذلك لقاء تصفية الأوضاع الحالية في سورية، وعقد الصلح مع إسرائيل.

وأضاف الحسيني بأن أمريكا قد وافقت على أن تهاجم سورية لبنان وتحتله، ثم ينظر في أمر الأردن ثم في أمر العراق.

وتهجّم الحسيني على الأوضاع في سورية، وعلى الأركان العامة في الجيش السوري، وأخيراً أخرج مصحفاً من جيبه، وطلب منه ألا يبوح بشيء من هذا الحديث وأن لا يفشي أي اسم من أسماء المتآمرين.

ولخص الحسيني خطته بقوله إنه يطلب من الضابط أن يتعاون مع بعض القطاعات على القيام بانقلاب عسكري، وعندما تدبر جميع الأمور، عليه أن يعلمه بإشارة رمزية ليجري تحديد التاريخ لتنفيذ المؤامرة. إن هذا الضابط ثمين في نظر العقيد ونظر الأمريكيين لما له من النفوذ الفعلي في القطعة التي ينتمي إليها.

وقبل أن يودع الحسيني الضابط أشار إلى أنه سيسعى مع الأمريكيين، الذين يتعاون معهم، لكي يدبروا اغتيال بعض الضباط، الذين يحولون دون تنفيذ رغبات الاستعمار، ولكي يعملوا على تعريفه إلى بعض المشتركين في المؤامرة، كما ألح العقيد الحسيني على الضابط بضرورة اغتيال أمر قطعته.

وبعد أن ودع العقيد الحسيني الضابط دخل شخص أميركي اسمه «جانين»

الغرفة، وطلب منه البقاء في الغرفة، وأغلق عليه الباب مدة ٦٥ دقيقة، ثم عاد إليه بعد ذلك وأبلغه أن العقيد الحسيني استقل الطائرة في طريقه إلى روما، وسمح له بعد ذلك بمغادرة المنزل.

وما كاد الضابط ينصرف حتى سارع بإبلاغ ما جرى له، فاتخذت جميع الاحتياطات الضرورية.

وفي الوقت نفسه تقريباً كان ضابط آخر على موعد في منزل معين للاجتماع مع مسؤول في المؤامرة.

وكانت كافة الاحتياطات قد اتخذت لإلقاء القبض على المتآمرين بالجرم المشهود، ولكن مكان الاجتماع بُدِّل في اللحظة الأخيرة، واقتيد الضابط إلى منزل اتضح فيما بعد أنه يعود لأحد الأمريكيين أيضاً.

وعندما دخل الضابط إحدى غرف المنزل فوجئ بوجود المتهم الفار أديب الشيشكلي جالساً وحوله ثلاث سيدات أميركيات، وقد غادرت السيدات الغرفة إثر وصول الضابط، وسارع الشيشكلي إلى معانقة الضابط، ثم قال له: لقد جئت إلى هنا مغامراً بدمي، ولن أعود إلا بعد أن أصفى الأوضاع في سورية.

ثم أضاف إلى ذلك قائلاً بأن: طابع حركتنا هو السرعة، وستكون سعيداً في حياتك المقبلة من جراء مساهمتك في هذه الحركة. ثم طلب إليه أن يحاول شراء ضماير بعض الضباط، ووعده بإغداق المال عليه، وقال: إذا نجحت في تدبير الضباط فعليك بإعلامنا لنستعد للعمل وننسقه.

أيها الشعب: هذا جزء من مؤامرة استعمارية حقيرة حيكت في الظلام ضد حريتك واستقلالك. وقد سبق أن حدث اجتماع في بيروت ضم من عناصر الفساد الشريف ناصر وأديب الشيشكلي وإبراهيم الحسيني والسفير الفرنسي والملحقين العسكريين الفرنسي والأمريكي، وقد تبادل المجتمعون بالبحث المؤامرة على سلامة سورية، وقلب الأوضاع فيها ليسلم إلى الرجعية وعناصر الاستعمار.

الوثيقة رقم ٢٦

نص البيان المشترك

لإنهاء المعاهدة البريطانية - الأردنية المعقودة عام ١٩٤٨

أصدر الوفدان المتفاوضان، الأردني والبريطاني، مساء اليوم، وبعد تسعة أيام من بدء المفاوضات، البيان المشترك التالي:

«تنفيذاً لرغبة كل من حكومة المملكة المتحدة وحكومة المملكة الأردنية الهاشمية في إنهاء معاهدة التحالف الأردنية - البريطانية بالاتفاق، والمحافظة في الوقت ذاته على علاقات سليمة ودية بين البلدين، فإن وفدي المملكة المتحدة والمملكة الأردنية الهاشمية، المفوضين بذلك من قبل حكومتيهما، قد اتفقا على ما يلي:

أولاً - تنتهي معاهدة التحالف الأردنية البريطانية بين حكومة المملكة المتحدة وحكومة المملكة الأردنية الهاشمية، الموقعة في عمان بتاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٤٨ مع ملحقاتها وجميع المذكرات والكتب المتبادلة عند توقيعها، وأية اتفاقات أخرى لاحقة متعلقة بها، ويظل مفعولها بكتب متبادلة، ويتم إنهاء المعاهدة وتبادل الكتب المشار إليها في اليوم الأول من شهر آذار سنة ١٩٥٧ إن أمكن، على أن لا يتأخر ذلك عن اليوم الأول من شهر نيسان ١٩٥٧ بأي حال من الأحوال.

ثانياً - يبدأ جلاء القوات البريطانية الموجودة في أراضي المملكة الأردنية، لأغراض معاهدة التحالف لسنة ١٩٤٨، بأسرع وقت ممكن بعد تاريخ تبادل الكتب المشار إليها، ويتم جلاء هذه القوات في فترة لا تتجاوز ستة أشهر من تاريخ إنهاء المعاهدة.

ثالثاً - يجري هذا الجلاء وفقاً للمبادئ التالية:

أ - تقدم حكومة المملكة الأردنية الهاشمية لحكومة المملكة المتحدة جميع التسهيلات والمساعدات الضرورية لجلاء القوات البريطانية.

ب - إلى أن يتم جلاء القوات البريطانية عن الأردن، تظل هذه القوات متمتعة بالحصانات التي تتمتع بها وفقاً لنص المادة الخامسة من ملحق معاهدة التحالف لسنة ١٩٤٨.

ج - تقدم حكومة المملكة الأردنية الهاشمية لحكومة المملكة المتحدة جميع التسهيلات والمساعدات الضرورية لنقل اللوازم والمهمات والممتلكات البريطانية

الأخرى، الموجودة في الأردن أو التصرف بها، بما في ذلك ما قد يكون نقل من المخازن والمنشآت البريطانية بعد تاريخ ٣٠ تشرين الأول سنة ١٩٥٦ دون موافقة المملكة المتحدة.

د - حكومة المملكة الأردنية الهاشمية:

١ - إمّا أن تسلم بنفسها أية أبنية أو منشآت وقتية أو ثابتة مما يكون قد تم إنشاؤه حسب شروط المواد (١ و ٣٢) من ملحق معاهدة التحالف بين المملكة المتحدة والمملكة الأردنية الهاشمية المؤرخة في ٢٢ آذار سنة ١٩٤٦، أو مما قد تم إنشاؤه حسب شروط المواد (أ - ج) و (أ - د) من ملحق معاهدة التحالف الموقعة في ١٥ آذار سنة ١٩٤٨، وذلك مقابل قيمة معتدلة يراعى فيها مدى الاستعمال الذي تعرضت له تلك الأبنية والمنشآت.

٢ - أو أن تقدّم ما يلزم من تسهيلات معقولة لتمكين حكومة المملكة المتحدة من التخلص من تلك المنشآت على صورة تضمن لها أفضل المصلحة.

هـ - تتخذ حكومة المملكة المتحدة الخطوات لنقل الممتلكات والأبنية والمنشآت الثابتة والمؤقتة، المشار إليها أو التصرف بها، ولإجلاء ما قد يبقى من القوات البريطانية في الأردن لأغراض ذلك النقل، والتصرف في فترة لا تتجاوز ستة أشهر من تاريخ إنهاء المعاهدة وفقاً لأحكام الفقرة ٢ - أعلاه.

رابعاً - تشكل فوراً لجان مشتركة من ممثلين عن الحكومتين لدراسة المسائل التفصيلية الناشئة عن إنهاء المعاهدة وجلاء القوات البريطانية، وتسترشد هذه اللجان بالمبادئ الواردة في الفقرة ٣ - أعلاه. وعليها أن تقدم تقاريرها إلى الوفدين المتفاوضين في اجتماع مشترك بأسرع ما يمكن على أن لا يتأخر ذلك عن اليوم العشرين من شهر شباط الجاري، ويعد الوفدان المتفاوضان، في اجتماع مشترك، مشاريع كتب متبادلة لموافقة حكومتيهما عليها آخذين بعين الاعتبار تقارير تلك اللجان.

خامساً - ليس هذا التصريح المشترك في حد ذاته هو الصيغة الشكلية لإنهاء المعاهدة.

سادساً - صدر هذا التصريح المشترك في هذا اليوم الثالث من شباط ١٩٥٧، باللغتين العربية والإنكليزية، ويكون للنصين العربي والإنكليزي عين المقام من الاعتبار.

الوثيقة رقم ٢٧

البلاغ الرسمي المشترك الذي أصدره
جلالة الملك سعود والرئيس أيزنهاور
في ختام مباحثاتهما في واشنطن بتاريخ ٩ شباط ١٩٥٧

أنهى جلالة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، عاهل المملكة العربية السعودية، والرئيس أيزنهاور سلسلة المباحثات التي أجريها أثناء زيارة جلالة الملك سعود الرسمية. وكان جلالة الملك والرئيس قد اجتمعا سابقاً في ٣٠ كانون الثاني وفي أول شباط، وقد أكملت محادثتهما أثناء الأسبوع الماضي بالمزيد من الاجتماعات الأخرى بين جلالتهم ومستشاريه، وبين ناظر الخارجية الأميركية وغيره من الموظفين الأميركيين.

وقد أتاحت هذه الاجتماعات الفرصة لإعادة تأكيد الصداقة المتينة التي تربط بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة منذ زمن بعيد. ففي جو من الود والصداقة تبادل جلالة الملك والرئيس وجهات النظر في الكيفية التي يمكن فيها للبلدين أن يعملوا سوياً لتعزيز السلام في الشرق الأوسط. وقد توصل رئيسا الدولتين إلى اتفاق تام على ما يلي:

أولاً: إن المملكة العربية السعودية، بحكم وضعها الروحي والجغرافي والاقتصادي، ذات أهمية حيوية للشرق الأوسط، وإنه لمن مصلحة السلم العالمي أن تتقوى هذه المملكة للمحافظة على استقرارها الذاتي ولضمان نمو مؤسساتها وتقدمها.

ثانياً: ستبذل الحكومتان الجهود لتسوية مشاكل الشرق الأوسط تسوية عادلة، وذلك بواسطة الطرق السلمية المشروعة ضمن نطاق ميثاق هيئة الأمم المتحدة. وإنهما تؤكدان معارضتهما الشديدة في استعمال القوة من جانب أي مصدر كوسيلة لتسوية المنازعات الدولية.

ثالثاً: إن هدف شعوب المنطقة هو المحافظة على استقلالها الناجز، والعيش بسلام، والتمتع بالحرية الاقتصادية وبالأزدهار، فأبيعدوان على استقلال هذه الدول السياسي أو على سلامة أراضيها، كما وإن أي تدخل من قبل أي مصدر في شؤون

دول المنطقة يعتبر أمراً يهدد السلام والاستقرار، ومثل هذه الأعمال يجب مقاومتها بمقتضى أهداف ومبادئ هيئة الأمم المتحدة.

رابعاً: لقد أبدى جلالته رغبته في استمرار التعاون الوثيق مع الولايات المتحدة، كما حمل معه رغبات الزعماء العرب الآخرين في تحسين علاقاتهم مع الولايات المتحدة. وقد شرح الرئيس أيزنهاور أهداف مقترحاته التي قدمها للكونغرس بخصوص الشرق الأوسط، مشيراً إلى أنها ترمي إلى إكمال مبادئ عدم الاعتداء الدولية المعبر عنها في ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وإلى ترقية استقلال الشعوب العربية وأمانها المشروعة. وقد استقبل جلالة الملك سعود هذا الإيضاح بارتياح، وأكد للرئيس أيزنهاور ترحيبه بكل خطوة ترمي إلى ترقية مبادئ هيئة الأمم المتحدة وتحترم استقلال وسيادة الدول وحق الشعوب في تقرير مصيرها.

خامساً: وفيما يتعلق بالدفاع العسكري عن المملكة العربية السعودية، بما في ذلك مطار الظهران، أكد الرئيس أيزنهاور لجلالة الملك سعود استعداد الولايات المتحدة لتقديم المساعدة من أجل تقوية قوات المملكة العربية السعودية المسلحة ضمن الإجراءات الدستورية المتبعة في الولايات المتحدة. ومن أجل تحقيق هذا الهدف يقوم ممثلون عن البلدين بوضع الخطط لتقديم العتاد العسكري، والخدمات والتدريب في سبيل الدفاع والمحافظة على أمن المملكة الداخلي. وبهذه الروح نفسها أكد جلالة الملك سعود للرئيس أيزنهاور نية جلالته أن تستمر الولايات المتحدة، لمدة خمس سنوات أخرى في استعمال التسهيلات الممنوحة لها في مطار الظهران، بموجب الشروط الواردة في الاتفاق المعقود بين البلدين في ١٨ حزيران سنة ١٩٥١، وقد وافقت الولايات المتحدة على النظر في تقديم التسهيلات الاقتصادية التي من شأنها أن تعزز الأهداف والمصالح المشتركة للبلدين.

الوثيقة رقم ٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفخامة الأخ السيد هاشم الأتاسي رئيس الجمهورية السورية
الأفخم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد، فإنه لمن دواعي السرور أن أبعث إلى
فخامتكم بهذه الرسالة لأعرب لكم عن تهاني لعودتكم إلى رئاسة الجمهورية في
سوريا الشقيقة متمنياً لفخامتكم الهناء والسعادة وللشعب السوري النبل العزة
والرفعة والفلاح، وإنه لمما يغتبط به العرب جميعاً عودة حياة الاستقرار لسورية
العريقة كي تقوم بأداء رسالتها والعمل مع سائر شقيقاتها على تحقيق الأماني القومية،
محتلة المركز الذي يليق بها وبأمجادها التاريخية.

ولقد أمرت حامل هذه الرسالة، سعادة القاضي محمد الحجري، بأن يكرر
لفخامتكم ولحكومتكم باسمي وباسم حكومتي أطيب التهاني والتمنيات، سائلين
المولى العلي القدير أن يكلاً سوريا الشقيقة بعين رعايته وعنايته ويقيها كل سوء، وأن
يأخذ بيدكم ويبد رجال حكومتكم المخلصين لما فيه خير سوريا والعروبة والإسلام
ودمت.

حرر في مدينة تعز، في ١٤ شعبان سنة ١٣٧٣ الموافق ٧ أبريل سنة ٥٤، وفي
السنة السابعة من حكمنا.

بسم الله الرحمن الرحيم



حضرة صاحب النخامة الحاج السيد هاشم الاناسي رئيس الجمهورية السورية الاحقرم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فانه لمن دواعي السرور ان ابعث اليكم هذه
الرسالة لتأمر بكم عن نهائي لعودكم الى دنائكم الجمهورية في سوريا الشقيقة متغلبين علىكم الهنا
والسادة وللشعب السوري النبل العزة والرفعة والنداء وانما لما يقتضيه العرب جميعا عود حياة
الاستقرار الى ربنا العربي كي نقوم باعادة ارسائها للعلل معك ارسايتها على تحقيق الاماني
القومية محتلة المركز الذي يليق بها وبامجادها التاريخية

ولقد اوتيت حامل هذه الرسالة سعادة القاضي محمد الحوي بان بكر لفيكم ولكم بكم باسم
حكومتكم النهائية والتمنيات سائلينكم الى العمل القدير ان يكملوا سوريا الشقيقة بعين وعنايته
وعنايته وبها كل سوء وان ياخذ بكم ربيد رجالكم الفاضلين لما فيه خير سوريا والعروب
والسلام ودمهم

حرر في مدينة حمص في ١١ شعبان ١٤١٠ الموافق ١٠ ابريل ١٩٩٠ وفي السنة ١٤١٠ من حكم

الوثيقة رقم ٢٩

المملكة المتوكلية اليمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية، حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد تسلمنا بمزيد الاغتراب رسالتكم الكريمة، من الرئيس موفق الخاني والدكتور يحيى الشَّماع وقد نرلا بين أهلها وفي بلادها.

وإنما ذكرتم برسالة فخامتكم من إنشاء خط جوي بين بلدنا الشقيقتين وما يترتب عليه من تبادل المنتجات وتوثيق عرى الصداقة هو موضع اهتمامنا، ولقصر مدة زيارة الرئيس موفق الخاني لم يتمكن من التباحث مع المسؤولين في هذا الشأن، وإن رغبتنا أكيدة في التعاون مع حكومتكم الموقرة في شتى الحقول ونأمل أن يتم ذلك بواسطة وزارتي الخارجية في دمشق ونعز قريباً إن شاء الله.

ونرجو الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الصالح العام، وأن يحقق للعرب والمسلمين ما يصبون إليه من عز وسؤدد آمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٥هـ

المملكة العربية السعودية
سراية



حصرة صاحب الغمامة السيد محمد بن عبد العزيز
رئيس الجمهورية
لسورة حفظه

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

و قد تفضلنا بمن يد الاغتباط رسالتكم الكريمة . من الرئيس موفق الخاني
والدكتور يحيى الشناخ و قد سرنا بين اهلها وفي بلادها
وانما ذكرتم برسالة في استم من انشاء خط جوي بين بلدينا الشقيقتين
وما يربط عليه من تبادل المنتجات وتوثيق عرى الصداقة هو موضع
هنا منا ولقمر مدرة اارة لرئيس موفق الخاني لم يتمكن من التباحث مع المسؤولين في هذا
المرحلة وان رغبتنا الكيرة في التعاون مع حكومتكم لم ترق في شئ الحقل وانما ان
يتم ذلك بواسطة وزارتي الخارجية في دمشق وتعرفنا ان شاء الله .
ونرجو الله ان يوفقنا جميعاً لما فيه الصالح العام وان يحقق للعرب والمسلمين
ما يصبون اليه من عز وسود آمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته محمد بن عبد
/ حماد بن عبد الله ١٣٧٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفخامة الأخ الحميم الرئيس شكري القوتلي

رئيس جمهورية سورية المفضم

سلام الله وبركاته عليكم وبعد، فيطيب لي أن أبعث إلى فخامتكم هذه الرسالة متسائلاً عن صحتكم وعن أحوالكم وشاكراً لكم هذه العواطف الودية التي تبدونها أنتم وحكومتم نحوي ونحو بلادي، فلكم شكري العظيم، حماكم الله ورعاكم: وقد كان المراجعة مع صلاح البزري من شأن إرسال بعثة للتدريب في الكلية الحربية، وسيكون ذلك إن شاء الله تعالى.

أما موضوع السيارات التي تم الاتفاق على إرسالها إلينا فسيوضح لكم صلاح البزري، فإن جلالة الأخ الملك سعود حفظه الله قد وافق على إرسال ذلك، حماكم الله ورعاكم والسلام عليكم.

حرر في ٥ من ذي القعدة الحرام سنة ١٣٧٦هـ.



حصه صاحب الخاتمة الاح المحميد الرئيس شكري القزقلي

رئيس جمهور مصر ما انخم

سلام سر وبركاتة عليكم وبعد فيطيب لي ان ابعث الي فخاستكم هذه الرسالة
مستأنلاً عن صحتكم وعن احواكم وشاكرًا لكم هذه العواطف الوردية التي تبدوها
انتم وحكمكم نحوي ونعم بلادي فلكم شكري العظيم حاكم اسر ورعاكم
ووه كان المراجعة مع صلاح البزري من شان ارسال بعثة للتدريب
في الكلية الحربية وسيكون ذلك شاء الله تعالى

احامضه السياسة التي لم الاتفاق على ارسالها الياناسيو فكم صلاح البزري
فان جلالة الاح ملك سعد حفظه الله وه وافق على ارسال ذلك حاكم اسر
ورعاكم و سلام عليكم ع ر في /ه من دي القعدة الحرم ١٣٧٦ هـ

مفوضية المملكة المتوكلية اليمنية

بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفخامة الرئيس الجليل شكري القوتلي
رئيس الجمهورية السورية الشقيقة حفظه الله
بعد تقديم أسمى التحية وفائق الإجلال والاحترام - أتشرف بأن أقدم إلى فخامتكم
الرسالة الآتية من حضرة صاحب الجلالة الإمام أحمد ملك اليمن المعظم.
قد تسلمت هذه الرسالة شفرة وكلفت بحلها الوصول بها لتقديمها إلى فخامتكم،
وحمل الجواب من فخامتكم إلى جلالة الإمام المعظم.
وتقبلوا يا صاحب الفخامة أخلص التحية ومزيد الاحترام
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

تحريراً في ٢٨ محرم سنة ١٣٧٦
أحمد محمد الشامي
القائم بأعمال مفوضية اليمن

مفوضية المحكمة الدستورية بمصر

رئيس

حضرة صاحب الفخامة الرئيس الجنيل شكروني القوي

رئيس الجمهورية العربية السورية الشقيقة حفظ الله

بمعد هديم أركى التحية فائق جلال الاحترام - أشرف بأ

افتد، الى فغامتكم الرسالة الآتية من حضرة صاحب الجلالة الامم احمد

ملك اليمن المعظم

قد تلعت هذه الرسالة شفرة وكلفت يحملها الوصول بها

لتقديمها الى فغامتكم ، وحصل الجواب من فغامتكم الى جلالة

الامام المعظم

و تقبلوا يا صاحب الفخامة أخلص التحية مزيد الاحترام

و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

احمد محمد الشامي

القائم بأعمال مفوضية اليمن

تحريراً في ٢٨ صفر سنة ١٣٧٦



مفوضية المملكة المتوكلية اليمنية

بمصر

من الإمام ملك اليمن إلى حضرة الزعيم الكبير الغيور رئيس جمهورية سوريا الشقيقة فخامة الأخ شكري القوتلي حرسه الله وعافاه وأبقاه ورعاه، وشريف السلام الأتم ورحمته وبركاته، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

وبعد، يا صاحب الفخامة ويا أيها الأخ المعظم، فإنه قد وصل إليّ الولد محمد ابن أمير المؤمنين ولي عهد اليمن، ولقد وصف لي ما لقي لديكم من حفاوة وإعزاز وإكرام ما جعلني أخجل - ويعلم الله - من الكتابة إليكم وشكر ذلك تاركاً شكركم لله وحده.

ولقد أبلغني تلکم النصائح القيّمة الثمينة، التي لا تصدر إلا من صديق عزيز وأخ كريم ووالد عظيم، ويعلم الله أنني أجد في قلبي ميلاً نحوكم لا سبب له إلا ما عرفته وتيقنته من غيرتكم العربية وحميتكم الدينية التي يعزُّ لها النظر، وإن جهادكم السابق ضد المعتدي الغاصب الأثيم فرنسا المخذولة لا ينسأه الله لكم ولا ينسأه كل أبي حر محافظ.

وإني أقدم عجالة هذا، صحبة الولد أحمد محمد الشامي نائب الوزير بالمفوضية اليمنية بالقاهرة، للاستعجال وعدم فوات الوقت، وسيشرح بهذا ما أعلقه عليكم من أمل، وأرجو من مساعدة. كما أرجو رجاء حارّاً أن لا يعود الولد أحمد الشامي إلى مصر إلا بشفرة مختومة مغلفة تكون بينكم وبين أخيك هذا إمام اليمن الملك أحمد وفقه الله.

كما أرجو اختيار رجلين كاملين تختارونهما من أهل الديانة والأمانة يجيدان الإنكليزية والفرنسية، وستكون مرتباتهما على الحكومة اليمنية بما هو لائق بهما وسرعة إرسالهما، كما أرجو أيضاً قبول ما يمكن من تلاميذ للدراسة بمعاهد سوريا الشقيقة، بحيث يكونون تحت إشراف من ترونه للإشراف عليهم للمحافظة على أخلاقهم وعلى آداب الدين.

وأستميحكم العذر عن هذا الطلب والتكليف، وبعد ورود الشفرة التي ستكون بين الأخوين سأرفع ما أراه لازماً إلى فخامتكم. لازلت في حفظ الله ورعايته بكل حال. وأستمد دعاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

تحريراً في ٢٥ محرم سنة ١٣٧٦

أيلول ١٩٥٧

مفوضية المملكة المتوكلية اليمنية

بمصر

حضرة صاحب الفخامة الرئيس الجليل شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية الشقيقة حفظه الله

بعد تقديم أسمى التحية وفائق الإجلال والاحترام - أتشرف بأن أرفع إلى فخامتكم أن جلالة مولاي الإمام المعظم كلفني بإبلاغ حكومة فخامتكم رغبة الحكومة اليمنية بإنشاء التمثيل السياسي بين البلدين الشقيقين سوريا واليمن، مع ترشيح السيد يحيى أحمد المضواحي، السكرتير الثاني لمفوضية المملكة المتوكلية اليمنية بالجمهورية المصرية ومندوبها الدائم بالجامعة العربية للقيام بذلك من جانبها.

وتقبلوا يا صاحب الفخامة أخلص التحية ومزيد الاحترام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

تحريراً في ٢٨ محرم سنة ١٣٧٦

أحمد محمد الشامي

القائم بأعمال مفوضية اليمن

مفوضية المملكة المتوكلية اليمنية بمصر

حضرة صاحب القنصلية الرئيس الجليل شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية الشقيقة حفظه الله

بعد تسليم أركس التحية وفائق الإجلال والاحترام - أتشرف

بأن أرفع إلى فئادكم أم جلالة مولاي الإمام المعظم تكافؤي بإسلام

حكومتكم ففئادكم رغبة الحكومة اليمنية بإنشاء التمثيل السياسي بين

البلدين الشقيقين سوريا واليمن - مع ترشيح السيد يحيى أحمد

المواحيي السكرتير الثاني لمفوضية السلطنة المتوكلية اليمنية بالجمهورية

العصرية ومنه وبها الدائم بالحامسة المربية للقيام بذلك من جانبها .

وتقبلوا يا صاحب القنصلية أخلص التحية ومزيد الاحترام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته -

أحمد محمد الشامي

القائم بأعمال مفوضية اليمن

تحريراً في ٢٨ محرم سنة ١٣٧٦



بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية السورية

الرئيس

حضرة صاحب الجلالة الإمام أحمد ملك اليمن المعظم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فأرجو أن تكونوا على خير ما أتمناه لجلالتكم من صحة وسعادة وهناء.

تسلمت رسالتكم الأخوية الكريمة المرسلة صحبة السيد أحمد محمد الشامي، نائب الوزير بالمفوضية اليمنية بالقاهرة، وسررت جداً لما حملته إلي من اطمئنان على صحتكم الغالية وعلى بلدكم الشقيق المزدهر. أما ما قمنا به تجاه ولي العهد سمو الأمير محمد فهو أقل ما توجبه علينا الأخوة العربية والعاطفة المشتركة، ولا نستحق عليه أي شكر، ولقد تركت زيارته إلينا أجمل الأثر في نفوسنا، وكنا نود لو كانت إقامته بيننا أطول.

كما كان للعاطفة الكريمة التي حملها إلي كتابكم، وما انطوى عليه من حب أخوي صادق وثقة غالية، أجمل الوقع في نفسي، وإنني إذ أبادلكم هذه العاطفة الطيبة وأتقدم إليكم بجزيل الشكر، أسأل الله العلي القدير أن يمتع جلالتكم بالصحة والعافية، وأن يكلائكم بعنايته ورعايته، وأن يمد في عمركم حتى تحققوا لليمن الشقيق الازدهار والتقدم وحتى تروا القطر العزيز حيث تريدون رفعة وسوداً. وإنني والشعب السوري سوية لعلّي استعداد لتقديم كل ما تطلبونه منا من مساعدة فنية أو ثقافية أو غيرها، وإنني لأعتبر القطر اليمني كمسورية، وأحب له ما أحب لمسورية، وأتمنى له أن يصبح في عهد جلالتكم من المكانة والتقدم بحيث يغبطه عليه كل عربي. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دمشق في ١٠/٩/١٩٥٦

ملحق ثاني

لقد نقل إلينا السيد أحمد محمد الشامي رغبة حكومتكم الرشيدة بإقامة تمثيل سياسي بين بلدينا، مما كان له أطيّب الوقع في نفوسنا، وإننا إذ نرحب أجمل ترحيب

بهذه الخطوة الطيبة الجديدة يسرنا أن نستقبل السيد يحيى أحمد المضواحي للقيام بهذه المهمة.

كما يسرنا غاية السرور قبول أي عدد من الطلاب اليمنيين في معاهد دمشق لإتمام دراستهم وتحصيلهم، وسيكونون هنا في دارهم وبين أهليهم، وسيقوم بالإشراف على دراستهم وتوجيههم أشخاص من ذوي السيرة الحسنة والأخلاق الطيبة والدين القويم، حتى يعودوا إلى خدمة جلالتهم وبلادهم مزودين بخير زاد من العلم والأخلاق والدين.

بسم الله الرحمن الرحيم
حضرة صاحب الجلالة الأخ الإمام أحمد حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فأرجو أن تكونوا جلالتكم متمتعين
بتمام الصحة والعافية وكامل السعادة والهناء.

يسرني أن أبعث إلى جلالتكم، بمناسبة زيارة الوفد السوري إلى مملكتكم الشقيقة
مفتتحاً خط الطيران الجديد بين بلدينا، بخالص الشكر وجزيل الامتنان على هذه
البادرة الطيبة التي أتحتموها لنا ولسورية بتبادل الزيارات مع بلدكم الشقيق، بغية
توطيد عرى الأخوة الصحيحة والمحبة الصادقة فيما بيننا. وإن الوفد المشار إليه،
الذي يرأسه الأستاذ صلاح الدين البيطار وزير الخارجية السورية ممثلاً لنا، يضم
موظفين وخبراء من مختلف الوزارات والاختصاصات ليكونوا تحت تصرف
جلالتكم في تقديم أية خدمة تكلفونهم بها، أو أي عمل يمكنهم القيام به،
وسيكونون ولا شك مشمولين برعايتكم السامية وعنايتكم الكريمة. وسينقل إليكم
الأستاذ البيطار، مع تحياتنا الأخوية الخالصة، أطيب أمانينا لسعادة جلالتكم وهنائها،
راجين لكم دوام الصحة والعز وللميمن الشقيق، في عهد جلالتكم، مزيد التقدم
والازدهار. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دمشق في ٢٣ شوال ١٣٧٦

٢٢ أيار ١٩٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الفخامة الأخ شكري القوتلي رئيس جمهورية سوريا، حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فبمزيد الغبطة قد استقبلنا معالي السيد صلاح الدين البيطار، وزير خارجية حكومتكم الموقرة، وأعضاء الوفد الذين رافقوه، وبكل سرور استلمنا رسالتكم الرقيقة، وإنه ليطيب لنا أن نعرب لفخامة الأخ عن عظيم تقديرنا والأثر الذي تركته زيارة هذا الوفد لدينا وفي بلادنا، ونحن على ثقة بأن فتح الخط الجوّي بين البلدين سيبعث على وجود عُرى جديدة من أواصر المحبة والصداقة، وسلسلة جديدة من التضامن الاجتماعي بين بلدينا.

وقد حدثني معالي وزير الخارجية عن صحتكم وعن أحوالكم وشعب سوريا بما تقرأ به العيون، وإني لأرجو الله مخلصاً بأن يلهمنا جميعاً التوفيق وأن يعينكم على ما تبغونه من خير وعزة للبلاد العربية عامة وسوريا خاصة في صحة وهناء دوماً.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

حرر في ٢٥ شوال سنة ١٣٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم



حضرة صاحب النعام الأجل شرفي القونلي رئيس جمهورية سوريا يحفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فمزيد العظمة قد استقبلنا معالي السيد صلاح الدين البيطار وزير
حكومتكم الموقرة وأعضاء الوفد الذين رافقوه وكل سرور استلمنا رسالتكم الرقيقة
وإله ليطلب لنا أن نعرب لفخامة الأرفع عن عظيم تقديرنا والافتخار الذي نركب
من بارة هذه الوفد لدينا وفي بلادنا ونحن على ثقة بأن فتح المخطط الجوى
بين البلدين سيبحث على وجود غرض جديد من أواصر المحبة
وسلسلة جديدة من التضامن الاجتماعي بين بلدينا.

وقد حمدتني معالي وزير الخارجية عن صحبتكم وعن أحوالكم وشعبكم
سوريا بالتشريفه العيون وإني لأرجو الله مخلصاً بأن يلهمنا جميعاً التوفيق وأن
على ما يتبعونه من خير وعزة البلاد العربية عامة وسوريا خاصة في صحة وهدوء
دوامها.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

محمد م. شوالق

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحق خير وسرور إن شاء الله

إن ما كنت تحدثت به إلى سمو ولي العهد الأمير محمد من أمور، أرى لزماً عليّ أن أعرضها على جلالتك، عساها تحظى بتأييدكم وعطفكم وتكون فيها الفائدة للقطر اليمني العزيز علينا جميعاً:

١ - الإكثار من فتح المدارس الوطنية لإيجاد نشء جديد حديث، يترهبى على الأخلاق القويمة والدين والوطنية الصادقة والتضحية في سبيل بلده ودينه، ليكون دعامة صالحة للمستقبل ترتكزون عليها في ما تبغونه من رفعة ومجد لليمن العزيز. ومتى تم إعداد هذا النشء إعداداً أولئياً أمكن إيفاد المتفوقين منه إلى سورية أو مصر أو البلاد الأوروبية للتخصص في مختلف العلوم والفنون، فيعودون إلى بلدهم مزودين زاداً قوياً لخدمته وإعلاء شأنه.

٢ - تولية الناحية العسكرية العناية الفائقة للدفاع عن اليمن الشقيق ضد أطماع الاستعمار، ولا بأس من الاستعانة ببعثة عسكرية من مصر أو سورية لتدريب قواتكم تدريباً كافياً يجعل الجيش اليمني من القوة بحيث يصد أي اعتداء أجنبي قد يقع على القطر الشقيق، وإن الاتفاق العسكري الذي يقوم بين اليمن السعيد ومصر يؤمن على ما أعتقد هذه الناحية الهامة.

٣ - إنني موقن بأن في اليمن الشقيق قضاء عادلاً نزيهاً يجعل الشعب يخضع بملء إرادته وطوعه، ففي وجود مثل هذا القضاء العادل ضماناً للاستقرار، وتوطيد دعائم الطمأنينة لأحكامه العادلة المستمدة من الدين والشرع.

٤ - ولا بد لي من ذكر أمر المواصلات وشبكاتها الداخلية في البلاد وخارج البلاد، فهي التي تربط اليمن بباقي أقطار المعمورة، فيخرج من عزلته إلى عهد بناء وإنشاء وتقدم وازدهار.

٥ - أما ما تفضلتم بطلبه من إرسال اثنين يجيدان اللغة الإنكليزية والفرنسية، فسوف نختار من نجد فيهما الكفاءة من ذوي الأخلاق والعقيدة المتينة والإخلاص ونرشحهما لجلالتكم بأقرب فرصة ممكنة.

وأخيراً فإنني كنت هذا اليوم جد مبتهج بما نقلته إلينا أسلاك البرق والإذاعات العالمية من إعلان جلالتكم التعبئة العامة بالشعب اليمني الشديد المراس، وإعلانكم

التضامن التام مع مصر ومع سائر البلاد العربية في موقفها العصيب ومجابتها الأحداث بكل عزم وإيمان.

ونحن إذ تكبر في جلالتكم هذه الروح السامية وهذا الشعور الملكي الكريم، **الصادر** عن إيمان قوي وعقيدة ثابتة، فإننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعل العرب في مختلف أقطارهم قوة واحدة ويداً واحدة، يعملون في سبيل إعلاء مجد الأمة العربية ووحدة كلمتها ولمّ شعبتها لتكون صامدة في وجه كل من تسوّل له نفسه بإيصال الأذى إليها أو الكيد لها.

هذا، وقد لمست في سمو الأمير محمد، ولي عهدكم الكريم، الولاء الأكيد والإخلاص الشديد والخضوع القوي لجلالتكم، والحرص الزائد للعمل على تقدم ورفعة اليمن الشقيق، واعتقد أنكم إذا أوليتموه ثقتكم الغالية وأفسحتم له مجال العمل في إحدى الحقول فسيخدم سموه ومن تولونه ثقتكم جلالتكم بكل أمانة وإخلاص، وسيثبت أهليته بحياتكم التي أرجو أن تطول بكامل الصحة والعافية.

وإنني لأغتنم هذه المناسبة السعيدة لأبعث إلى جلالتكم بأصدق أمانيّ الطيبة لسعادتكم ورفاهكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الوثيقة رقم ٣٠

الجمهورية السورية

مجلس النواب

دولة رئيس مجلس النواب الموقر

عقدت اللجنتان، لجنة الشؤون العربية في مجلس الأمة المصري ولجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب السوري، اجتماعاً مشتركاً في الساعة التاسعة والنصف من بعد ظهر يوم الأحد الواقع في ٢٣ ربيع الثاني ١٣٧٧، و١٧ تشرين الثاني ١٩٥٧، برئاسة دولة السيد أكرم الحوراني، وشهد الاجتماع معالي وزير الخارجية ووزير الزراعة، وعدد من حضرات السادة النواب المحترمين من المجلسين.

وبعد أن استعرض الأعضاء الخطوات التي تمت في سبيل تحقيق اتحاد القطرين العربيين الشقيقين مصر وسورية، والخطوات التي يجب أن تستكمل في الشؤون التي تجري المفاوضات بشأنها بين الحكومتين، والطريقة الواجب اتباعها للدخول في مراحل التنفيذ، خلصت اللجنتان إلى اتخاذ مشروع القرار المرفق، بغية عرضه في الجلسة المشتركة لأخذ الرأي عليه.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

دمشق في ١٧/١١/١٩٥٧

استجابة لرغبة الشعب العربي في دنيا العرب، وتحقيقاً لمبادئ الدستورين المصري والسوري بأن شعبهما إنما هو جزء من الأمة العربية.

ولما كانت وحدة الأقطار العربية أمنية الأمة الغالية، وكان العمل لتحقيق هذا الهدف السامي المقدس واجباً قومياً على كل عربي، وأمانة في عنق نواب الشعب العربي.

وكان الاستعمار يقف عقبة كأداء في سبيل تحقيق هذه الوحدة، ويعمل جاهداً

على إبقاء الأمة العربية معجزة مشتة الشمل، بما يحيك لها من مؤامرات، ويصطنع لها من أحداث ليمنع عليها الاتحاد والتحرر.

وكانت مصر وسورية الشقيقتان قد كافحتا الاستعمار فانزعتا استقلالهما، ووطدتا سيادتهما وانتهجتا في سياستهما الخارجية نهجاً حيادياً مستقلاً بين القوى المتصارعة، مستوحى من مصالحهما القومية وأهدافهما المشتركة وأمانيهما المتبادلة، فحققتا نصراً حاسماً في مضمار التحرر بفضل وعي ونضال الشعب العربي الموحد.

وكان تحقيق ما تم بين البلدين حتى اليوم ليعتبر بمثابة الحجر الأساسي في إقامة اتحاد عربي بينهما، سواء أكان ذلك في الميدان العسكري حيث تحقق توحيد الجيشين، وأخذت القوات المصرية والسورية تعمل تحت قيادة موحدة، وأصبح اتحاد الجيشين المصري والسوري نواة الجيش العربي الموحد، أم كان ذلك في المضمار الثقافي الذي وضعت الدولتان أسسه المكيمة المتينة.

وكانت المباحثات دائرة بين القطرين لوضع نظام اقتصادي موجه متكامل وموحد، وهي في طريقها إلى الإقرار بعد استكمال وضع أسس هذه السياسة الاقتصادية والعمل على تنفيذها.

وكانت الظروف الداخلية والأحداث الخارجية التي تعصف بالعالم العربي تفرض عليه أن يحث الخطى لإقامة هذا الاتحاد حفظاً لكيانه، وتوطيداً لاستقلاله، وتثبيتاً لحريته، وتعزيزاً لكرامته، وللمساهمة في انتزاع حرية وسيادة واستقلال الشعب العربي الذي ما زال يناضل المستعمرين، ويكافح الغاصبيين، وللنضال الدائب لإحباط مؤامرات الصهيونية العالمية التي ما زالت تكيد للشعب العربي، وتعمل على تفكيك أواصره وبذر الخلافات بينه، وتؤلب عليه قوى العدوان الغاشمة، وبالنظر إلى أن هذا الاتحاد سوف يحمي القومية العربية، ويقيم جبهة عربية متينة في وجه الأطماع الاستعمارية.

لهذه الأسباب مجتمعة، فإن أعضاء وفد مجلس الأمة المصري وأعضاء لجنة الشؤون الخارجية، المجتمعين معاً في دمشق بجلسة مشتركة بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٣٧٧، و١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٧، وبعد اطلاعهما على الخطوات والاتفاقات التي عقدت بين القطرين في النواحي الثقافية والعسكرية، وبعد استعراضهم أسس سياسة القطرين الخارجية، يقترحون الاقتراح على القرار التالي:

«إن نواب المجلسين المجتمعين، إذ يعلنون رغبة الشعب العربي في مصر

وسورية بإقامة اتحاد فيدرالي بين القطرين، يباركون الخطوات العملية التي اتخذتها الحكومتان السورية والمصرية في سبيل تحقيق هذا الاتحاد، ويدعون حكومتي مصر وسورية للدخول فوراً في مباحثات مشتركة بغية استكمال أسباب تنفيذ هذا الاتحاد» (تصفيق حاد متواصل).

الرئيس - سمعتم التقرير، فهل يوافق حضرات النواب على التقرير المقدم من اللجنتين، والذي تلي عليكم؟ الموافقون على التقرير يشيرون برفع اليد (رفعت الأيدي) الموافقة إجماعية (تصفيق شديد).

الوثيقة رقم ٣١

صاحب الجلالة الأخ الإمام أحمد
ملك المملكة المتوكلية اليمنية حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فأرجو أن تكونوا متمتعين بتمام الصحة
وكامل السعادة والهناء.

تلبية لدعوتنا، قام صاحب السمو الأمير محمد البدر، ولي عهدكم الكريم، بزيارة
أخوية ودية إلى دمشق كانت مدعاة سرورنا وفخرنا، وكان لها في نفوسنا أجمل
الأثر، وكم كنا نود لو سمح له وقته الثمين بإطالتها بعض الوقت كي تتسنى لنا العناية
به بشكل أوفى، وسينقل ولا شك إلى جلالته، ما نكنه لكم من عميق المحبة
والاحترام، وما نرجوه لليمن الشقيق في عهد جلالته من ازدهار وتقدم وفلاح.

وقد بينت لسموه وأطلعته على المراحل التي توصلت إليها أبحاث الوحدة مع
الشقيقة مصر، هذه الوحدة التي سعيتم جلالته وسعى العرب في شتى أقطارهم من
أجلها، وستكون هذه النواة الخيرة الطيبة في خدمة القضية العربية عامة، ومن أجل
رفع شأن العرب وتقوية كياناتهم في شتى أقطارهم، وسيكون الباب فيها مفتوحاً لسائر
الدول العربية لتدخل معها في اتحاد مع المحافظة على أوضاعها الدستورية ونظم
الحكم فيها إذا شاءت. وما قصدنا من ذلك إلا جمع كلمة العرب، ورفع شأنهم،
والعودة بهم إلى ما كانوا عليه في تاريخهم المجيد ليقفوا صفّاً واحداً تجاه كل من
يريد النيل منهم، سائلين المولى أن يحقق غايتنا ويأخذ بيدنا ويهدينا سواء السبيل،
وأن يوفقنا وإياكم إلى تحقيق هدف العرب المنشود بالوحدة والقوة والمنعة.

وإنني إذ أدعو الله العليّ القدير أن يمدّ في عمر جلالته وأن يمتعكم بتمام
الصحة والعافية، ذاكرًا لكم اغتباطنا الزائد بزيارة سمو الأمير ولي عهدكم الذي كان
خير رسول لحمل هذه الرسالة إلى جلالته، أرجو لكم دوام السعادة والهناء،
ولليمن الشقيق الازدهار والفلاح. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دمشق في ٢ رجب ١٣٧٧

٢٤ كانون الثاني ١٩٥٨

الوثيقة رقم ٣٢

دولة رئيس مجلس النواب الموقر

إن مجلس النواب، بعد أن استمع إلى البيان التاريخي الذي تفضل فخامة رئيس الجمهورية بإلقائه في جلسة يوم الأربعاء الموافق ١٦ رجب ١٣٧٧، و٥ شباط ١٩٥٨ شارحاً أسس الوحدة بين الإقليمين العربيين مصر وسورية، يبارك الخطوات التي قام بها الرئيسان والحكومتان بتحقيق هذه الأمنية القومية العزيزة على قلب كل عربي، ويؤيد المبادئ الدستورية التي اتفق عليها ووردت في البيان للعمل بها خلال الفترة الانتقالية.

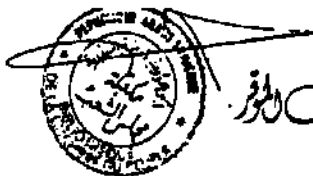
وان مجلس النواب يرى من واجبه، في هذه اللحظة المباركة، أن يسجل بالفخر والاعتزاز الموقف المشرف للرئيسين المؤمنين العظميين شكري القوتلي وجمال عبد الناصر، وجهدهما الميمون الذي حقق للأمة العربية أمنية قدمت في سبيلها تضحيات ودماء، وكانت آخر رؤيا أطبقت عليها أعين الشهداء.

إن المثل الرائع الذي ضربه فخامة السيد شكري القوتلي بصدق جهاده، وعميق إيمانه، وعظيم إثاره، سبطل الهدى الذي تهتدي به أجيال الأمة العربية.

إن أعضاء مجلس النواب بموافقتهم وتأييدهم لما تمّ إنما يعبرون عن إرادة الشعب العربي في الإقليم السوري ويؤدون الأمانة ويوفون بالعهد حين أقسموا اليمين الدستورية على العمل لتحقيق وحدة الأقطار العربية.

ومجلس النواب يرى في ترشيح سيادة الرئيس جمال عبد الناصر لرياسة الجمهورية العربية المتحدة الضمانة الأكيدة للسير بالدولة العربية الفتية نحو تحقيق أهداف القومية العربية، وتوطيد العدالة والخير والسلام للعرب والإنسانية.

وبقلوب مؤمنة نتجه إلى الله العلي القدير أن يرعى دولتنا الفتية وأن يجعلها فاتحة جمع شمل أمتنا العربية في دولة واحدة.



دولہ رئیس مجلس الشوریہ والمقرر

ان مجلس النواب بصدان استيع الى ابيان لنا يحيى الذي تفصل فحاشه رئيس الجمهوريه بالقاء في جلسته يوم
الاربعاء الموافق ١٦ رجب ١٣٧٧ و ٥ سباط ١٩٥٨ شارحا اسس الوفاق بين الانقياديين العربيين
مصر وسورية يدارك الظروف التي قام بها البرلمان والحكومة ان تعقب هذه الوفاقية لغرضه اعززة على قلب
كل جريد وبوجه الجاوى الدستورى لحياتنا عليها وورثت في ابيان للعمل بما جعل هذه الاتفاقية .
وان مجلس النواب يرى من واجبنا في هذه اللقطة المبارة ان يسجل بالغور وادعنا المرفق المرفق
للرئيسة المزمعين لطريقه شكري بقوتهم وجمال عبد الناصر وجهدهما الميمون الذي حقق لهذه
العربية امة نرت في سبلها تضحيات ودماء ، وكانت آخر رؤيا اطبقت عليها امة الشهداء .
ان المذلل الرابع الذي ضرب فحاشه بيسكويه القوتلي بعد دمهاده ، وحسب ايمانه ، وعظيم آيانه ، سيظل
الهدى الذي تحصى ايمالا الامة العربية .

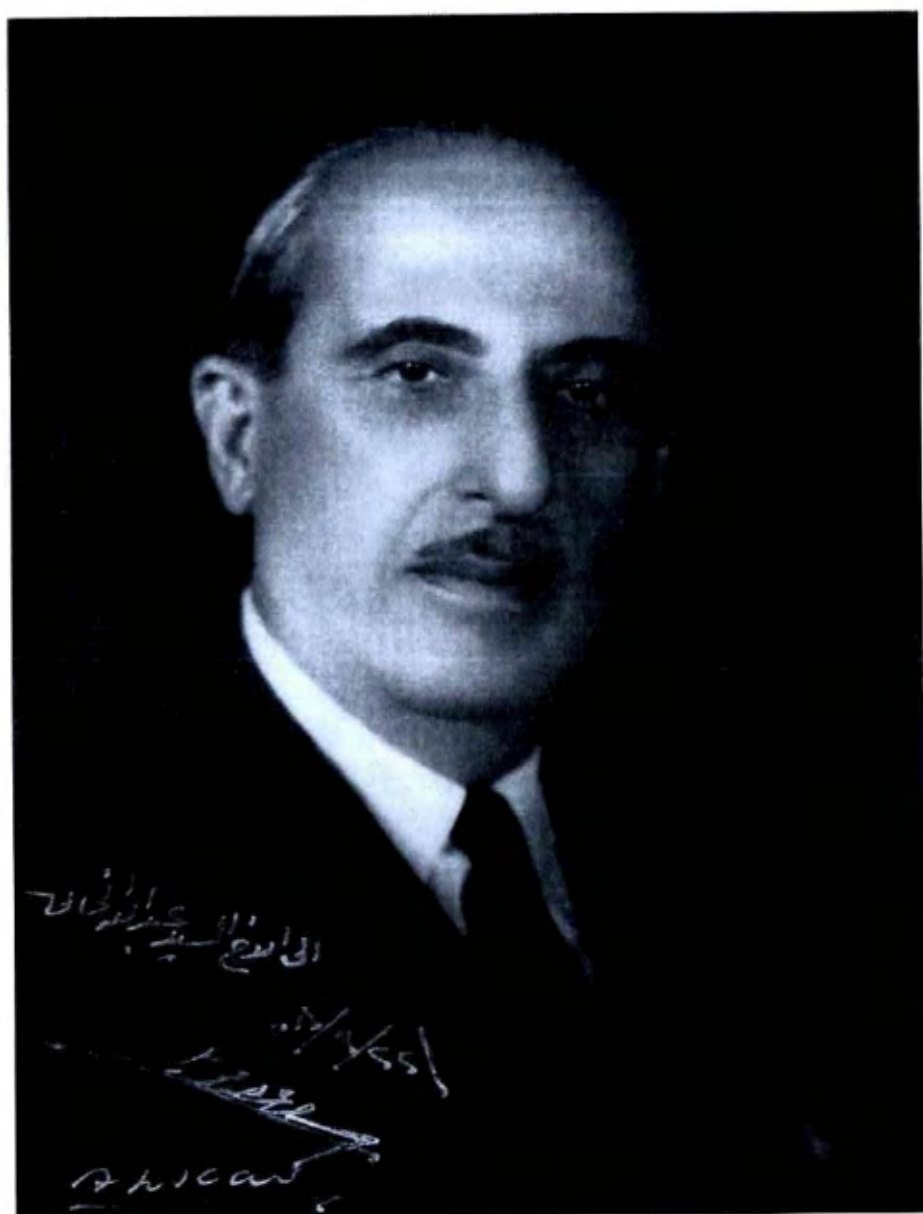
ان أعضاء المجلس النواب بموافقتهم وتأييدهم لما تمخض عنه اجابوا بعدون عن اداة هتسب العرب في الانفاسهم السوري ويزودون الامانة ويوفون بالعهد حين اقتصر الميراث الدستورية على العمل لتحقيق وحد الانواع العربية .
ومجلس النواب يرى في ترشيح سيادة الرئيس جمال عبد الله عبد ربه في جمهورية عربية اقوية لضمان الامانة والاكيدة للبلاد العربية الفتية وتحقيق اهداف القومية العربية . وتوطيد الصلة والدية واسدود للحدوب والانسانية .
وبقدر مزنه نجد الى الله بعلي القدر بان ربحي دولنا القية وان يعطيا فاقحة جميع شملنا العربية في دولة واحدة .

A black and white photograph of a dense, textured surface, possibly a book cover or endpaper. The image features a repeating pattern of stylized, dark, leaf-like or floral motifs. The pattern is intricate and covers the entire visible area. The motifs are dark and appear to be printed or stamped onto a lighter, textured background. The overall effect is a complex, organic-looking pattern.

قسم الصور



الرئيس هاشم الأتاسي

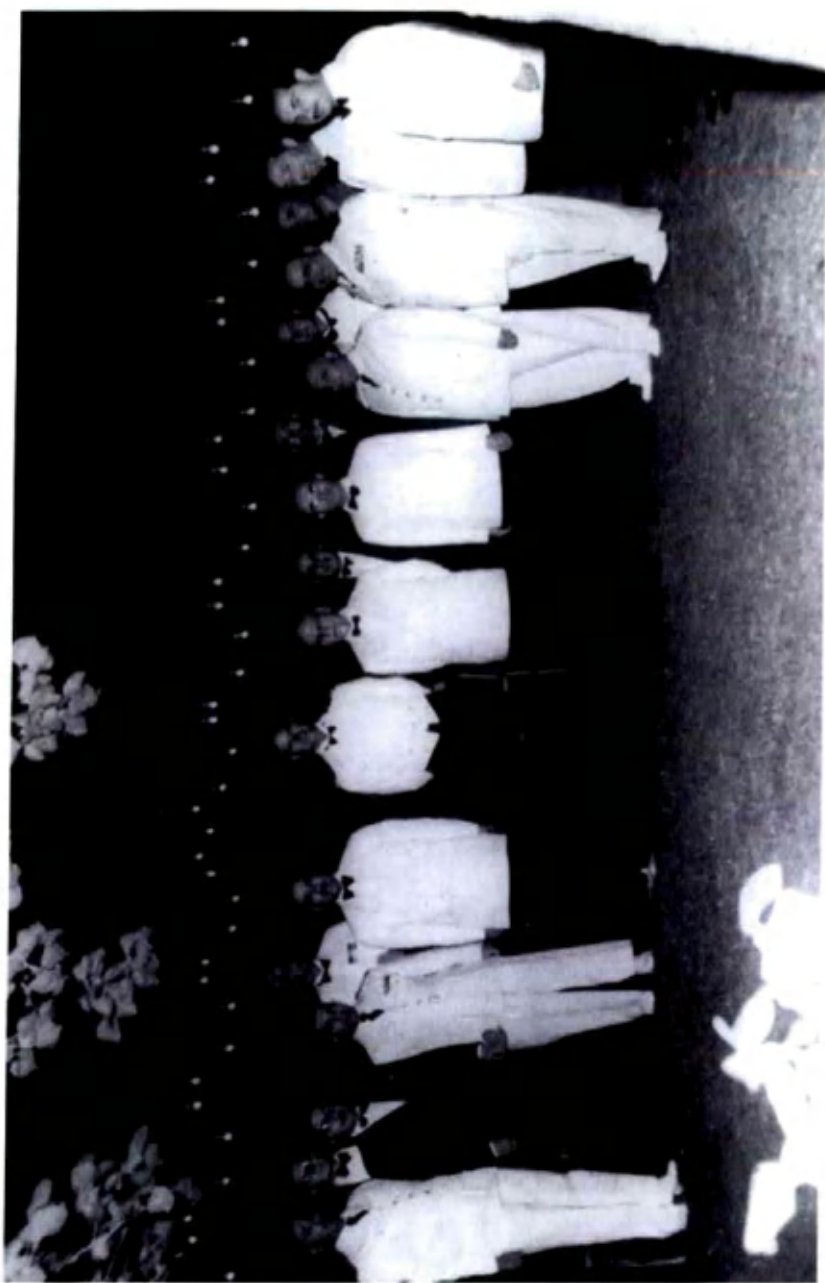


الرئيس شكري القوتلي

مع الدكتور عبد الرزاق السنهوري باشا، وزير العدل، في دار الأوبرا للقيمة بالقاهرة،
شباط ١٩٤٥ - الجلس الأول من اليسار



طلاب الجامعة السورية وقد تخرجوا في سلك الدرك السوري لمحاربة الفرنسيين وإخراجهم من سورية أمام قلعة دمشق،
٢٥ أيار ١٩٤٥ - عبد الله الخاني الأول من اليمين وقوفاً



فخامة الرئيس هاشم الأتاسي يستقبل الرئيس فيليب، ٢٩ حزيران ١٩٥٠
 من اليمين: عبد الله الخاني، وليد ماجد، الزعيم أنور بنود، الزعيم فوزي سلو، الدكتور ناظم القدسي،
 فخامة الرئيس، الرئيس فيليب، رشدي الكيخيا، العقيد أيوب الشيشكلي، سعيد اليوسف، الزعيم رفعت خاتكلان،
 في الصف الخلفي: الملازم الأول محمد القباني، اللفتنانت لورام مرافق الأمير، المستر هولسي سكرتير السفارة،
 المستر بروس سكرتير السفارة، الكولونيل هارمان الملحق العسكري، المستر مورغان مان القائم بالأعمال



مع الملك فيصل بن غازي - ملك العراق
قصر الرئاسة ٢٠ شباط ١٩٥١



فخامة الرئيس هاشم الأتاسي، وقد قلد المستر تريغفي بي - الأمين العام للأمم المتحدة - وسام أمية ذا العقد
إلى اليمين خالد العظم - رئيس الوزراء ووزير الخارجية
قصر الرئاسة دمشق في ٢١ نيسان ١٩٥١



مع الاقتصادي الألماني الشهير شاخت - قصر الرئاسة، ٩ كانون الثاني ١٩٥٢



مع الاقتصادي الألماني الشهير شاخت وزوجته

من اليمين: محمد سعيد الزعيم، وزير المالية - منير دياب، وزير الاقتصاد - د. خالد شاتيل، أمين عام القصر - عبد الله الخاني، مدير مراسم القصر



مع الملك طلال بن عبد الله - ملك الأردن
استقبله على الحدود في درعا، ١٠ كانون الثاني ١٩٥٢



مع وزير خارجية أسبانيا كاستيلا (الواقف) واللواء بومديان (مغربي)
المرافق للوزير - قصر الرئاسة ١٩٥٢



الوفد الأسباني المرافق لابنة فرانكو
وزير الخارجية كاستيلا واللواء بومديان، ١٩٥٢



مع المستر جون فوستر دالاس، وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية
إلى اليمين: طاهر الرفاعي، وزير الخارجية
القصر الجمهوري ١٦ أيار ١٩٥٣



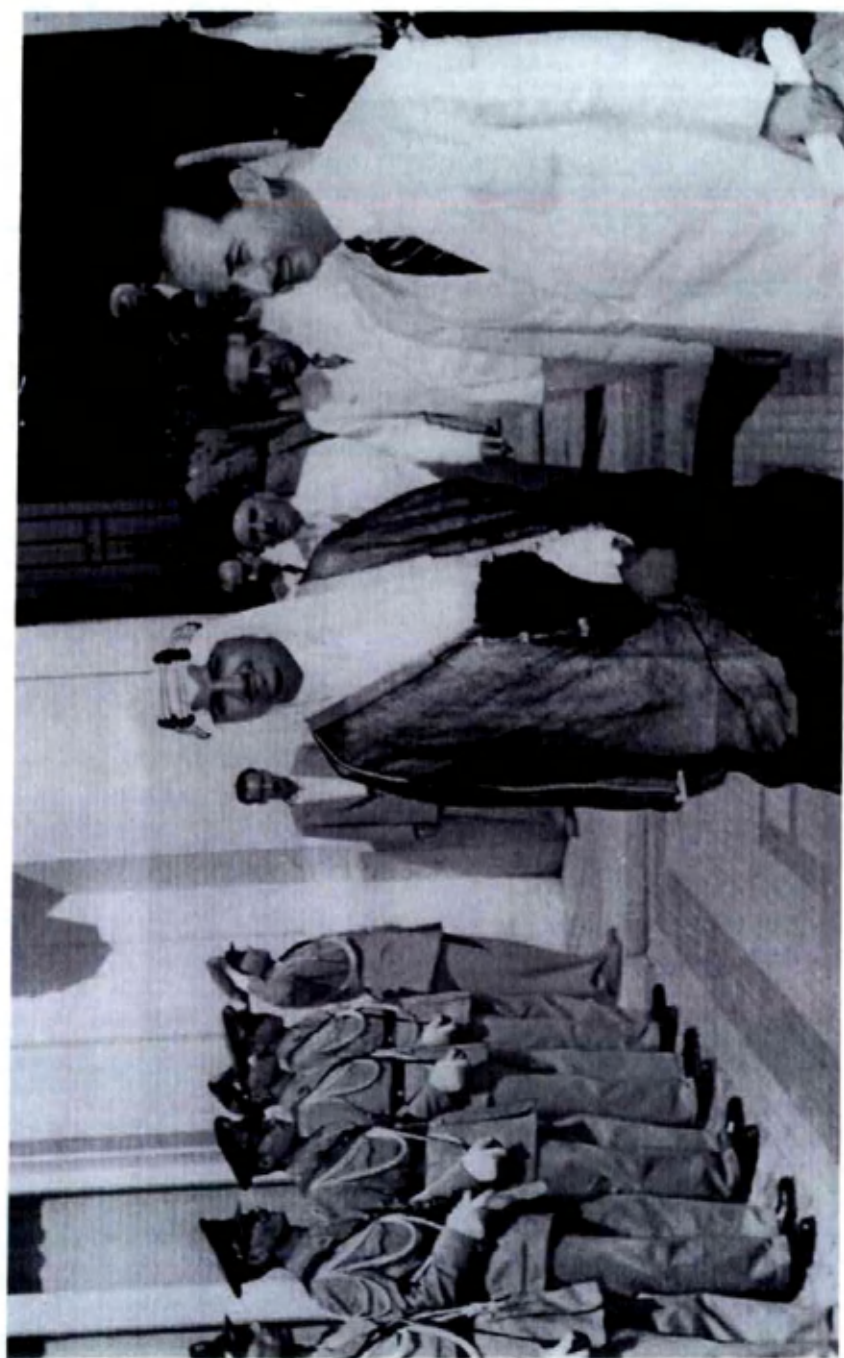
مع مسن باتنيت (شقيقة نهر) في طريقها إلى الأمم المتحدة لتؤسس الوفد الهندي إلى دورة ١٩٥٢



مع السيناتور (عضو مجلس الشيوخ الأمريكي) أنيلاي ستيفنسون - ٢٨ أيار ١٩٥٣



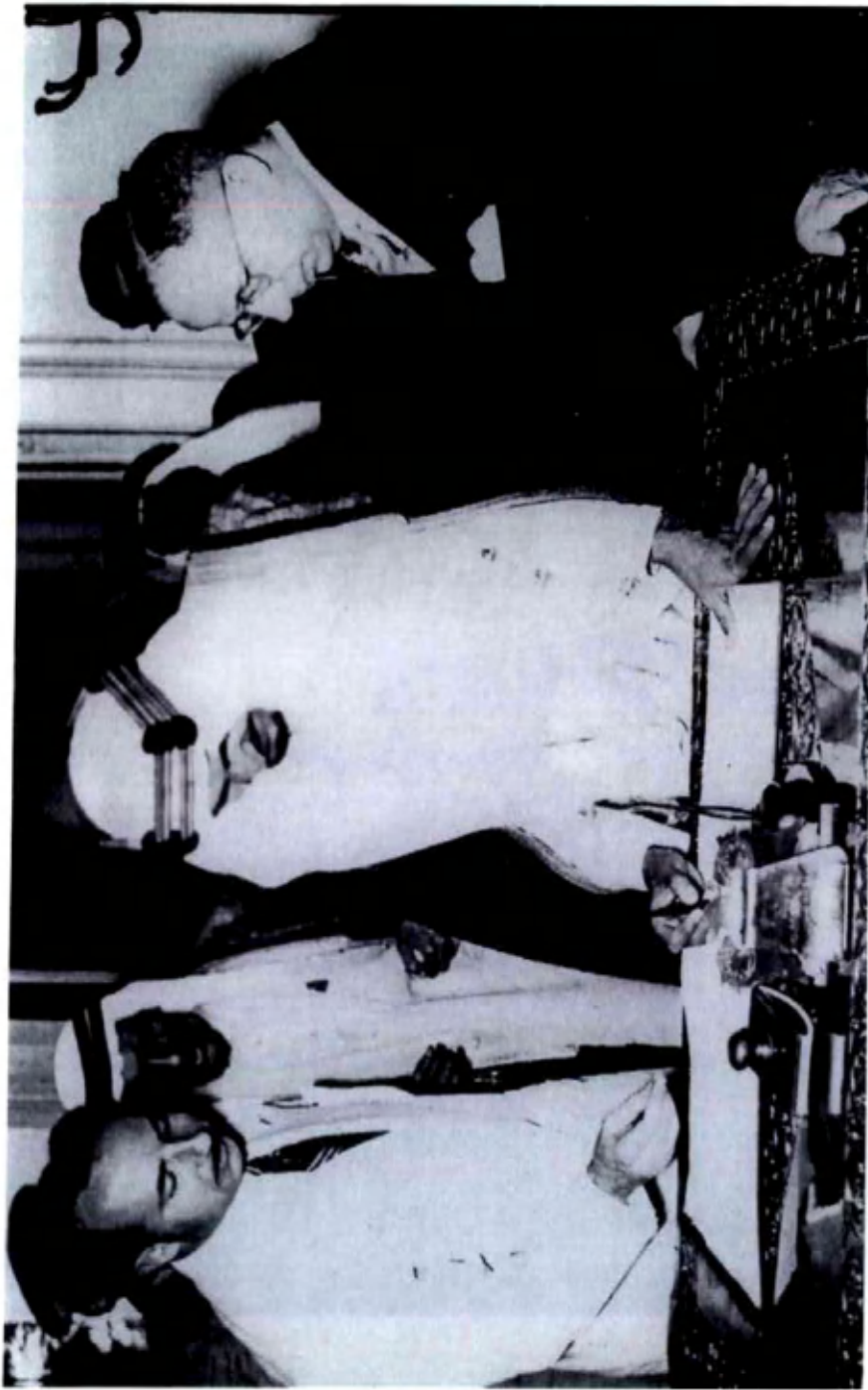
مع السيدة اليانور روزفلت زوجة الرئيس السابق لاميركا روزفلت
إلى اليمين: السفير الأميركي كافنديش كانون - قصر الرئاسة، آذار ١٩٥٣



مع سمو الأمير سلطان بن عبد العزيز أمام فندق الشرق، ١١ آب ١٩٥٣
في الخلف: خليل مردم بك - وزير الخارجية، نوري الأبيض - وزير الزراعة



مع وزير الخارجية خليل مردم بك وسمو الأمير سلطان بن عبد العزيز - ١١ آب ١٩٥٣



الملك سعود في دمشق يوقع سجل التشريعات، ١٩٥٤
 إلى اليمين: الدكتور خالد شاتيللا - الأمين العام، إلى اليسار: عبد الله الخاني - مدير المراسم
 في الخلف: الشيخ عبد العزيز بن زيد - سفير السعودية بدمشق



سفير پاکستان لال شاہ بخاري يقدّم أوراق اعتماده لفخامة الرئيس هاشم الاتاسي، ٣٠ يولي ١٩٥٤



عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين في نادي الشرق

الحفلة التي أقامها له الاتحاد النسائي في دمشق، صيف ١٩٥٤

من اليمين: السيد حامد الخوجة، الأنسة ثريا الحياتي، السيدة عائلة بيهم الجزائري - رئيسة الاتحاد النسائي، الدكتور ناظم القدسي - رئيس مجلس النواب، الدكتور طه حسين، السيد رشدي الكبخيا - رئيس حزب الشعب



مؤتمس الأقطاب في بيروت، في ١٤ تشرين الثاني ١٩٥٦
 السادة: صائب سلام، عبد الله اليافي، ناظم القدسي، الأمير مجيد أرسلان، الرئيس كميل شمعون، صبري العسلي،
 الرئيس القوتلي، صلاح البيطار، الملك حسين، ووراءه عادل عسيران، الملك سعود، الملك فيصل ملك العراق



المؤتمر الرباعي في القاهرة - شباط ١٩٥٧
الملك حسين، الرئيس القوتلي، الملك سعود، الرئيس جمال عبد الناصر - أثناء مشاهدة العرض العسكري



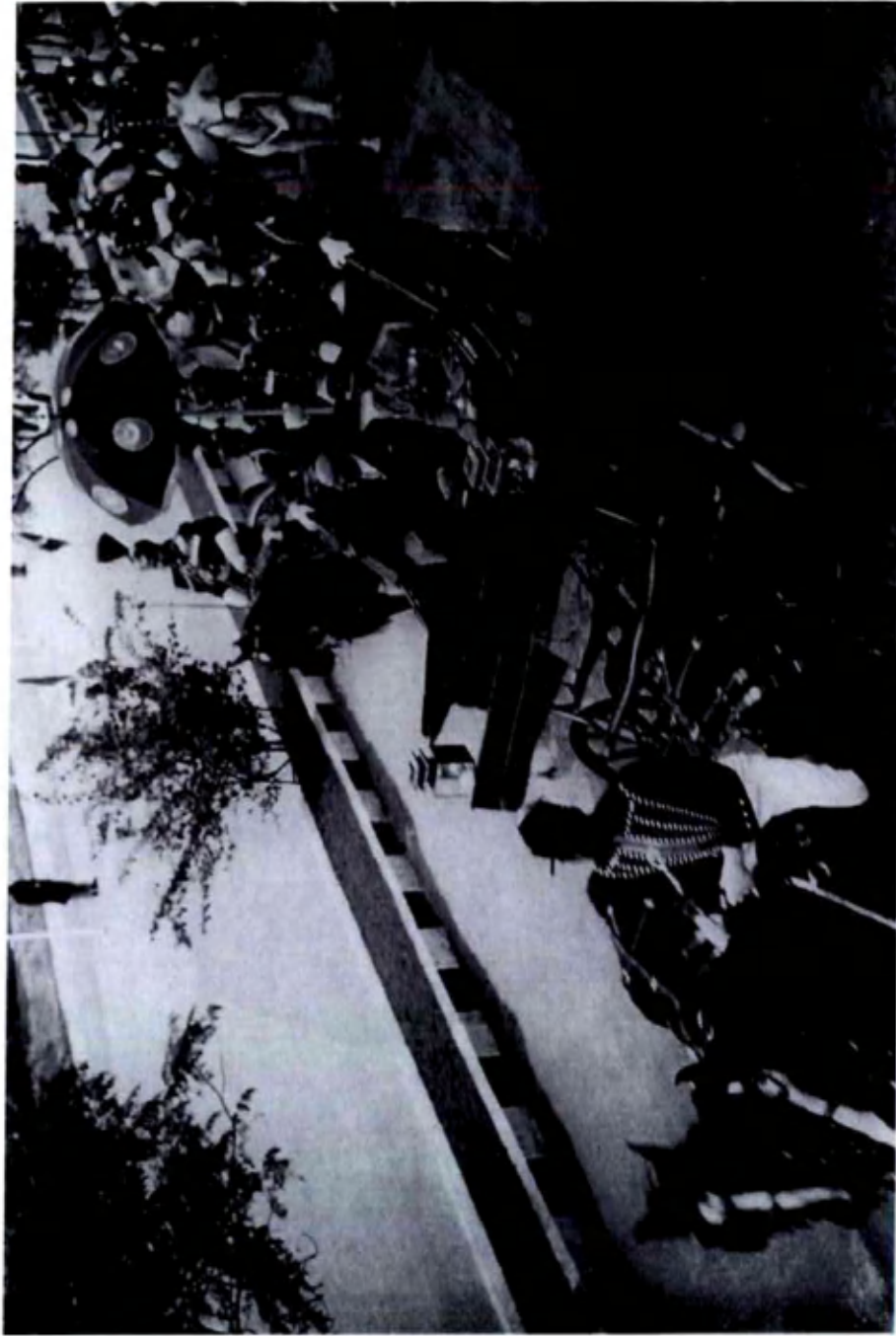
في حفلة استقبال في الكرملين احتفاء بالرئيس القوتلي أثناء الزيارة التي قام بها في ٢٢ تشرين الاول ١٩٥٦ للاتحاد السوفياتي
المارشال زوكوف، بولغانين رئيس وزراء الاتحاد السوفياتي، فؤاد الشايب، حرم الرئيس القوتلي، نيكيتا خروشوف، صلاح البيطار،
الرئيس القوتلي، رشاد جبري، فوروشيلوف، مالنكوف، فيصل الدالاتي، مولوتوف، كاغانوفيتش



مع داغ همرشولد، الأمين العام للأمم المتحدة
قصر الرئاسة ١٩٥٦



رئيس جمهورية باكستان الجنرال إسكندر ميرزا يرحب بفخامة الرئيس
لدى وصوله إلى كراتشي، ٧ كانون الثاني ١٩٥٧



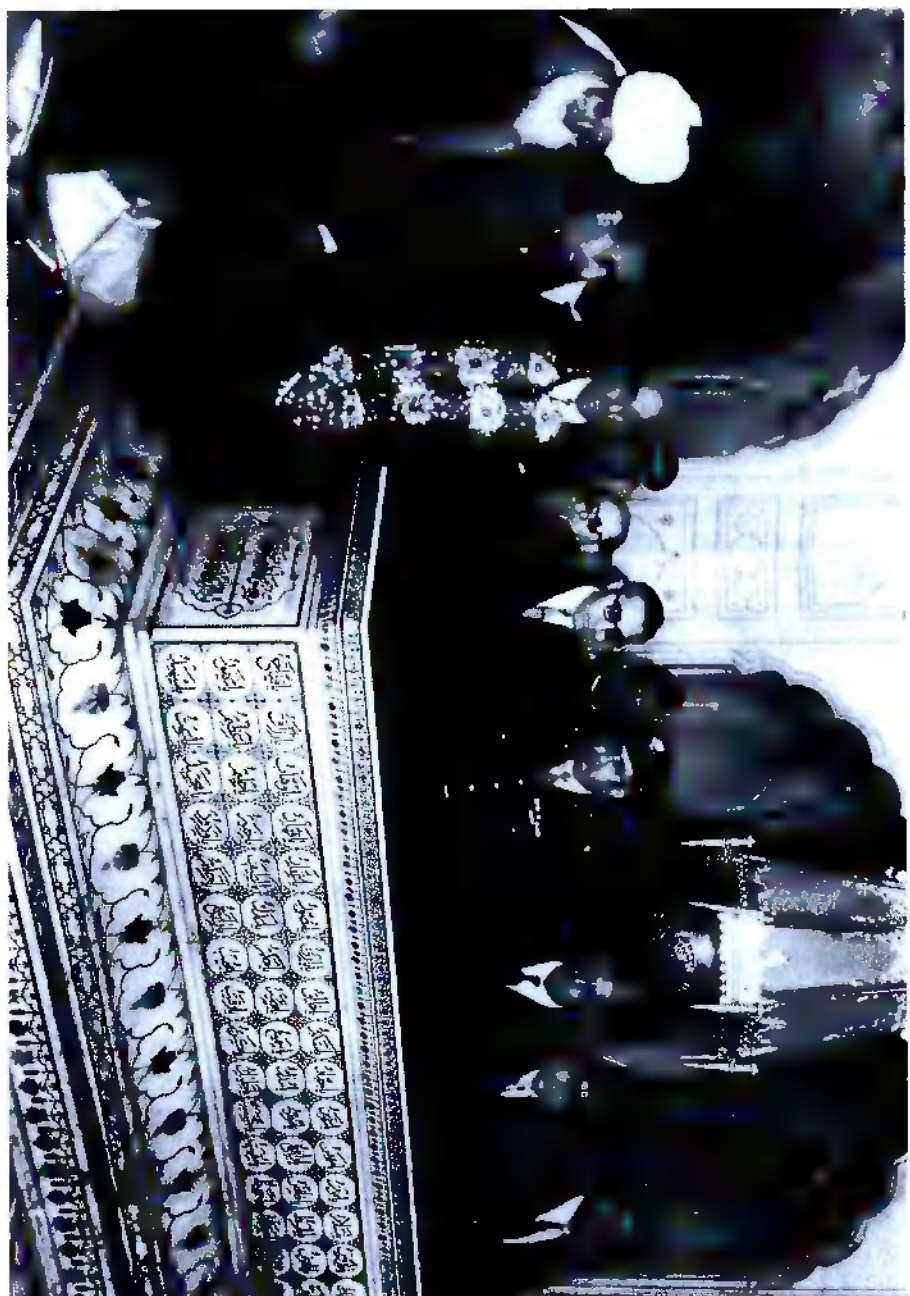
موكب فخامة الرئيس في العربة الرئاسية يوم وصوله إلى كرتشي - في ٧ كانون الثاني ١٩٥٧



في مائدة رئيس الجمهورية الجنرال إسكندر ميرزا
فخامة الرئيس شكري القوتلي بجنبه وبين رئيس الوزراء حسين سهروردي - كرانشي ٧ كانون الثاني ١٩٥٧



في حفل العشاء الذي أقامه رئيس جمهورية باكستان الجنرال إسكندر ميرزا في العاصمة كراتشي
على شرف فخامة الرئيس - ٧ كانون الثاني ١٩٥٧



فخامة الرئيس شكري القوتلي والوفد المرافق أمام ضريح الامبراطور جيانغغير، في لاهور ١٣/١/١٩٥٧



السيدة الأولى حرم فخامة الرئيس وأعضاء الوفد المرافق أمام ضريح جاهاانغير،
أول نباطرة المغول المسلمين - لاهور (باكستان) كانون الثاني ١٩٥٧



السيدات السوريات مع السيدات الباكستانيات في القلعة، ٨ كانون الثاني ١٩٥٧



في الحفلة الثقافية الفنية في لاهور (باكستان)، كانون الثاني ١٩٥٧

من اليمين: الدكتور نور الدين كحالة، الدكتور حسني الصواف، عبد الله الخاني، الدكتور حسني سبيع
في الصف الخلفي: فؤاد الشايب - مدير الإعلام، مؤيد العظم - السفير المنتخب للرئاسة، العقيد رياض الكيلاني - المرافق



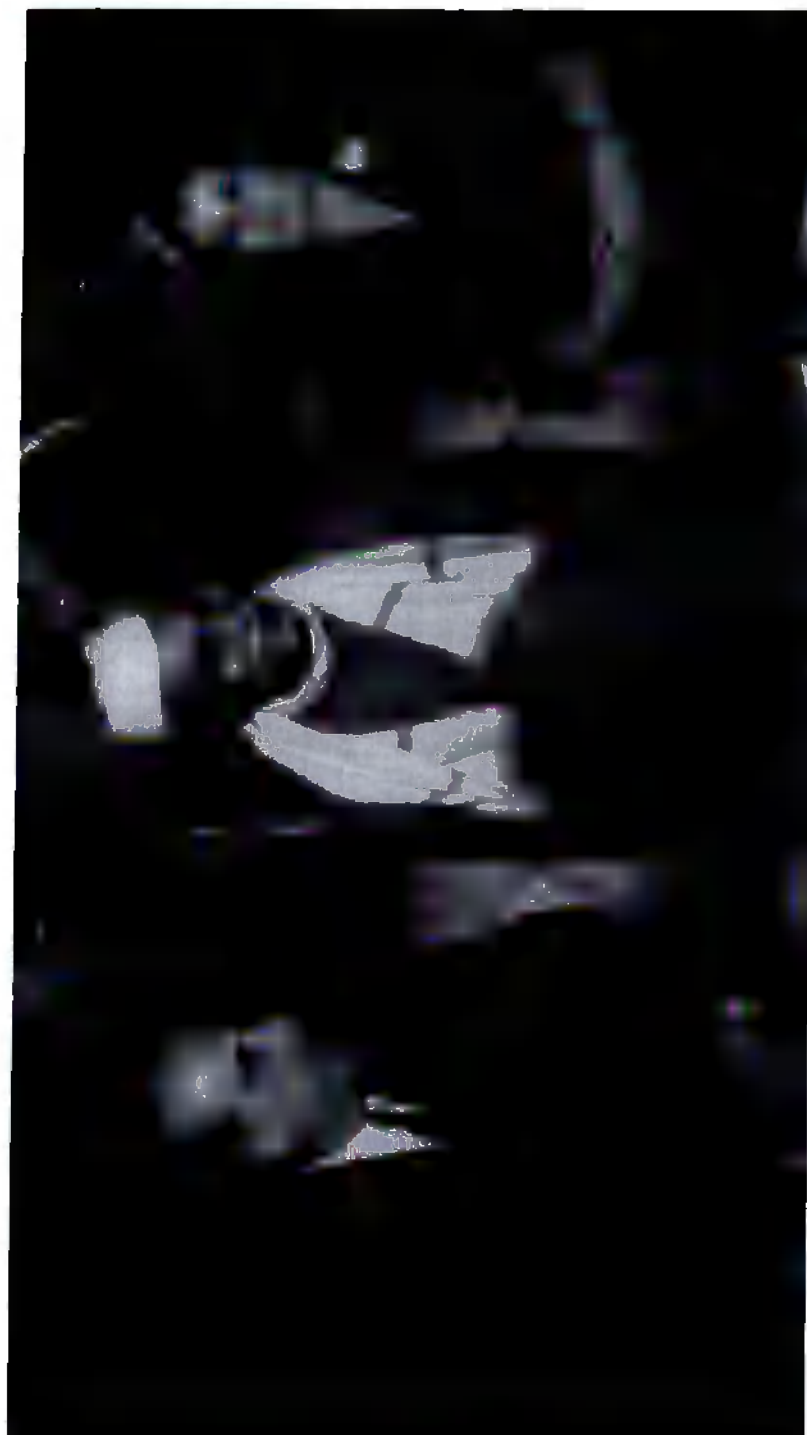
فخامة الرئيس بين رئيس الجمهورية راجندرا برالزاد ورئيس الوزراء جواهر لال نهرو،
 لدى وصوله إلى نيودلهي، ١٩٥٧/١/٧
 إلى اليمين: السيدة بيطار زوجة الأستاذ صلاح



فخامة الرئيس مع جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند،
نيونلهي ١٧/١/١٩٥٧



فخامة الرئيس شكري القوتلي وأعضاء الوفد السوري أمام ضريح المهاتما غاندي، ١٨ كانون الثاني ١٩٥٧



رئيس جمهورية الهند راجندر ايرازاد بين فخامة الرئيس والسيدة الأولى
نيوتلهي ١٩٥٧/١/١٨



جوامر لال نهرو والرئيس شكري القوتلي في نيودلهي، ١٨ كانون الثاني ١٩٥٧



فخامة الرئيس يؤدي صلاة الجمعة في جامع مسج في الهند، نيونلهي، الجمعة ١٨/١١/١٩٥٧
عبد الله الخاني إلى يمينه، صلاح البيطار إلى يساره، ثم الدكتور حسني سيح، بدر الدين دياب ومحمد سعيد الزعيم



الرئيس القوتلي والرئيس جواهر لال نهرو في قصر الرئاسة بدمشق،
أثناء زيارة الرئيس الهندي لدمشق، ١٤ حزيران ١٩٥٧



الرئيس القوتلي والرئيس أحمد سوكانو، الرئيس السابق لجمهورية أندونيسيا،
عند زيارته لدمشق - ١٩٥٧



المؤلف في قصر الرئاسة باللباس الرسمي، ١٩٥٢

محتوى الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة	٧
الباب الأول	
الفصل الأول: الطفولة والعائلة	١١
فيصل الأول ملك سورية	١٢
الفصل الثاني: الدراسة	١٥
- في الزبداني	١٥
- في دمشق	١٥
- الدراسة الجامعية	١٨
- الثورة في لبنان	٢٠
- الإفراج عن الشيخ بشارة الخوري، رئيس الجمهورية، ورياض الصلح، رئيس الوزراء	٢٥
- في دمشق - الجامعة السورية، كلية الحقوق	٢٥
الفصل الثالث: ذكرياتي عن دمشق في فترة الدراسة	٣٣
- دمشق	٣٣
الفصل الرابع: أنا والأحزاب السياسية	٤٣
- الأحزاب السياسية في سورية	٤٥
الفصل الخامس: المحاماة	٤٩
الباب الثاني	
العمل في دوائر الحكومة	٥٧
الفصل الأول: العمل في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية	٥٩
- قبول التوظيف في ملاك الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية	٦١

الموضوع	الصفحة
- المفاوضات مع التابلاين	٦٦
- وصول جيمس منهل إلى دمشق	٦٧
- فيصل العسلي وحسني الزعيم	٦٨
- الحرب العربية - الإسرائيلية الأولى	٦٩
- أخطاء ثلاثة فادحة في فلسطين غيرت مجرى التاريخ	
في الشرق الأوسط	٦٩
- الفصل الثاني: تهيئة الانقلاب الأول	٧٣
- أنا وحسني الزعيم	٧٥
- أتق شر من أحسنت إليه	٧٧
- الفصل الثالث: الانقلاب الثاني	٨٩
- الفصل الرابع: الانقلاب الثالث	٩٣
- الجمعية التأسيسية والدستور الجديد	٩٣
- الفصل الخامس: الانقلاب الرابع	١٠١
- سيارة هتلر	١٠٥

الباب الثالث

- الفصل الأول: منحة الأمم المتحدة للتخصيص	١٠٩
- والدي وأنا	١٠٩
- في جنيف	١١١
- في باريس	١١٢
- في لندن	١١٢
- جولة في أسكتلندا وإيرلندا الشمالية	١٢١
- في باريس	١٢٣
- الفصل الثاني: الانقلاب الخامس	١٣١
- أمور حدثت في القصر تستحق الذكر	١٣٣
- الوضع السياسي	١٣٦
- الفصل الثالث: انتخاب الرئيس القوتلي	١٣٩
- تهيئة وداع الرئيس الأتاسي	١٣٩
- حفلة انتقال السلطات بين الرئيسين هاشم الأتاسي وشكري القوتلي	١٤١
- البرنامج	١٤١
- الأوضاع العامة	١٥٥
- أما عام ١٩٥٦ فكان حافلاً بالأحداث السياسية	١٦١

١٦١	١ - من هذه الأحداث السياسية
١٦٢	٢ - الأمور الخاصة بي
١٦٣	مؤتمر القمة المصغر لبحث مشروع جونسون ومنعكساته
١٦٧	موضوع تحويل مياه نهر الأردن
١٧٥	زيارة الملك حسين لدمشق ومباحثاته مع الرئيس شكري القوتلي
١٧٦	زيارتي إلى هولندا
١٧٧	زيارة الرئيس القوتلي إلى الأردن
١٧٨	- الأحداث الهامة التي وقعت في المنطقة منذ أيار ١٩٥٦
١٨٠	وفاة والدي
١٨٠	معرض دمشق الدولي
١٨٣	تأميم قناة السويس
١٨٦	مؤتمر الدمام
١٨٩	العدوان الثلاثي على مصر
١٨٩	زيارة الرئيس القوتلي إلى موسكو
١٩١	مؤتمر القمة العربية في بيروت لبحث العدوان الثلاثي على مصر
١٩٢	- الحكومة الجديدة
١٩٣	عام ١٩٥٧
	الأمور الخاصة بي
١٩٤	- الحياة الأدبية والثقافية والفنية في دمشق في الخمسينات
١٩٥	- التطور الاقتصادي والصناعي في سورية في العقد الذي سبق الوحدة
١٩٨	- الاتفاق الاقتصادي والفني بين سورية والاتحاد السوفياتي
١٩٩	- المؤتمرات على سورية
٢١٥	- البانديت نهرو في دمشق
٢١٥	- مع الأنسة أم كلثوم
٢١٦	- الرئيس القوتلي في سويسرا
٢١٧	- الزواج
٢٢١	عام ١٩٥٨
٢٢٢	- الحركة الثقافية والفنية في دمشق في الخمسينات
٢٢٤	- التطور الاقتصادي والصناعي في سورية في العقد الذي سبق الوحدة
٢٢٧	خاتمة الكتاب
٢٣١	قسم الوثائق

الموضوع

الصفحة

١ - الحدود السورية، الدكتور ياسين زكريا - خط الحدود مع فلسطين التي رسمتها اتفاقية سايكس - بيكو في ١٦/٥/١٩١٦، ثم خط الهدنة في ٢٠/٧/١٩٤٩، ثم حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ قبل	٢٣٥
العدوان الإسرائيلي	
٢ - بعض مواد دستور ٥ أيلول ١٩٥٠، المتعلقة	٢٤٧
بصلاحيات رئيس الجمهورية	
٣ - ميثاق الدفاع المشترك بين مصر وسورية	٢٤٨
٤ - رسالة عزاء إلى آل المرحوم فؤاد الحلبي	٢٥٣
٥ - تقرير مشروع جونستون والمشاريع الأخرى للاستفادة من مجاري المياه في المنطقة (المشاريع المقترحة لإنماء حوض الأردن)	٢٥٥
٦ - نصّ مشروع القوتلي لاتحاد الدول العربية	٢٧٣
٧ - البيان الختامي لمؤتمر الأقطاب الثلاثة (القوتلي - سعود وعبد الناصر)	٢٧٩
٨ - صورة براءة الوسام المصري من الطبقة الرابعة	٢٨٣
٩ - نص الاتفاقية السورية الأردنية	٢٨٤
١٠ - صورة براءة الوسام الأردني	٢٨٥
١١ - نصّ البيان المشترك السوري السوفياتي	٢٨٦
نصّ البيان المشترك السوفياتي المصري	٢٨٨
١٢ - صورة براءة الاستحقاق المصري، الوشاح، الطبقة الأولى	٢٨٩
١٣ - نص بيان الاتحاد الفدرالي السوري المصري	٢٩٠
١٤ - نص قرار تأميم قناة السويس	٢٩١
١٥ - نص بيان مؤتمر لندن الثلاثي في ١٦ آب ١٩٥٦	٢٩٢
١٦ - برنامج الرئيس في موسكو، وعن حفلة السفير	٢٩٤
١٧ - قرار إعلان حالة الطوارئ في سورية	٢٩٧
١٨ - نص البيان الختامي لمؤتمر بيروت	٢٩٩
- الملحق رقم ٣ - مؤتمر أصحاب الجلالة والفخامة	
ملوك العرب ورؤسائهم	٣٠١
١٩ - نص قرار إلغاء المعاهدة المصرية - البريطانية	٣٠٣
٢٠ - برنامج الرئيس أيزنهاور للسلم في الشرق الأوسط المقدم	
إلى الكونغرس	٣٠٤

٣١٤	٢١ - رفض الحكومة السورية للمبادئ التي قام عليها برنامج الرئيس أيزنهاور
٣١٦	٢٢ - بيان الملك سعود
٣١٧	٢٣ - بيان عدم قبول المملكة العربية السعودية مشروع أيزنهاور، ووساطة المملكة بين سوريا وتركيا
٣٢٢	٢٤ - الاتفاق بصدد التعاون الاقتصادي والفني بين الجمهورية السورية واتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية
٣٢٥	- ملحق بالاتفاق المتعلق بالتعاون
٣٢٥	- قائمة
٣٢٩	- تقرير عن مهمة وفد الإنماء الاقتصادي إلى موسكو
٣٣٤	- بلاغ
٣٣٦	٢٥ - تفاصيل المؤامرة الأمريكية في البيان الرسمي الصادر بتاريخ ١٩٥٧/٨/١٢
٣٤٠	٢٦ - نص البيان المشترك لإنهاء المعاهدة البريطانية الأردنية المعقودة عام ١٩٤٨
٣٤٢	٢٧ - البيان المشترك الصادر عقب المباحثات التي أجراها الملك سعود مع الرئيس الأمريكي أيزنهاور (البلاغ الرسمي المشترك)
٣٤٤	٢٨ - صورة عن الرسالة المرسلة من قبل إمام اليمن إلى فخامة الرئيس هاشم الأتاسي
٣٤٦	٢٩ - صور عن الرسائل المتبادلة بين إمام اليمن وفخامة الرئيس شكري القوتلي
٣٦٠	- ملحق خير وسرور
٣٦٢	٣٠ - البيان المشترك للمجلسين السوري والمصري
٣٦٥	٣١ - صورة عن الرسالة من فخامة الرئيس إلى الإمام أحمد
٣٦٦	٣٢ - صورة عن الرسالة التي وجهها أعضاء مجلس النواب إلى رئيس المجلس
٣٦٩	قسم الصور
٤١٥	محتوى الكتاب



ربما كانت السنوات العشر (من ١٩٤٨-١٩٥٨م) من أخطر سنوات تاريخ سورية الحديث وأهمها، بدأت مع إعلان تقسيم فلسطين، وانتهت بالوحدة المرتجلة بين قطرين مهمين من الأقطار العربية، وتصارعت على النفوذ في سورية، خلالها، القوى العظمى بريطانيا، وفرنسا، والولايات المتحدة، مستخدمة بعض ضباط الجيش السوري الفتي، الذي لم تتشكل لديه المناعة الكافية لشهوة السلطة، وبعض السياسيين من مختلف الاتجاهات والأحزاب، حتى أصبح ينظر إلى سورية كما يقول المؤلف: "البلد المريض، غير المستقر، كثير الانقلابات، قليل الأهمية والاتزان".

وربما كان هذا ما يهدف إليه أعداء سورية في الداخل والخارج، لأن الشعب السوري الحر لا يمكن أن يُستعمر أو يُستعبد، أو يتنازل عن حقوقه وحقوق العرب في فلسطين وغيرها.

في هذه الفترة الحرجة كان عمل مؤلف الكتاب في الأمانة العامة لرئاسة الجمهورية، وكان يطلع على الأحداث عن قريب، ويسجلها بكل صدق وأمانة، بعيداً عن المصلحة الشخصية التي اعتادها الناس في مذكرات السياسيين، لبعده عن الهوى والأنانية والمصلحة الشخصية.

وهو إضافة إلى ما امتاز به من خلق رفيع واطلاع وفير، صاحب أسلوب شائق يمكن وصفه بالسهل الممتنع. ويمتاز كتابه بكثرة الوثائق المهمة لكل باحث أو راغب في الاطلاع على تاريخ سورية، ويصور فوتوغرافية ندر وجودها في كتاب.

الناشر

ISBN 9953-18-121-7



9 789953 180274